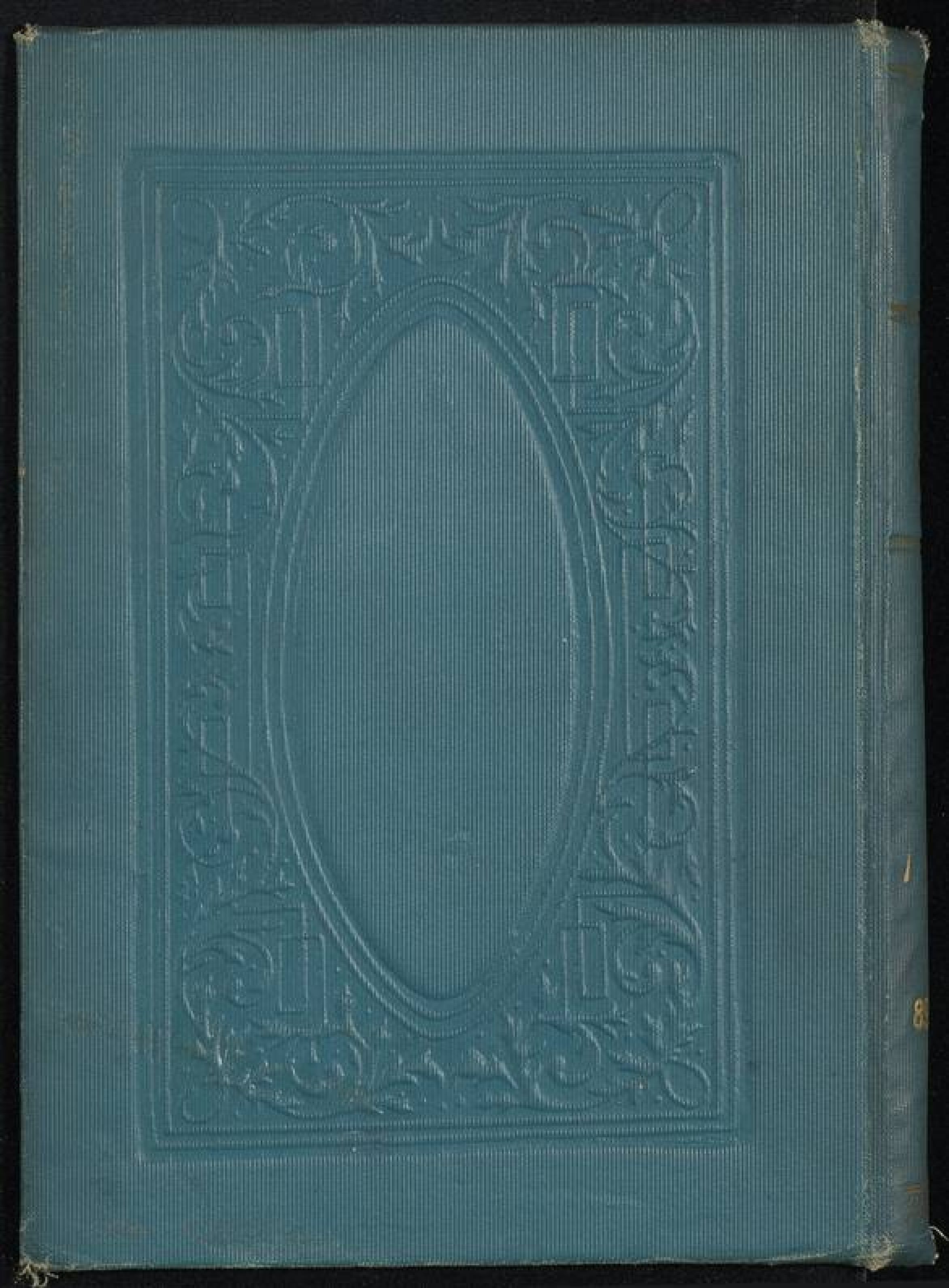


شر … ت

الاسرا … لام

مع حاشيـ … ـم

شروح ا … ح

والايضا … قام

للسبكي … الي

فتاوي ال … ت

الله للاما … له

القسطاس المستقيم له . فيصل التفرقة له . تأسيس النظر للدبوسي

ما بعد الطبيعة لابن رشد . الكلم الروحانية لابن هندو

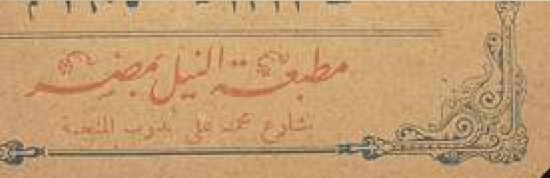
﴿ تحت الطبع بمطبعة بولاق ﴾

شروح المفتاح للسعد والسيد والقطب . حواشي البيضاوي

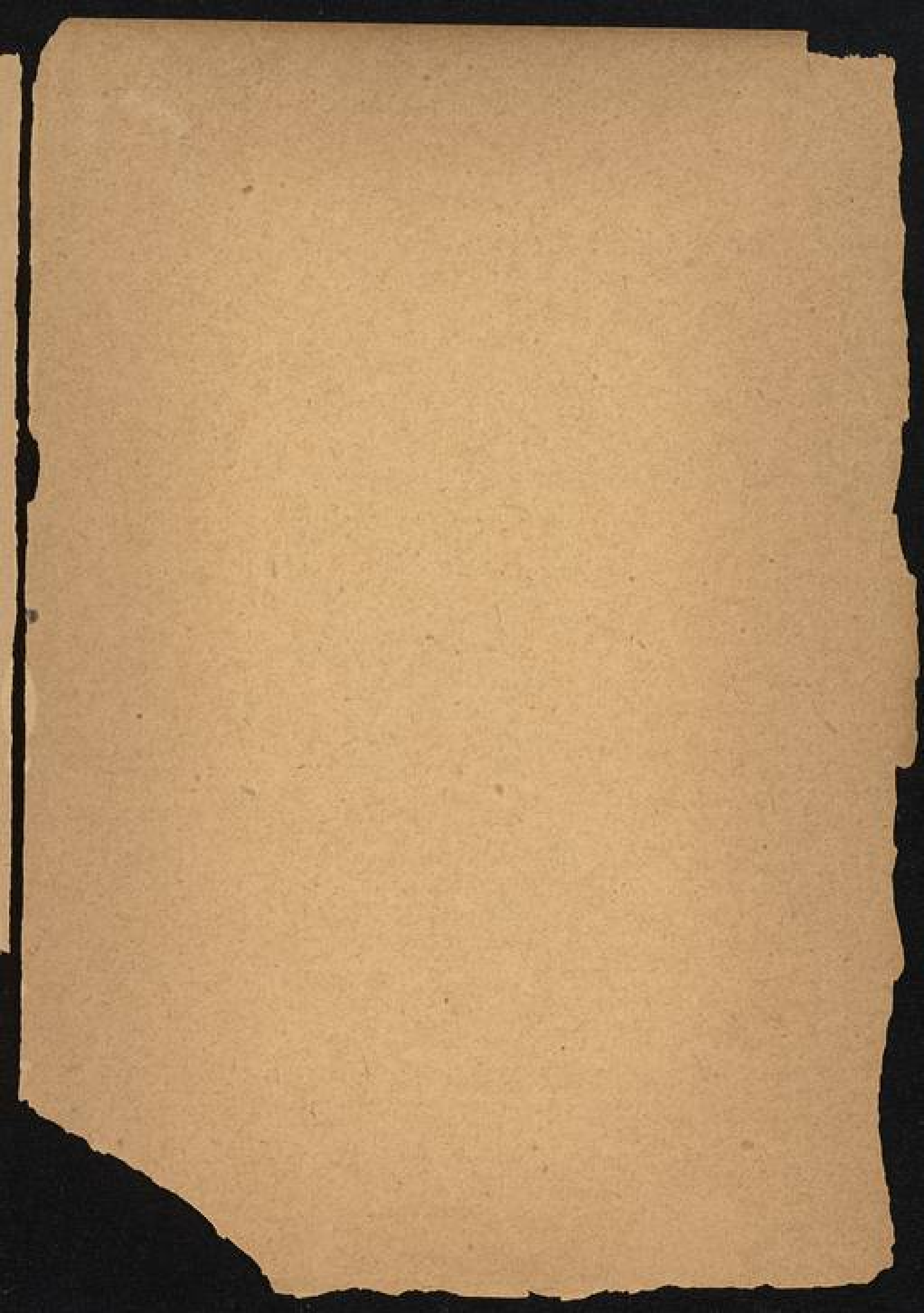
للسيوطي وعبد الحكيم وجلبي . حواشي شرح الشمسية للسيد

وعبد الحكيم والدسوقي وعصام والجلال وتقرير الشربيني

على عبد الحكيم وشرح السعد على الشمسية



مطبعة النيل بمصر



الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

تصنيف الآية الظاهرة والحجة الباهرة ماشطة العصر
بل نادرة الدهر شيخ الاسلام بحر العلوم وصدر
القروم الناسك العابد الزاهد تقي الدين أبي
العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام
بن تيمية الحراني قدس الله روحه
ونور ضريحه

طبع بمعرفة حضرتي الشيخ فرج الله زكي الكردي
والشيخ مصطفى القباني الدمشقي

سنة ١٣٢٢ هـ — سنة ١٩٠٥ م

(طبع بمطبعة النيل بشارع محمد على بدرب المنجمه بمصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

لااله الا الله محمد رسول الله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له وليٌّ من الذل وكبره تكبيراً والله اكبر الله اكبر لااله الا الله الله اكبر الله اكبر ولله الحمد الله اكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة واصيلا الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجراً حسناً ماكثين فيه أبداً وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا لآباءهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا والحمد لله الذى له ما فى السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور والحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل

شيء قدير ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل
له من بعده وهو العزيز الحكيم واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له الحي القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا
يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا
يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفواً أحد الاول الآخر الظاهر الباطن الملك القدوس السلام المؤمن
المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى
يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى
بالله شهيداً أرسله بالحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله
باذنه وسراجا منيراً أرسله الى جميع الثقلين الجن والانس عربهم
وعجمهم أميهم وكتابيهم وأنزل عليه أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى
ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من
هاد كتاب أنزله اليه ليخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم
ويهديهم الى صراط العزيز الحميد الله الذى له ما في السموات وما في
الارض هداهم به الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما في السموات
وما في الارض ألا الى الله تصير الامور وهو الصراط المستقيم صراط
الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو
دين الله الذى بعث به الرسل قبله كما قال تعالى شرع لكم من الدين

ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقال تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاتقون) كما قال فى الآية الأخرى (وانا ربكم فاعبدون فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون) وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا إله الا أنا فاعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين أنزل عليه الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فصدق كتابه مابين يديه من كتب السماء وأمر بالايمان بجميع الانبياء كما قال تعالى قولوا آمنا بالله وماأنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وهيمن على ما بين يديه من الكتاب وذلك يعم الكتب كلها شاهداً وحاكماً ومؤتمناً شهد بمثل ما فيها من الاخبار الصادقة وقرر ما فى الكتب المتقدمة من اصول الدين وشرائعه الجامعة التى اتفقت عليها الرسل كالوصايا المذكورة فى آخر الانعام واول سورة الاعراف وسورة سبحان ونحوها من السور المكية قال تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين

احساناً ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا
الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا
بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي
هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف
نفساً الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا
ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون
وقال تعالى قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد
وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقاً هدى وفريقاً حق
عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم
مهتدون يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا
تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده
والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم
القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل انما حرم ربي الفواحش
ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم
ينزل به سلطاناً وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وقال تعالى وقضي
ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احساناً إما يبلغن عندك الكبر احدهما
او كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً واخفض لهما
جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ربكم أعلم بما في
نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا وآت ذا القربى حقه
والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان

الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يُسرف فى القتل انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هى أحسن حتى يبلغ اشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ولا تمش فى الارض مرحاً انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى فى جهنم ملوماً مدحوراً) فدين الانبياء والمرسلين دين واحد وان كان لكلٍّ من التوراة والإنجيل شرعة ومنهاج ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق على صحته عن ابى هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم انا معاشر الانبياء ديننا واحد وانا اولى الناس بابن مريم لانه ليس بيني وبينه نبي فدين المرسلين يخالف دين المشركين المبتدعين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً قال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا

تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون) وقال تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً انى بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون وقال فى الآية الاخرى فاعبدون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون وقال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وقد خص الله تبارك وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بخصايص ميزه بها على جميع الانبياء والمرسلين وجعل له شرعة ومنهاجاً أفضل شرعة وأكمل منهاج مبين كما جعل أمته خير أمة أخرجت للناس فهم يوفون سبعين أمة هم خيرها وأكرمها على الله من جميع الاجناس هداهم الله بكتابه ورسوله لما اختلفوا فيه من الحق قبلهم وجعلهم وسطاً عدلا خيارا فهم وسط في توحيد الله واسمائه وصفاته وفى الايمان برسله وكتبه وشرائع دينه من الامر والنهى والحلال والحرام فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر وأحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث لم يحرم عليهم شيئاً من الطيبات كما حرم على اليهود ولم يحل لهم شيئاً من الخبايث كما استحلتها النصارى ولم يضيق عليهم باب الطهارة والنجاسة كما ضيق على اليهود ولم يرفع عنهم طهارة الحدث والخبث كما رفعته النصارى فلا يوجبون الطهارة من الجنابة ولا الوضوء للصلاة ولا اجتناب النجاسة فى الصلاة بل يعد كثير

من عبادهم مباشرة النجاسات من انواع القرب والطاعات حتى يقال فى
فضائل الراهب له اربعون سنة ما مس الماء ولهذا تركوا الختان مع
انه شرع ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام واتباعه واليهود عندهم اذا
حاضت المرأة لا يواكلونها ولا يشاربونها ولا يقعدون معها فى بيت واحد
والنصارى لا يحرمون وطئ الحائض وكان اليهود لا يرون ازالة النجاسة
بل اذا اصاب ثوب احد منهم قرضه بالمقراض والنصارى ليس عندهم
شيء نجس يحرم اكله او تحرم الصلاة معه وكذلك المسلمون وسط
فى الشريعة فلم يجحدوا شرعه الناسخ لاجل شرعه المنسوخ كما فعلت
اليهود ولا غيروا شيئاً من شرعه المحكم ولا ابتدعوا شرعاً لم يأذن
به الله كما فعلت النصارى ولا غلوا فى الانبياء والصالحين كفعل النصارى
ولا بخسوهم حقوقهم كفعل اليهود ولا جعلوا الخالق سبحانه وتعالى
متصفاً بخصايص المخلوق ونقايصه ومعايبه من الفقر والبخل والعجز كفعل
اليهود ولا المخلوق متصفاً بخصايص الخالق سبحانه • التى ليس كمثله فيها شيء •
كفعل النصارى ولم يستكبروا عن عبادته كفعل اليهود ولا أشركوا بعبادته
أحدا كفعل النصارى وأهل السنة والجماعة فى الاسلام كاهل الاسلام فى أهل
الملل فهم وسط فى باب صفات الله عز وجل بين أهل الجحد
والتعطيل وبين أهل التشبيه والتمثيل يصفون الله بما وصف به نفسه
وبما وصفته به رسله من غير تعطيل ولا تمثيل اثباتاً لصفات الكمال
وتنزيهاً له عن ان يكون له فيها انداد وأمثال اثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا
تعطيل كما قال تعالى ليس كمثله شيء وهو رد على الممثلة وهو السميع البصير
رد على المعطلة وقال تعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد

ولم يكن له كفوا أحد فالصمد السيد المستوجب لصفات الكمال والاحد الذى ليس له كفو ولا مثال وهم وسط فى باب أفعال الله عز وجل بين المعتزلة المكذبين بالقدر والجبرية النافين لحكمة الله ورحمته وعدله والمعارضين بالقدر أمر الله ونهيه وثوابه وعقابه وفى باب الوعد والوعيد بين الوعيدية الذين يقولون بتخليد عصاة المسلمين فى النار وبين المرجئة الذين يجحدون بعض الوعيد وما فضل الله به الابرار على الفجار وهم وسط في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الغالى فى بعضهم الذى يقول فيه بالهية اونبوة او عصمة والجافى فيهم الذى يكفر بعضهم او يفسقه وهم خيار هذه الامة والله سبحانه وتعالى ارسل محمداً صلى الله عليه وسلم للناس رحمة وانعم به نعمة يا لها من نعمة قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً. وهم الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فارساله أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده فجمع الله لامته بخاتم النبيين وامام المتقين وسيد ولد آدم اجمعين ما فرقه في غيرهم من الفضايل وزادهم من فضله انواع الفواضل بل اتاهم كفلين من رحمته كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب ان لايقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وفي الصحيحين عن بن عمر وابى موسى عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال انما اجلكم في اجل من خلا من الامم ما بين صلاة العصر الى مغرب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا

فقال من يعمل لى الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل من صلاة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا فانتم الذين تعملون من صلاة العصر الى مغرب الشمس الا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء فقال الله تعالى فهل ظلمتكم من حقكم شيئاً قالوا لا قال الله تعالى فانه فضلى أعطيه من شئت (أما بعد) فان الله تبارك وتعالى جعل محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين واكمل له ولامته الدين وبعثه على حين فترة من الرسل وظهور الكفر وانطماس السبل فاحيا به ما درس من معالم الايمان وقمع به أهل الشرك والكفر من عبدة الاوثان والنيران والصلبان وأذل به كفار أهل الكتاب أهل الشرك والارتياب وأقام به منار دينه الذي ارتضاه وشاد به ذكر من اجتباه من عباده واصطفاه وأظهر به ما كان مخفياً عند أهل الكتاب وأبان به ما عدلوا فيه عن منهج الصواب وحقق به صدق التوراة والزبور والانجيل واماط به عنها ما لبس بحقها من باطل التحريف والتبديل وكان من سنة الله تبارك وتعالى مواترة الرسل وتعميم الخلق بهم بحيث يبعث فى كل أمة رسولا ليقيم هداه وحجته كما قال تعالى ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة الا خلا فيها نذير وقال تعالى ثم أرسلنا رسلنا تترى وقال انا أوحينا اليك

كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل
واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان
وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم
عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ولما أهبط آدم الى
الارض قال تعالى قلنا اهبطوا منها جميعاً فاما يأتينكم منى هدىً فمن تبع
هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال فى الآية الاخرى فاما
يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض
عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم
حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك
اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة
أشد وابقى وقال تعالى عن اهل النار كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها
الم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من
شىء ان انتم الا فى ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى
اصحاب السعير وقال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال
تعالى يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى
وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا
وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى
بظلم واهلها غافلون (فصل) وكان دينه الذى ارتضاه لنفسه هو دين الاسلام
الذى بعث الله به الاولين والآخرين من الرسل ولا يقبل من احد
ديناً غيره لا من الاولين ولا من الآخرين وهو دين الانبياء واتباعهم

كما اخبر الله بذلك عن نوح ومن بعده الى الحواريين قال تعالى واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الى ولا تنظرون فان توليتم فما سألتكم من أجر ان اجرى الا على الله وامرت أن أكون من المسلمين وقال تعالى عن ابراهيم ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنيّ ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون وقال تعالى عن يوسف الصديق رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت ولي فى الدنيا والآخرة توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين وقال تعالى عن موسى انه قال يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وأخبر تعالى عن السحرة انهم قالوا لفرعون وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال تعالي عن بلقيس ملكة اليمن رب اني ظلمت نفسى واسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقال تعالى عن انبياء بنى إسرائيل انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا وقال تعالى عن المسيح فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بانا مسلمون ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وقال تعالى واذ أوحيت الى الحواريين ان أمنوا بى وبرسولي

قالوا آمنا وأشهد بانا مسلمون فهذا دين الاولين والآخرين من الانبياء واتباعهم هو دين الاسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له وعبادته تعالى فى كل زمان ومكان بطاعة رسله عليهم السلام فلا يكون عابداً له مَن عَبده بخلاف ما جاءت به رسله كالذين قال تعالى فيهم ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله فلا يكون مؤمناً به الا من عبده بطاعة رسله ولا يكون مؤمناً به ولاعابداً له الا من آمن بجميع رسله واطاع من ارسل اليه فيطاع كل رسول الى ان يأتي الذى بعده فتكون الطاعة للرسول الثانى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ومن فرق بين رسله فآمن ببعض وكفر ببعض كان كافراً كما قال تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف نؤتيهم اجورهم وكان الله غفوراً رحيما فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ولم يكن بعده رسول ولا من يجدد الدين لم يزل الله سبحانه وتعالى يقيم لتجديد الدين من الاسباب ما يكون مقتضياً لظهوره كما وعد به فى الكتاب فيظهر به محاسن الايمان ومحامده ويعرف به مساوى الكفر ومفاسده ومن اعظم اسباب ظهور الايمان والدين وبيان حقيقة انبأ المرسلين ظهور المعارضين لهم من اهل الافك المبين كما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف

القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون أفغير الله ابتغي حكماً وهو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وقال تعالى ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتنى لم اتخذ فلاناً خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيرا ٠ وذلك ان الحق اذا جحد وعورض بالشبهات اقام الله تعالى له مما يحق به الحق ويبطل به الباطل من الآيات البينات بما يظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة وفساد ما عارضه من الحجج الداحضة فالقرآن لما كذب به المشركون واجتهدوا على ابطاله بكل طريق مع انه تحداهم بالاتيان بمثله ثم بالاتيان بعشر سور ثم بالاتيان بسورة واحدة كان ذلك مما دل ذوى الالباب على عجزهم عن المعارضة مع شدة الاجتهاد وقوة الاسباب ولو اتبعوه من غير معارضة واصرار على التبطيل لم يظهر عجزهم عن معارضته التى بها يتم الدليل وكذلك السحرة لما عارضوا موسى عليه السلام وأبطل الله ما جاءوا به كان ذلك مما بين الله تبارك وتعالى به صدق ما جاء به موسى عليه السلام وهذا من الفروق بين آيات الانبياء وبراهينهم التى تسمي بالمعجزات وبين ما قد يشتبه بها من خوارق السحرة وما للشيطان من التصرفات فان بين هاذين فروقا

متعددة منها ما ذكره الله تعالى فى قوله هل أنبيكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك أثيم ومنها ما بينه فى آيات التحدي من ان آيات الانبياء عليهم السلام لا يمكن ان تعارض بالمثل فضلا عن الاقوى ولا يمكن احدا ابطالها بخلاف خوارق السحرة والشياطين فانه يمكن معارضتها بمثلها وأقوي منها ويمكن ابطالها وكذلك ساير اعداء الانبياء من المجرمين شياطين الانس والجن الذين يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا اذا أظهروا من حججهم ما يحتجون به على دينهم المخالف لدين الرسول ويموهون فى ذلك بما يلفقونه من منقول ومعقول كان ذلك من اسباب ظهور الايمان الذى وعد الله تعالى بظهوره على الدين كله بالبيان والحجة والبرهان ثم بالسيف واليد والسنان قال الله تعالى لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز وذلك بما يقيمه الله تبارك وتعالى من الايات والدلائل التى يظهر بها الحق من الباطل والحالي من العاطل والهدى من الضلال والصدق من المحال والغي من الرشاد والصلاح من الفساد والخطأ من السداد وهذا كالمحنة للرجال التى تميز بين الخبيث والطيب قال الله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وقال تعالى آلم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين. ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون • والفتنة

هي الامتحان والاختبار كما قال موسى عليه السلام ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ٠ اي امتحانك واختبارك تضل بها من خالف الرسل وتهدي بها من اتبعهم والفتنة للانسان كفتنة الذهب اذا ادخل كير الامتحان فانها تميز جيده من رديئه فالحق كالذهب الخالص كلما امتحن ازداد جودة والباطل كالمغشوش المغشى اذا امتحن ظهر فساده فالدين الحق كما نظر فيه الناظر وناظر عنه المناظر ظهرت له البراهين وقوى به اليقين وازداد به ايمان المؤمنين واشرق نوره في صدور العالمين والدين الباطل اذا جادل عنه المجادل ورام ان يقيم عوده المايل اقام الله تبارك وتعالى من يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ويبين ان صاحبه الاحمق كاذب مايق وظهر فيه من القبح والفساد والحلول والاتحاد والتناقض والالحاد والكفر والضلال والجهل والمحال ما يظهر به لعموم الرجال ان اهله من أضل الضلال حتى يظهر فيه من الفساد ما لم يكن يعرفه اكثر العباد ويتنبه بذلك من كان غافلا من سنة الرقاد من كان لا يميز الغي من الرشاد ويحيي بالعلم والايمان من كان ميت القلب لا يعرف معروف الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولا ينكر منكر المغضوب عليهم والضالين فان ماذم الله به اليهود والنصارى في كتابه مثل تكذيب الحق المخالف للهوى والاستكبار عن قبوله وحسد اهله والبغي عليهم وأتباع سبيل الغي والبخل والجبن وقسوة القلوب ووصف الله سبحانه وتعالى بمثل عيوب المخلوقين ونقايصهم وجحد ما وصف به نفسه من صفات الكمال المختصة به التي لا يماثله فيها مخلوق وبمثل الغلو في الانبياء والصالحين والاشراك في العبادة

لرب العالمين والقول بالحلول والاتحاد الذى يجعل العبد المخلوق هو رب العالمين والخروج فى اعمال الدين عن شرائع الانبياء والمرسلين والعمل بمجرد هوى القلب وذوقه ووجده فى الدين من غير اتباع العلم الذى انزله الله فى كتابه المبين واتخاذ اكابر العلماء والعباد اربابا يتبعون فيما يبتدعونه من الدين المخالف للانبياء عليهم السلام كما قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) ومخالفة صريح المعقول وصحيح المنقول بما يظن انه من التنزلات الالهية والفتوحات القدسية مع كونه من وساويس اللعين حتى يكون صاحبها ممن قال الله فيه (وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير) وقال تعالى فيه ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم اضل) الى غير ذلك من انواع البدع والضلالات التى ذم الله بها اهل الكتابين فانها مما حذر الله منه هذه الامة الاخيار وجعل ما حل بها عبرة لأولى الابصار وقد اخبر النبى صلى الله عليه وسلم انه لا بد من وقوعها فى بعض هذه الامة وان كان قد اخبر صلى الله عليه وسلم انه لا يزال في امته امة قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة وان امته لا تجتمع على ضلالة ولا يغلبها من سواها من الامم بل لا تزال ظاهرة منصورة متبعة لنبيها المهدى المنصور ولكن لا بد ان يكون فيها من يتبع سنن اليهود والنصارى والروم والمجوس كما فى الصحيحين عن ابى هريرة عن النبى صلي الله عليه وسلم انه قال لتتبعن سنن من

كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا فى جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وفى الصحيحين ايضاً عن ابى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لتأخذن امتى مأخذ الامم قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع قالوا يا رسول الله فارس والروم قال فمن الناس الا اولئك وفى المظهرين للاسلام منافقون والمنافقون فى الدرك الاسفل من النار تحت اليهود والنصارى فلهذا كان ماذم الله به اليهود والنصارى قد يوجد فى المنافقين المنتسبين للاسلام الذين يظهرون الايمان بجميع ماجاء به الرسول ويبطنون خلاف ذلك كالملاحدة والباطنية فضلا عمن يظهر الالحاد منهم ويوجد بعض ذلك فى اهل البدع ممن هو مقر بعموم رسالة النبى صلى الله عليه وسلم باطناً وظاهراً لكن اشتبه عليه بعض ما اشتبه على هؤلاء فاتبع المتشابه وترك المحكم كالخوارج وغيرهم من اهل الاهوآء وللنصارى فى صفات الله سبحانه وتعالى واتحاده بالمخلوقات ضلال شاركهم فيه كثير من هؤلاء بل من الملاحدة من هو اعظم ضلالا من النصارى . والحلول والاتحاد نوعان عام وخاص فالعام كالذين يقولون ان الله بذاته حالٌّ فى كل مكان او ان وجوده عين وجود المخلوقات . والخاص كالذين يقولون بالحلول والاتحاد فى بعض اهل البيت كعلي وغيره مثل النصيرية وامثالهم او بعض من ينتسب الى اهل البيت كالحاكم وغيره مثل الدرزية وامثالهم او بعض من يعتقد فيه المشيخة كالحلاجية وامثالهم فمن قال ان الله سبحانه وتعالى حل او اتحد باحد من الصحابة او القرابة او المشائخ فهو من هذا الوجه اكفر من النصارى الذين قالوا بالاتحاد والحلول فى المسيح فان المسيح عليه السلام افضل من هؤلاء

كلهم ومن قال بالحلول والاتحاد العام فضلا له اعم من ضلال النصارى
وكذلك من قال بقدم ارواح بنى آدم أو أعمالهم اوكلامهم أو
أصواتهم أو مداد مصاحفهم أونحو ذلك فى قوله شعبة من قول
النصارى فبمعرفة حقيقة دين النصارى وبطلانه يعرف به بطلان ما
يشبه أقوالهم من اقوال أهل الالحادوالبدع فاذا جاءنورالايمان والقرآن
اذهق الله به ماخالفه كما قال تعالى (وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل
كان زهوقا) وابان الله سبحانه وتعالى من فضايل الحق ومحاسنه ما كان
به محقوقاً وكان من أسباب نصر الدين وظهوره ان كتاباً ورد من قبرص
فيه الاحتجاج لدين النصارى بما يحتج به علماء دينهم وفضلاء ملتهم
قديماً وحديثاً من الحجج السمعية والعقلية فاقتضى ان نذكر من الجواب
ما يحصل به فصل الخطاب وبيان الخطأ من الصواب لينتفع بذلك اولو
الالباب ويظهر ما بعث الله به رسله من الميزان والكتاب وانا اذكر ما
ذكروه بالفاظهم باعيانها فصلافصلا واتبع كل فصل بما يناسبه من الجواب
فرعاً واصلا وعقداً وحلا وما ذكروه فى هذا الكتاب هو عمدتهم
التى يعتمد عليها علماءهم في مثل هذا الزمان وقبل هذا الزمان وان كان
قد يزيد بعضهم على بعض بحسب الاحوال فان هذه الرسالة وجدناهم
يعتمدون عليها قبل ذلك ويتناقلها علماءهم بينهم والنسخ بها موجودة
قديمة وهى مضافة الى بولص الراهب اسقف صيدا الانطاكي كتبها الى
بعض اصدقائه وله مصنفات فى نصر النصرانية وذكر انه لما سافر الى
بلاد الروم والقسطنطينية وبلاد الملافطة و بعض اعمال الافرنج وورومية
واجتمع باجلاء اهل تلك الناحية وفاوض افاضلهم وعلماءهم وقدعظم

هذه الرسالة وسماها الكتاب المنطيقي الدولة خاني المبرهن عن الاعتقاد الصحيح والرأي المستقيم • ومضمون ذلك ستة فصول (الفصل الاول) دعواهم ان محمداً صلى الله عليه وسلم لم يبعث اليهم بل الى اهل الجاهلية من العرب ودعواهم ان فى القرآن ما يدل على ذلك والعقل يدل على ذلك (الفصل الثانى) دعواهم ان محمداً صلى الله عليه وسلم اثنى فى القرآن على دينهم الذى هم عليه ومدحه بما اوجب لهم ان يثبتوا عليه (الفصل الثالث) دعواهم ان نبوات الانبياء المتقدمين كالتوراة والزبور والانجيل وغير ذلك من النبوات يشهد لدينهم الذى هم عليه من الاقانيم والتثليث والاتحاد وغير ذلك بانه حق وصواب فيجب التمسك به ولا يجوز العدول عنه اذ لم يعارضه شرع يرفعه ولا عقل يدفعه (والفصل الرابع) فيه تقرير ذلك بالمعقول وان ما هم عليه من التثليث ثابت بالنظر المعقول والشرع المنقول موافق للاصول (والفصل الخامس) دعواهم انهم موحدون والاعتذار عما يقولونه من ألفاظ يظهر منها تعدد الآلهة كالفاظ الاقانيم بان ذلك من جنس ما عند المسلمين من النصوص التى يظهر منها التشبيه والتجسيم (والفصل السادس) ان المسيح عليه السلام جاء بعد موسى عليه السلام بغاية الكمال فلا حاجة بعد النهاية الى شرع مزيد على الغاية بل يكون ما بعد ذلك شرعا غير مقبول • ونحن ولله الحمد والمنة نبين ان كلما احتجوا به من حجة سمعية من القرآن أو من الكتب المتقدمة على القرآن أو عقلية فلاحجة لهم فى شىء منها بل الكتب كلها مع القرآن والعقل حجة عليهم لا لهم بل عامة مايحتجون به من نصوص الانبياء ومن المعقول فهو نفسه حجة عليهم ويظهر منه

فساد قولهم مع ما يفسده من سائر النصوص النبوية والموازين التي هي مقاييس عقلية وهكذا يوجد عامة ما يحتج به أهل البدع من كتب الله عز وجل ففي تلك النصوص ماتبين انه لاحجة لهم فيها بل هي بعينها حجة عليهم كما ذكر امثال ذلك في الرد على أهل البدع والاهوآء وغيرهم من اهل القبلة وانما عامة ما عند القوم الفاظ متشابهة تمسكوا بها ظنوها تدل عليه وعدلوا عن الالفاظ المحكمة الصريحة المبينة مع ما يقترن بذلك من الاهوآء وهذه حال جميع أهل الباطل كما قال تعالى فيهم (ان يتبعون الا الظن وماتهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدي فهم في جهل وظلم كما قال تعالى وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيما) فالمؤمنون الذين تاب الله عليهم من الجهل والظلم هم أتباع الانبياء عليهم السلام فان الانبياء بعثوا بالعلم والعدل كما قال تعالى (والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى انهو الا وحي يوحى) فبين سبحانه وتعالى انه ليس ضالا جاهلا ولا غاوياً متبعاً هواه ولا ينطق عن هواه انما نطقه وحي اوحاه الله سبحانه وتعالى وقال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً) فالهدى يتضمن العلم النافع ودين الحق يتضمن العلم الصالح ومبناه على العدل كما قال تعالى (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)واصل العدل في حق الله تعالى هو عبادة الله وحده لا شريك له فان الشرك ظلم عظيم كما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك

بالله ان الشرك لظلم عظيم وفى الصحيحين عن عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهـم بظلم) شق ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اينا لم يظلم نفســه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هو كما تظنون انما هو الشرك الم تسمعوا الى قول العبـد الصالح ان الشرك لظلم عظيم ولما كان اتباع الانبياء هم أهل العلم والعدل كان كلام اهل الاسلام والسنة مع الكفار واهل البدع بالعلم والعدل لا بالظن وماتهوى الانفس ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة قاضيان فى النار وقاض فى الجنة رجل علم الحق وقضى به فهو فى الجنة ورجل علم الحق وقضي بخلافه فهو فى النار ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار رواه ابو داوود وغـيره فاذا كان من يقضى بين الناس فى الاموال والدماء والاعراض اذا لم يكن عالماً عادلا كان فى النار فكيف بمن يحكم فى الملل والاديان واصول الايمان والمعارف الآلهية والمعالم الكلية بلا علم ولا عدل كحال اهل البدع والاهواء الذين يتمسكون بالمتشـابه المشكوك ويدعون المحكم الصريح من نصوص الانبياء ويتمسكون بالقدر المشترك المتشابه فى المقاييس والآراء ويعرضون عما بينهما من الفروق المانعة من الالحاق والاستواء كحال الكفار وسائر اهـل البدع والاهواء الذين يمثلون المخلوق بالخالق والخالق بالمخلوق ويضربون لله المثل السوء بالقول الهزء وذلك ان دين النصارى الباطل انما هو دين مبتدع ابتدعوه بعد المسيح عليه السلام وغيروا به دين المسيح فضل منهم من عدل عن شريعة المسيح الى ما ابتدعوه ثم لما بعث الله تعالى محمداً عليه افضـل

الصلاة والسلام كفروا به فصار كفرهم وضلالهم من هذين الوجهين تبديل دين الرسول الاول وتكذيب الرسول الثاني كما كان كفر اليهود بتبديلهم احكام التوراة قبل مبعث المسيح ثم تكذيبهم المسيح عليه السلام وتبين ان شاء الله تعالى ان ما عليه النصارى من التثليث والاتحاد لم يدل عليه شيء من كتب الله لا الانجيل ولا غيره بل دلت على نقيض ذلك ولا دل على ذلك عقل بل العقل الصريح مع نصوص الانبياء تدل على نقيض ذلك بل وكذلك عامة شرائع دينهم محدثة مبتدعة لم يشرعها المسيح عليه السلام ، ثم التكذيب لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو كفرهم المعلوم لكل مسلم مثل كفر اليهود بالمسيح عليه السلام وابلغ وهم يبالغون فى تكفير اليهود باعظم مما يستحقه اليهود من التكفير اذ كان اليهود يزعمون ان المسيح ساحر كذاب بل يقولون انه ولد بغية كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله سبحانه وقوله على مريم بهتاناً عظيما) والنصارى يدعون ان الله الذي خلق الاولين والآخرين وانه ديان يوم الدين فكانت الامتان فيه على غاية التناقض والتعادى والتقابل ولهذا كل امة تذم الاخرى باكثر مما تستحقه كما قال الله تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصاري ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) ذكر محمد بن اسحق عن محمد ابن ابى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة او سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه انه لما قدم وفد نجران من النصارى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتتهم احبار يهود

فتنازعوا عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ربيع ابن حرملة ما انتم على شيء وكفر بعيسى والانجيل جميعاً فقال رجل من اهل نجران من النصارى لليهود ما انتم على شيء وجحد بنبوة موسى وكفر بالتوراة فانزل الله تعالى ذلك في قولهما (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب) قال كل يتلو في كتابه تصديق ما كفر به أي تكفير اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما اخذ الله تعالى عليهم على لسان موسى بالتصديق بعيسى عليه السلام وفي الانجيل باجابة عيسى بتصديق موسى عليه السلام وبما جاء به من التوراة من الله تعالى وكل يكفر بما في يدي صاحبه قال قتادة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء قال بلى قد كان اوائل النصارى على شيء ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا وقالت النصارى ليست اليهود على شيء قال بلى قد كان اوائل اليهود على شيء ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا فاليهود كذبوا بدين النصارى وقالوا ليسوا على شيء والنصارى كذبوا بجميع ما تميز به اليهود عنهم حتى في شرائع التوراة التي لم ينسخها المسيح بل امرهم بالعمل بها وكذبوا بكثير من الذي تميزوا به عنهم حتى كذبوا بما جاء به عيسى عليه السلام من الحق لكن النصارى وان بالغوا في تكفير اليهود ومعاداتهم على الحد الواجب عما ابتدعوه من الغلو والضلال فلا ريب ان اليهود لما كذبوا المسيح صاروا كفاراً كما قال الله تعالى للمسيح اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا) وقال تعالى قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بني

اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) وكفر النصاري بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وبمخالفة المسلمين اعظم من كفر اليهود بمجرد تكذيب المسيح فان المسيح لم ينسخ من شرع التوراة الاقليلا وسائر شرعه احالة على التوراة ولكن عامة دين النصارى أحدثوه بعد المسيح فلم يكن فى مجرد تكذيب اليهود له من مخالفة شرع الله ما فى تكذيب النصاري لمحمدصلى الله عليه وسلم الذي جاء بكتاب مستقل من عند الله لم يحل شيء من شرعه على شرع غيره قال تعالى (اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) والقرآن أصل كالتوراة وان كان اعظم منها ولهذا كان علماء النصارى يقرنون بين موسي ومحمد صلى الله عليهما وسلم كما قال النجاشي ملك النصارى لما سمع القرآن ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة وكذلك قال ورقة بن نوفل وهو من احبار نصارى العرب لما سمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال انه يأتيك الناموس الذى يأتي موسى يا ليتنى فيها جزعاً حين يخرجك قومك فقال النبى صلى الله عليه وسلم اومخرجي هم؟ قال نعم لم يأت احد بمثل ما اتيت به الا عودى وان يدركنى يومك انصرك نصراً مؤزراً ولهذا يقرن سبحانه وتعالى بين التوراة والقرآن في مثل قوله فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتي موسى اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا يعنى التوراة والقرآن وفي القرآءة الاخرى قالوا ساحران اى موسي ومحمد صلى الله عليهما وسلم وقالوا انا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من

عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين) فلم ينزل كتاب من
عند الله اهدى من التوراة والقرآن ثم قال تعالى فان لم يستجيبوا لك
فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدي من الله ان الله
لا يهدى القوم الظالمين) وهؤلاء النصارى ذكر كاتب كتابهم فى كتابه
انه لما سأله ان يفحص له فحصاً بيناً عما يعتقده النصارى المسيحيون المختلفة
السنتهم المتفرقة فى اربع زوايا العالم من المشرق الى المغرب ومن الجنوب
الى الشمال والقاطنون بجزائر البحر والمقيمون بالبر المتصل الى مغيب
الشمس . فان الاسقف ديان الملك الرومي اجتمع بمن اجتمع به من
اجلائهم ورؤسائهم وفاوض من فاوض من افاضلهم وعلمائهم فيها علمه
من رأى القوم الذين رآهم بجزائر البحر قبل دخوله الى قبرص وخاطبهم
فى دينهم وما يعتقدونه ويحتجون به عن انفسهم قال الكاتب على لسان
الاسقف انهم يقولون انا سمعنا ان قد ظهر انسان من العرب اسمه محمد
ويقول انه رسول الله واتي بكتاب فذكر انه منزل عليه من الله فلم
نزل الى ان حصل الكتاب عندنا . قال فقلت لهم اذا كنتم قد سمعتم
بهذا الكتاب وهذا الانسان واجتهدتم على تحصيل هذا الكتاب
الذى اتي به عندكم فلأي حال لم تتبعوه ولا سيما وفى هذا الكتاب
يقول ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من
الخاسرين) اجابوا قائلين لاحوال شتى . قال فقلت وما هي؟ قالوا منها ان
الكتاب عربي وليس بلساننا حسب ما جاء فيه يقول انا انزلناه قرآناً
عربياً وقال بلسان عربى مبين وقال فى سورة الشعراء ولو نزلناه على
بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين وقال في سورة البقرة

كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب
والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون وقال فى سورة آل عمران لقد
منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال
مبين)وقال تعالى فى سورة القصص لتنذر قوماً ما اتاهم من نذير من
قبلك لعلهم يتذكرون)وقال فى سورة يس لتنذر قوماً ما انذر
آباؤهم فهم غافلون)قالوا فلما رأينا هذا علمنا انه لم يأت الينا بل
الى جاهلية العرب الذين قالوا انه لم يأتهم رسول ولا نذير من قبله
وانه لا يلزمنا اتباعه لاننا نحن قد اتانا رسل من قبله خاطبونا بالسنتنا
وانذرونا بديننا الذى نحن متمسكون به يومنا هذا وسلموا الينا التوراة
والانجيل بلغاتنا على ما يشهد لهم هذا الكتاب الذى اتى به هذا
الرجل حيث يقول فى سورة ابراهيم وما ارسلنا من رسول الابلسان
قومه ليبين لهم) وقال فى سورة النحل ولقد بعثنا فى كل امة رسولا وقال
فى سورة الروم ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم
بالبينات) فقد صح فى هذا الكتاب انه لم يأت الا الى الجاهلية من
العرب وأما قوله ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى
الآخرة من الخاسرين)فيريد بحسب مقتضى العدل قومه الذين اتاهم
بلغتهم لا غيرهم ممن لم يأتهم بما جاء فيه ونعلم ان الله عدل وليس من
عدله ان يطالب يوم القيامة امة من الامم باتباع انسان لم يأت اليهم
ولا وقفوا له على كتاب بلسانهم ولا من جهة داع من قبله وهذه الفاظهم
باعيانها فى الفصل الاول وهذا الفصل لم يتعرضوا فيه لا لتصديقه ولا

لتكذيبه بل زعموا انه فى نفس هذا الكتاب انه لم يقل انه مرسل اليهم بل الى جاهلية العرب وان العقل أيضاً يمنع ان يرسل اليهم • فنحن نبدأ بالجواب على هذا ونبين انه صلي الله عليه وسلم اخبر انه مرسل اليهم والى جميع الانس والجن وانه لم يقل قط انه لم يرسل اليهم ولا فى كتابه ما يدل على ذلك وان ما احتجوا به من الآيات التى غلطوا فى معرفة معناها فتركوا النصوص الكثيرة الصريحة فى كتابه التى تبين انه مرسل اليهم من جنس ما فعلوه فى التوراة والانجيل والزبور وكلام الانبياء حيث تركوا النصوص الكثيرة الصريحة وتمسكوا بقليل من المتشابه الذي لم يفهموا معناه ومعلوم ان الكلام فى صدق مدعى الرسالة وكذبه متقدم على الكلام فى عموم رسالته وخصوصها وان كان قد يعلم احدهما قبل الآخر لكن هؤلاء القوم ادعوا خصوص رسالته وذكروا ان القرآن يدل على ذلك • فنجيب عما ذكروه على حسب ترتيبهم فصلا فصلا فنقول وبالله التوفيق • الكلام فيمن خاطب الخلق بانه رسول الله اليهم كما فعل محمد صلى الله عليه وسلم وغيره ممن قال انه رسول الله كابراهيم وموسى ونحوهما من الانبياء الصادقين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وآل كل من الصالحين وكمسيلمة الكذاب والاسود العنسي ونحوهما من المتنبئين الكاذبين ينبني على اصلين • احدهما ان يعرف ما يقوله فى خبره وامره فيعرف ما يخبر به ويامر به وهل قال انه رسول الله الى جميع الناس او قال انه لم يرسل الا الى طائفة معينة لا الى غيرها • والثانى ان نعرف هل هو صادق او كاذب وبهذين الاصلين يتم الايمان المفصل وهو معرفة صدق الرسول ومعرفة ما جاء به • واما الايمان المجمل •

فيحصل بالاول وهو معرفة صدقه فيما جاء به كائتاتنا بالرسل المتقدمة وقد يعلم صدقه او كذبه قبل ان يعلم مايذكره وقد يعلم مايذكره قبل ان يعلم صدقه او كذبه وهاؤلاء بدأوا فى كتابهم هذا ماذكره الرسول مما زعموا انه حجة لهم على عدم وجوب اتباعه وعلى مدح دينهم الذى هم اليوم عليه بعد النسخ والتبديل ثم ذكروا حججا مستقلة على صحة دينهم ثم ذكروا مايقدح فيه وفى دينه فلهذا قدمنا الجواب عما احتجوا به من القرآن كما قدموه فى كتابهم (فصل) ودلايل صدق النبي الصادق وكذب المتنبي الكاذب كثيرة جداً فان من ادعى النبوة وكان صادقا فهو من افضل خلق الله تعالى واكملهم فى العلم والدين فانه لااحد افضل من رسل الله وانبياءه صلوات الله عليهم وسلامه وان كان بعضهم افضل من بعض كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض • وقال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وان كان المدعي للنبوة كاذباً فهو من اكفر خلق الله وشرهم كما قال تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً او قال اوحي اليّ ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله وقال تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه اليس فى جهنم مثوى للكافرين والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين) وقال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) فالكذب اصل للشر واعظمه الكذب على الله عز وجل والصدق اصل للخير واعظمه الصدق على الله تبارك وتعالى وفى الصحيحين عن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله

عليه وسلم انه قال عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً واياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً . ولما كان هذا فى اعلا الدرجات وهذا فى اسفل الدركات كان بينهما من الفروق والدلايل والبراهين التى تدل على صدق احدهما وكذب الآخر مايظهر لكل من عرف حالهما ولهذا كانت دلايل الانبياء واعلامهم الدالة على صدقهم كثيرة متنوعة كما ان دلايل كذب المتنبئين كثيرة متنوعة كما قد بسط فى موضع آخر (فصل) اذا عرف هذا فهاؤلاء القوم في هذا المقام ادعوا ان محمداً صلى الله عليه وسلم لم يرسل اليهم بل الى اهل الجاهلية من العرب فهذه الدعوى على وجهين . اما ان يقولوا انه بنفسه لم يدع انه ارسل اليهم ولكن امته ادعوا له ذلك . واما ان يقولوا انه ادعى انه ارسل اليهم وهو كاذب فى هذه الدعوى وكلامهم فى صدر هذا الكتاب يقتضي الوجه الاول وفى آخره قد يقال انهم قد اشاروا الى الوجه الثانى لكنهم فى الحقيقة لم ينكروا رسالته الى العرب وانما انكروا رسالته اليهم . واما رسالته الى العرب فلم يصرحوا بتصديقه فيها ولا بتكذيبه وان كان ظاهر لفظهم يقتضى الاقرار برسالتـه الى العرب بل صدقوا بما وافق قولهم وكذبوا بما خالف قولهم . ونحن نبين انه لايصح احتجاجهم بشئ مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ثم نتكلم على الوجهين جميعاً ونبين انه لايصح احتجاجهم بشئ من القرآن على صحة دينهم بوجه من الوجوه ونبين ان القرآن لاحجة

فيه لهم ولا فيه تناقض وكذلك كتب الانبياء المتقدمين التي يحتجون بها
هي حجة عليهم ليس في شيء منها حجة لهم ولو لم يبعث محمد صلى الله
عليه وسلم . فكيف والكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم موافق
لساير كلام الانبياء عليهم السلام في ابطال دينهم وقولهم في التثليث والاتحاد
وغير ذلك مع العقل الصريح فهم احتجوا في كتابهم هذا بالقرآن وبما
جاءت به الانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم مع العقل . ونحن نبين انه
لا حجة لهم فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا فيما جاءت به الانبياء
قبله ولا في العقل بل ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءت به
الانبياء قبله مع صريح العقل كلها براهين قطعية على فساد دينهم ولكن
نذكر قبل ذلك ان احتجاجهم بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا
يصح بوجه من الوجوه وانه لايجوز ان يحتج بمجرد المنقول عن محمد
صلى الله عليه وسلم من يكذبه في كلمة واحدة مما جاء به . وكذلك كلام
ساير الانبياء عليهم السلام بخلاف الاحتجاج بكلام غير الانبياء فان ذلك
يمكن موافقة بعضه دون بعض . واما ما اخبرت به الانبياء عليهم السلام
او من قال انه نبي فلا يمكن الاحتجاج ببعضه دون بعض سواء قدر صدقهم
او كذبهم فيقال لهم على كل تقدير سواء ان اقروا بنبوته الى العرب
او الى غيرهم او كذبوه في قوله انه رسول الله مطلقاً او سكتوا عن
هذا وهذا او صدقوه في البعض دون البعض ان احتجاجهم على صحة
مايخالفون فيه المسلمين مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لايصح بوجه
من الوجوه فاحتجاجكم على انه لم يرسل اليكم او على صحة دينكم بشيء
من القرآن حجة داحضة على كل تقدير مع انا سنبين ان شاء الله

تعالى ان الكتب الالهية كلها مع المعقول لاحجة لكم فى شيء منها
بل كلها حجة عليكم وهذا بخلاف المسلمين فانه يصح احتجاجهم
على اهل الكتاب • اليهود والنصارى بما جاءت به الانبياء قبل محمد صلى
الله عليه وسلم واهل الكتاب لايصح احتجاجهم بما جاء به محمد صلى
الله عليه وسلم وذلك ان المسلمين مقرون بنبوة موسى وعيسى وداود
وسليمان وغيرهم من الانبياء عليهم السلام وعندهم يجب الايمان بكل
كتاب انزله الله وبكل نبي ارسله الله وهذا اصل دين المسلمين فمن
كفر بنبي واحد او كتاب واحد فهو عندهم كافر بل من يسب نبياً
من الانبياء فهو عندهم كافر مباح الدم كما قال الله تعالى قولوا امنا بالله
وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق
بين احد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا
وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم (وقال
تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا
غفرانك ربنا واليك المصير) وقال تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل
المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب
والنبيين (والكتاب) اسم جنس لكل كتاب انزله الله يتناول التوراة
والانجيل كما يتناول القرآن كقوله تعالى وقل امنت بما انزل الله من
كتاب وامرت لاعدل بينكم (وقوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من
ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد

من رسله وفى القراءة الاخرى وكتابه كقوله تعالى وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم وقوله تعالى (آلم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون) فذكر ان هذا الكتاب الذي أنزل عليه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة والذين يؤمنون بما انزل اليه وما انزل من قبله وبالآخرة هم يوقنون ثم اخبر تعالى ان هؤلاء هم المفلحون فحصر الفلاح فى هؤلاء فلا يكون مفلحاً الا من كان من هؤلاء وقوله تعالى (والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هو صفة للمذكورين ليس هؤلاء صنفاً آخر فان عطف الشيء على الشيء قد يكون لتغاير الصفات وان كانت الذات واحدة هـذا هو الصحيح هنا وان كان قد قيل ان الصنف الثانى مؤمن اهل الكتاب والاول هم المسلمون فهذا ضعيف وافسد منـه قول هؤلاء النصارى ان الكتاب المراد به الانجيل كما سيأتى الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى • والعطف لتغاير الصفات كقوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذى اخرج المرعى فجعله غثاء احوى) وهو سبحانه الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى وقوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الى آخر الايات وكذلك قوله والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما انزل من قبلك هم

الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون وهم الذين
على هدى من ربهم وهم المفلحون ولكن فصل ايمانهم بعد ان اجمله
لئلا يظن ظان ان مجرد دعوى الايمان بالغيب ينفع وان لم يؤمن بما
انزل الى محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل الى من قبله فلو قال احد من
الناس انا اومن بالغيب وهو مع ذلك لا يؤمن ببعض ما انزل على محمد
صلى الله عليه وسلم او ببعض ما انزل على من قبله لم يكن مؤمناً حتى
يؤمن بجميع ما انزل اليه وما انزل الى من قبله ولو كانوا صنفاً آخر
لكان المفلحون قسمين قسماً يؤمنون بالغيب ولا يؤمنون بما انزل اليه
وما انزل الى من قبله وقسماً يؤمنون بما انزل اليه وما انزل الى من
قبله ولا يؤمنون بالغيب وهذا باطل عند جميع الامم المؤمنين واليهود
والنصارى فان الايمان بما انزل اليه والى من قبله يتضمن الايمان بالغيب
والايمان بالغيب لا يتم الا بأن يؤمن بالايمان بجميع ما انزله الله تبارك
وتعالى والمسلمون لا يستجيز احد منهم التكذيب بشيء مما انزل على من
كان قبل محمد صلى الله عليه وسلم لكن الاحتجاج بذلك عليهم يحتاج الى
ثلاث مقدمات • احدها ثبوت ذلك عن الانبياء عليهم السلام • والثانية صحة
الترجمة الى اللسان العربي او اللسان الذي يخاطب به كالرومي والسرياني
فان لسان موسى وداود والمسيح وغيرهم من انبياء بني اسرائيل كان
عبرانياً ومن قال ان لسان المسيح كان سريانياً اورومياً فقد غلط • والثالثة
تفسير ذلك الكلام ومعرفة معناه فلهذا كان المسلمون لا يردون شيئاً من
الحجج بتكذيب أحد من الانبياء في شيء قاله ولكن قد يكذبون الناقل
عنهم او يفسرون المنقول عنهم بما ارادوه بمعنى آخر على وجه الغلط

وان كان بعض المسلمين قد يغلط في تكذيب بعض النقل او تأويل بعض المنقول عنهم فهو كما يغلط من يغلط منهم ومن ساير اهل الملل فى التكذيب على وجه الغلط ببعض ماينقل عمن يقر بنبوته او فى تأويل المنقول عنه وهذا بخلاف تكذيب نفس النبى فانه كفر صريح بخلاف أهل الكتاب فانه لايتم مرادهم الا بتكذيبهم ببعض ماانزل الله ومتى كذب بكلمة واحدة مما اخبر به من قال انه رسول الله بطل احتجاجه بسائر كلامه فكانت حجتهم التى يحتجون بها داحضة وذلك ان الذي يقول انه رسول الله اما ان يكون صادقاً فى قوله انى رسول الله وفي جميع ما يخبر به عن الله واما ان يكون كاذباً ولو فى كلمة واحدة عن الله فان كان صادقاً في ذلك أمتنع ان يكذب على الله فى شىء مما يبلغه عن الله فان من كذب على الله ولو في كلمة واحدة كان ممن افترى على الله الكذب ولم يكن رسولا من رسل الله ٠ ومن افترى على الله الكذب تبين انه من المتنبئين الكذابين ومثل هذا لايجوز ان يحتج بخبره عن الله فانه قد علم ان الله لم يرسله واذا قال هو قولا وكان صدقاً كان كما يقوله غيره يقبل لا لانه بلغه عن الله ولا لانه رسول عن الله بل كما يقبل من المشركين وساير الكفار مايقولونه من الحق فان عباد الاوثان اذا قالوا عن الله ماهو حق مثل اقرار مشركى العرب بان الله خالق السموات والارض لم نكذبهم في ذلك وان كانوا كفاراً ٠ وكذلك اذا قال الكافر ان الله حي قادر خالق لم نكذبه فى هذا القول فمن كذب على الله فى كلمة واحدة قال ان الله انزلها عليه ولم يكن الله انزلها عليه فهو من الكذابين الذين لايجوز ان يحتج بشىء من اقوالهم التي يقولون انهم يبلغونها عن الله

تبارك وتعالي وما قالوه غير ذلك فهم فيه كسائر الناس بل كامثالهم من الكذابين أن عرف صحة ذلك القول من جهة غيرهم قبل لقيام الدليل على صحته لا لكونهم قالوه وان لم يعرف صحته من جهة غيرهم لم يكن في قولهم له مع ثبوت كذبهم على الله حجة وحينئذ فهؤلاء ان اقروا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وانه صادق فيما بلغه عن الله من الكتاب والحكمة وجب عليهم الايمان بكل ماثبت عنه من الكتاب والحكمة كما يجب الايمان بكل ماجاءت به الرسل . وان كذبوه في كلمة واحدة او شكوا في صدقه فيها أمتنع مع ذلك أن يقروا بانه رسول الله واذا لم يقروا بانه رسول الله كان احتجاجهم بما قاله كاحتجاجهم بساير مايقوله من ليس من الانبياء بل من الكذابين او من المشكوك في صدقهم ومعلوم ان من عرف كذبه على الله فيما يقول انه يبلغه عن الله او شك في صدقه لم يعلم انه رسول الله ولا انه صادق في كل مايقوله ويبلغه عن الله واذا لم يعلم ذلك منه لم يعرف ان الله انزل اليه شيئاً بل اذا عرف كذبه عُرف ان الله لم ينزل اليه شيئاً ولا ارسله كما عرف كذب مسيلمة الكذاب والاسود العنسي وطليحة الاسدي وكما عرف كذب ماني وامثاله من المتنبئين الكذابين واذا شك في صدقه في كلمة واحدة بل جوز ان يكون كذبها عمداً او خطأ لم يجز تصديقه مع ذلك في سائر مايبلغه عن الله لان تصديقه فيما يخبر به عن الله انما يكون اذا كان رسولا صادقاً لا يكذب عمداً ولا خطأ فان كل من ارسله الله لابد ان يكون صادقاً في كل مايبلغه عن الله لايكذب فيه عمداً ولا خطأ . وهذا امر اتفق عليه الناس كلهم المسلمون واليهود والنصارى وغيرهم اتفقوا على ان الرسول

لابد ان يكون صادقاً معصوماً فيما يبلغه عن الله لايكذب على الله خطأً ولا عمداً فان مقصود الرسالة لاتحصل بدون ذلك كما قال موسى عليه السلام لفرعون (يافرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على ان لااقول على الله الا الحق)وفى القرأة المشهورة يخبر انه جدير وحرى وثابت ومستقر على ان لايقول على الله الا الحق وعلى القرآءة الاخرى اخبرانه واجب عليه أن لايقول على الله الا الحق وقال تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين) وقال تعالى (ام يقولون افترى على الله الكذب فان يشاء الله يختم على قلبك ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته) وقال تعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لايعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين وقال تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا قال الذين لا يرجون لقاءنا ايت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا مايوحى الى) الآية وهذا لبسطه موضع آخر وانما المقصود هنا ان احتجاجهم بكلمة واحدة مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لايصح بوجه من الوجوه فانه ان كان رسولا صادقاً فى كل مايخبر به عن الله عز وجل فقد علم كل واحد انه جاء بما يخالف دين النصارى فيلزم اذا كان رسولا صادقاً ان يكون دين النصارى باطلا وان قالوا فى كلمة واحدة مما جاء به أنها باطلة لزم ان لا يكون عندهم رسولا صادقاً مبلغاً عن الله وحينئذ فسواء قالوا هو ملك عادل او هو عالم من العلماء او هو رجل صالح من الصالحين او جعلوه

قديساً عظيماً من اعظم القداديس فهما عظموه به ومدحوه به لما
رأوه من محاسنه الباهرة وفضايله الظاهرة وشريعته الطاهرة متى كذبوه
فى كلمة واحدة مما جاء به او شكوا فيها كانوا مكذبين له فى قوله انه
رسول الله وأنه بلغ هذا القرآن عن الله • ومن كان كاذباً فى قوله انه
رسول الله لم يكن من الانبياء والمرسلين ومن لم يكن منهم لم يكن قوله
حجة البتة لكن له اسوة امثاله فان عرف صحة مايقوله بدليل منفصل
قبل القول لانه عرف صدقه من غير جهته لا لانه قاله وان لم يعرف
صحة القول لم يقبل • فتبين انه ان لم يقر المقر لمن ذكر انه رسول الله
بانه صادق فى كل مايبلغه عن الله معصوم عن استقرار الكذب خطأ او
عمداً لم يصح احتجاجهم بقوله وهذا الاصل يبطل قول عقلاء اهل
الكتاب وهو لقول جهالهم اعظم ابطالا • فان كثيراً من عقلاء أهل
الكتاب او اكثرهم يعظمون محمداً صلى الله عليه وسلم لما دعى اليه
من توحيد الله تعالى ولما نهى عنه من عبادة الاوثان ولما صدق التوراة
والانجيل والمرسلين قبله ولما ظهر من عظمة القرآن الذى جاء به
ومحاسن الشريعة التى جاء بها وفضايل أمته التى آمنت به ولما ظهر عنه
وعنهم من الآيات والبراهين والمعجزات والكرامات لكن يقولون مع
ذلك انه بعث الى غيرنا أو انه ملك عادل له سياسة عادلة وانه مع ذلك
حصل علوماً من علوم أهل الكتاب وغيرهم ووضع لهم ناموساً بعلمه
ورتبه كما وضع اكابرهم لهم القوانين والنواميس التى بايديهم ومهما قالوه
من هذا فانهم لايصيرون به مؤمنين به ولا يسوغ لهم بمجرد ذلك
الاحتجاج بشيء مما قاله لانه قد عرف بالنقل المتواتر الذي يعلمه جميع

الامم من جميع الطوايف انه قال انه رسول الله الى جميع الناس وان الله انزل عليه القرآن فان كان صادقاً فى ذلك فمن كذبه فى كلمة واحدة فقد كذب رسول الله ومن كذب رسول الله فهو كافر ، وان لم يكن صادقاً فى ذلك لم يكن رسولا له بل كان كاذباً ومن كان كاذباً على الله يقول الله أرسلنى بذلك ولم يرسله به لايجوز ان يحتج بشىء من اقواله ، واما من كان من جهال أهل الكتاب الذين يقولون انه كان ملكا مسلطاً عليهم وانه رسول غضب ارسله الله ارسالا كونياً لادينياً لينتقم به منهم كما ارسل بخت نصر وسنجاريب على بنى اسرائيل وكما ارسل جنكس خان وغيره من الملوك الكافرين والظالمين مما ينتقم الله به ممن عصاه فهؤلاء أعظم تكذيباً له وكفراً به من اولئك فان هؤلاء الملوك لم يقل احدمنهم ان الله انزل عليه كتاباً ولا ان هذا الكلام الذي ابلغه اليكم هو كلام الله ولا ان الله امركم أن تصدقونى فيما اخبرتكم به وتطيعونى فيما امرتكم به ومن لم يصدقنى باطناً وظاهراً فان الله يعذبه فى الدنيا والآخرة بل هؤلاء ارسلهم ارسالا كونياً قدره وقضاه كما يرسل الريح بالعذاب وكما يرسل الشياطين قال الله تعالى (انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تأزهم أزا) وقال تعالى (وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علواً كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا اولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا) وهذا بخلاف قوله (انا ارسلنا نوحاً الى قومه وقوله انا ارسلنا اليكم رسولا شاهداً عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا) وقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل

واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فان هذا يعني به الارسال الديني الذي يحبه تعالى ويرضاه الذي هدى به من اتبعهم وادخله في رحمته وعاقب من عصاهم وجعله من المستوجبين للعذاب وهو الارسال الذي أوجب الله به طاعة من ارسله كما قال تعالى (وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) وقال تعالى (من يطع الرسول فقد اطاع الله) وهذه الرسالة التي أقام الله بها الحجة على الخلق كما قال تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال تعالى (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس) وهذا كما اصطفى روح القدس جبريل عليه السلام لنزوله بالقرآن على من اصطفاه من البشر وهو محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى (قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين) وقال تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) وقال تعالى واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) فاخبر انه نزل به جبريل وسماه الروح الامين وسماه روح القدس وقد ذكره ايضاً في قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ثم قال وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالافق المبين وما هو على الغيب بضنين وما هو بقول

شيطان رجيم فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين) فهذا الرسول جبريل عليه السلام وقال تعالى (انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين) فهذا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم • واما الارسال الكوني الذي قدره وقضاه مثل ارسال الرياح وارسال الشياطين فذلك نوع آخر قال تعالى (انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تأزهم أزاً) وقال تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته والله تعالى له الخلق والامر) فلفظ الارسال والبعث والارادة والامر والاذن والكتاب والتحريم والقضاء والكلام ينقسم الى خلقي وامري وكوني وديني وقد ذكرنا الارسال • واما البعث فقال تعالى في البعث الديني (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) وقال في الكوني (فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد) وقال تعالى (فبعث الله غراباً يبحث في الارض) واما الارادة • فقال تعالى في الكونية (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كانما يصعد في السماء) وقال نوح عليه السلام (فما ينفعكم نصحي ان أردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم) وقال تعالى في الارادة الدينية (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقال تعالى (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد

ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم) وقال تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ان يطهركم وليتم نعمته عليكم) وقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا)وقال تعالى في الامر الكوني (انما أمره اذا اراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وكذلك فى اظهر القولين قوله تعالى (واذا اردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول)وأما الامر الدينى مثل قوله (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها) وأما الاذن الكونى مثل قوله فى السحرة (وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله) والدينى مثل قوله (انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً) والكتاب الكونى مثل قوله (كتب الله لاغلبن انا ورسلى) وقوله (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) والدينى مثل قوله (كتاب الله عليكم) وقوله (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم كتب عليكم القصاص) والقضاء الكونى كقوله (فقضاهن سبع سموات) والدينى كقوله (وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا) أى أمر ، والتحريم الكونى مثل قوله (وحرمنا عليه المراضع من قبل) وقوله (انها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون فى الارض وحرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون) والدينى مثل قوله (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم) والكلمات الكونية مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم ، اعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ومنه قوله تعالى (وصدقت

بكلمات ربها وكتبه) والدينية مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ومنه قوله تعالى (قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله) وهذا مبسوط فى موضع آخر والمقصود هنا تفرق أهل الكتاب فى النبي صلي الله عليه وسلم كل يقول فيه قولا هو نظير تفرق ساير الكفار فان الكفار بالانبياء من عادتهم ان تقول كل طائفة فيه قولا يناقض قول الطايفة الاخرى وكذلك قولهم فى الكتاب الذى أنزل عليه واقوالهم كلها اقوال مختلفة باطلة وهذا هو الاختلاف المذموم الذي ذكره الله تعالى فى قوله (ولا يزالون مختلفين الامن رحم ربك) وفى قوله (انكم لفى قول مختلف يؤفك عنه من افك) وقوله تعالى (وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد) وقوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) وقوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) ومثال اقوال الكفار فى الانبياء ما ذكره تعالى فى قوله تعالى (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد

جاءوا ظلماً وزوراً وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهى تملاعليه بكرة واصيلا قل انزله الذي يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفوراً رحيما وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيراً او يلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان يتبعون الا رجلا مسحوراً انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) فبين سبحانه ان الكفار ضربوا له امثالا كلها باطلة ضلوا فيها عن الحق فلا يستطيعون مع الضلال سبيلا الى الحق وضرب الامثال له يتضمن تمثيله باناس أخرين وجعله فى تلك الانواع التى ليس هو منها ولا مماثلا لافرادها مثل قولهم (ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون) مثلوه بالكاذب المستعين بمن يعينه على ما يفتريه ومثلوه بمن يستكتب اساطير الاولين من غيره فيقرأ عليه طرفى النهار وهو يتعلم من اولئك مايقوله ومثلوه بالمسحور وكذلك قوله تعالى (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقراً واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفوراً نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان يتبعون الا رجلا مسحوراً انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقال تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل اني انا النذير المبين كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن

عضين فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الهاً آخر فسوف يعلمون) قال كثير من السلف الذين جعلوا القرآن عضين هم الذين عضهوه فقالوا سحر وشعر وكهانة ونحو ذلك كما قال تعالى (فلا اقسم بما تبصرون وما لاتبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم) وقال تعالى (فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فانى معكم من المتربصين أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون أم يقولون تقوله بل لايؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) وقال تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفى زبر الاولين أو لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بنى اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين لايؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لايشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين (ثم قال تعالى (وما تنزلت به

الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون أنهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله الهاً آخر فتكون من المعذبين وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني برئ مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين انه هو السميع العليم هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر انهم فى كل وادٍ يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ماظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) وقال تعالى ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هي أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين اولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بينى وبينكم شهيداً يعلم مافى السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لايشعرون يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب

من فوقهم ومن تحت ارجلهم ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون) وقال
تعالى ام يقولون تقوله بل لايؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين
وقال تعالى (ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا
من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا
انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون) وقال تعالى وان
كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم
من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى
وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) وقال تعالى (ومن كل
شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله انى لكم منه نذير
مبين ولا تجعلوا مع الله الهاً آخر انى لكم منه نذير مبين) وقد اخبر
سبحانه وتعالى ان هذه سنة الكفار فى الانبياء قبله كما قال (وكذلك ما
اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون أتواصوا به بل
هم قوم طاغون) وقال تعالى مايقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك
وقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحى
بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه
فذرهم وما يفترون وقد أخبر سبحانه ان الكفار قالوا عن موسى
عليه السلام انه ساحر وانه مجنون فقال فرعون انّ رسولكم
الذى أرسل اليكم لمجنون وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك
وقال انه لكبيركم الذى علمكم السحر وكذلك قالوا عن المسيح ابن
مريم كما قال تعالى (وقال المسيح يابنى اسرائيل اني رسول الله
اليكم مصدقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدى

اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) وذكر تعالى عن اليهود انهم قالوا على مريم بهتاناً عظيما • فقول اليهود فى المسيح من جنس اقوال الكفار فى الانبياء وكذلك قول كفار اهل الكتاب فى خاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم تسليما وان قالوا نحن مقصودنا بيان تناقضه وان كلامه ينقض بعضه بعضاً • قيل فهذا ايضاً يستلزم انه ليس رسولا صادقاً فلا يصح لكم الاحتجاج بشيء من قوله على هذا التقدير وان كنا نحن نبين انه ولله الحمد قوله يصدق بعضه بعضاً وكذلك يصدق قول الانبياء قبله وان قول الانبياء كلهم يوافق صريح العقل فلا يناقض شيء من الحق المعلوم بسمع او عقل فاذا علم هذا فنقول بعد ذلك لمن قال انه رسول ارسل الى العرب الجاهلية دون اهل الكتاب انه من المعلوم بالضرورة لكل من علم احواله وبالنقل المتواتر الذى هو اعظم تواتراً مما ينقل عن موسى وعيسى وغيرهما وبالقرآن المتواتر عنه وسننه المتواترة عنه وسنة خلفائه الراشدين من بعده انه صلى الله عليه وسلم ذكر انه ارسل الى اهل الكتاب اليهود والنصارى كما ذكر انه أرسل الى الاميين رسولا بل ذكر انه ارسل الى جميع بنى آدم عربهم وعجمهم من الروم والفرس والترك والهند والبربر والحبشة وساير الامم بل انه ارسل الى الثقلين الجن والانس جميعاً وهذا كله من الامور الظاهرة المتواترة عنه التى اتفق على نقلها عنه اصحابه مع كثرتهم وتفرق ديارهم واحوالهم وقد صحبه عشرات الوف لا يحصى عددهم على الحقيقة الا الله تعالى ونقل ذلك عنهم التابعون وهم أضعاف الصحابة عدداً ثم ذلك منقول قرناً بعد قرن الى زمننا مع كثرة المسلمين وانتشارهم فى

مشارق الارض ومغاربها كما أخبر بذلك قبل ان يكون فقال فى الحديث
الصحيح زويت لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى
مازوى لى منها وكان كما أخبر فبلغ ملك امته طرفي العمارة مشرقاً ومغرباً
وانتشرت دعوته فى وسط الارض كالاقاليم الثالث والرابع والخامس لانهم
اكمل عقولاً واخلاقاً واعدل امزجة بخلاف طرفي الجنوب والشمال
فان هؤلاء نقصت عقولهم واخلاقهم وانحرفت امزجتهم • اما طرف
الجنوب فانه لقوة الحرارة احترقت اخلاطهم فاسودت الوانهم وتجعدت
شعورهم • واما أهل طرف الشمال فلقوة البرد لم تنضج اخلاطهم بل
صارت فجة فافرطوا فى سبوطة الشعر والبياض البارد الذى لايستحسن
ولهذا لما ظهر الاسلام غلب أهله على وسط المعمورة وهم اعدل بنى
آدم واكملهم • والنصارى الذين تربوا تحت ذمة المسلمين اكمل من غيرهم
من النصارى عقولاً واخلاقاً واما النصارى المحاربون للمسلمين الخارجون
عن ذمتهم من أهل الجنوب والشمال فهم انقص عقولا واخلاقاً ولما
فيهم من نقص العقول والاخلاق ظهرت فيهم النصرانية دون الاسلام
والمقصود ان محمداً صلى الله عليه وسلم هو نفسه دعى أهل الكتاب
من اليهود والنصارى الى الايمان به وبما جاء به كما دعى من لا كتاب له
من العرب وسائر الامم وهو الذى أخبر عن الله تبارك وتعالى بكفر
من لم يؤمن به من أهل الكتاب وغيرهم وبانهم يصلون جهنم وساءت
مصيرا وهو الذى أمر بجهادهم ودعاهم بنفسه ونوابه وحينئذ فقولهم
فى الكتاب لم يأت الينا بل الى الجاهلية من العرب سواء ارادوا به
ان الله بعثه الى العرب ولم يبعثه الينا او ارادوا انه ادعى انه أرسل الى

العرب لا الينا فانه قد علم جميع الطوائف ان محمداً دعى اليهود والنصارى الى الايمان به وذكر ان الله أرسله اليهم وامره بجهاد من لم يؤمن به منهم فاذا قيل مع هذا أنه قال لم أبعث الا الى العرب كان كذباً ظاهراً عليه سواء صدقه الانسان أو كذبه فان المقصود هنا انه نفسه دعى جميع أهل الارض الى الايمان به فدعى أهل الكتاب كما دعى الاميين . اما اليهود فانهم كانوا جيرانه في الحجاز وبالمدينة وما حولها وخيبر فان المهاجرين والانصار كلهم آمنوا به من غير سيف ولا قتال بل لما ظهر لهم من براهين نبوته ودلايل صدقه آمنوا به وقد حصل من الاذى فى الله لمن آمن بالله ماهو معروف فى السيرة وقد آمن به فى حياته كثير من اليهود والنصارى بعضهم بمكة وبعضهم بالمدينة وكثير منهم كانوا بغير مكة والمدينة فلما قدم المدينة عاهد لمن لم يؤمن به من اليهود ثم نقضوا العهد فاجلى بعضهم وقتل بعضهم لمحاربتهم لله ورسوله وقد قاتلهم مرة بعد مرة قاتل بنى النضير وانزل الله تعالى فيهم سورة الحشر وقاتل قريظة عام الاحزاب وذكرهم الله فى سورة الاحزاب وقاتل قبلهم بنى قينقاع وبعد هؤلاء غزي خيبر هو واهل بيعة الرضوان الذين بايعوه تحت الشجرة وكانوا الفاً واربعماية . ففتح الله عليهم خيبر واقر اليهود فيها فلاحين وانزل الله تعالى سورة الفتح يذكر فيها ذلك فكيف يقال انه لم يذكر انه أرسل الا الى مشركى العرب وهذه حال اليهود معه . واما النصارى فان أهل نجران التي باليمن كانوا نصارى فقدم عليه وفدهم ستون راكباً وناظرهم فى مسجده وانزل الله فيهم صدر سورة آل عمران ولما ظهرت حجته عليهم وتبين لهم انه رسول الله اليهم امره

الله ان لم يجيبوه ان يدعوهم الى المباهلة فقال تعالى (فمن
حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا
وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة
الله على الكاذبين) فلما دعاهم الى المباهلة طلبوا ان يمهلهم حتى يشتوروا
فاشتوروا فقال بعضهم لبعض تعلموا انه نبي وانه ماباهل قوم نبيا الا نزل
بهم العذاب فاستعفوا من المباهلة فصالحوه واقروا له بالجزية عن يد وهم
صاغرون لما خافوا من دعائه عليهم لعلمهم انه نبي فدخلوا تحت حكمه
كما يدخل اهل الذمة الذين فى بلاد المسلمين تحت حكم الله ورسوله
وادوا اليه الجزية عن يد وهم صاغرون هم اول من ادى الجزية من
النصارى واستعمل عليهم وعلى من اسلم منهم عمرو بن حزم الانصارى
وكتب له كتاباً مشهوراً يذكر فيه شرايع الدين فكانوا فى ذمة
المسلمين تحت حكم الله ورسوله ونايب رسوله عمرو بن حزم الانصارى
رضى الله عنه وقصتهم مشهورة متواترة نقلها اهل السير واهل التفسير
واهل الحديث واهل الفقه واصل حديثهم معروف فى الصحاح وفى
السنن كما سنذكره ان شاء الله تعالى ووفد نجران لما قدموا انزل الله
تبارك وتعالى بسبب ماجرى صدر سورة آل عمران وذكر تعالى
فرض الحج بقوله (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً)
وهذا انزل اما سنة تسع واما سنة عشر كما ذكر ذلك غير واحد من
العلماء منهم القاضى ابو يعلى وغيره قالوا وجوب الحج ثبت بقوله (ولله
على الناس حج البيت) روى انه نزل في سنة عشر وروى انه نزل فى
سنة تسع وهذا قول جمهور العلماء قالوا ان فرض الحج انما ثبت بهذه

الآية وقال بعضهم بل ثبت ذلك بقوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله
وهذه الآية نزلت سنة ست عام الحديبية لما صد المشركون رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن البيت وصالحهم ذلك العام وبايع المسلمين تحت
الشجرة وانزل الله فيها سورة الفتح ثم رجع الى المدينة وفتح الله
عليهم خيبر سنة سبع وفيها قدم عليه جعفر ابن ابي طالب مع وفد
الحبشة ثم أرسل جعفرا وزيدا وعبد الله ابن رواحة لغزو النصارى
لموتة ثم فتح مكة سنة ثمان فى رمضان ثم فى اثناء سنة تسع غزى
النصارى الى تبوك وفيها حج ابو بكر الصديق رضى الله عنه وامر ان
لايحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان واردفه بعلي ابن ابي
طالب رضى الله عنه لنبذ العهود وانزل الله آية السيف المطلقة بجهاد
المشركين وجهاد اهل الكتاب فقال تعالى (فاذا انسلخ الاشهر الحرم
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم
كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وهذه
الاشهر عند جمهور العلماء هى المذكورة فى قوله تعالى (فسيحوا فى
الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزى
الكافرين) فان المشركين كانوا نوعين نوعاً لهم عهد مطلق غيرموقت
وهو عقد جايز غير لازم ونوعاً لهم عهد موقت فامر الله رسوله ان
ينبذ الى المشركين اهل العهد المطلق لان هذا العهد جايز غير لازم
وامره ان يسيرهم اربعة اشهر ومن كان له عهد موقت فهو عهد
لازم فامره الله ان يوفى له اذا كان هو موقتا وقد ذهب بعض الفقهاء
الى ان الهدنة لاتجوز الا موقتة وذهب بعضهم الى انه يجوز للامام ان

يفسخ الهدنة الموقتة مع قيامهم بالواجب والصواب هو القول الثالث وهو انها تجوز مطلقة وموقتة • فاما المطلقة فجايزة غير لازمة يخير بين امضائها وبين نقضها • والموقتة لازمة قال تعالى (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزى الله وان الله مخزى الكافرين واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا لهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان احد من المشركين أستجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لايعلمون) كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف وان يظهروا عليكم لايرقبوا فيكم الا ولاذمة يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لايرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة واوليك هم المعتدون فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ونفصل الايات لقوم يعلمون وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم

لا ايمان لهم لعلهم ينتهون الا تقاتلون قوماً نكثوا ايمانهم وهموا
باخراج الرسول وهم بدأوكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه
ان كنتم موءمنين) والمقصود هنا ذكر قدوم وفد نجر ان النصارى
السيد والعاقب ومن معهما • قال ابو الفرج بن الجوزى ثم دخلت سنة
عشر من الهجرة فمن الحوادث فيها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث خالد ابن الوليد الى بنى الحارث بن كعب فروى بن اسحق قال
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالداً فى ربيع الآخر او جمادى
الاولى من سنة عشر الى بنى الحارث بن كعب بنجران وامره ان
يدعوهم الى الاسلام قبل ان يقاتلهم وذكر القصة ثم قال وفيها
قدم وفد الازد وفيها قدم وفد غسان وفيها قدم وفد زبيد وفيها
قدم وفد عبد القيس قال ابن اسحق قدم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم الجارود بن عمرو فى وفد عبد القيس وكان نصرانياً
فاسلموا وفيها قدم وفد كندة فاسلموا وفيها قدم وفد بنى حنيفة
وفيها قدم وفد بجيلة قال وفيها قدم العاقب والسيد من نجران
فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب صلح • وذكر محمد بن
سعد في الطبقات قدومهم فى ذكر الوفود فقال بعث النبي صلى الله عليه
وسلم خالد بن الوليد فى شهر ربيع الاول سنة عشر الى بنى الحارث بن
كعب ذكره باسناده انباءنا محمد بن عمر حدثنى ابرهيم بن موسى المخزومى
عن عبد الله بن عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث عن ابيه ثم ذكر
قدوم نصارى نجران من طريق على بن محمد فقال انباءنا على بن محمد
القرشى وهو المداينى المشهور فقال اخبرنا على بن محمد عن ابى معشر

عن يزيد بن رمان ومحمد بن كعب قال انباءنا علي بن مجاهد عن محمد بن اسحاق عن الزهري وعكرمة بن خالد وعاصم بن عمر بن قتادة وانباءنا يزيد بن عياض بن جعدبة عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم وعن غيرهم من أهل العلم يزيد بعضهم على بعض قالوا ووفد فلان وفلان في رجال من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ماهدم جرير بن عبد الله رضي الله عنه ذا الخلصة وقتل من قتل من خثعم فقالوا آمنا بالله ورسوله فاكتب لنا كتاباً وذكروا القصة وقدوم وفود متعددة قالوا وقدم وفد الاشعريون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم خمسون رجلا فيهم ابو موسى وذكر قصتهم قالوا وقدم وفد حضر موت مع وفد كندة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصتهم قالوا وقدم وفد ازدعمان قالوا وقدم وفد غافق قالوا وقدم وفد دوس وقدم وفد حزام ووفد حمير قالوا وقدم وفد نجران وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهل نجران فخرج اليه اربعة عشر من اشرافهم نصارى وفيهم ثلاثة نفر يتولون امورهم • العاقب واسمه عبد المسيح رجل من كندة وهو اميرهم وصاحب مشورتهم والذي يصدرون عن رأيه • وابو حارثة اسقفهم وامامهم وصاحب مدارسهم • والسيد وهو صاحب رحلتهم فدخلوا المسجد وعليهم ثياب الحبرة واردية مكفوفة بالحرير فقاموا يصلون في المسجد نحو المشرق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم ثم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فاعرض عنهم فلم يكلمهم فقال لهم عثمان ذلك من اجل زيكم هذا فانصرفوا يومهم ذلك ثم غدوا عليه بزي الرهبان فسلموا عليه فرد عليهم ودعاهم الى الاسلام فابوا وكثر

الكلام والحجاج بينهم وتلا عليهم القرآن وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان انكرتم ما اقول فهلم اباهلكم فانصرفوا على ذلك فغدا عبد
المسيح ورجلان من ذوي رأيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا قد بدى لنا ان لا نباهلك فاحكم علينا بما أحبت نعطك ونصالحك
فصالحهم على الفي حلة في رجب والف في صفر أوقية كل حلة من
الأواقي وعلى عارية ثلاثين درعا وثلاثين رمحاً وثلاثين بعيراً وثلاثين فرساً
ان كان باليمن كيد. ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم على انفسهم وملتهم وارضهم واموالهم وغايبهم
وشاهدهم وبيعهم لا يغير اسقف من سقيفاه ولا راهب من رهبانيته ولا
واقف من وقفانيته واشهد على ذلك شهوداً. منهم ابو سفيان بن حرب
والاقرع بن حابس والمغيرة بن شعبة فرجعوا الى بلادهم فلم يلبث السيد
والعاقب الا يسيرا حتى رجعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلما
وانزلهما دار ابي أيوب الانصاري واقام اهل نجران على ما كتب لهم
به النبي صلى الله عليه وسلم حتى قبضه الله صلوات الله عليه وسلم ورحمته
ورضوانه ثم ولى ابو بكر الصديق رضي الله عنه فكتب بالوصاة بهم
عند وفاته ثم اصابوا ربا فاخرجهم عمر بن الخطاب من ارضهم وكتب
لهم هذا ما كتب عمر امير المؤمنين لنجران انه من سار منهم انه آمن
بامان الله لا يضرهم احد من المسلمين ووفا لهم بما كتب لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر فمن وقعوا به من امراء الشام وامراء العراق
فليوسعهم من خراب الارض فما اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة وعقبة
لهم فكان ارضهم لا سبيل عليهم فيه لاحد ولا مغرم. اما بعد فمن حضرهم

من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم فانهم اقوام لهم الذمة وجزيتهم
عنهم متروكة اربعة وعشرين شهراً بعد ان تقدموا ولا يكلفوا الامن
ضيعتهم التي اعتملوا غير مظلومين ولا معسوف عليهم شهد عثمان بن
عفان ومعيقيب بن ابى فاطمة فوقع ناس منهم العراق فنزلوا النجرانية
التى بناحية الكوفة وما ذكره بن سعد عن على بن محمد المداينى عن
اشياخه فى حديث وفد نجران فهو يوافق ما ذكره ابن اسحق
فان قوله اربعة عشر من اشرافهم يوافق قول بن اسحاق عن
محمد بن جعفر قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد
نجران ستون راكباً فيهم اربعة عشر من اشرافهم فى الاربعة عشر
ثلاثة نفر اليهم يؤول امرهم • العاقب امير القوم وذو رأيهم وصاحب
مشورتهم والذى لا يصدرون الا عن رأيه واسمه عبد المسيح • والسيد
ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الايهم • وابو حارثة ابن علقمة
اخو بنى بكر بن وايل اسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم
وكان ابو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه فى
دينهم فكانت ملوك الروم من اهل النصرانية قد شرفوه ومولوه واخدموه
وبنوا له الكنائس وبسطوا له الكرامات لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده
فى دينهم فلما وجهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران
جلس ابو حارثة على بغلة له موجهاً والى جنبه اخ له يقال له كرز بن
علقمة فعثرت بغلة ابي حارثة فقال كرز تعس الابعد يريد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له ابو حارثة بل انت تعست فقال لم
يا اخى ؟ قال والله انه لانبي الذي كنا ننتظره فقال له كرز فما منعك

منه وانت تعلم هذا قال ما صنع بنا هؤلآء القوم شرفونا ومولونا
واكرمونا وقد ابوا الا خلافه فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فاضمر
عليها منه اخوه كرز بن علقمة حتى اسلم بعد ذلك وهو كان يحدث
عنه هذا الحديث فيما بلغنى قال بن هشام وبلغنى ان رؤساء نجران
كانوا يتوارثون كتبا عندهم فكلما مات رئيس منهم فافضت الرياسة
الى غيره ختم على تلك الكتب خاتما مع الخواتم التى قبله ولم يكسرها
فخرج الرئيس الذى كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمشى فعثر فقال ابنه تعس الا بعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له ابوه لا تفعل فانه نبيّ واسمه فى الوضايع يعنى الكتب فلما
مات لم يكن لابنه همة الا ان شد فكسر الخواتم فوجد فيها ذكر
النبى صلى الله عليه وسلم فاسلم فحسن اسلامه وحج وهو يقول •
اليك تعدو قلقا وضينها • معترضا فى بطنها جنينها • مخالفا دين النصارى دينها •
قال بن اسحاق وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير قال قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب
الحبرات جبب واردية فى جمال رجال بنى الحارث بن كعب قال يقول
بعض من رآهم من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ ما رأينا بعدهم
وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا فى مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال دعوهم فصلوا الى المشرق قال ابن اسحاق وكان تسمية
الاربعة عشر الذين يؤول اليهم امرهم • العاقب وهو عبد المسيح • والسيد
وهو الايهم • وابو حارثة بن علقمة اخو بكر بن وايل • واوس • والحارث
وزيد • وقيس • ويزيد • ونبيه • وخويلد • وعمرو وخالد • وعبد الله •

ويحنس • فى ستين راكباً فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ابو حارثة بن علقمة • والعاقب عبد المسيح • والايهم السيد • وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلافهم فى امرهم يقولون هو الله ويقولون هو ولد الله ويقولون هو ثالث ثلاثة وكذلك قول النصارى فهم يحتجون فى قولهم هو الله بانه كان يحيي الموتى ويبرىء الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً وذلك كله بامر الله وليجعله آية للناس ويحتجون فى قولهم انه ولد الله فانهم يقولون لم يكن له اب يعلم وقد تكلم فى المهد وهذا شيء لم يصنعه احد من ولد آدم ويحتجون فى قولهم ثالث ثلاثة بقول الله فعلنا وامرنا وخلقنا وقضينا فيقولون لو كان واحداً ماقال الا فعلت وقضيت وامرت وخلقت ولكنه هو وعيسى ومريم ففى كل ذلك من اقوالهم قد نزل القرآن فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلما قالا قد اسلمنا قال انكما لم تسلما فاسلما قالا بل قد اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعواكما لله ولداً وعبادتكما للصليب واكلكما الخنزير قالا فمن ابوه يامحمد فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فلم يجبهما فانزل الله فى ذلك من قولهم واختلافهم فى امرهم كله صدراً من سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية وذكر نزول الايات بسببهم غير واحد مثلما ذكره محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره قال حدثنا المثنى حدثنا اسحاق حدثنا بن ابى جعفر يعنى عبد الله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه عن الربيع فى قوله تعالى (الم الله لا اله الا هو الحى القيوم) قال ان النصارى اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاصموه فى عيسى بن

مريم وقالوا له من أبوه وقالوا على الله الكذب والبهتان لا اله الا هو لم يتخذ صاحبة ولا ولدا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون انه لا يكون ولدا الا وهو يشبه اباه قالوا نعم؟ قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء؟ قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء يكلاءه ويحفظه ويرزقه؟ قالوا بلى. قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء؟ قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك شيأ الاما علم؟ قالوا لا. قال فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء. قال الستم تعلمون ان ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث؟ قالوا بلى. قال الستم تعلمون ان عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يتغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث؟ قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم قال فعرفوا ثم ابوا الا جحودا فانزل الله (الم الله لا اله الا هو الحي القيوم) وقد ثبت في الصحاح حديث وفد نجران ففي البخاري ومسلم عن حذيفة واخرجه مسلم عن سعد بن ابي وقاص قال لما نزلت هذه الآية قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال اللهم هولاء اهلي وفي البخاري عن حذيفة بن اليمان قال جاء السيد والعاقب صاحبا نجران الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان ان يلاعناه فقال احدهما لصاحبه لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قالا انما نعطيك ما سألتنا

وابعث معنا رجلا اميناً فلا تبعث معنا الا اميناً قال لابعثن معكم رجلا اميناً
حق امين • قال فاستشرف لها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال قم يا ابا عبيدة بن الجراح فاما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا امين هذه الامة وفى سنن ابى داود وغيره قال ابو داود اخبرنا
مصرف بن عمرو اليامى حدثنا يونس يعنى بن بكير حدثنا اسباط بن نصير
الهمدانى عن اسمعيل بن عبد الرحمن القرشي عن بن عباس قال صالح
رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل نجران على الفى حلة النصف فى
صفر والنصف فى رجب يؤدونها الى المسلمين وعارية ثلاثين درعاً وثلاثين
فرساً وثلاثين بعيراً وثلاثين من كل صنف من اصناف السلاح يغزون بها
والمسلمون ضامنون لها حتى يردوها عليهم ان كان باليمن كيد ذات عذر
على ان لايهدم لهم بيعة ولا يخرج لهم قس ولا يفتنون عن دينهم مالم
يحدثوا حدثاً او يأكلوا الربى قال اسمعيل فقد أكلوا الربى قال ابو
داود اذا نقضوا بعض ماشرط عليهم فقد احدثوا وما ذكره ابو داود
وأهل السير من مصالحته لاهل نجران على الجزية المذكورة معروف
عند أهل العلم وقد ذكر ذلك ابو عبيد القاسم بن سلام فى كتاب
الاموال ذكره من طريقين قال ابو عبيد رحمه الله حدثنا ابو أيوب
الدمشقي قال حدثنى سعدان بن يحيى عن عبد الله بن ابى حميد عن
ابي المليح الهذلى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح اهل نجران
فكتب لهم كتاباً بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب محمد النبي
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل نجران اذ كان حكمه عليهم ان فى كل
وداء او بيضاء وصفراء وحمراء او ثمرة ورقيق وافضل عليهم وترك ذلك

لهم الفي حلة في كل صفر الف حلة وفي كل رجب الف حلة كل حلة
اوقية مازاد الخراج او نقص فعلى الاواقي فليحسب وماقضوا من ركاب
او خيل او دروع اخذ منهم بالحساب وعلى اهل نجران ان يقروا رسلي
عشرين ليلة فما دونها وعليهم عارية ثلثين فرساً وثلثين بعيراً وثلثين درعاً
اذا كان كيد باليمن ذو معذرة وماهلك مما اعاروا رسلي فهو ضامن على
رسلي حتى يؤدوه اليهم ولنجران وحاشيتها ذمة الله وذمة رسوله على
دمائهم واموالهم وملتهم وبيعهم ورهبانهم واساقفتهم وشاهدهم وغائبهم
وكل ماتحت أيديهم من قليل او كثير وعلى ان لايغيروا اسقفاً من سقيفاه
ولا واقها من وقيهاه ولا راهباً من رهبانيته وعلى ان لايحشروا ولا
يعشروا ولا يطأ ارضهم جيش ومن ملك منهم حقاً فالنصف بينهم
نجران على ان لايأكلوا الربا فمن أكل الربى من ذي قبل فذمتي منه
بريئة وعليهم الجهد والنصح فيما استقبلوا غير مظلومين ولا معسوف عليهم
شهد عثمان بن عفان ومعيقيب قال ابو عبيد الواقه ولي العهد في لغة
بلحارث بن كعب يقول اذا مات هذا الاسقف قام الآخر مكانه قال ابو
عبيد قال ابو أيوب وحدثني عيسى بن يونس عن عبد الله بن أبي حميد
عن أبي المليح عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وزاد في حديثه
قال فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اتوا ابا بكر فوفى لهم بذلك
وكتب لهم كتاباً نحواً من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه اصابوا الربى في زمانه فاجلاهم عمر
وكتب لهم اما بعد فمن وقعوا به من أمراء الشام او العراق فليوسعهم من
خراب الارض وما اعتملوا من شيء فهو لهم لوجه الله وعقبي من

ارضهم قال فاتوا العراق فاتخذوا النجرانية قال ابو عبيد وهي قرية بالكوفة وكتب عثمان الى الوليد بن عقبة • اما بعد فان العاقب والاسقف وسراة أهل نجران اتوني بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واروني شرط عمر رضي الله عنه وقد سألت عثمان بن حنيف فانبأني أنه قد كان بحث على ذلك فوجده ضار للدهاقين فنزعهم عن ارضهم وأني قد وضعت عنهم من جزيتهم مايتين حلة لوجه الله وعقبى لهم من ارضهم وأني اوصيك بهم فانهم قوم لهم ذمة قال ابو عبيد وحدثنا عثمان بن صالح عن عبد الله بن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب لاهل نجران من محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحو هذه النسخة وليس في حديثه قصة ابى بكر وعمر رضى الله عنهما وفي اخره شهد ابو سفيان بن حرب وغيلان بن عمرو ومالك من عوف من بنى نضر والاقرع بن حابس الحنظلي والمغيرة بن شعبة قال ابو عبيد حدثنى سعيد بن عفير عن يحيى بن ايوب عن يونس بن يزيد الايلى عن بن شهاب قال اول من اعطى الجزية اهل نجران وكانوا نصارى • فان قيل قوله تعالى قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لانعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً) وقد ثبت فى الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل مع دحية الكلبي مدة هدنته للمشركين وكان ابو سفيان اذ ذاك لم يسلم وقد حضر عند هرقل وسأله هرقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وابو سفيان اسلم عام الفتح فدل ذلك على ان هذا الكتاب كان قبل الفتح ونزول آية الجزية كان بعد الفتح سنة تسع

فدل ذلك على ان هذه الآية نزلت قبل آية الجزية وقبل آية المباهلة
وقدوم وفد نجران قبل آية المباهلة قد علم يقينا انها نزلت في قصة قدوم
وفد نجران والمفسرون واهل السير ذكروا ان آل عمران نزلت بسبب
مناظرة اهل نجران وقد ذكرناه من نقل اهل الحديث بالاسناد المتصل
ونقل اهل المغازى والسير ان وفد نجران صالحهم على الجزية وهم
اول من اداها فعلم ان قدومهم كان بعد نزول آية الجزية . وآية الجزية
نزلت بعد فتح مكة فعلم ان قدوم وفد نجران كان بعد آية السيف التى
هى آية الجزية قال الزهرى اهل نجران اول من ادى الجزية وقوله
تعالى (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوآء بيننا وبينكم) بعدها آيات
نزلت قبل ذلك كقوله (يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم
تشهدون) يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق
وانتم تعلمون فيكون هذا مما تقدم نزوله وتلك مما تأخر نزوله وجمع
بينهما للمناسبة كما فى نظايره فان الايات كانت اذ انزلت يامر النبي صلى
الله عليه وسلم ان يضعها فى مواضع تناسبها وان كان ذلك مما تقدم
ومما يبين ذلك ان هذه الآية وهى قوله تعالى(قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سوآء بيننا وبينكم) لفظها يعم اليهود والنصارى وكذلك
ذكر اهل العلم انها دعاء للطائفتين وان النبى صلى الله عليه وسلم دعى
بها اليهود فدل ذلك على ان نزولها متقدم فان دعاءه لليهود كان قبل
نزول آية الجزية ولهذا لم يضرب الجزية على اهل خيبر وغيرهم من يهود
الحجاز ولكن لما بعث معاذاً لليمن وكان كثير من اهلها يهوداً امراً
ان يأخذ من كل حالم ديناراً او عدله مغافراً وهذا كان متأخره

بعد غزوة تبوك وتوفى النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ باليمن قال ابن ابي حاتم
فى تفسيره حدثنا ابي حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد حدثنا الضحاك بن
عبد الرحمن بن حوشب وغيره ان عمر بن عبد العزيز كتب الى (اليون)
طاغية الروم قال فيما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم (قل يا أهل
الكتاب) يعنى اليهود والنصاري (تعالوا الى كلمة سوآء بيننا وبينكم) وروى
باسناده عن بن جريج فى قوله تعالى تعالوا الى كلمة سوآء بيننا وبينكم
قال بلغنى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعى يهود اهل المدينة فابوا
عليه فجاهدهم وكذلك ساير الايات التى فيها خطاب للطايفتين
كقوله تعالى (قل يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما انزلت
التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون ها انتم هولآء حاججتم فيما
لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون
ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفاً مسلما وما كان
من المشركين) ومما ينبغى ان يعلم ان اهل نجران المذكورة نجران اليمن
لا نجران الشام واهل نجران كان منهم نصارى اهل ذمة وكان منهم
مسلمون وهم الاكثرون والنبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا عبيدة
لهؤلآء وهؤلآء واستعمل عمر بن حزم على هؤلاء وهؤلاء كما
اخرجا فى الصحيحين عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان لكل امة امينا وان امينا ايها الامة ابو عبيدة بن الجراح وعن
انس ايضاً ان اهل اليمن قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا ابعث معنا رجلا امينا يعلمنا السنة والاسلام فاخذ بيد ابي عبيدة

بن الجراح فقال هذا امين هذه الامة وفى الصحيحين عن حذيفة بن
اليمان قال جاء اهل نجران الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ايا رسول
الله ابعث الينا رجلا امينا فقال لابعثن اليكم رجلا امينا حق امين قال
فاستشرف لها الناس قال فبعث ابا عبيدة بن الجراح وللبخارى عن
حذيفة قال جاء السيد والعاقب صاحبا نجران الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يريدان ان يلاعناه قال فقال احدهما الآخر لاتفعل فوالله
لان كان نبياً فلاعناه لانفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا قالا انا نعطيك
ماسألتنا وابعث معنا رجلا امينا فقال لابعثن معكم رجلا امينا حق
امين فاستشرف لها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم
يا ابا عبيدة بن الجراح فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا امين هذه الامة وكذلك استعمل النبي صلى الله عليه وسلم عليهم
عمرو بن حزم وكتب له الكتاب المشهور الذي فيه الفرايض والسنن
وقد رواه النسآى بطوله وروى الناس بعضه مفرقاً ومحمد بن سعد
لم يذكر بعد وفد نجران الا وفد جيشان فدل على ان قدومهم كان
متأخراً ومحمد بن اسحق ذكر قدومهم فى اوائل السيرة مع قصة
اليهود ليجمع بين خبر اليهود والنصارى وذكر فى سنة عشر فتح
نجران وارسال النبى صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وارسال خالد
ذكروا انه كان متأخراً قبل وفاته صلى الله عليه وسلم باربعة اشهر
وانه قدم وفد منهم بالاسلام وهذا انما كان بعد قدوم وفد النصارى فانه
قد ذكره بن سعد ان العاقب والسيد أسلما بعد ذلك والعهد بالجزية
انما كان مع النصارى وآية الجزية هى قوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون

بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وهذه آية السيف مع اهل الكتاب وقد ذكر فيها قتالهم اذا لم يؤمنوا حتى يعطوا الجزية والنبى صلي الله عليه وسلم لم يأخذ من احد الجزية الا بعدهذه الآية بل قالوا ان اهل نجران اول من اخذت منهم الجزية كما ذكر ذلك اهل العلم كالزهرى وغيره فانه باتفاق اهل العلم لم يضرب النبي صلى الله عليه وسلم الجزية على احد قبل نزول هذه الآية لامن الاميين ولا من اهل الكتاب ولهذا لم يضربها على يهود قينقاع والنضير وقريظة ولا ضربها على اهل خيبر فانها فتحت سنة سبع قبل نزول آية الجزية واقرهم فلاحين وهادنهم هدنة مطلقة قال فيها نقركم ما اقركم الله فاذا كان اول ما اخذها من وفد نجران علم ان قدومهم عليه ومناظرته لهم ومحاجته اياهم وطلبه المباهلة معهم كانت بعد آية السيف التي فيها قتالهم وعلم بذلك ان ماذكره الله تعالى من مجادلة اهل الكتاب بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم محكم لم ينسخه شيء وكذلك ماذكره تعالى من مجادلة الخلق مطلقا بقوله (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) فان من الناس من يقول آيات المجادلة والمحاجة للكفار منسوخات بآية السيف لاعتقاده ان الامر بالقتال المشروع ينافى المجادلة المشروعة وهذا غلط فان النسخ انما يكون اذا كان الحكم الناسخ مناقضاً للحكم المنسوخ كمناقضة الامر باستقبال المسجد الحرام فى الصلاة للامر باستقبال بيت المقدس بالشام ومناقضة الامر بصيام رمضان للمقيم للتخيير

بين الصيام وبين اطعام كل يوم مسكيناً ومناقضة نهيه عن تعدى الحدود التى فرضها للورثة للامر بالوصية للوالدين والاقربين ومناقضة قوله لهم كفوا ايديكم عن القتال لقوله قاتلوهم كما قال تعالى (الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية) فامره لهم بالقتال ناسخ لامره لهم بكف ايديهم عنهم فاما قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن) وقوله ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن الا الذين ظلموا منهم) فهذا لايناقضه الامر بجهاد من امر بجهاده منهم ولكن الامر بالقتال يناقض النهي عنه والاقتصار على المجادلة . فاما مع امكان الجمع بين الجدال المأمور به والقتال المأمور به فلا منافاة بينهما واذا لم يتنافيا بل امكن الجمع لم يجز الحكم بالنسخ ومعلوم ان كلا منهما ينفع حيث لاينفع الآخر وان استعمالهما جميعاً ابلغ فى اظهار الهدى ودين الحق ومما يبين ذلك وجوه (احدها) ان من كان من أهل الذمة والعهد والمستأمن منهم لايجاهد بالقتال فهو داخل فيمن امر الله بدعوته ومجادلته بالتى هى أحسن وليس هو داخلا فيمن امر الله بقتاله (الثانى) انه قال (ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا) فالظالم لم يؤمر بجداله بالتى هي أحسن فمن كان ظالماً مستحقاً للقتال غير طالب للعلم والدين فهو من هؤلاء الظالمين الذين لايجادلون بالتى هى أحسن بخلاف من طلب العلم والدين ولم يظهر منه ظلم سوآء كان قصده الاسترشاد او كان يظن انه على حق يقصد نصر مايظنه حقاً . ومن كان قصده العناد يعلم أنه على باطل ويجادل

عليه فهذا لم يؤمر بمجادلته بالتي هي أحسن لكن قد نجادله بطرق اخرى نبين فيها عناده وظلمه وجهله جزآء له بموجب عمله (الثالث) انه سبحانه وتعالى قال (وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه) فهذا مستجير مستأمن وهو من أهل الحرب أمره الله باجارته حتى تقوم حجة الله عليه ثم يبلغه مأمنه وهذا فى سورة برآءة التى فيها نقض العهود وفيها آية السيف وذكر هذه الآية فى ضمن الامر بنقض العهود ليبين سبحانه ان مثل هذا يجب امانه حتى تقوم عليه الحجة لاتجوز محاربته كمحاربة من لم يطلب ان يبلغ حجة الله عليه قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ثم أبلغه مأمنه ان لم يوافقه مانقص عليه ونخبر به فابلغه مأمنه قال وليس هذا بمنسوخ وقال مجاهد من جاءك واستمع ماتقول واستمع ما أنزل اليك فهو آمن حتى يأتيك وقال عطاء فى الرجل من أهل الشرك يأتى المسلمين بغير عهد قال خيره اما ان تقره واما ان تبلغه مأمنه وقوله تعالى (فاجره حتى يسمع كلام الله) قد علم ان المراد انه يسمعه سمعاً يتمكن معه من فهم معناه اذ المقصود لايقوم بمجرد سمع لفظ لايتمكن معه من فهم المعنى فلو كان غير عربى لوجب ان يترجم له ماتقوم به عليه الحجة ولو كان عربياً وفى القرآن الفاظ غريبة ليست من لغته وجب ان نبين له معناها ولو سمع اللفظ كما يسمعه كثير من الناس ولم يفقه المعنى وطلب منا ان نفسره له ونبين له معناه فعلينا ذلك . وان سألنا عن سؤال يقدح فى القرآن اجبناه عنه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اورد عليه بعض المشركين او اهل الكتاب او المسلمين سؤالا يوردونه على القرآن فانه كان يجيبهم عنه كما

اجاب بن الزبعرى لما قاس المسيح على آلهة المشركين وظن ان العلة في
الاصل بمجرد كونهم معبودين وان ذلك يقتضي ان كل معبود غير الله
فانه يعذب فى الآخرة فجعل المسيح مثلا لآلهة المشركين قاسهم عليه
قياس الفرع على الاصل قال تعالى (ولما ضرب بن مريم مثلا اذا قومك
منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير ام هو ماضربوه لك الا جدلا بل هم
قوم خصمون) فبين سبحانه الفرق المانع من الالحاق بقوله تعالى (ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون) وبين ان هؤلاء القايسين
ما قاسوه الا جدلا محضاً لايوجب علماً لان الفرق حاصل بين الفرع
والاصل فان الاصنام اذا جعلوا حصباً لجهنم كان ذلك اهانة وخزيا
لعابديها من غير تعذيب من لايستحق التعذيب بخلاف ما اذا عذب
عباد الله الصالحون بذنب غيرهم فان هذا لايفعله الله تعالى لاسيما عند
جماهير المسلمين وسائر اهل الملل سلفهم وخلفهم الذين يقولون ان الله
لايخلق ويأمر الا لحكمة ولا يظلم احداً فينقصه شيئاً من حسناته ولا
يحمل عليه سيئات غيره بل ولايعذب احداً الا بعد ارسال رسول اليه كما
قال تعالى (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماولا
هضما) وقال تعالى (ومن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقا)وقال
تعالى (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) وقال تعالى (وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا) ومن قال من المسلمين وغيرهم من اهل الملل انه يجوز
منه تعالى فعل كل شيء وان الظلم هو الممتنع الذى لايدخل تحت القدرة
فهؤلاء يقولون انما يعلم مايفعله ومالا يفعله بدلالة خبر الصادق او بالعادة
وان كان الجمهور يستدلون بخبر الصادق وبغيره على مايمتنع من الله وقد

أخبر الله تعالى ان عباده الصالحين في الجنة لايعذبهم فى النار بل يتقبل
عنهم أحسن ماعملوا ويتجاوز عن سيآتهم فى اصحاب الجنة فضلا ان
يعاقبهم بذنب غيرهم مع كراهته لفعلهم ونهيهم عن ذلك ومن زعم ان
لفظ ماكانت تتناول المسيح وآخر بيان العام أو اجاب بان لفظ ما
لايتناول الا مالا يعقل والقولان ضعيفان كما قد بسط فى موضعه وانما
المشركون عارضوا النص الصحيح بقياس فاسد فبين الله تعالى فساد
القياس وذكر الفرق بين الاصل والفرع وكذلك لما اورد بعض النصارى
على قوله تعالى (يا اخت هارون) ظناً منه ان هارون هذا هو هارون
اخو موسى بن عمران وان عمران هذا هو عمران ابو مريم ام المسيح
فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك . أجاب بان هارون هذا ليس
هو ذاك ولكنهم كانوا يسمون باسماء الانبياء والصالحين . وبعض جهال
النصارى يقدح فى القرآن بمثل هذا ولا يعلم هذا المفرط فى جهله ان
آحاد الناس يعلمون ان بين موسى وعيسى مدة طويلة جداً يمتنع معها
ان يكون موسى وهارون خالى المسيح وان هذا مما لايخفى على اقل
اتباع محمد صلى الله عليه وسلم فضلا عن ان يخفى على محمد صلى الله
عليه وسلم وهذا السؤال مما اورده اهل نجران كما ثبت عن المغيرة بن
شعبة قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهل نجران فقالوا
الستم تقرأون يا اخت هارون وقد علمتم مابين موسى وعيسى فلم ادر ما
اجيبهم فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال الا
اخبرتهم انهم كانوا يسمون باسماء انبيائهم والصالحين قبلهم؟ وهذا السؤال
الذي هو سؤال الطاعن فى القرآن لما اورده اهل نجران الكفار على

المغيرة رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبهم عنه اجاب عنه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقل لهم ليس لكم عندى الا السيف ولا قال قد نقضتم العهد ان كانوا قد عاهدوه وقد عرف ان اهل نجران لم يرسل اليهم رسولا الا والجهاد مامور به وكان المسلمون يوردون الاسئلة عليه كما اورد عليه عمر عام الحديبية لما صالح المشركين ولم يدخل مكة فقال له الم تكن تحدثنا انا نأتي البيت ونطوف به قال بلى أقلت لك انك تأتيه في هذا العام قال لا ، قال فانك آتيه ومطوف به وكذلك اجابه ابو بكر ولم يكن سمع جواب النبي صلى الله عليه وسلم له ومعلوم انه ليس فى ظاهر اللفظ توقيت ذلك بعام ولكن السائل ظن مالا يدل اللفظ عليه وكذلك لما قال من نوقش الحساب عذب قالت له عائشة الم يقل الله (فامامن اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيرا) فقال ذلك العرض ومن نوقش الحساب عذب ومعلوم ان الحساب اليسير لا يتناول من نوقش وقد زادها بياناً فاخبر انه العرض لا المقابلة المتضمنة للمناقشة وكذلك لما قال انه لايدخل النار احد بايع تحت الشجرة قالت له حفصة (الم يقل الله وان منكم الا واردها) فاجابها بانه قال (ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) فبين صلى الله عليه وسلم ان هو لاءهم الذين يدخلون جهنم وهذا الدخول هو الذى نفاه عن اهل الحديبية واما الورود فهو مرور الناس على الصراط كما فسره فى الحديث الصحيح حديث جابر بن عبد الله وهذا المرور لايطلق عليه اسم الدخول الذى تجزى به العصاة وينفى عن المتقين ومثل هذا كثير واما ما فى القرآن من ذكر اقوال الكفار وحججهم وجوابها فهذا كثير

جداً فانه يجادلهم تارة في التوحيد وتارة في النبوات وتارة في المعاد وتارة في الشرايع بأحسن الحجج واكملها كما قال تعالى (وقالوا لولا انزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا) وقد اخبر الله تبارك وتعالى عن اولى العزم من الرسل بمجادلة الكفار فقال تعالى عن قوم نوح (وقالوا يانوح قدجادلتنا فاكثرت جدالنا) وقال عن الخليل (وحاجه قومه قال اتحاجونى فى الله وقد هدانى الى قوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشأ) وامر تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بالمجادلة بالتى هى احسن وذم سبحانه من جادل بغير علم او فى الحق بعد ماتبين ومن جادل بالباطل فقال تعالى (ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون) وقال تعالى (ويجادلونك فى الحق بعدماتبين) وقال تعالى (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب) وهذا هو الجدال المذكور فى قوله (ما يجادلك فى آيات الله الا الذين كفروا) واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يحاج الكفار بعد نزول الامر بالقتال وقد امره الله تعالى ان يجير المستجير حتى يسمع كلام الله ثم يبلغه مأمنه والمراد بذلك تبليغه رسالات الله واقامة الحجة عليه وذلك قد لايتم الا بتفسيره له الذى تقوم به الحجة ويجاب به عن المعارضة وما لايتم الواجب الا به فهو واجب • علم بطلان قول من ظن ان الامر بالجهاد ناسخ للامر بالمجادلة مطلقا (الوجه الرابع) ان القائل اذا قال ان آية مجادلة الكفار او غيرها مما يدعى نسخه منسوخة بآية السيف • قيل

له ما تعني بآية السيف؟ اتعني آية بعينها ام تعني كل اية فيها الامر بالجهاد؟ فان اراد الاول كان جوابه من وجهين • احدهما ان الآيات التي فيها ذكر الجهاد متعددة فلا يجوز تخصيص بعضها • وان قال اريد قوله تعالى (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) قيل له هذه في قتال المشركين وقد قال بعدها في قتال اهل الكتاب (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) فلو لم تكن آية السيف الا واحدة لم تكن هذه اولى من هذه • وان قال كل اية فيها ذكر الجهاد • قيل له الجهاد شرع على مراتب فاول ما انزل الله تعالى فيه الاذن فيه بقوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) فقد ذكر غير واحد من العلماء ان هذه اول آية نزلت في الجهاد ثم بعد ذلك نزل وجوبه بقوله (كتب عليكم القتال) ولم يؤمروا بقتال من طلب مسالمتهم بل قال (فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) وكذلك من هادنهم لم يكونوا مأمورين بقتاله وان كانت الهدنة عقداً جائزا غير لازم ثم انزل الله في برآة الامر بنبذ العهود وامرهم بقتال المشركين كافة وامرهم بقتال اهل الكتاب اذا لم يسلموا حتى يعطوا الجزية عن يدا وهم صاغرون ولم يبح لهم ترك قتالهم وان سالموهم

وهادنوهم هدنة مطلقة مع امكان جهادهم • فان قيل آية السيف التى نسخت المجادلة هي آية الاذن • قيل فآية الأذن نزلت فى اول مقدمه المدينة قبل ان يبعث شيئاً من السرايا وقد جادل بعد هذا الكفار وكذلك ان قيل آيات فرض القتال قيل كقوله (كتب عليكم القتال) نزلت فى البقرة اول الامر قبل بدر وقيل لا ريب ان الجهاد كان واجباً يوم احد والخندق وفتح خيبر ومكة وقد ذكر الله آيات فرض الجهاد فى هؤلاء المغازي كما ذكر ذلك فى سورة آل عمران والاحزاب فان قيل بل الجدال انما نسخ لما امر بجهاد من سالم ومن لم يسالم • قيل هذا باطل فان الجدال إن كان منافياً للجهاد فهو مناف لأباحته ولا يجابه ولو للمسالم وان لم يناف الجهاد لم يناف ايجاب الجهاد للمسالمين كما لم ينافِ ايجاب جهاد غيرهم • فان المسالم قد لا يجادل ولا يجالد وقد يجادل ولا يجالد كما ان غيره قد يجادل ويجالد وقد يفعل احدهما فاذا كان اجابه لجهاد المحارب المبتدى بالقتال لا ينافى مجادلته فلان يكون جهاد من لا يبدأ بالقتال لا ينافى مجادلته اولى واحرى • فان من كان ابعد عن القتال كانت مجادلته اقل منافاة للقتال ممن يكون اعظم قتالا يبين هذا (الوجه الخامس) وهو ان يقال المنسوخ هو الاقتصار على الجدال فكان النبي صلى الله عليه وسلم فى اول الامر مأموراً ان يجاهد الكفار بلسانه لا بيده فيدعوهم ويعظهم ويجادلهم بالتى هى أحسن ويجاهدهم بالقرآن جهاداً كبيرا قال تعالى فى سورة الفرقان وهي مكية (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيرا) وكان مأموراً بالكف عن قتالهم لعجزه وعجز المسلمين عن ذلك ثم

لما هاجر الى المدينة وصار له بها اعوان اذن له في الجهاد ثم لما قووا
كتب عليهم القتال ولم يكتب عليهم قتال من سالمهم لانهم لم يكونوا
يطيقون قتال جميع الكفار فلما فتح الله مكة وانقطع قتال قريش ملوك
العرب ووفدت اليه وفود العرب بالاسلام امره الله تعالى بقتال الكفار
كلهم الا من كان له عهد موقت وامره بنبذ العهود المطلقة فكان الذى
رفعه ونسخه ترك القتال • واما مجاهدة الكفار باللسان فما زال مشروعاً
من اول الامر الى آخره فانه اذا شرع جهادهم باليد فباللسان اولى وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم جاهدوا المشركين بايديكم والسنتكم
واموالكم وكان ينصب لحسان منبراً في مسجده يجاهد فيه المشركين
بلسانه جهاد هجو وهذا كان بعد نزول آيات القتال واين منفعة الهجو
من منفعة اقامة الدلائل والبراهين على صحة الاسلام وابطال حجج
الكفار من المشركين واهل الكتاب (الوجه السادس) انه من المعلوم ان
القتال انما شرع للضرورة ولو ان الناس آمنوا بالبرهان والآيات لما
احتيج الى القتال فبيان ايات الاسلام وبراهينه واجب مطلقاً وجوباً
اصلياً • واما الجهاد فمشروع للضرورة فكيف يكون هذا مانعاً من ذلك
فان قيل الاسلام قد ظهرت اعلامه وآياته فلم تبق حاجة الى اظهار آياته
وانما يحتاج الى السيف • قيل معلوم ان الله وعد باظهاره على الدين كله
ظهور علم وبيان وظهور سيف وسنان فقال تعالى (هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) وقد
فسر العلماء ظهوره بهذا وهذا ولفظ الظهور يتناولهما فان ظهور الهدى
بالعلم والبيان وظهور الدين باليد والعمل والله تعالى ارسل رسوله بالهدى

ودين الحق ليظهره على الدين كله ومعلوم ان ظهور الاسلام بالعلم والبيان قبل ظهوره باليد والقتال فان النبي صلى الله علية وسلم مكث بمكة ثلاث عشر سنة يظهر الاسلام بالعلم والبيان والايات والبراهين فآمنت به المهاجرون والانصار طوعاً واختياراً بغير سيف لما بان لهم من الآيات البينات والبراهين والمعجزات ثم اظهره بالسيف فاذا وجب علينا جهاد الكفار بالسيف ابتداء ودفعاً فلان يجب علينا بيان الاسلام واعلامه ابتداء ودفعاً لمن يطعن فيه بطريق الاولى والاحرى • فان وجوب هذا قبل وجوب ذاك ومنفعته قبل منفعته ومعلوم انه يحتاج كل وقت الى السيف فكذلك هو محتاج الى العلم والبيان واظهاره بالعلم والبيان من جنس اظهاره بالسيف وهو ظهور مجمل علا به على كل دين مع ان كثيراً من الكفار لم يقهره سيفه فكذلك كثير من الناس لم يظهر لهم اياته وبراهينه بل قد يقدحون فيه ويقيمون حججهم على بطلانه ولا سيما والمقهورون بالسيف فيهم منافقون كثيرون فهو لا جهادهم بالعلم والبيان دون السيف والسنان يؤكد هذا (الوجه السابع) وهو ان القتال لا يكون الا لظالم فان من قاتل المسلمين لم يكن الا ظالماً متعدياً ومن قامت عليه الحجة فشاق الرسول من بعد ماتبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين لم يكن الا ظالماً • واما المجادلة فقد تكون لظالم اما طاعن في الدين بالظلم واما من قامت عليه الحجة الظاهرة فامتنع من قبولها • وقد يكون لمسترشد طالب حق لم يبلغه • اما من بلغه بعض اعلام نبوة محمد صلي الله عليه وسلم ودلايل نبوته ولكن عورض ذلك عنده بشبهات تنافى ذلك فاحتاج الى جواب تلك المعارضات واما طالب لمعرفة دلائل النبوة على

الوجه الذي يعلم به ذلك فاذا كان القتال الذى لا يكون الا لدفع ظلم المقاتل مشروعاً فالمجادلة التى تكون لدفع ظلمه ولانتفاعه وانتفاع غيره مشروعة بطريق الاولى قال مجاهد (ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم) قال الذين ظلموا من قاتلك ولم يعطك الجزية وفى لفظ آخر عنه قال الذين ظلموا منهم اهل الحرب من لا عهد لهم المجادلة لهم بالسيف وفى رواية عنه قال لاتقاتلوا الا من قاتلكم ولم يعط الجزية وفى رواية عنه قال من ادى منهم الجزية فلاتقولوا لهم الا خيرا وعن مجاهد الا بالتى هي أحسن فان قالوا شراً فقولوا خيرا فهذا مجاهد لايجعلها منسوخة وهو قول اكثر المفسرين قال عبد الرحمن ابن زيد بن اسلم (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى احسن ليست منسوخة ولكن عن قتادة قال نسختها (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) ولا مجادلة اشد من السيف والاول اصح لان هؤلاء من الذين ظلموا فلا نسخ ومما يعجب منه ان بعض المنكرين لمجادلة الكفار بناء على ظهور دلايل النبوة نجده هو ومن يعظمه من شيوخه الذين يعتمد فى اصول الدين على نظرهم ومناظرتهم ويزعمون انهم قرروا دلايل النبوة قد اوردوا من الشبهات والشكوك والمطاعن على دلائل النبوة مايبلغ نحو ثمانين سؤالا واجابوا عنه باجوبة لاتصلح ان تكون جواباً فى المسائل الظنية بل هى الى تقرير شبه الطاعنين اقرب منها الى تقرير أصول الدين وهم كما مثلهم الغزالى وغيره بمن يضرب شجرة ضرباً يزلزلها به وهو يزعم انه يريد ان يثبتها وكثير من ائمة هؤلاء مضطرب فى الايمان بالنبوة اضطراباً ليس هذا موضع بسطه وهم مع ذلك يدعون انه قد ظهر عند اهل الكتاب

مالم يظهر عند شيوخ هولاء النظار وينهون عن اظهار آيات الله وبراهينه التي هي غاية مطالب مشايخهم وهم لم يعطوها حقها اما عجزا واما تفريطا (الوجه الثامن) ان كثيراً من اهل الكتاب يزعم ان محمداً صلى الله عليه وسلم وامته انما اقاموا دينهم بالسيف لا بالهدى والعلم والايات فاذا طلبوا العلم والمناظرة فقيل لهم ليس لكم جواب الا السيف كان هذا مما يقرر ظنهم الكاذب وكان هذا من اعظم مايحتجون به عند انفسهم على فساد الاسلام وانه ليس دين رسول من عند الله وانما هو دين ملك اقامه بالسيف (الوجه التاسع) انه من المعلوم ان السيف لاسيما سيف المسلمين واهل الكتاب هو تابع للعلم والحجة بل وسيف المشركين هو تابع لآرائهم واعتقادهم والسيف من جنس العمل والعمل ابداً تابع للعلم والرأي . وحينئذ فبيان دين الاسلام بالعلم وبيان ان ماخالفه ضلال وجهل هو تثبيت لاصل دين الاسلام واجتثاث لاصل غيره من الاديان التي يقاتل عليها اهلها ومتى ظهرت صحته وفساد غيره كان الناس احد رجلين . اما رجل تبين له الحق فاتبعه فهذا هو المقصود الاعظم من ارسال الرسل . واما رجل لم يتبعه فهذا رجل قامت عليه الحجة اما لكونه لم ينظر في اعلام الاسلام او نظر وعلم فاتبع هواه او قصر واذا قامت عليه الحجة كان ارضى لله ولرسوله وانصر لسيف الاسلام واذل لسيف الكفار واذا قدر ان فيهم من يعجز عن فهم الحجة فهذا اذاً لم يكن معذوراً مع عدم قيامها فهو مع قيامها اولى ان لا يعذر . وان كان معذوراً مع قيامها فهو مع عدمها اعذر فعلى التقديرين قيام الحجة انصر واعذر وقد قال تعالى (وما كنا

معذبين حتى نبعث رسولا قال تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال تعالى فالملقيات ذكراً عذراً او نذراً وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك ارسل الرسل مبشرين ومنذرين (فصل) وكان قبل قصة نجران قد آمن بالنبي كثير من اليهود والنصارى رؤساهم وغير رؤساهم لما تبين لهم انه رسول الله اليهم كما آمن به النجاشي ملك الحبشة وكان نصرانياً هو وقومه وكان ايمانه به في اول امر النبي صلى الله عليه وسلم لما كان اصحابه مستضعفين بمكة وكان الكفار يظلمونهم ويؤذونهم ويعاقبونهم على الايمان بالله ورسوله فهاجر منهم طايفة مثل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وجعفر بن ابي طالب وغيرهم من الرجال والنساء الى بلده وكان ملكا عادلا فارسل الكفار خلفهم رسلا الى ارض الحبشة ارض النجاشي بهدايا ليردهم اليهم فامتنع من عدله ان يسلمهم اليهم حتى يسمع كلامهم فلما سمع كلامهم وما اخبروه به من امر النبي صلى الله عليه وسلم آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وآواهم • ولما سمع القرآن قال ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ولما سألهم عن قولهم في المسيح عليه السلام قالوا نشهد انه عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول التي لم يمسها رجل فقال النجاشي لجعفر ابن ابي طالب والله مازاد عيسى بن مريم على ما قلت هذا العود فنخرت اصحابه فقال وان نخرتم وان نخرتم وبعث ابنه وطايفة من اصحابه الى النبي صلى الله عليه وسلم مع جعفر بن ابي طالب وقدم جعفر

على النبي صلى الله عليه وسلم عام خيبر وقد ذكر قصتهم جماعة من العلماء والحفاظ كاحمد بن حنبل فى المسند وابن سعد فى الطبقات وابي نعيم فى الحلية وغيرهم وذكرها اهل التفسير والحديث والفقه وهى متواترة عند العلماء قال احمد حدثني يعقوب بن ابراهيم بن سعيد عن ابيه قال حدثنا محمد بن اسحق حدثني محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهرى عن ابي بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى عن ام سلمة بنت ابي امية بن المغيرة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها قالت لما نزلنا ارض الحبشة جاورنا بها خير جار (النجاشي) آمنا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا ان يبعثوا الى النجاشى فينا رجلين جلدين وان يهدوا للنجاشى هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان اعجب ما يأتيه منها اليه الادم فجمعوا له ادما كثيرا ٠ ولم يتركوا من بطارقته بطريقا الا اهدوا له هدية ثم بعثوا بذلك عبد الله بن ابى ربيعة بن المغيرة المخزومي وعمرو بن العاص بن وايل السهمي وامروهما امرهم وقالوا لهما ادفعا الى كل بطريق هديته قبل ان تكلموا النجاشى فيهم ثم قدموا الى النجاشي هداياه ثم اسألوه ان يسلمهم اليكم قبل ان يكلمهم قالت فخرجا فقدما على النجاشى ونحن عنده بخير دار عند خير جار فلم يبق من بطارقته بطريق الا دفعا اليه هديته قبل ان يكلما النجاشى ثم قالا لكل بطريق منهم انه قد صبا الى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم وقد بعثنا الى الملك فيهم اشراف قومهم من آبائهم واعمامهم وعشائرهم ليردهم اليهم فاشيروا

عليه ان يسلمهم الينا ولا يكلمهم فان قومهم اعلا بهم عيناً واعلم بما عابوا عليهم فقالوا لهما نعم • ثم انهما قربا هداياهما الى النجاشى فقبلهما منهما ثم كلماه فقالا له ايها الملك انه قد ضوى الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك وجآءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا انت وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من آبائهم واعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم فهم اعلا بهم عينا واعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه • قالت ولم يكن شيء ابغض الى عبد الله بن ابى ربيعة وعمرو بن العاص من ان يسمع النجاشى كلامنا • فقالت بطارقته حوله صدقوا ايها الملك قومهم اعلا بهم عيناً واعلم بما عابوا عليهم فاسلمهم اليهما فليرداهم الى بلادهم • وقومهم قالت فغضب النجاشى ثم قال لاهاً ايم الله اذاً لا اسلمهم اليهما ولا اكاد قوماً جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على من سواى حتى ادعوهم فاسالهم ما يقول هاذان فى امرهم فان كانوا كما يقولون اسلمتهم اليهما ورددتهم الى قومهم وان كانوا على غير ذلك منعتهم منهما واحسنت جوارهم ما جاورونى • قالت ثم ارسل الى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم فلما جآءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا اجيتموه قال نقول والله ما علمنا وما جاء به نبينا كائن فى ذلك ما هو كائن فلما جآءوه زاد ابو نعيم وقد دعى النجاشى اساقفته ومعهم مصاحفهم حوله فلما جآءوه فسألهم فقال ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا فى دين احد من هذه الامم • قالت فكان الذى كلمه جعفر بن ابى طالب فقال ايها الملك كنا قوماً اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة

ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأ كل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان وامرنا بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنة وامرنا ان نعبد الله لا نشرك به شيئاً وامرنا بالصلاة والزكاة والصيام . قالت فعدد عليه امور الاسلام قال فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا وحرمنا ما حرم علينا واحللنا ما أحل لنا فعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان عن عبادة الله وان نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلدك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ان لا نظلم عندك ايها الملك . قالت فقال له النجاشي هل معك مما جاء به عن الله من شيء؛ قالت فقال له جعفر نعم فقال له النجاشي فاقرأه علي فقرأ عليه صدراً من سورة مريم (كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب اني يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو عليّ هين وقد خلقتك من قبل ولم

تك شيئا قال رب اجعل لى آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال
سويا فخرج على قومه من المحراب فوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا
يايحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان
تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت
ويوم يبعث حيا واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا
شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا
سويا قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك
لاهب لك غلاما زكيا قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك
بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا
وكان أمرا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع
النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها
الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط
عليك رطبا جنيا فكلى واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر أحدا
فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا فاتت به قومها
تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا ياأخت هارون ما كان ابوك امرأ
سوء وما كانت أمك بغيا فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد
صبيا قال انى عبدالله آتاني الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت
وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلنى جبارا
شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ذلك عيسى
ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه
اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربى وربكم فاعبدوه

هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا
من مشهد يوم عظيم اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم
فى ضلال مبين وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم
لايؤمنون انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون) قالت أم
سلمة رضى الله عنها فبكى والله النجاشى حتى اخضل لحيته وبكت اساقفته
حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ماتلى عليهم ثم قال النجاشى ان هذا
والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ثم قال لعبد الله ابن ابى
ربيعة وعمرو بن العاص انطلقا فوالله لا اسلمهم اليكما ابداً ولا اكاد
قالت ام سلمة فلما خرج من عنـده قال عمرو بن العاص والله لا تينه
غداً أعيبهم عنده ثم استأصل به خضراهم قالت فقال له عبدالله ابن ابى
ربيعـة وكان اتقى الرجلين فينا لاتفعل فان لهم ارحاماً وان كانوا قد
خالفونا قال والله لاخبرنه انهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد قالت
ثم غدا عليه الغد فقال له ايها الملك انهم يقولون فى عيسى بن مريم قولا
عظيما فارسل اليهم فاسألهم عما يقولون فيه . قالت فارسل اليهم يسألهم عنه
قالت ولم ينزل بنا مثلها فاجتمع القوم فقـال بعضهم لبعض ماتقولون فى
عيسى اذا سألكم عنه ؟ قالوا نقول والله فيه ماقاله الله وما جاء به نبينا
كائناً فى ذلك ماهو كائن فلما دخلوا عليه قال لهم ما تقولون فى عيسى
بن مريم فقال له جعفر بن ابى طالب نقول فيه الذي جاء به نبينا هو
عبد الله ورسوله وروحه وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول . قالت
فضرب النجاشى يده على الارض فاخذ منها عوداً ثم قال ماعدى عيسى
بن مريم ما قلت هذا العود فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال

فقال وان نخرتم والله اذهبوا فانتم سيوم بارضى والسيوم الآمنون • من سبكم غرم ثم من سبكم غرم ثم من سبكم غرم فما احب ان لي ديراً ذهباً وانى آذيت رجلا منكم والدبر بلسان الحبشة الجبل ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها فوالله ما اخذ الله منى الرشوة حين ردّ على ملكى فاخذ الرشوة فيه وما اطاع الناس فى فاطيعهم فيه • قالت فخرجا من عنده مقبوحين مردود عليهما ما جاءا به واقمنا عنده بخير دار مع خير جار • قالت فوالله انا على ذلك اذ نزل به يعنى من ينازعه فى ملكه قالت فوالله ما علمنا حزناً قط كان اشد من حزن حزناه عند ذلك تخوفنا ان يظهر ذلك على النجاشي فيأتى رجلا لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه وروى عبد الله بن عامر بن الزبير عن ابيه قال لما نزل بالنجاشى عدوه من ارضه جاء المهاجرون فقالوا انا نحن نخرج اليهم فنقاتل معك وترى حربنا ونجزيك بما صنعت بنا • فقال ذو ينصره الله خير من الذى ينصره الناس يقول الذي ينصره الله خير من الذي ينصره الناس فأبى ذلك عليهم (رجعنا الى) حديث ام سلمة قالت وسار النجاشى وبينهما عرض النيل قالت فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر قالت فقال الزبير بن العوام انا • قالت وكان من احدث القوم سنا قالت فنفخنا له قربة فجعلها فى صدره ثم سبح عليها حتى خرج الى ناحية النيل التى بها ملتقى القوم ثم انطلق حتى حضرهم • قالت ودعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له فى بلاده قالت فوالله انا لعلى ذلك متوقعين لما هو كائن اذ طلع الزبير بن العوام يسعى ويلوح بثوبه ويقول الا

ابشروا قد ظهر النجاشي وقد اهلك الله عدوه٠ قالت فوالله ما علمت فرحنا فرحـــة مثلها قط قالت فرجع النجاشي وقد اهلك الله عدوه ومكن له في بلاده واستوسق عليه امر الحبشة فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى جمل هــذه القصة ابو داود في سننه من حديث ابي موسى وفي الصحيحين من حديث ابي موسى قال بلغنا مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين اليه انا واخوان لي انا اصغرهما في اثنين وخمسين رجلاً من قومي فركبنا سفينة فالقتنا سفينتنا الى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن ابي طالب واصحابه عنده قال جعفر ان رسول الله صلى الله عليـه وسلم بعثنا وامرنا يعني بالاقامة فاقيموا معنا قال فاقمنا معه حتى قدمنا جميعاً قال فوافقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح خيبر فاسهم لنا منها وما قسم لاحد غائب عن فتح خيبر غيرنا الا لمن شهد معنا اصحاب سفينتنا مع جعفر واصحابه قسم لهم معهم قال فلما رأى ناس من الناس يقولون لنا (يعني اهل السفينة) سبقناكم بالهجرة قال ودخلت اسماء بنت عميس وهي ممن قدم معنا على حفصة زائرة وقــد كانت هاجرت الى النجاشي فيمن هاجر اليه فدخل عمر على حفصة واسماء عندها فقال عمر حين رأى اسماء من هذه ؟ قالت اسماء بنت عميس فقال عمر الحبشية هذه البحرية هذه قالت اسمآء نعم٠ فقال عمر سبقناكم بالهجرة نحن احق برسول الله صلى الله عليه وسلم منكم فغضبت وقالت يا عمر كلا والله كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جايعكم ويعظ جاهلكم وكنا في ارض البعد البغضاء بالحبشة وذلك في الله تبارك

وتعالى وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لا اطعم طعاماً ولا اشرب شراباً حتى اذكر ما قلت لرسول الله صلي الله عليه وسلم ونحن كنا نؤذى ونخاف وساذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسأله والله لا اكذب ولا ازيغ ولا ازيد على ذلك • فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم قالت يارسول الله ان عمر قال كذا وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فماذا قلت له؟ قالت قلت كذا وكذا قال ليس باحق بي منكم وله ولاصحابه هجرة واحدة ولكم انتم اهل السفينة هجرتان • قالت فلقد رأيت ابا موسى واصحاب السفينة يأتوني ارسالا يسألونى عن هذا الحديث مامن الدنيا شيء هم به افرح ولا اعظم فى انفسهم مما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بردة قالت اسماء فلقد رأيت ابا موسى وانه ليستعيد هذا الحديث منى • اخرجاه فى الصحيحين البخاري ومسلم • واخرجاه فى الصحيحين عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم نعى لهم النجاشي صاحب الحبشة فى اليوم الذى مات فيه قال استغفروا لاخيكم • وعنه رضى الله عنه قال نعى النبى صلى الله عليه وسلم النجاشى يوم توفى وقال استغفروا لاخيكم ثم خرج بالناس الى المصلى فصفوا وراءه وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات اخرجاه • وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على اصحمة النجاشي فكبر عليه اربعاً اخرجاه فى الصحيحين •

(فصل) وكان اول ما انزل الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم الوحي عرضت خديجة امرأته امره على عالم كبير من علماء النصارى يقال له ورقة بن نوفل وكان من العرب المتنصرة فقال هذا هو الناموس

الذي كان يأتي موسى بن عمران ياليتني اكون فيها جذعاً حين يخرجك قومك يعني ليتني اكون شاباً فانه كان شيخاً كبيراً قد كف بصره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اومخرجي هم؟ قال نعم لم يأت احد بمثل ما اتيت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصراً موزراً رواه اصحاب الصحيح وقدم اليه بمكة طايفة من اهل الكتاب من النصارى فآمنوا به فآذاهم المشركون فصبروا واحتملوا اذاهم فأنزل الله فيهم (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين اوليك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لانبتغي الجاهلين) وقصتهم مشهورة في كتب التفسير وغيرها وروى البيهقي في كتاب دلائل النبوة واعلام الرسالة فقال انباءنا ابو عبد الله الحافظ انباءنا ابو العباس محمد بن يعقوب انباءنا احمد بن عبد الجبار انباءنا يونس عن بن اسحاق قال ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون رجلا وهو بمكة او قريب من ذلك من النصارى حين ظهر خبره في الحبشة فوجدوه في المجلس فكلموه وسائلوه ورجال من قريش في انديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسائلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ارادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلى عليهم القرآن فلما سمعوا فاضت اعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من امره فلما قاموا من عنده اعترضهم ابو جهل في نفر من قريش فقالوا خيبكم الله من ركب بعثكم

من وراءكم من اهل دينكم ترادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم ما نعلم ركباً احمق منكم او كما قال لهم فقالوا سلام عليكم لا نجاهلكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا نألوا لانفسنا الا خيراً ويقال والله اعلم ان فيهم نزلت هؤلاء الآيات (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون الى قوله تعالى لا نبتغي الجاهلين) ولما كان بعد عام الحديبية ومهادنة قريش ارسل رسله الى جميع الطوائف فارسل الى النصاري نصارى الشام ومصر فارسل الى هرقل ملك الروم وقد قيل ان هرقل هذا هو الذى زادت النصارى له في صومهم عشرة ايام لما اقتتلت الروم والفرس وقتل اليهود بعد ان كان قد آمنهم فطلبت منه النصارى قتلهم وضمنوا له ان يكفروا له خطيئته بما زادوه فى الصوم وكانت الفرس مجوساً والروم نصارى وكانت المجوس الفرس غلبت النصاري اولا وكان هذا فى اوائل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وهو بمكة واتباعه قليل ففرح المشركون بانتصار الفرس لانهم اقرب اليهم من اهل الكتاب وساء المسلمين ذلك لان اهل الكتاب اقرب اليهم فدخل ابو بكر الصديق رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بانتصار الفرس على الروم فانزل الله تعالى (آلم غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء) وكان هذا مما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يكون فكان كما اخبر ولما ذكر ذلك ابو بكر الصديق رضى الله عنه كذبوه فراهنهم ابو بكر الصديق

رضي الله عنه على ذلك كما ذكر هذا المفسرون والمحدثون قال سفيان بن سنيد فى تفسيره وهو شيخ البخارى حدثنا حجاج عن ابى الزناد عن ابيه عن عروة بن الزبير عن نيار بن مكرم الاسلمى انه قال لما انزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (الم غلبت الروم فى ادنى الارض) الى قوله وهو العزيز الرحيم خرج ابو بكر وهو يقرأها بمكة رافعاً بها صوته (بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) فقال له رؤوس اهل مكة ما هذا يا ابن ابي قحافة لعله مما يأتى به صاحبك • قال لا والله ولكنه كلام الله وقوله تبارك وتعالى قالوا فذلك بيننا وبينك ان ظهرت الروم على فارس فى بضع سنين فراهنهم ابو بكر ففتح الله للروم على فارس دون التسع فاسلم عند ذلك خلق كثير من المشركين قال ابن مكرم وانما كانت قريش تستفتح يومئذ بالفرس لانهم واياهم اهل تكذيب بالبعث واهل اصنام وانما كان المؤمنون يستفتحون يومئذ بالروم لانهم واياهم اهل نبوة وتصديق بالبعث فانزل الله تعالى (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء) وهذا الحديث رواه الترمذى فى جامعه فقال حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا اسماعيل بن ابى اويس قال حدثنى ابن ابى الزناد عن ابى الزناد عن عروة بن الزبير عن نيار بن مكرم الاسلمى قال لما نزلت (الم غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لانهم واياهم اهل كتاب وذلك قوله تعالى (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) وكانت قريش

تحب ظهور فارس لانهم واياهم ليسوا باهل كتاب ولا ايمان ببعث فلما انزل الله هذه الآية خرج ابو بكر الصديق رضي الله عنه يصيح فى نواحى مكة (آلم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد) قال ناس من قريش لابى بكر فذلك بيننا وبينكم زعم صاحبكم ان الروم ستغلب فارساً فى بضع سنين افلا نراهنك على ذلك؟ فراتهن ابو بكر والمشركون فظهرت الروم على فارس فى بضع سنين واسلم عند ذلك ناس كثير من المشركين قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح غريب لانعرفه الامن حديث عبد الرحمن بن ابي الزياد يعنى غريباً من هذا الوجه والا فهو مشهور متواتر عن اهل التفسير والمغازى والحديث والفقه والقصة متواترة عند الناس وقال ابو جعفر بن جرير فى تفسيره عن سفيان عن حبيب بن ابي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال كان المسلمون يحبون ان تغلب الروم على فارس لانهم أهل كتاب وكان المشركون يحبون ان تغلب اهل فارس لانهم اهل اوثان قال فذكروا ذلك لابى بكر فذكره ابو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله (آلم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) فذكره ابو بكر للمشركين فقالوا اجعل بيننا وبينك اجلا فان غلبوا كان لك كذا وكذا وان غلبوا كان لنا كذا وكذا فجعلوا بينهم اجلا خمس سنين فذكر ذلك ابو بكر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له هلا احتطت افلا جعلته دون العشر قال سعيد بن جبير والبضع مادون العشرة قال فغلبت

الروم ثم غلبت فذلك قوله (آلم غلبت الروم) الآية وهذا أيضاً اخرجه
الترمذى حدثنا حسن بن حريث انبأنا معاوية بن عمرو عن ابى اسحاق
الفزارى عن سفيان عن حبيب بن ابي عمرة عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس وقال هذا حديث حسن صحيح غريب انما نعرفه من حديث
سفيان الثورى عن حبيب بن ابى عمرة ورواه أيضاً من حديث الزهرى
عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن ابن عباس وقال هذا حديث غريب
من هذا الوجه ورواه أيضاً من حديث الاعمش عن عطية عن ابي سعيد
وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وذهبت طائفة من العلماء
الى ان الخبر جاء بظهور الروم على فارس يوم بدر وذهب آخرون انه
يوم الحديبية وهـذا هو الصحيح وهرقل كان قد مشى شكراً لله من
حمص الى بيت المقدس لما نصره الله على الفرس فوافاه كتاب النبي صلى
الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام عقب نصر الله للروم على فارس ففرح
النبي صلى الله عليـه وسلم ومن معه من المؤمنين قال علماء السير فلما
انتصرت الروم وخرج هرقل ملك الروم من منزله من حمص ماشياً
على قدميه الى بيت المقدس متشكراً لله عز وجل حين رد عليه مارد
ليصلى فيه فلما انتهى الى بيت المقدس وصلى فيه قدم عليه حينئذ كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع دحية الكلبي يدعوه الى الاسلام قال
ابن اسحاق حـدثنى الزهرى عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن
مسعود عن عبد الله بن عباس قال حدثنى ابو سفيان قال كنا قوماً تجاراً
وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حصرتنا حتى
هلكت أموالنا فلما كانت الهدنة بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم

يعنى التى عقدت يوم الحديبية فلما عقدت الهدنة آمنا فخرجت فى نفر من قريش تاجراً الى الشام وكان وجه متجرنا فقدمتها حين ظهر هرقل على من كان عارضه من فارس فاخرجهم منها وانتزع له صليبه الاعظم وقد كانوا سلبوه اياه فلما بلغه ذلك منهم وبلغه ان صليبه قد استنقذله وكانت حمص منزله فخرج منها على قدميه متشكراً لله عز وجل حين رد عليه مارد ليصلى فى بيت المقدس وبسط له الطريق بالبسط ويلقى عليها الرياحين فلما انتهى الى ايليا وقضى فيها صلاته ومعه بطارقته واساقفته الروم وقدم عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع دحية بن خليفة الكلبي فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم السلام على من اتبع الهدى اما بعد فاسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان توليت فان عليك اثم الاريسيين يعنى الاكارين قال ابن اسحاق وقال بن شهاب حدثنى أسقف النصارى فى زمان عبدالملك بن مروان زعم لي انه ادرك ذلك من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر هرقل وعقله قال لما قدم عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع دحية اخذه فجعله على خاصرته ثم كتب الى رجل برومية كان يقرأ من العبرانية مايقرأ يذكر له امره ويصف له شأنه ويخبره ماجاء منه قال فكتب اليه صاحب رومية انه النبي الذي ننتظره لاشك فيه فاتبعه وصدقه فامر هرقل ببطارقة الروم فجمعوا له فى دسكرة ملكه وامر بها فاسترخت عليهم ابوابها ثم طلع عليهم من علية وخافهم على نفسه وقال يامعشر الروم انى قد جمعتكم لخير انه قد اتانى كتاب هذا الرجل يدعونى الى دينه وانه والله للرجل الذى كنا ننتظره

ونجده فى كتبنا فهلم فلنتبعه ولنصدقــه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا فنخروا نخرة رجل واحد ثم ابتدروا ابواب الدسكرة ليخرجوا منها فوجدوها قد اغلقت دونهم فقال كروهم على وخافهم على نفسه فكروا عليه وقال يامعشر الروم انما قلت لكم هــذه المقالة التى قلت لكم لانظر كيف صلابتكم على دينكم لهذا الامر الذى حدث فقد رأيت منكم الذي اسر به فوقعوا سجوداً وامر بابواب الدسكرة ففتحت لهم فانطلقوا وهذا حديث مشهور من حديث محمد بن اسحق وهوذو علم وبصيرة بهذا الشأن حفظ مالا يحفظه غيره قال ابن اسحق واخــذ هرقل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعله فى قصبة من ذهب وامسكها عنده تعظيما له وهذه القصة مشهورة ذكرها اصحاب الصحاح ففى البخارى ومسلم والسياق للبخاري عن الزهري قال اخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ان عبدالله بن عباس اخبره ان ابا سفيان بن حرب اخبره ان هرقل ارسل اليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها ابا سفيان بن حرب وكفار قريش فاتوه وهو بايليا فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم بالترجمان فقال ايكم اقرب نسباً بهذا الرجل الذى يزعم انه نبي فقال أبو سفيان فقلت انا أقربهم نسبا فقال ادنوه وقربوا اصحابه فاجعلوهم عنــد ظهره ثم قال لترجمانه انى سائل هذا عن هذا الرجل فان كذبنى فكذبوه • قال ابو سفيان فوالله لولا الحياء من ان يأثروا علىّ الكذب لــكذبت عليه ثم كان اول ما سألنى عنه ان قال كيف نسبه فيكم قلت هو فينا ذو نسب قال فهل قال هذا القول منكم احد قبله قط قلت لا قال

فهل كان من آبائه من ملك قلت لا • قال فاشراف الناس اتبعوه ام ضعفاؤهم
قلت بل ضعفاؤهم • فقال ايزيدون ام ينقصون • قلت بل يزيدون قال
فهل يرتد منهم احد سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه قلت لا قال فهل كنتم
تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ماقال قلت لا قال فهل يغدر قلت لا ونحن
منه فى مدة لا ندري ماهو فاعل فيها قال ولم يمكنني كلمة ادخل فيها شيئاً
غير هذه الكلمة • قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف كان قتالكم اياه قلت
الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه • قال فماذا يأمركم • قلت يقول
اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا مايقول آباءكم ويأمرنا
بالصلاة والصدق والعفاف والصلة • فقال للترجمان قل له سألتك عن نسبه
فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها وسألتك هل
قال احد منكم هذا القول قبله فذكرت ان لا • فقلت لو كان احد قال هذا
القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله وسألتك هل كان من ابائه من
ملك فذكرت ان لا • فقلت لو كان فى ابائه من ملك قلت رجل يطلب
ملك ابيه • وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ماقال فذكرت ان
لا فقد اعرف انه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله وسألتك
اشراف الناس اتبعوه ام ضعفاؤهم فذكرت ان ضعفاءهم اتبعوه وهم
اتباع الرسل وسألتك هل يزيدون ام ينقصون • فذكرت انهم يزيدون
وكذلك امر الايمان حتى يتم • وسألتك ايرتد احد سخطة لدينه بعد ان
يدخل فيه فذكرت ان لا • وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب
لا يسخطه احد وسألتك هل يغدر فذكرت ان لا وكذلك الرسل
لا تغدر وسألتك بم يأمركم فذكرت انه يأمركم ان تعبدوا الله

ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الاوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فان كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين وقد كنت اعلم انه خارج ولم اكن اظنه انه منكم فلو اعلم اني اخلص اليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ثم دعي بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعث به مع دحية الكلبي الى عظيم بصرى فدفعه عظيم بصري الى هرقل فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدي أما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم أسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوآء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون قال ابو سفيان فلما قال ما قال وفرغ من قرآءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الاصوات واخرجنا فقلت لاصحابي حين اخرجنا لقد امر ابن ابي كبشة انه ليخافه ملك بني الاصفر فما زلت موقنا انه سيظهر حتى ادخل الله على الاسلام وكان ابن الناطور صاحب ايليا اسقفاً على نصارى اهل الشام يحدث ان هرقل حين قدم ايليا اصبح يوماً خبيث النفس فقال له بعض بطارقته قد استنكرنا هيئتك قال ابن الناطور وكان هرقل حزاء ينظر فى النجوم فقال لهم حين سألوه اني رأيت الليلة حين نظرت فى النجوم ان ملك الختان قد ظهر فمن يختتن من هذه الامة؛ قالوا ليس يختتن الا اليهود فلا يهمنك شأنهم واكتب الى مداين ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود فبيناهم على

امرهم اتى هرقل برجل ارسل به ملك غسان يخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما استخبره هرقل قال اذهبوا فانظروا أمختتن
هوام لا؟ فنظروا اليه فحدثوه انه مختتن وسأله عن العرب قال هم يختتنون
فقال هرقل هذا ملك هذه الامة قد ظهر ثم كتب هرقل الى صاحب
له برومية وكان هرقل نظيره فى العلم وسار هرقل الى حمص فلم يرم
حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأى هرقل على خروج النبى
صلى الله عليه وسلم وانه نبي فاذن هرقل لعظماء الروم فى دسكرة له
بحمص ثم امر بابوابها فغلقت ثم اطلع عليهم فقال يامعشر الروم هل لكم
فى الفلاح والرشد وان يثبت ملككم فتتابعوا هذا النبي فحاصوا حيصة
حمر الوحش الى الابواب فوجدوها قد غلقت دونهم فلما رأى هرقل
نفرتهم ويئس من الايمان منهم قال ردوهم على وقال انى قلت مقالتى آنفاً
اختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عليه فكان
هذا آخر شأن هرقل قلت وكان هرقل من اجل ملوك النصارى فى ذلك
الوقت وقد اخبر غير واحد ان هذا الكتاب الى الآن باق عند ذرية
هرقل فى ارفع صوان واعز مكان يتوارثونه كابرا عن كابر واخبر
غير واحد ان هذا الكتاب باق الآن عند الفنش صاحب قشتالة وبلاد
الاندلس يفتخرون به وهذا امر مشهور معروف وقد روى سنيد وهو
شيخ البخارى فى تفسيره قال حدثنا هشام قال اخبرنا حصين عن عبدالله
ابن شداد بن الهاد قال لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
هرقل فقرأ كتابه وجمع الروم فابوا عليه قال فلما كان يوم الاحد لم
يحضر اسقفهم الكبير وتمارض فارسل اليه فابى ثم ارسل اليه فابى ثلاث

مرات فركب اليه فقال له ابليس قد عرفت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال ابليس قد رأيت ماركبوا منى فانت اطوع فيهم منى فتعال فادعهم • قال او تأذن لى فى ذلك قال نعم • قال اذهب هوذا اجيء قال فجاء بسواده الى كنيستهم العظمى فلما راوه خروا له سجداً الملك وغيره فقام فى المذبح فقال يا ابناء الموتى هذا النبى الذى بشر به عيسى وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فتخروا ووثبوا اليه فعضضوه بافواههم حتى قتلوه قال وجعلوا يخرجون اضلاعه بالكلبتين حتى مات

(فصل) وارسل النبى صلى الله عليه وسلم رسولا ايضاً الى ملك مصر المقوقس ملك النصارى فى ذلك الوقت بالاسكندرية وكان رسوله اليه حاطب بن ابى بلتعة رضى الله عنه قال حاطب قدمت على المقوقس واسمه جريج بن مينا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له انه كان قبلك رجل يزعم انه الرب الاعلا فاخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك • قال هات قلت ان لك ديناً لن تدعه الا لما هو خير منه وهو الاسلام الكافى بعد ما سواه ان هـذا النبى دعى الناس الى الله فكان اشدهم عليه قريش واعداهم له اليهود واقربهم منه النصارى ولعمرى مابشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل وكل من ادرك نبياً فهو من امته فالحق عليهم ان يطيعوه فانت ممن ادرك هذا النبى ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به ثم ناوله كتاب رسول الله صلى الله عليـه وسلم فلما قرأه قال خيراً قد نظرت فى هـذا فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهي عن مرغوب

فيه ولم اجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آلة النبوة ثم جعل الكتاب في حق من عاج وختم عليه ودفعه الى خازنه وكتب جوابه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علمت ان نبياً قد بقي وقد اكرمت رسلك واهدى للنبي صلى الله عليه وسلم جاريتين وبغلة تسمى الدلدل فقبل النبي صلى الله عليه وسلم هديته واصطفى الجارية الواحدة واسمها مارية القبطية لنفسه فولدت منه ابراهيم واعطى الاخرى لحسان بن ثابت فولدت منه عبد الرحمن وعاشت البغلة الى زمان معاوية فقال النبي صلى الله عليه وسلم ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه قال محمد بن سعد حدثنا محمد بن عمر قال حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن ابيه قال لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي القعدة سنة ست من الهجرة بعث حاطب ابن ابي بلتعة الي المقوقس القبطي صاحب الاسكندرية وكتب اليه معه كتاباً يدعوه فيه الى الاسلام فلما قرأ الكتاب قال له خيراً واخذ الكتاب وكان مختوماً فجعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه الى خازنه وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم جواب كتابه ولم يسلم واهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم ما تقدم ذكره فكل من الملكين عظم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواضع له ولكتابه واعترف بانه الرسول المنتظر الذي بشرت به الانبياء عليهم السلام وقد كان المقوقس يعرف انه حق بما يسمع من صفاته من اهل الكتاب ولكن ضن بملكه ولم يؤمن وكان قد خرج اليه المغيرة بن شعبة قبل اسلام المغيرة فحدثه بذلك قال محمد بن عمر الواقدي حدثني محمد بن سعد الثقفي وعبد الرحمن بن عبد

العزيز بن عبدالله بن عثمان بن سهل بن حنيف وعبد الملك بن عيسى وعبد الله بن عبد الرحمن ومحمد بن يعقوب بن عتبة عن ابيه وغيرهم كل قد حدثني من هذا الحديث بطائفة منه قال قال المغيرة بن شعبة في خروجه الى المقوقس مع بني مالك وانهم لما دخلوا على المقوقس قال كيف خلصتم اليّ من طائفتكم ومحمد واصحابه بيني وبينكم؟ قالوا الصقنا بالبحر وقد خفناه على ذلك قال فكيف صنعتم فيما دعاكم اليه قالوا ما تبعه منا رجل واحد • قال ولم ذلك ؟ قالوا جاءنا بدين مجدد لا تدين به الآباء ولا يدين به الملك ونحن على ما كان عليه آباؤنا قال فكيف صنع قومه قالوا تبعه احداثهم وقد لاقاه من خالفه من قومه وغيرهم من العرب في مواطن مرة تكون عليهم الدائرة ومرة تكون له قال الا تخبروني الى ما ذا يدعو اليه قالوا يدعونا الى ان نعبد الله وحده لا شريك له ونخلع ما كان يعبد آباؤنا ويدعو الى الصلاة والزكاة قال وما الصلاة والزكاة ألها وقت يعرف وعدد تنتهي اليه ؟ قالوا يصلون في اليوم والليلة خمس صلوات كلها لمواقيت وعدد سموه له ويؤدون من كل ما بلغ عشرين مثقالا نصف مثقال واخبروه بصدقة الاموال كلها قال افرأيتم اذا اخذها اين يضعها؟ قالوا يردها على فقرائهم ويأمر بصلة الرحم ووفاء العهد وتحريم الزنا والخمر ولا يأكل مما ذبح لغير الله • فقال المقوقس هذا نبي مرسل الى الناس ولو اصاب القبط والروم اتبعوه وقد امرهم بذلك عيسى بن مريم وهذا الذي تصفون منه بعث به الانبياء من قبله وسيكون له العاقبة حتى لا ينازعه احد ويظهر الى منتهى الخف والحافر ومنقطع البحور ويوشك قومه ان يدافعوه بالراح • قالوا فلو دخل الناس

كلهم معه ما دخلنا . قال المغيرة فانغض المقوقس رأسه وقال انتم فى اللعب ثم قال كيف نسبه فى قومه ؟ قلنا هو اوسطهم نسباً . قال كذلك والمسيح الانبياء تبعث فى نسب قومها ثم قال فكيف صدق حديثه قال قلنا ما يسمى الا الامين من صدقه قال انظروا فى امركم اترونه يصدق فيما بينكم وبينه ويكذب على الله قال فمن تبعه قلنا الاحداث قال هم والمسيح اتباع الانبياء قبله . قال فما فعلت يهود يثرب فهم اهل التوراة قلنا خالفوه فاوقع بهم فقتلهم وسباهم وتفرقوا فى كل ناحية . قال هم قوم حسدة حسدوه أما انهم يعرفون من امره مثل مانعرف . قال المغيرة فقمنا من عنده وقد سمعنا كلاماً ذللنا لمحمد صلى الله عليه وسلم وخضعنا له وقلنا ملوك العجم يصدقونه ويخافونه فى بعد ارحامهم منه ونحن اقرباؤه وجيرانه ولم ندخل معه وقد جاءنا داعياً الى منازلنا قال المغيرة فرجعت الى منزلنا فأقمت بالاسكندرية لا ادع كنيسة الا دخلتها وسألت اساقفها من قبطها وروميها عما يجدون من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكان اسقف من القبط هو رأس كنيسة يوحنس كانوا يأتونه بمرضاهم فيدعو لهم لم ارقط اشد اجتهادا منه فاتيته فقلت هل بقي احد من الانبياء قال نعم هو آخر الانبياء ليس بينه وبين عيسى بن مريم احد وهو نبى مرسل وقد امرنا عيسى باتباعه وهو النبى الامى العربى اسمه احمد ليس بالطويل ولا بالقصير فى عينيه حمرة وليس بالابيض ولا بالادم يعفى شعره ويلبس ما غلظ من الثياب ويجتزي بما لقي من الطعام . سيفه على عاتقه ولا يبالي بمن لاقى يباشر القتال بنفسه ومعه اصحابه يفدونه بانفسهم هم له اشد حباً من اولادهم وآبائهم يخرج من ارض حرم ويأتي الى حرم

يهاجر الى ارض سباخ ونخل يدين بدين ابراهيم عليه السلام • قال المغيرة
فقلت له زدني في صفته • قال يأتزر على وسطه ويغسل اطرافه ويخص
بما لا تخص به الانبياء قبله وكان النبي يبعث الى قومه ويبعث هو الى
الناس كافة وجعلت له الارض مسجداً وطهوراً اينما ادركته الصلاة
تيمم وصلى ومن كان قبله كان مشدداً عليهم لا يصلون الا في الكنائس
والبيع • قال المغيرة بن شعبة فوعيت ذلك كله من قوله وقول غيره وما
سمعت من ذلك فذكر الواقدي حديثا طويلا في رجوعه واسلامه
وما اخبر به من صفات النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك مما يعجب
النبي صلى الله عليه وسلم ويحب ان يسمعه اصحابه قال المغيرة فكنت احدثهم
بذلك وهذا امر معروف عند علماء اهل الكتاب وعظمائهم وقد
اخرج ابو حاتم في صحيحه عن عمرو بن العاص انه قال خرج جيش
من المسلمين انا اميرهم حتى نزلنا الاسكندرية فقال عظيم من عظمائهم
اخرجوا الى رجلاً يكلمني واكلمه • فقلت لا يخرج اليه غيري • قال فخرجت
اليه ومعي ترجماني ومعه ترجمانه • فقال ما انتم؟ فقلت نحن العرب ونحن
اهل الشوك ونحن اهل بيت الله الحرام كنا اضيق الناس ارضاً واجهدهم
عيشاً نأكل الميتة والدم ويغير بعضنا على بعض حتى خرج فينا رجل
ليس باعظمنا يومئذ ولا باكثرنا مالا فقال انا رسول الله اليكم فامرنا
بما لا نعرف ونهانا عما كنا عليه وكان عليه اباءنا فكذبناه ورددنا عليه
مقالته حتى خرج اليه قوم غيرنا فقاتلنا وظهر علينا وغلبنا وتناول من
يليه من العرب فقاتلهم حتى ظهر عليهم ولو يعلم من ورائي من العرب
ما انتم فيه من العيش لم يبق احد الا جاءكم حتى يشرككم فيما انتم

فيه من العيش فضحك ثم قال ان رسولكم قد صدق قد جاءتنا رسلنا بمثل الذي جاء به رسولكم فان انتم اخذتم بامر نبيكم لم يقاتلكم احد الا غلبتموه ولن يشاركم احد الا ظهرتم عليه وان فعلتم مثل الذي فعلنا وتركتم امر نبيكم لم تكونوا اكثر عدداً منا ولا اشد منا قوة (فصل) ثم بعد الارسال الى الملوك اخذ صلى الله عليه وسلم في غزو النصارى فارسل اولا زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة فى جيش فقاتلوا النصارى بموتة من ارض الكرك وقال لاصحابه اميركم زيد فان قتل فجعفر فان قتل فعبد الله بن رواحة فقتل الثلاثة واخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الثلاثة في اليوم الذى قتلوا فيه واخبر انه اخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله على يديه ثم انه بعد هذا غزى النصارى بنفسه وامر جميع المسلمين ان يخرجوا معه فى الغزاة ولم يأذن فى التخلف عنه لاحد وغزا فى عشرات الوف غزوة بتوك فقدم تبوك واقام بها عشرين ليلة ليغزو النصارى عربهم وروميهم وغيرهم واقام ينتظرهم ليقاتلهم فسمعوا به واحجموا عن قتاله ولم يقدموا عليه وانزل الله تعالى فى ذلك اكثر سورة براءة وذم تعالى الذين تخلفوا عن جهاد النصارى ذماً عظيماً والذين لم يروا جهادهم طاعة جعلهم منافقين كافرين لا يغفر الله لهم اذا لم يتوبوا وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) وقال تعالى (ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره) فاذا كان هذا حكم الله ورسوله فيمن تخلف عن جهادهم اذ لم يره طاعة ولا يراه واجباً فكيف حكمه فيهم انفسهم حتى قال

تعالى (قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) ثم عند موته صلى الله عليه وسلم امرنا باخراج اليهود والنصاري من جزيرة العرب ففي صحيح مسلم ان عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا ادع الا مسلما • وروى الامام احمد وابو عبيد عن ابى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قال آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اخرجوا يهود اهل الحجاز ونصاري اهل نجران من جزيرة العرب وقام خلفاؤه رضى الله عنهم بعده بدينه صلى الله عليه وسلم فارسل ابو بكر الصديق الجيوش لغزو النصارى بالشام وجرت بين المسلمين وبينهم عدة غزوات ومات ابو بكر وهم محاصروا دمشق ثم ولى عمر بن الخطاب ففتح عامة الشام ومصر والعراق وبعض خراسان في خلافته وقدم الى الشام فى خلافته وسلم اليه النصارى بيت المقدس لما رأوه من صفته عندهم قال ابو عبد الله محمد بن عائذ • فى كتاب الفتوح قال قال عطاء الخراساني لما نزل المسلمون بيت المقدس قال لهم رؤساهم انا قد اجمعنا لمصالحتكم وقد عرفتم منزلة بيت المقدس وانه المسجد الذي اسرى بنبيكم اليه ونحن نحب ان يفتحها ملككم وكان الخليفة عمر بن الخطاب فبعث المسلمون وفداً وبعث الروم ايضاً وفداً مع المسلمين حتى اتوا المدينة فجعلوا يسألون عن أمير المؤمنين فقال الروم لترجمانهم عمن يسألون؛ قالوا عن امير المؤمنين فاشتد عجبهم وقالوا هذا الذي غاب

فارس والروم واخـذ كنوز كسرى وقيصر وليس له مكان يعرف به
بهذا غلب الامم فوجدوه قد القى نفسه حين اصابه الحر نائماً فازدادوا
تعجبا فلما قرأ كتاب ابي عبيدة اقبل حتى نزل بيت المقدس وفيها
اثنى عشر الفاً من الروم وخمسون الفاً من أهل الارض فصالحهم وكان
من جملة المصالحة ان لا يدخل عليهم من اليهود احد ثم دخل المسجد
فوجد زبالة عظيمة على الصخرة فامر بكنس الزبالة وتنظيف المسجد
وامر ببنائه وجعل مصلاه فى مقدمه ثم رجع الى المدينة وقصته مشهورة
فى كتاب الفتوحات ثم قدم مرة ثانية الى ارض الشام لما تم فتحه فشارط
بوضع الخراج وفرض الاموال وشارط اهل الذمة على شروط فأتم بها
المسلمون بعده • وقد ذكرها أهل السير وغيرهم فروى سفيان الثورى
عن مسروق عن عبد الرحمن بن غنم قال كتبت لعمر بن الخطاب رضى
الله عنه حين صالح نصارى الشام وشرط عليهم فيه ان لا يحدثوا فى مدينتهم
ولا ماحولها ديراً ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا يجددوا
ماخرب ولا يمنعوا كنائسهم ان ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال
يطعمونهم ولا يأووا جاسوساً ولا يكتموا غشاً للمسلمين ولا يعلموا
اولادهم القرآن ولا يظهروا شركا ولا يمنعوا ذوي قرابتهم من الاسلام
ان ارادوه وان يوقروا المسلمين وان يقيموا لهم اذا ارادوا الجلوس ولا
يتشبهوا بالمسلمين بشيء من لباسهم فى قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا
فرق شعر ولا يتسموا باسماء المسلمين ولا يكتنوا بكناهم ولا يركبوا
سرجا ولا يتقلدوا سيفاً ولا يتخذوا شيئاً من سلاح ولا ينقشوا خواتيمهم
بالعربية ولا يبيعوا الخمور وان يجزوا مقادم رؤوسهم وان يلزموا زيهم

حيث ما كانوا وان يشدوا الزنانير ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم ولا يضربوا بالناقوس الا ضرباً خفياً ولا يرفعوا اصواتهم بالقراءة في كنائسهم في شيء من حضرة المسلمين ولا يخرجوا سعانين ولا يرفعوا مع موتاهم اصواتهم ولا يظهروا النيران معهم ولا يشتروا من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين فان خالفوا في شيء مما شرطوه فلا ذمة لهم وقد حل للمسلمين منهم ما يحل من اهل المعاندة والشقاق . اخرجه ابو داوود في سننه وقال ابو عبيد في كتاب الاموال حدثنا النضر بن اسماعيل عن عبد الرحمن بن اسحاق عن خليفة بن قيس قال كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يامر فاكتب الى اهل الامصار في اهل الكتاب ان يجزوا نواصيهم وان يربطوا الكستيجات في اوساطهم ليعرف زيهم من زي اهل الكتاب . وحدثنا ابو المنذر ومصعب بن المقدام كلاهما عن سفيان عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن اسلم قال كتب عمر الى امراء الاجناد ان يختموا رقاب اهل الذمة قال ابو عبيد . حدثنا عبد الرحمن عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن اسلم ان عمر امر في اهل الذمة ان يجزوا نواصيهم وان يركبوا على الاكف وان يركبوا عرضاً لا يركبوا كما يركب المسلمون وان يوثقوا المناطق قال ابو عبيد يعني الزنانير ولما كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه على اهل الذمة هذه الشروط والتزموها اوصى بهم نوابه ومن يأتي بعده من الخلفاء وغيرهم وهذا هو العدل الذي امر الله به ورسوله ففي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب انه قال في خطبته عند وفاته واوصي الخليفة من بعدي بذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ان يوفى لهم بعهدهم

وان يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا الا طاقتهم وهذا امتثال لقول النبي صلى الله عليه وسلم ألا من ظلم معاهداً اوانتقصه من حقه اوكلفه فوق طاقته او اخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فانا حجيجه يوم القيامة• رواه ابو داوود فكان هذا في النصارى الذين ادوا اليه الجزية وعمر بن الخطاب لما فتح الشام وادوا اليه الجزية عن يد وهم صاغرون اسلم منهم خلق كثير لا يحصي عددهم الا الله تبارك وتعالى فان العامة والفلاحين وغيرهم كان عامتهم نصارى ولم يكن في المسلمين من يعمل فلاحة ولم يكن للمسلمين في دمشق مسجد يصلون فيه الامسجد واحد لقلتهم ثم صار اكثر اهل الشام وغيرهم مسلمين طوعاً لا كرهاً فان اكراه اهل الذمة على الاسلام غير جائز كما قال تعالي (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النارهم فيها خالدون) قال ابو عبيد في كتاب الاموال عن ابن الزبير قال كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى اهل اليمن انه من اسلم من يهودي او نصراني فانه من المؤمنين له مالهم وعليه ماعليهم ومن كان على يهودية او نصرانية فانه لا يفتن عنها وعليه الجزية (فصل) وقاتل عمر بن الخطاب الفرس المجوس وفتح ارضهم وظهر تصديق خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذى نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله عز

وجل اخرجاه فى الصحيحين وهذا بعد ان بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم رسوله الى المجوس وكتب كتاباً الى كسرى ملك الفرس كما
كتب الى ملوك النصارى كما تقدم عن قيصر والمقوقس ولكن ملوك النصارى
تأدبوا معه وخضعوا له فبقى ملكهم ٠ واما ملك الفرس فمزق كتابه فدعى
عليهم فقال اللهم مزق ملكهم كل ممزق فلم يبق لهم ملك ٠ قال ابن عباس بعثه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة بكتابه الى كسرى
يدفعه الى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين الى كسرى فلما قرأه
يعنى كسرى خرقه فدعى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يمزقوا كل ممزق وقال ابن اسحق كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى كسرى وقيصر فاما كسرى فلما قراء الكتاب مزقه ٠ واما قيصر فلما
قرأ الكتاب طواه ووضعه عنده فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اما هؤلاء يعنى كسرى فيمزقون واما هؤلاء فستكون لهم
بقية قال ابن اسحق بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن
حذافة بن قيس السهمى الى كسرى بن هرمز ملك الفرس وكتب
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس
سلام على من اتبع الهدى آمن بالله ورسوله واشهد ان لا اله الا الله
وحده لاشريك له وان محمداً عبده ورسوله فاني ادعوك بدعاية الله
فاني رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على
الكافرين فاسلم تسلم وان ابيت فان اثم المجوسية عليك ٠ فلما قرأ كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم شققه وقال يكتب اليّ بهذا الكتاب

وهو عبدي • قلت وسبب قول كسرى هذا واستملائه ان الحبشة كانوا قدملكوا اليمن وملكهم سار الى مكة بالفيل ليخرب البيت وكانوا نصارى فارسل الله عليهم من ناحية البحر طيراً ابابيل وهي جماعات فى تفرقة تحمل حجارة من طين فالقتها على الحبشة النصارى فاهلكتهم وكان هذا آية عظيمة خضعت بها الامم للبيت وجيران البيت وعلم العقلاء ان هذا لم يكن نصراً من الله لمشركي العرب فان دين النصارى خير من دينهم وانما كان نصراً للبيت وللامة المسلمة التى تعظمه وللنبي المبعوث من البيت وكان ذلك عام مولد النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله فى ذلك (الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم فى تضليل وارسل عليهم طيراً ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول) ثم ان سيف ابن ذي يزن ذهب الى كسرى وطلب منه جيشاً يغزو به الحبشة فأرسل معه عسكراً من الفرس المجوس فاخرجوا الحبشة من اليمن وصارت اليمن بيد العرب وبها نائب كسرى وسيف بن ذي يزن هذا ممن بشر بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره واخبر بذلك جدّه عبدالمطلب لما وفد عليه • فلما كانت اليمن مطيعـة لكسرى لهذا ارسـل الى نائبه باليمن ان يأتيه بالنبى صلى الله عليه وسلم لان عسكر اليمن فى العادة يقهر اهل مكة والمدينة • قال ابن اسحق فبلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مزق الله ملكه حين بلغه انه شقق كتابه • ثم كتب كسرى الى باذان وهو على اليمن ان ابعث الى هذا الرجل الذي بالحجاز من عندك رجلين جلدين فليأتيانى به قال فبعث باذان قهرمانه وهو بانويه وقال غيره فيروز الديلمي وكان حاسباً كاتباً وبعث معه برجل من الفرس وكتب معهما

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يامره ان ينصرف معهما الى كسرى
وقال لبانويه ويلك انظر ما الرجل وكلمه وأتيني بخبره • قال فخرجا حتى
قدما الى الطائف فسألا عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هو بالمدينة
واستبشروا يعني الكفار وقالوا قد نصب له كسرى كفيتم الرجل فخرجا
حتى قدما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه بانويه فقال
ان شاهنشاه ملك الملوك كسرى كتب الى الملك باذان يأمره ان يبعث
اليك من يأتيه بك وقد بعثني اليك فانطلق معي فان فعلت كتبت معك
الى ملك الملوك بكتاب ينفعك ويكف عنك به وان ابيت فهو من قد
علمت وهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك وكانا قد دخلا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا قد حلقا لحاهما وابقيا شواربهما
فكره النظر اليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهما ويلكما
من امركما بهذا • قالا امرنا بهذا ربنا يعنيان كسرى • فقال لهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم لكن ربي عز وجل امرني باعفاء لحيتي وبقص
شاربي ثم قال لهما ارجعا حتى تأتياني الغد • قال وجاء الخبر من السماء
ان الله عز وجل سلط على كسرى ولده شيرويه فقتله في شهر كذا
في ليلة كذا في ساعة كذا فلما اتيا رسول الله صلى عليه وسلم
قال لهما ان ربي قتل ربكما ليلة كذا في شهر كذا بعد ما مضى من
الليل كذا سلط عليه ابنه شيرويه فقتله • فقالا له هل تدري ما تقول
انا قد نقمنا منك ما هو ايسر من هذا فنكتب بهذا عنك ونخبر
الملك به • قال نعم اخبراه ذلك عني وقولا له ان ديني وسلطاني
سيبلغ ما بلغ ملك كسرى وينتهي الى منتهى الخف والحافر وقولا له

انك ان اسلمت اعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك من الابناء واعطى رفيقه منطقة من ذهب وفضة كان اهداها له بعض الملوك فخرجا من عنده حتى قدما على باذان واخبراه الخبر • فقال والله ما هذا بكلام ملك واني لارى الرجل نبياً كما يقول ولتنظرن ما قد قال فلأن كان ما قد قال حقاً ما بقي فيه كلام انه نبي مرسل وان لم يكن فسنرى فيه رأينا فلم يلبث باذان ان قدم عليه كتاب شيرويه • اما بعد فاني قد قتلت كسرى ولم اقتله الا غضباً لفارس لما كان قد استحل من قتل اشرافهم وتجهيزهم في بعوثهم فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب اليك فيه فلا تهجه حتى يأتيك امري فيه فلما انتهى الكتاب كتاب شيرويه الى باذان قال ان هذا الرجل لرسول الله واسلم لله واسلمت ابناء فارس من كان منهم باليمن وقال ابو معشر حدثني المقبري قال جاء فيروز الديلمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان كسرى كتب الى باذان بلغني ان في ارضك رجلا تنبأ تنبئاً فاربطه وابعث به الي • فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربي غضب على ربك فقتله فدمه بنحره سخن الساعة فخرج من عنده فسمع الخبر فاسلم وحسن اسلامه وكان رجلا صالحاً له في الاسلام آثار جميلة منها قتل الاسود العنسي الكذاب الذي ادعى النبوة على عهد رسول الله عليه وسلم وكان الاسود جباراً استدعى بابي مسلم الخولاني فقال له اتشهداني رسول الله فقال ابو مسلم مااسمع فقال له اتشهدان محمداً رسول الله قال نعم فردد ذلك عليه مرارا فامر بنار عظيمة فاضرمت ثم امر بالقاء ابي مسلم فيها فلم تضره فاخمدها

الله تعالى حين القى فيها فقيل له اخرج هذا عنك من ارضك لئلا يفسد عليك اتباعك فاخرجه • فقدم ابو مسلم المدينة وقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر فاناخ راحلته بباب المسجد ثم دخل المسجد فقام يصلى الى سارية فبصر به عمر فقام اليه فقال ممن الرجل قال من اهل اليمن قال مافعل الذي حرقه الكذاب ؟ قال ذلك عبد الله ابن ثوب قال نشدتك بالله انت هو ؟ قال اللهم نعم فاعتنقه ثم بكي ثم ذهب به حتى اجلسه بينه وبين ابى بكر فقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى اراني في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الرحمن ثم خرج فيروز الديلمي على الاسود العنسي فقتله وجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله وهو فى مرض موته فخرج فاخبر اصحابه بذلك وقال قتل الاسود العنسى الليلة قتله رجل صالح من قوم صالحين وقصته مشهورة • وكذلك قصة مسيلمة الكذاب ونحوهما من المتنبئين الكذابين (فصل) ولما فتح خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم عمر وعثمان العراق وخراسان ضربوا الجزية على المجوس كما ضربوها على النصاري بعد ان دعوهم الى الاسلام كما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما ضرب النبي صلى الله عليه وسلم الجزية على اليهود والنصارى والمجوس بعد ان دعاهم الى الله عز وجل فانه صلي الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمى الى المنذر بن سارى العبدى صاحب هجر وهى قرية بالبحرين بكتابه صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال العلاء فلما دخلت عليه قلت يامنذر انك عظيم العقل فى الدنيا فلا تصغرن عن الآخرة فان هذه المجوسية شر دين ليس فيها تكرم العرب

ولا علم اهل الكتاب ينكحون مايستحي من نكاحه ويأكلون ماتكرم عن اكله ويعبدون فى الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة ولست بعديم عقل ولا رأى فانظر هل ينبغى لمن لايكذب ان تصدقه ولمن لايخون ان تأمنه ولمن لايخاف ان تثق به فان كان هذا هكذا فهذاهوالنبي رسول الله صلى الله عليه وسلم الامي الذى والله لايستطيع ذو عقل ان يقول ليت ماامر به نهى عنه وما نهى عنه امر به اوليته زاد فى عفوه او نقص من عقابه ان كل ذلك منه على امنية أهل العقل وفكر أهل البصر • فقال المنذر قد نظرت فى هذا الذى فى يدى فوجدته للدنيا دون الآخرة ونظرت في دينكم فوجدته للآخرة والدنيا فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الممات ولقد عجبت أمس ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يرده وان من اعظام ما جاء به ان يعظم رسوله وسأنظر ثم اسلم المنذر وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم بالاسلام والتصديق • وقال عمر بن عوف بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا عبيدة الى البحرين فاتى بجزيتها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صالح اهل البحرين وامر عليهم العلاء بن الحضرمي فقدم ابو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم ابي عبيدة فوافوا صلاة الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما صلى بهم الفجر انصرف فتعرضوا له فتبسم النبي صلي الله عليه وسلم حين رآهم وقال اظنكم قد سمعتم ان ابا عبيدة قد جاء بشيء قالوا اجل يارسول الله قال فابشروا واملوا مايسركم فوالله لاالفقر اخشى عليكم ولكن اخشى عليكم ان تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم اخرجاه فى الصحيحين

واخرج البخاري عن بجالة بن عبدة انه قال اتانا كتاب عمر بن الخطاب قبل موته بسنة • فرقوا بين كل ذى محرم من المجوس • ولم يكن عمر اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها من مجوس هجر • وقال ابن شهاب اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية من مجوس هجر وأخذ عمر بن الخطاب الجزية من مجوس فارس واخذها عثمان بن عفان من البربر قال ابن شهاب اول من اعطى الجزية من أهل الكتاب أهل نجران فيما بلغنا وكانوا نصارى وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية من اهل البحرين وكانوا مجوساً ثم ادى أهل أيله وأهل اذرح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية فى غزوة تبوك وبعث خالد بن الوليد الى أهل دومة الجندل فاسروا رئيسهم (اكيدر) فبايعوه على الجزية • قال ابو عبيد الجزية مأخوذة من أهل الكتاب بالتنزيل ومن المجوس والبربر وغيرهم بالسنة (فصل) واخرج مسلم عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى وقيصر والنجاشي والى كل جبار يدعوهم الى الله عز وجل وليس بالنجاشى الذى نعاه لاصحابه فى اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلي فصف وصلى عليه بل نجاشى آخر تملك بعده • واخرج مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست • اعطيت جوامع الكلم • ونصرت بالرعب • واحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهوراً • وارسلت الى الناس كافة وختم بي النبيون • وقال صلى الله عليه وسلم كان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقال تعالى (قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم

جميعاً الذي له ملك السموات والارض) وقال تعالى (وما ارسلناك الا كافة
للناس بشيرا ونذيراً) وفى القرآن من دعوة اهل الكتاب من اليهود
والنصارى ومن دعوة المشركين وعباد الاوثان وجميع الانس والجن
مالا يحصى الا بكلفة وهذا كله معلوم بالاضطرار من دين الاسلام فكيف
يقال انه لم يذكر انه بعث الا الى العرب خاصة وهذه دعوته ورسله
وجهاده لليهود والنصارى والمجوس بعد المشركين وهذه سيرته صلى الله
عليه وسلم فيهم • وايضاً فالكتاب المتواتر عنه وهو القرآن يذكر فيه
دعاءه لاهل الكتاب الى الايمان به فى مواضع كثيرة جداً بل يذكر
الله تبارك وتعالى فيه كفر من كفر من اليهود والنصارى ويأمر فيه
بقتالهم كقوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم
قل فمن يملك من الله شيئاً ان أراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن
فى الارض جميعاً ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء
والله على كل شيء قدير) وقوله في هذه السورة أيضاً (لقد كفر الذين
قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله
ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار
وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ومامن
اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم
عذاب اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح
بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا
يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون قل
اتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع

العليم قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهوآء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) وقال تعالى فى سورة النسآء (قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً اليما ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيرا) وقال تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وقال تعالى وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون (فصل) فهذه الدلائل واضعافها مما تبين انه نفسه صلى الله عليه وسلم اخبر انه رسول الله الى النصارى وغيرهم من أهل الكتاب وانه دعاهم وجاهدهم وأمر بدعوتهم وجهادهم وليس هذا مما فعلته امته

بعده بدعة ابتدعوها كما فعلت النصارى بعد المسيح عليه السلام فان المسلمين لا يجوزون لاحد بعد محمد صلى الله عليه ان يغير شيئاً من شريعته فلا يحلل ماحرم ولا يحرم ماحلل ولا يوجب ما اسقط ولا يسقط ما اوجب بل الحلال عندهم ماحلله الله ورسوله والحرام ما حرمه الله ورسوله والدين ماشرعه الله ورسوله بخلاف النصارى الذين ابتدعوا بعد المسيح بدعا لم يشرعها المسيح عليه السلام ولا نطق بها شيء من الاناجيل ولا كتب الانبياء المتقدمة وزعموا ان ما شرعه اكابرهم من الدين فان المسيح يمضيه لهم وهذا موضع تنازع فيه الملل الثلاث • المسلمون • واليهود والنصارى • كما تنازعوا فى المسيح عليه السلام وغير ذلك • فاليهود لا يجوزون لله سبحانه وتعالى ان ينسخ شيئاً شرعه • والنصارى يجوزون لاكابرهم ان ينسخوا شرع الله بآرائهم • واما المسلمون فعندهم ان الله له الخلق والامر لاشرع الا ماشرعه الله على السنة رسله وله ان ينسخ ما شاء كما نسخ بالمسيح ما كان شرعه للانبياء قبله فالنصارى تضع لهم عقائدهم وشرائعهم اكابرهم بعد المسيح كما وضع لهم الثلاث مائة وثمانية عشر الذين كانوا فى زمن قسطنطين الملك الامانة التى اتفقوا عليها ولعنوا من خالفها من الاريوسية وغيرهم وفيها امور لم ينزل الله بها كتاباً بل تخالف ما انزله الله من الكتب مع مخالفتها للعقل الصريح فقالوا فيها نؤمن باله واحد اب ضابط الكل خالق السموات والارض كل مايرى وما لايرى وبرب واحد يسوع المسيح بن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق مولود غير مخلوق مساوي الاب فى الجوهر الذي به كان كل شيء الذى من اجلنا

نحن البشر ومن اجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومن مريم العذراء وتانس وصلب على عهد بيلاطس البنطى وتألم وقبر وقام فى اليوم الثالث كما فى الكتب وصعد الى السماء وجلس عن يمين الاب وأيضاً فسيأتي بمجده ليدين الاحياء والاموات الذي لافناء لملكه وبروح القدس الرب المحي المنبثق من الاب مع الاب والابن مسجود له وممجد الناطق فى الانبياء ، واعتقد بكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا وأرجى قيامة الموتى وحياة الدهر الآتى امين ووضعوا لهم من القوانين والناموس مالم يوجد في كتب الانبياء ولا تدل عليه بل يوجد بعضه فى كتب الانبياء ، وزاد اكابرهم اشياء من عندهم لا توجد فى كتب الانبياء وغيروا كثيراً مما شرعه الانبياء فما عند النصارى من القوانين والنواميس التى هي شرائع دينهم فبعضه منقول عن الانبياء وبعضه عن الحواريين وكثير منه من ابتداع اكابرهم مع مخالفته لشرع الانبياء فدينهم من جنس دين اليهود قد لبسوا الحق بالباطل وكان المسيح عليه السلام بعث بدين الله الذي بعث به الانبياء قبله وهو عبادة الله وحده لاشريك له والنهى عن عبادة كل ماسواه واحل لهم بعض ما حرمه الله فى التوراة فنسخ بعض شرع التوراة وكان الروم واليونان وغيرهم مشركين يعبدون الهياكل العلوية والاصنام الارضية فبعث المسيح عليه السلام رسله يدعونهم الى دين الله تعالى فذهب بعضهم في حياته فى الارض وبعضهم بعد رفعه الى السماء فدعوهم الى دين الله تعالى فدخل من دخل فى دين الله واقاموا على ذلك مدة ثم زين الشيطان لمن زين له ان يغير

دين المسيح فابتدعوا دينا مركباً من دين الله ورسله دين المسيح عليه السلام ومن دين المشركين وكان المشركون يعبدون الاصنام المجسدة التي لها ظل وهذا كان دين الروم واليونان وهو دين الفلاسفة اهل مقدونية واقثينه كارسطو وامثاله من الفلاسفة المشائين وغيرهم وكان ارسطو قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة وهو وزير الاسكندر بن فيلبس اليوناني المقدوني التي تؤرخ له التاريخ الرومى من اليهود والنصارى وهذا كان مشركا يعبد هو وقومه الاصنام ولم يكن يسمي ذا القرنين ولا هوذا القرنين المذكور فى القرآن ولا وصل هذا المقدوني الى ارض الترك ولا بنى السد وانما وصل الى بلاد الفرس ومن ظن ان ارسطو كان وزير ذى القرنين المذكور فى القرآن فقد غلط غلطا يتبين انه ليس بعارف باديان هؤلاء القوم ولا بازمانهم فلما ظهر دين المسيح عليه السلام بعد ارسطو بنحو ثلاثمائة سنة فى بلادالروم واليونان كانوا على التوحيد الى ان ظهرت فيهم البدع فصوروا الصور المرقومة فى الحيطان جعلوا هذه الصور عوضا عن تلك الصوروكان اولئك يسجدون للشمس والقمر والكواكب فصار هؤلاء يسجدون اليها الى جهةالشرق التى تظهر منها الشمس والقمر والكواكب وجعلوا السجود اليها بدلا عن السجود لها ولهذا جاء خاتم الرسل صلوات الله عليه وسلامه الذى ختم الله به الرسالة واظهر به من كال التوحيد مالم يظهره من قبله فامر صلى الله عليه وسلم ان لا يتحرى احد بصلاته طلوع الشمس ولا غروبها لان المشركين يسجدون لها تلك الساعة فاذا صلى الموحدون لله عز وجل في تلك الساعة صار فى ذلك نوع مشابهة لهم فيتخذ ذريعة

الى السجود لها وكان من اعظم اسباب عبادة الاصنام تصوير الصور وتعظيم القبور في صحيح مسلم وغيره عن ابي الهياج الاسدى قال قال لى علي بن ابي طالب الا ابعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرني ان لا ادع قبرا مشرفا الاسويته ولا تمثالا الا طمسته وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال فى مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد • يحذر ما فعلوا وفى الصحيحين انه قال قبل موته بخمس ليال ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد وانى انهاكم عن ذلك • ولما ذكروا له الكنيسة بارض الحبشة وذكروا من حسنها وتصاوير فيها فقال ان اولئك كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا تلك التصاوير اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة • ونهى ان يستقبل الرجل القبر فى الصلاة حتى لا يتشبه بالمشركين الذين يسجدون للقبور ففى الصحيح انه قال لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها • الى امثال ذلك مما فيه تجريد التوحيد لله رب العالمين الذي انزل الله به كتبه وارسل به رسله فاين هذا ممن يصور صور المخلوقين فى الكنائس ويعظمها ويستشفع بمن صورت على صورته وهل كان اصل عبادة الاصنام فى بنى آدم من عهد نوح عليه السلام إلا هذا والصلاة الي الشمس والقمر والكواكب والسجود اليها ذريعة الى السجود لها ولم يامر احد من الانبياء باتخاذ الصور والاستشفاع باصحابها ولا بالسجود الي الشمس والقمر والكواكب وان كان يذكر عن بعض الانبياء تصوير صورة لمصلحة فان هذا من الامور التى قد تتنوع فيها

الشرائع بخلاف السجود لها والاستشفاع باصحابها فان هذا لم يشرعه نبي من الانبياء، ولا امر قط احدٌ من الانبياء ان يدعى غير الله عز وجل لا عند قبره ولا فى مغيبه ولا يتشفع به فى مغيبه بعد موته بخلاف الاستشفاع بالنبى صلى الله عليه وسلم فى حياته ويوم القيامة وبالتوسل به بدعائه والايمان به فهذا من شرع الانبياء عليهم السلام ولهذا قال تعالى (واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون)وقال تعالى (ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبؤن الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون)وقال تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار لو اراد الله ان يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء، سبحانه هو الله الواحد القهار) وذلك ان المشركين من جميع الامم لم يكن احد منهم يقول ان للمخلوقات خالقين منفصلين متماثلين فى الصفات فان هذا لم يقله طايفة معروفة من بنى آدم ولكن الثنوية من المجوس ونحوهم يقولون ان العالم صادر عن اصلين النور والظلمة والنور عندهم هو الله الخير المحمود، والظلمة هى

الا له الشر و المذموم • وبعضهم يقول ان الظلمة هي الشيطان وهذا ليجعلوا ما فى العالم من الشر صادراً عن الظلمة • ومنهم من قال ان الظلمة قديمة ازلية مع انها مذمومة عندهم ليست مماثلة للنور • ومنهم من قال بل هي حادثة وان النور فكر فكرة رديئة فحدثت الظلمة عن تلك الفكرة الرديئة • فقال لهم أهل التوحيد انتم بزعمكم كرهتم ان تضيفوا الى الرب سبحانه وتعالى خلق ما فى العالم من الشر وجعلتموه خالقاً لاصل الشر وهؤلاء مع اثباتهم اثنين وتسمية الناس لهم بالثنوية فهم لايقولون ان الشر مماثل للخير • وكذلك الدهرية دهرية الفلاسفة وغيرهم • منهم من ينكر الصانع للعالم كالقول الذى اظهره فرعون لعنه الله • ومنهم من يقر بعلة يتحرك الفلك للتشبه بها كارسطو واتباعه • ومنهم من يقول بالموجب بالذات المستلزم للفلك كابن سينا والسهروردى المقتول بحلب وامثالهما من متفلسفة الملل • واما مشركوا العرب وامثالهم فكانوا مقرين بالصانع وبانه خلق السموات والارض فكانت عقيدة مشركي العرب خيرا من عقيدة هؤلاء الفلاسفة الدهرية اذ كانوا مقرين بان هذه السموات مخلوقة لله حادثة بعد ان لم تكن وهذا مذهب جماهير اهل الارض من أهل الملل الثلاثة المسلمين . واليهود والنصارى . ومن المجوس والمشركين وهؤلاء الدهرية من الفلاسفة وغيرهم يزعمون ان السموات ازلية قديمة لم تزل وكان مشركوا العرب يقرون بان الله قادر يفعل بمشيئته ويجيب دعاء الداعى اذا دعاه وهؤلاء المتفلسفة الدهرية عندهم ان الله لا يفعل شيئاً بمشيئته ولا يجيب دعاء الداعى بل ولا يعلم الجزئيات ولا يعرف هذا الداعى من هذا الداعى ولا يعرف ابراهيم من موسى من محمد وغيرهم

باعيانهم من رسله بل منهم من ينكر علمه مطلقاً كارسطو واتباعه • ومنهم من يقول انما يعلم الكليات كابن سينا وامثاله • ومعلوم ان كل موجود فى الخارج فهو جزئى معين فان لم يعلم الا الكليات لم يعلم شيئاً من الموجودات المعينة لا الافلاك ولا الاملاك ولا غير ذلك من الموجودات باعيانها • والدعاء عندهم هو تصرف النفس القوية فى هيولى العالم كما ذكر ذلك ابن سينا وامثاله وزعموا ان اللوح المحفوظ هو النفس الفلكية وان حوادث الارض كلها انما تحدث عن حركة الفلك كما قد بسط الرد عليهم فى غير هذا الموضع • والمقصود هنا ان المشركين لم يكونوا يثبتون مع الله الهاً آخر مساوياً له فى الصفات والافعال بل ولا كانوا يقولون ان الكواكب والشمس والقمر خلقت العالم ولا ان الاصنام تخلق شيئاً من العالم ومن ظن ان قوم ابراهيم الخليل كانوا يعتقدون ان النجم او الشمس او القمر رب العالمين او ان الخليل عليه السلام لما قال هذا ربى اراد به رب العالم فقد غلط غلطاً بيناً بل قوم ابراهيم كانوا مقرين بالصانع وكانوا يشركون بعبادته كامثالهم من المشركين قال الله تعالى عن الخليل (واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ماتعبدون قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين الذي خلقنى فهو يهدينى والذي هو يطعمنى ويسقينى واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيينى والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى

الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لأبي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما اضلنا إلا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) فاخبر تعالى عن الخليل انه عدو لكل ما يعبدونه الا لرب العالمين واخبر عنهم انهم يقولون يوم القيامة تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم يعني الهتهم برب العالمين فلم يكونوا جاحدين للصانع بل عدلوا به وجعلوا له انداداً في العبادة والمحبة والدعاء كما قال تعالى في الموضع الآخر (اذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني برئ مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين ولهذا قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً مسلماً وما انا من المشركين ولم يقل من المعطلين فان قومه كانوا يشركون ولم يكونوا معطلين كفرعون اللعين فلم يكونوا جاحدين للصانع بل عدلوا به وجعلوا له انداداً في العبادة والمحبة والدعاء وهذا كما قال تعالى (الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله) وقال تعالى (والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر) وقال تعالى (ولا تدع مع الله الهاً آخر فتكون من المعذبين) وقال تعالى (لا تجعل مع الله الهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولا

وقال تعالى فيما حكاه عن قوم نوح (وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودًا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا) قال ابن عباس وغيره من العلماء هؤلآء كانوا قوما صالحين فى قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوها وهكذا عند النصارى عن المسيح عليه السلام فى كتاب سر بطرس الذى يسمى بشمعون • وسمعان • والصفا • وبطرس • والاربعة لمسمى واحد عندهم عنه كتاب عن المسيح فيه اسرار العلوم وهذا فيه عندهم عن المسيح فالذى تفعله النصاري اصل عبادة الاوثان وهكذا قال عالمهم الكبير الذى يسمونه فم الذهب وهو من اكبر علمائهم لما ذكر تولد الذنوب الكبار عن الصغار قال وهكذا هجمت عبادة الاصنام فيما سلف لما اكرم الناس اشخاصاً يعظم بعضهم بعضاً فوق المقدار الذي ينبغى الاحياء منهم و الاموات وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) قال طائفة من العلماء كان اقوام يدعون الملائكة والانبياء كالعزير والمسيح وغيرهما فبين الله تبارك وتعالى ان هؤلآء عباده كما انتم عباده يرجون رحمته كما ترجون رحمته ويخافون عذابه كما تخافون عذابه ويتقربون اليه كما تتقربون اليه وقال تعالى (ما كان لبشر ان يأتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم

مسلمون) فبين الله تعالى ان من اتخذ الملائكة والنبيين اربابا فهو كافر
مع اعتقاده انهم مخلوقون فانه لم يقل احد قط ان جميع الملائكة والنبيين
مشاركون لله سبحانه وتعالى فى خلق العالم وقد قال تعالى (وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون) قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما تسألهم
من خلق السموات والارض فيقولون الله وهم يعبدون غيره وقد قال
تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) فى غير
موضع فاخبر تعالى عن المشركين انهم كانوا يقرون بان خالق العالم واحد مع
اتخاذهم آلهة يعبدونهم من دونه سبحانه يتخذونهم شفعاء اليه او يتقربون بهم
اليه (فصل) وكذلك تعظيمهم للصليب واستحلالهم لحم الخنزير وتعبدهم
بالرهبانية وامتناعهم من الختان وتركهم طهارة الحدث والخبث فلا
يوجبون غسل جنابة ولا وضوء ولا يوجبون اجتناب شئ من الخبائث
فى صلاتهم لا عذرة ولا بولا ولا غير ذلك من الخبائث الى غير ذلك
كلها شرائع احدثوها وابتدعوها بعد المسيح عليه السلام ودان بها
ائمتهم وجمهورهم ولعنوا من خالفهم فيها حتى صار المتمسك فيهم بدين
المسيح المحض مغلوبا مقموعا قبل ان يبعث الله محمدا صلى الله عليه
وسلم واكثر ما هم عليه من الشرائع والدين لا يوجد منصوصا عن
المسيح عليه السلام • واما المسلمون فكل ما اجمعوا عليه اجماعا ظاهرا
يعرفه العامة والخاصة فهو منقول عن نبيهم صلى الله عليه وسلم لم يحدث
ذلك احد بعده لا باجتهاده ولا بغير اجتهاده بل ماقطعنا باجماع امة محمد
صلى الله عليه وسلم فانه يوجد ماخوذا عن نبيهم • واما مايظن فيه اجماعهم
ولا يقطع به فمنه ما يكون ذلك الظن خطئا ويكون بينهم فيه نزاع ثم قد

يكون نص الرسول صلى الله عليه وسلم مع هذا القول وقد يكون مع
هذا القول ومنه ما يكون ظن الاجماع عليه صوابا ويكون فيه عن النبي
صلى الله عليه وسلم أثر خفيت دلالته او معرفته على بعض الناس وذلك
ان الله تبارك وتعالى اكمل الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين
وبينه وبلغه البلاغ المبين فلا تحتاج امته الى احد بعده يغير شيئاً من
دينه وانما تحتاج الى معرفة دينه الذي بعث به فقط . وامته لا تجتمع
على ضلالة بل لا يزال فى امته طائفة قايمة بالحق حتى تقوم
الساعة فان الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
فاظهره بالحجة والبيان واظهره باليد والسنان ولا يزال فى امته امة
ظاهرة بهذا وهذا حتى تقوم الساعة . والمقصود هنا ان ما اجمعت عليه
الامة اجماعاً ظاهراً تعرفه العامة والخاصة فهو منقول عن نبيهم صلى
الله عليه وسلم ونحن لا نشهد بالعصمة الا لمجموع الامة واما كثير من
طوائف الامة ففيهم بدع مخالفة للرسول وبعضها من جنس بدع اليهود
والنصارى وفيهم فجور ومعاصي لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بريء من ذلك كما قال تعالى له (فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون)
وقال تعالى (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شيء)
وقال صلى الله عليه وسلم من رغب عن سنتي فليس مني وذلك مثل
اجماعهم على ان محمداً صلى الله عليه وسلم ارسل الى جميع الامم اهل الكتاب
وغير اهل الكتاب فان هذا تلقوه عن نبيهم صلى الله عليه وسلم وهو
منقول عندهم نقلا متواتراً يعلمونه بالضرورة وكذلك اجماعهم على
استقبال الكعبة البيت الحرام فى صلاتهم فان هذا الاجماع منهم على ذلك

مستند الى النقل المتواتر عن نبيهم وهو مذكور فى كتابهم وكذلك الاجماع على وجوب الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان وحج البيت العتيق الذى بناه ابراهيم خليل الرحمن ودعى الناس الى حجه وحجته الانبياء حتى حجه موسى بن عمران ويونس بن متى وغيرهما واجماعهم على وجوب الاغتسال من الجنابة وتحريم الخبائث وايجاب الطهارة للصلاة فان هذا كله مما نقلوه عن نبيهم وهو منقول عنه صلى الله عليه وسلم نقلا متواتراً وهو مذكور فى القرآن . واما النصارى فليست الصلوات التى يصلونها منقولة عن المسيح عليه السلام ولا الصوم الذى يصومونه منقولا عن المسيح بل جعل اولهم الصوم اربعين يوماً ثم زادوا فيه عشرة أيام ونقلوه الى الربيع وليس هذا منقولا عندهم عن المسيح عليه السلام وكذلك حجهم لقمامة وبيت لحم وكنيسة صيدنايا ليس شيء من ذلك منقولا عن المسيح عليه السلام بل وكذلك عامة أعيادهم مثل عيد القلندس وعيد الميلاد وعيد الغطاس وهو القداس وعيد الخميس وعيد الصليب الذي جعلوه فى وقت ظهور الصليب لما أظهرته هيلانة الحرانية الفندقانية ام قسطنطين بعد المسيح عليه السلام بمايتين من السنين وعيد الخميس والجمعة والسبت التى فى آخر صومهم وغير ذلك من اعيادهم التى رتبوها على أحوال المسيح والاعياد التي ابتدعوها لكبرائهم فان ذلك كله من بدعهم التى ابتدعوها بلا كتاب نزل من الله تعالى بل هم يبنون الكنائس على اسم بعض من يعظمونه كما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انهم اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك التصاوير اولئك شرار الخلق عند الله يوم

القيامة وهذا بخلاف المساجد التي تبنى لله عز وجل كما قال تعالى (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال تعالى (في بيوت اذن الله ان ترفع) وقال تعالى (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) وقال تعالى (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين) والنصارى كاشباههم من المشركين يخشون غير الله ويدعون غير الله (فصل) والمقصود هنا ان الذي يدين به المسلمون من ان محمداً صلى الله عليه وسلم بعث رسولا الى الثقلين الانس والجن اهل الكتاب وغيرهم وان من لم يؤمن به فهو كافر مستحق لعذاب الله مستحق للجهاد وهو مما اجمع أهل الايمان بالله ورسوله عليه لان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي جاء بذلك وذكره الله في كتابه وبينه الرسول أيضاً في الحكمة المنزلة عليه من غير الكتاب فانه تعالى انزل عليه الكتاب والحكمة ولم يبتدع المسلمون شيئاً من ذلك من تلقاء انفسهم كما ابتدعت النصارى كثيراً من دينهم بل اكثر دينهم وبدلوا دين المسيح وغيروه ولهذا كان كفر النصارى لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم مثل كفر اليهود لما بعث المسيح عليه السلام فان اليهود كانوا قد بدلوا شرع التوراة قبل مجيء المسيح فكفروا بذلك. ولما بعث المسيح اليهم كذبوه فصاروا كفاراً بتبديل معاني الكتاب الاول واحكامه وبتكذيب الكتاب الثاني وكذلك النصارى كانوا قد بدلوا دين المسيح قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم فابتدعوا من التثليث والاتحاد وتغيير شرائع الانجيل اشياء لم يبعث بها المسيح عليه السلام بل تخالف ما بعث

به وافترقوا فى ذلك فرقا متعددة وكفر فيها بعضهم بعضاً فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كذبوه فصاروا كفاراً بتبديل معانى الكتاب الاول واحكامه وتكذيب الكتاب الثانى كما يقول علماء المسلمين ان دينهم مبدل منسوخ وان كان قليل من النصارى كانوا عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم متمسكين بدين المسيح كما كان الذين لم يبدلوا دين المسيح كله على الحق فهذا كما ان من كان متبعاً شرع التوراة عند مبعث المسيح كان متمسكا بالحق كسائر من اتبع موسى فلما بعث المسيح صار كل من لم يؤمن به كافراً وكذلك لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم صار كل من لم يؤمن به كافرا والمقصود فى هذا المقام بيان مابعث به محمد صلى الله عليه وسلم من عموم رسالته وانه هو نفسه الذي اخبر ان الله تعالى ارسله الى اهل الكتاب وغيرهم وانه نفسه صلى الله عليه وسلم دعى أهل الكتاب وجاهدهم وأمر بجهادهم فمن قال بعد هذا من أهل الكتاب اليهود والنصارى انه لم يبعث الينا يعنى انه لم يقل انه مبعوث الينا كان مكابراً جاحداً للضرورة مفترياً على الرسول فرية ظاهرة تعرفها الخاصة والعامة وكان جحده لها كما لو جحد انه جاء بالقرآن او شرع الصلوات الخمس وصوم رمضان وحج البيت الحرام وجحد محمد صلى الله عليه وسلم وماتواتر عنه اعظم من جحد اتباع الحواريين للمسيح عليه السلام وارساله لهم الى الامم ومجيئه بالانجيل وجحد مجيء موسى عليه السلام بالتوراة وجحد انه كان يسبت فان النقل عن محمد صلى الله عليه وسلم مدته قريبة والناقلون عنه اضعاف اضعاف اضعاف من نقل دين المسيح عنه واضعاف اضعاف اضعاف من اتصل به نقل دين موسى عليه السلام فان امة محمد صلى الله عليه

وسلم مازالوا كثيرين منتشرين في مشارق الارض ومغاربها وما زال فيهم من هو ظاهر بالدين منصور على الاعداء بخلاف بني اسرائيل فانهم زال ملكهم في اثناء المدة لما خرب بيت المقدس الخراب الاول بعد داوود عليه السلام ونقص عدد من نقل دينهم حتى قد قيل انه لم يبق من يحفظ التوراة الا واحد • والمسيح عليه السلام لم ينقل دينه عنه الا عدد قليل لكن النصارى يزعمون انهم رسل الله معصومون مثل ابراهيم وموسى وسيأتي الكلام على هذا ان شاء الله تعالى اذا وصلنا اليه اذ المقصود هنا بيان من زعم ان محمداً صلى الله عليه وسلم كان يقول انه لم يبعث الا الى مشركي العرب فانه في غاية الجهل والضلال او غاية المكابرة والمعاندة فان هذا اعظم جهلا وعناداً ممن ينكر انه كان يأمر بالطهارة والغسل من الجنابة ويحرم الخمر والخنزير واعظم جهلا وعناداً ممن ينكر ما تواتر من امر المسيح وموسى عليهما السلام وقد ظهر بهذا بطلان قولهم علمنا انه لم يأت الينا بل الى جاهلية العرب • (فصل) فاذا عرف هذا فاحتجاج هؤلاء بالآيات التي ظنوا دلالتها على نبوته خاصة بالعرب تدل على انهم ليسوا ممن يجوز لهم الاستدلال بكلام احد على مقصوده ومراده وانهم ممن قيل فيه فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثاً فليسوا اهلاً ان يحتجوا بالتوراة والانجيل والزبور على مراد الانبياء وسائر الكلام المنقول عن الانبياء على مراد الانبياء عليهم السلام بل ولا يحتجون بكلام الاطباء والفلاسفة والنحاة وعلم اهل الحساب والهيئة على مقاصدهم فان الناس كلهم متفقون على ان لغة العرب من افصح لغات الآدميين

واضحها ومتفقون على ان القرآن فى اعلادرجات البيان والبلاغة والفصاحة وفى القرآن من الدلالات الكثيرة على مقصود الرسول صلى الله عليه وسلم التي يذكر فيها ان الله تعالى ارسله الى اهل الكتاب وغيرهم مالا يحصى الا بكلفة ثم مع ذلك من النقول المتواترة عن سيرته صلي الله عليه وسلم في دعائه لاهل الكتاب وامره لهم بالايمان به وجهاده لهم اذ كفروا به ما لايخفى على من له ادنى خبرة بسيرته صلى الله عليه وسلم وهذا امر قد امتلاء العالم به وسمعه القاصي والداني فاذا كان الناس المؤمن به وغير المؤمن به يعلمون انه كان يقول انه رسول الله الى اهل الكتاب وغيرهم وان ظهور مقصوده بذلك مما يعلمه بالاضطرار الخاصة والعامة ثم شرعوا يظنون انه كان يقول اني لم ابعث إلا الى العرب واستمر على ذلك حتى مات دل على فساد نظارهم وعقلهم اوعلى عنادهم ومكابرتهم وكان الواجب اذا لم يكن لهم معرفة بمعاني هذه الآيات التي استدلوا بها على خصوص رسالته ان يعتقدوا احد امرين . اما ان لها معاني توافق ما كان يقوله . او انها من المنسوخ فقد علمت الخاصة والعامة ان محمداً صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد هجرته الى بيت المقدس نحو سنة ونصف ثم امر بالصلاة الى الكعبة البيت الحرام والنصارى يوافقون على ان شرائع الانبياء . فيها ناسخ ومنسوخ مع ان ماذكروه من الآيات ليس منسوخاً ولكن المقصود ان المعلوم من حال الرسول صلى الله عليه وسلم علما ضرورياً يقينياً متواتراً لايجوز دفعه فان العلم بانه كان يقول انه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جميع الخلق معلوم لكل من عرف اخباره صلى الله عليه وسلم سوآء صدقه

او كذبه والعلم بانه كان يقول انه رسول الله الى جميع الناس ممكن قبل ان يعلم انه نبي او ليس بنبي كما ان العلم بنبوته وصدقه ممكن قبل ان يعلم عموم رسالته فليس العلم باحدهما موقوفاً على الآخر ولهذا كان كثير ممن يكذبه يعلم انه كان يقول انه رسول الله الى جميع الخلق ٠ وطائفة ممن يقر بنبوته وصدقه لاتقر بانه رسول الى جميع الخلق ٠ والمقصود هنا الكلام مع هؤلاء ٠ بان العلم بعموم دعوته لجميع الخلق اهل الكتاب وغيرهم هو متواتر معلوم بالاضطرار كالعلم بنفس مبعثه ودعائه الخلق الى الايمان به وطاعته وكالعلم بهجرته من مكة الى المدينة ومجيئه بهذا القرآن والصلوات الخمس وصوم شهر رمضان وحج البيت العتيق وايجاب الصدق والعدل وتحريم الظلم والفواحش وغير ذلك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ٠ فان قيل بل في القرآن ما يقتضي ان رسالته خاصة وفيه ما يقتضي ان رسالته عامة وهذا تناقض ٠ قيل هذا يعلم بطلانه قبل العلم بنبوته فانه من المعلوم لكل احد آمن به او كذبه انه كان من اعظم الناس عقلا وسياسة وخبرة وكان مقصوده دعوة الخلق الى طاعته واتباعه وكان يقرأ القرآن على جميع الناس ويأمر بتبليغه الى جميع الامم وكل من طلب منه انه يؤمنه حتى يقرأ عليه القرآن من الكفار وجب عليه ان يجيبه ولو كان مشركا فكيف اذا كان كتابياً كما قال تعالى (وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعقلون) وكان قد اظهر انه مبعوث الى اهل الكتاب وسائر الخلق وانه رسول الله الى الثقلين الجن والانس فيمتنع مع هذا ان يظهر ما يدل على انه لم يبعث اليهم فان هذا لا يفعله من له

ادنى عقل لمناقضته لمراده فكيف يفعله مثل هذا الذى اتفقت عقلاء
الامم على انه اعقل الخلق وأحسنهم سياسة وشريعة • وايضا فكان اصحابه
والمقاتلون معه لعدوه ينفرون عنه وقد كان عادتهم ان يستشكلوا ماهو
دون هذا وهذا لم يستشكله احد ثم بعد هذا فلو قدر أن فى القرآن
ما يدل على انه لم يبعث الا الى العرب وفيه ما يدل على انه بعث الى
سائر الخلق كان هذا دليلا على انه ارسل الى غيرهم بعد ان لم يرسل الا
اليهم وان الله عمّ بدعوته بعد ان كانت خاصة فلامناقضة بين هذا وهذا
فكيف وليس فى القرآن آية واحدة تدل على اختصاص رسالته بالعرب
وانما فيه اثبات رسالته اليهم كما ان فيه اثبات رسالته الى قريش وليس
هذا مناقضا لهذا وفيه اثبات رسالته الى اهل الكتاب كقوله تعالى
(يا اهل الكتاب آمنوا بما انزلنا) كما فيه اثبات رسالته الى بنى اسرائيل
كقوله يابني اسرائيل) وليس هذا التخصيص لليهود منافياً لذلك
التعميم وفى رسالته خطاب لليهود تارة وللنصارى تارة وليس خطابه
لاحدى الطائفتين ودعوته لها مناقضا لخطابه للاخرى ودعوته لها وفى
كتابه خطاب للذين امنوا من امته فى دعوته لهم الى شرائع دينه
وليس فى ذلك مناقضة بان يخاطب اهل الكتاب ويدعوهم وفى كتابه
امر بقتال اهل الكتاب النصارى حتى يعطوا الجزية عن يد وهم
صاغرون قال تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا
يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا
الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ثم لم يكن هذا
مانعاً ان يامر بقتال غيرهم من اليهود والمجوس حتى يعطوا الجزية عن

يد وهم صاغرون بل هذا الحكم ثابت فى المجوس بسنته واتفاق امته وان قيل انهم ليسوا من اهل الكتاب فهذا كله مما يعلم بالاضطرار من دينه قبل العلم بنبوته فكيف ونحن نتكلم على تقدير نبوته والنبي لا يتناقض قوله واذا كان العلم بعموم دعوته ورسالته معلوماً بالاضطرار قبل العلم بنبوته وبعد العلم بنبوته فالعلم الضرورى اليقينى لا يعارضه شئ ولكن هذا شأن الذين فى قلوبهم زيغ من اهل البدع النصارى وغيرهم يتبعون المتشابه ويدعون المحكم وبسبب مناظرة النصارى للنبي صلى الله عليه وسلم بالمتشابه وعدولهم عن المحكم انزل الله تبارك وتعالى فيهم (هو الذى انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب) فالتأويل يراد به تفسير القرآن ومعرفة معانيه وهذا يعلمه الراسخون ويراد به ما استأثر الرب بعلمه من معرفة كنهه وكنه معرفة ما وعد به ووقت الساعة ونحو ذلك مما لا يعلمه الا الله. والضلال يذكرون ايات تشتبه عليهم معرفة معانيها فيتبعون تأويلها ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلها وليسوا من الراسخين فى العلم الذين يعلمون تأويلها مع ان هذه الايات التى ذكروها من اوضح الآيات وهذا الذى سلكوه في القرآن هو نظير ما سلكوه فى الكتب المتقدمة وكلام الانبياء من التوراة والانجيل والزبور وغيرها فان فيها من النصوص الكثيرة الصريحة بتوحيد الله وعبودية المسيح مالا يحصى الا بكلفة وفيها كلمات قليلة فيها اشتباه فتمسكوا بالقليل المتشابه الخفى

المشكل من الكتب المتقدمة وتركوا الكثير المحكم المبين الواضح فهم سلكوا فى القرآن ما سلكوه فى الكتب المتقدمة لكن تلك الكتب يقرون بنبوة اصحابها ومحمد صلى الله عليه وسلم هم فيه مضطربون متناقضون فأى قول قالوه فيه ظهر فساده وكذبهم فيه اذا لم يؤمنوا بجميع ما أنزل اليه . وان قالوا كلامه متناقض ونحن نحتج بما يوافق قولنا اذ مقصودنا بيان تناقضه . قيل لهم عن هذا اجوبة . احدها انه فى الكتب المتقدمة مما يظن انه متعارض اضعاف ما فى القرآن واقرب الى التناقض فاذا كانت تلك الكتب متفقة لا تناقض فيها وانما يظن تناقضها من يجهل معانيها ومراد الرسل فيكون كما قيل

وكم من عائب قولا صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

فكيف القرآن الذى هو افضل الكتب . الثانى انهم متمسكون بالمتشابه فى تلك الكتب ومخالفون المحكم منها كما فعلوه بالقرآن وابلغ . الثالث انه اذا كان ما جاء به متناقضاً لم يكن رسول الله فان ما جاء به من عند الله لا يكون مختلفا متناقضا وانما يتناقض ما جاء به من عند غير الله قال تعالى (افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فكل كتاب ليس من عند الله لا بد ان يكون فيه تناقض وما كان من عند الله لا يتناقض وحينئذ فان كان متناقضا لم يجز لهم الاحتجاج بشىء منه فانه ليس من عند الله وان لم يكن متناقضا ثبت ان ما فيه من عموم رسالته وانه رسول اليهم ليس فيه شىء يناقضه فان ما جاء من عند الله لا يتناقض . الرابع انا نبين ان ما فيه من عموم رسالته لا ينافى ما فيه من انه ارسل الى العرب كما ان ما فيه من انذار عشيرته الاقربين وامر قريش لا ينافى ما فيه من دعوة

سائر العرب فان تخصيص بعض العام بالذكر اذا كان له سبب يقتضي التخصيص لم يدل على ان ما سوى المذكور مخالفه وهذا الذي يسمى مفهوم المخالفة ودليل الخطاب والناس كلهم متفقون على ان التخصيص بالذكر متى كان له سبب يوجب الذكر غير الاختصاص بالحكم لم يكن لاسم اللقب مفهوم بل ولا للصفة كقوله تعالى (ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق) فانه نهاهم عن ذلك لانه هو الذي كانوا يفعلونه وقد حرم فى مواضع اخر قتل النفس بغير حق سوآء كان ولداً اوغيره ولم يكن ذلك مناقضاً لتخصيص الولد بالذكر • الخامس انه فى ذلك اسوة المسيح عليه السلام فان المسيح خص اولا بالدعوة ثم عم كما قال فى الانجيل مابعثت وارسلت الا لبنى اسرائيل • وقال ايضاً فى الانجيل مابعثت الا لهذا الشعب الخبيث ثم عم فقال لتلامذته حين ارسلهم كما فى الانجيل كما بعثنى ابى ابعث بكم فمن قبلكم فقد قبلنى • وقال قد ارسلنى ابى وانا ارسلكم • وقال كما افعل انا بكم كذلك افعلوا انتم بعباد الله فسيروا فى البلاد وعمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس ولا يكون لاحدكم ثوبان ولا يحمل معه فضة ولا ذهباً ولا عصا ولا حرابة ونحو ذلك مما هو فى الاناجيل التى بين ايديهم من تخصيص الدعوة ثم تعميمها وهو صادق فى ذلك كله فكيف يسوغ لهم انكار ما فى الانجيل عن المسيح نظيره • ثم يقال فى بيان الحال ان الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم كما بعث المسيح وغيره وان كانت رسالته اكمل واشمل كما يذكر فى موضعه فامره بتبليغ رسالته بحسب الامكان الى طائفة بعد طائفة وامر بتبليغ الاقرب منه مكاناً ونسباً ثم بتبليغ طائفة بعد طائفة حتى تبلغ النذارة الى جميع

اهل الارض كما قال تعالى (واوحى الىَّ هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ) اى من بلغه القرآن فكل من بلغه القرآن فقد انذره محمد صلى الله عليه وسلم وتبين هنا ان النذارة ليست مختصة بمن شافههم بالخطاب بل ينذرهم به وينذر من بلغهم القرآن فامره الله تبارك وتعالى اولا بانذار عشيرته الاقربين وهم قريش فقال تعالى (وانذر عشيرتك الاقربين) ولما انزل الله عليه هذه الآية انطلق صلى الله عليه وسلم الى مكان عال فعلا عليه ثم جعل ينادى يابنى عبد مناف اني نذير لكم بين يدى عذاب شديد انما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد اهله فخشى ان يسبقوه فجعل يهتف ياصباحاه ياصباحاه • وهذه القصة رواها ابن عباس وابو هريرة وعائشة وغيرهم رضى الله عنهم فى الصحيحين وغيرهما من كتب السنن والمسانيد والتفسير قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية وانذر عشيرتك الاقربين (ورهطك منهم المخلصين (١)) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فجعل ينادي يابنى فهر يابنى عدى لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فاجتمعوا اليه فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقى؟ قالوا نعم ماجربنا عليك الا صدقا ما جربنا عليك كذباً • قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد • وقال ابو هريرة لما نزلت هذه الآية وانذر عشيرتك الاقربين دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً فاجتمعوا فعم وخص فقال يابنى كعب بن لوءى انقذوا انفسكم من النار يابنى مرة بن كعب انقذوا انفسكم من النار يابنى عبد شمس انقذوا انفسكم من النار يابنى عبد مناف انقذوا انفسكم

(١) ليست فى التلاوة

من النار يابنى هاشم انقذوا انفسكم من النار يابنى عبد المطلب انقذوا انفسكم من النار يافاطمة بنت محمد انقذي نفسك من النار فانى لا املك لكم من الله شيئاً غير ان لكم رحماً سأبلها ببلالها . وقالت عائشة رضي الله عنها لما نزلت هذه الآية وانذر عشيرتك الاقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فقال يافاطمة بنت محمد ياصفية عمة رسول الله ياعباس عم رسول الله لا املك لكم من الله شيئاً . وقال ابن اسحق لما نزلت هذه الآية جعل النبى صلى الله عليه وسلم ينادى يابنى عبد المطلب يابنى عبد مناف يابنى زهرة حتى عدد الافخاذ من قريش ثم قال ان الله امرنى ان انذر عشيرتى الاقربين وانى لا املك لكم من الله شيئاً الا ان تقولوا لا اله الا الله . فقال ابو لهب الهذا جمعتنا تباً لك سائر اليوم فانزل الله (تبت يدا ابى لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد) ودعى قريشاً الى الله وامرهم بعبادة الله وحده لاشريك له وانزل الله تعالى (لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذاالبيت) وقد انزل الله عليه فى غير موضع امر جميع الخلق بعبادته كقوله تعالى (يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقوله (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وقريش هم قومه الذين كذبه جمهورهم اولا كما قال تعالى (وكذب به قومك وهو الحق) كما ان جمهور بني اسرائيل وهم قوم المسيح كذبوه اولا . ثم امره الله تعالى ان يدعو سائر العرب فكان يخرج بنفسه ومعه ابو بكر صديقه الى قبائل العرب قبيلة قبيلة وكانت العرب

لم تزل تحج البيت من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام فكان صلى الله
عليه وسلم يأتيهم في منازلهم بمنى وعكاظ ومجنة وذى المجاز فلا يجد احداً
الا دعاه الى الله ويقول يا ايها الناس انى رسول الله اليكم آمركم ان
تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وان تخلعوا مايعبد من دونه من هذه
الانداد وان تؤمنوا بى وتصدقوني وتمنعونى حتى ابين عن الله مابعثنى
به يا أيها الناس ان قريشاً منعونى ان أبلغ كلام ربى فمن يمنعنى ان ابلغ
كلام ربى الارجل يحمانى الى قومه فان قريشاً منعونى ان ابلغ كلام
ربى يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتذل
لكم بها العجم • فيقولون يا محمد اتريد ان تجعل الآلهة الهاً واحداً ان
امرك هذا لعجب • وما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلن دعوته
ويظهر رسالته ويدعو الخلق اليها وهم يؤذونه ويجادلونه ويكلمونه
ويردون عليه باقبح الرد وهو صابر على اذاهم ويقول اللهم لك الحمد
لو شئت لم يكونوا هكذا فلما اشتد عليه امر قريش خرج الى الطائف
وهى مدينة معروفة شرقي مكة بينهما نحو ليلتين ومعه زيد بن حارثة ومكث
بها عشرة أيام لايدع أحداً من اشرافهم الا جاءه فى منزله وكلمه ودعاه
الى التوحيد فلم يجبه احد منهم وخافوه على احداثهم فاغروا سفهاءهم
فجعلوا يرمونه بالحجارة اذا مشي حتى ان رجليه لتدميان وزيد مولاه
يقيه بنفسه حتى ألجأوه الى ظل كرمة فى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة
فرجع عنه ماكان من سفهائهم فدعى فقال اللهم اليك اشكو ضعف قوتى
وقلة حيلتى وهواني على الناس يا ارحم الراحمين انت رب المستضعفين
وانت ربى الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى أم الى عدو ملكته امرى

ان لم يكن بك غضب عليّ فلا ابالي ولكن عافيتك هي اوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة من ان ينزل بي غضبك او يحل عليّ سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك • فلما رأيا ابنا ربيعة ماصنع به رثياله وقالا لغلام لهما يقال له عداس وكان نصرانياً خذ قطفاً من عنب ثم اجعله في طبق ثم اذهب الى ذلك الرجل يأكله ففعل عداس واقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس الي وجهه ثم قال له والله ان هذا الكلام مايقوله اهل هذه البلدة • فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أي البلاد انت وما دينك • فقال عداس انا نصراني وانا رجل من أهل نينوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم امن قرية الرجل الصالح يونس بن متى • فقال له عداس ومايدريك مايونس بن متى والله لقد خرجت من نينوى وما فيها عشرة يعرفون متى من أين عرفت انت متى وانت أمي وفي امة أمية • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اخي كان نبياً وانا نبي فاكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه ورجليه فلما رجع عداس فقالا له ويلك ياعداس وما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه ورجليه فقال ياسيدي مافي الارض خير من هذا الرجل لقد خبرني بامر لايعلمه الانبي • ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف راجعاً الى مكة وهو محزون اذ لم يستجب له رجل واحد ولا امرأة • فقال له زيد بن حارثة كيف تدخل عليهم يارسول الله وقد فعلوا وفعلوا

فقال يازيد ان الله عز وجل جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً وان الله ناصر دينه ومظهر نبيه . ثم ذكر ابن اسحاق دخوله الى مكة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما لقي من اهل مكة والطائف مالقي ودعى بالدعاء المتقدم نزل عليه جبريل ومعه ملك الجبال كما في صحيح البخاري ان عائشة رضي الله عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم كان اشد من يوم احد ؟ فقال لقد لقيت من قومك وكان اشد مالقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما اردت فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا انا بسحابة وقد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني ان الله قد سمع قول قومك وماردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . قال فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال يامحمد ان الله قد سمع قول قومك لك وانا ملك الجبال وقد بعثني ربي اليك لتأمرني بامرك ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين . فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لاشريك له . واخرج مسلم في صحيحه عن ابي هريرة انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ادع الله على المشركين . فقال اني لم أبعث لعانا وانما بعثت رحمة . وفي الصحيحين عن خباب بن الارث انه قال لما اشتد البلاء علينا من المشركين اتينا النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا الا تدعو الله لنا الا تستنصر الله لنا . فقال لقد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض ثم يجاء بالمنشار فيجعل فوق رأسه حتى يجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه من

عظم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمنّ الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعا الى حضرموت لا يخشى الا الله ولكنكم تستعجلون وذكر ما لقى النبى صلى الله عليه وسلم من قومه من الاذى والاستهزاء والاغراء وهو صابر محتسب مظهر لامر الله بتبليغ رسالته لا تاخذه فى الله لومة لائم مواجه لقومه بما يكرهون من عيب دينهم وآلهتهم وتضليل آبائهم وتسفيه احلامهم واظهار عداوته وقتاله اياهم ما بلغ مبلغ القطع • قال عكرمة عن ابن عباس ولما رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة فلما حضر الموسم حج نفرٌ من الانصار فانتهى النبى صلى الله عليه وسلم الى فريق منهم فقرأ عليه القران ودعاهم الى الله واخبرهم بالذى اتاه الله فايقنوا واطمأنت قلوبهم الى دعوته وعرفوا ما كانوا يسمعون من اهل الكتاب من ذكرهم اياه بصفته وما يدعوهم اليه فصدقوه وآمنوا به وكان من اسباب الخير الذى ساق الله للانصار الى ما كانوا يسمعون من الاخبار فى صفته فلما رجعوا الى قومهم جعلوا يدعونهم سراً ويخبرونهم باقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثه الله به من النور والهدى والقرآن فاسلموا حتى قل دار من دورهم الا اسلم فيها ناس لامحالة وقد ذكر الله ذلك فى القرآن واخبر ان اهل الكتاب كانوا يخبرون به العرب ويستفتحون به عليهم فكان اهل الكتاب مقرين بنبوته مخبرين بها مبشرين بها قبل ان يبعث فقال تعالى فيما يخاطب به اهل الكتاب (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا

تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئس ما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغياً ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) فقد اخبر تعالى ان اهل الكتاب كانوا يستفتحون على العرب بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث اي يستنصرون به وكانوا هم والعرب يقتتلون فتغلبهم العرب فيقولون سوف يبعث النبي الامي من ولد اسمعيل فنتبعه ونقتلكم معه شر قتلة وكانوا ينعتونه بنعوته واخبارهم بذلك كثيرة متواترة وكما قال تعالى (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) واخبر بما كانت عليه اليهود من انه كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم كذبوا بعضهم وقتلوا بعضهم واخبر انهم باءوا بغضب على غضب فانهم ما زالوا يفعلون ما يغضب الله عليهم فاما ان يراد بالتثنية تأكيد غضب الله عليهم • واما ان يراد به مرتان فالغضب الاول بتكذيبهم المسيح والانجيل • والغضب الثاني لمحمد والقرآن

(فصل) وكان يأتيهم بالايات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم ومعجزاته تزيد على الف معجزة • مثل انشقاق القمر وغيره من الآيات ومثل القرآن المعجز • ومثل أخبار أهل الكتاب قبله وبشارة الانبياء به ومثل أخبار الكهان والهواتف به • ومثل قصة الفيل التي جعلها الله آية

عام مولده وما جرى عام مولده من العجائب الدالة على نبـوته • ومثل امتلاء السماء ورميها بالشهب التى ترجم بها الشياطين بخلاف ما كانت العادة عليه قبل مبعثه وبعد مبعثه • ومثل أخباره بالغيوب التى لا يعلمها أحد الا بتعليم الله عز وجل من غير ان يعلمه اياها بشر فاخبرهم بالمـاضي مثل قصة آدم ونوح وابراهيم وموسى والمسيح وهود وشعيب وصالح وغيرهم وبالمستقبلات وكان قومه يعلمون انه لم يتعلم من أهل الكتاب ولا غيرهم ولم يكن بمكة أحد من علماء أهل الكتاب ممن يتعلم هو منه بل ولا كان يجتمع بأحد منهم يعرف اللسان العربى ولا كان هو يحسن لسانا غير العربى ولا كان يكتب كتابا ولا يقرأ كتابا مكتوبا ولا سافر قبل نبوته الا سفرتين • سفرة وهو صغير مع عمه أبى طالب لم يفارقه ولا اجتمع بأحد من أهل الكتاب ولا غيرهم • وسفرة أخرى وهو كبير مع ركب من قريش لم يفارقهم ولا اجتمع بأحد من أهـل الكتاب وأخبر من كان معه بأخبار أهـل الكتاب بنبوته مثل أخبار بحيرا الراهب بنبوته وما ظهر لهم منه مما دلهم على نبوته ولهذا تزوجت به خديجة بنت خويلد قبل نبوته لما أخبرت به من أحواله وهذه الامور مبسوطة فى موضع آخر ولكن المقصود هنا التنبيه بان محمدا صلى الله عليه وسـلم له معجزات كثيرة مثل نبع الماء من بين أصابعه غير مرة ومثل تكثير الطعام القليل حتى أكل منه الخلق العظيم وتكثير المـاء القليل حتى شرب منه الخلق الكثير وهذا قد جرى غير مرة وله ولامته من الآيات ما يطول وصفه فكان بعض اتباعـه يحيي الله له الموتى من الناس والدواب وبعض اتباعه يمشي بالعسكر الكثير على البحر حتى يعبروا

الى الناحية الاخرى • ومنهم من القي فى النار فصارت عليه بردا وسلاما وأمثال ذلك كثير ولكن المقصود هنا ذكر بعض ما فى القرآن من انه كان يخبرهم بالامور الماضية خبرا مفصلا لايعلمه أحد الا ان يكون نبياً أو من أخبره نبي • وقومه يعلمون انه لم يخبره بذلك أحد من البشر وهذا مما قامت به الحجة عليهم وهم مع قوة عداوتهم له وحرصهم على ما يطعنون به عليه لم يمكنهم ان يطعنوا طعنا يقبل منهم وكان علم سائر الامم بان قومه المعادين له المجتهدين فى الطعن عليه وهم يمكنهم ان يقولوا ان هذه الغيوب علمه اياها بشر يوجب على علم جميع الخلق ان هذا لم يعلمه اياها بشر ولهذا قال تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) فاخبر انه لم يكن يعلم ذلك هو ولا قومه • وقومه تقر بذلك ولم يتعلم من أحد غير قومه ولهذا لما زعم بعضهم انه تعلم من بشر ظهر كذبه لكل أحد كما قال تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لايعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) وكان بمكة رجل أعجمى مملوك لبعض قريش فادعى بعض الناس ان محمدا كان يتعلم من ذلك الرجل الاعجمى فبين الله ان هذا كذب ظاهر فان ذلك رجل أعجمى لايمكنه ان يتكلم بكلمة من هذا القرآن العربى ومحمد صلى الله

عليه وسلم عربي لا يعرف شيئاً من السنة العجم • فمن كلمه بغير العربية لا يفقه كلامه فلا ذلك الرجل يحسن التكلم بالعربية ولا محمد صلى الله عليه وسلم يفهم كلاما بغير العربية فلهذا قال تعالى (لسان الذي يلحدون اليه) أي يميلون اليه ويضيفون اليه انه علم محمداً صلى الله عليه وسلم (أعجمي وهذا لسان عربي مبين) وكذلك قال بعض الناس عن القرآن ان هذا الا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون قال تعالى (فقد جاؤا ظلما وزوراً وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما) فبين سبحانه ان قول هذا من الكذب الظاهر المعلوم لاعدائه فضلا عن أوليائه فانهم يعلمون انه ليس عنده أحد يعينه على ذلك وليس في قومه ولا في بلده من يحسن ذلك ليعينه عليه فلهذا قال تعالى (فقد جاؤا ظلما وزورا) فان جميع أهل بلده وقومه المعادين له يعلمون ان هذا ظلم له وزور ولهذا لم يقل هذا احد من عقلائهم المعروفين وكذلك قولهم أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا فان قومه المعادين له يعلمون انه ليس عنده من يملي عليه كتابا وقد بين ما يظهر كذبهم بقوله (قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض) فان في القرآن من الاسرار ما لا يعلمه بشر الا باعلام الله اياه فان الله يعلم السر في السموات والارض • ثم لما تبين بطلان قولهم هذا ذكر ما قدحوا به في نبوته فقال (وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها) فهذا كلام المعارضين له الذين انكروا اكله ومشيه في الاسواق التي يباع فيها ما يؤكل وما

يلبس وقالوا هلا انزل اليه ملك فيكون معه نذيراً او يستغنى عن ذلك بكنز ينفق منه اوجنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحوراً قال تعالى (انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) يقول مثلوك بالكاذب وبالمسحور والناقل عن غيره وكل من قال هذه الاقوال يظهر كذبه لكل من عرفك ولهذا قال تعالى (فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) والضآل الجاهل العادل عن الطريق فلا يستطيع الطريق الموصلة الى المقصود بل ظهر عجزهم وانقطاعهم فى المناظرة وقال تعالى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أو لم تأتهم بينة ما فى الصحف الاولى فانه أتاهم بجلية ما فى الصحف الاولى كالتوراة والانجيل مع علمهم بانه لم يأخذ عن اهل الكتاب شيئاً • فاذا اخبرهم بالغيوب التى لايعلمها الا نبى او من اخبره نبى وهم يعلمون انه لم يعلم ذلك بخبر احد من الانبياء تبين لهم انه نبى وتبين ذلك لسائر الامم فانه اذا كان قومه المعادون له وغير المعادين له مقرين بانه لم يجتمع باحد يعلمه ذلك صار هذا منقولا بالتواتر وكان مما اقر به مخالفوه مع حرصهم على الطعن لو امكن • فهذه الاخبار بالغيوب المتقدمة قامت بها الحجة على قومه وعلى جميع من بلغه خبر ذلك وقد اخبر بالغيوب المستقبلة وهذه تقوم بها الحجة على من عرف تصديق ذلك الخبر كما قال تعالى (غلبت الروم فى ادنى الارض ثم قال وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء) وقال تعالى (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدآءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا

ولن تفعلوا فاتقوا النار) فاخبر انهم لن يفعلوا ذلك فى المستقبل وكان كما
اخبر وقال تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل
هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) فاخبر انه لايقدر
الانس والجن الى يوم القيامة ان يأتوا بمثل هذا القرآن • وهذا الخبر
قد مضى له اكثر من سبع مائة سنة ولم يقدر احد من الانس والجن
ان يأتوا بمثل هذا القرآن وقال عن الكفار وهو بمكة سيهزم الجمع ويولون
الدبر وظهر تصديق ذلك يوم بدر وغيره بعد ذلك بسنين كثيرة وقال
تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض
كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم
من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بي شيئاً) وكان الامر كما وعده
وظهر تصديق ذلك بعد سنين كثيرة وكذلك قوله تعالى (هو الذى ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً)
فاظهر الله مابعثه به بالآيات والبرهان واليد والسنان وقال تعالى (قل
للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد) فكان كما
اخبرهم غلبوا فى الدنيا كما شاهده الناس وهذا يصدق الخبر الآخر
وهو انهم يحشرون الى جهنم وبئس المهاد وقد ايده تأييدا لايؤيده
الا الانبياء ، بل لم يؤيد احد من الانبياء كما ايده كما انه بعث بافضل
الكتب الي افضل الامم بافضل الشرائع وجعله سيد ولد ادم صلى الله
عليه وسلم فلا يعرف قط احد ادعى النبوة وهو كاذب الا قطع الله
دابره واذله واظهر كذبه وفجوره وكل من ايده الله من المدعين للنبوة
لم يكن الا صادقاً كما ايد نوحا وابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان

بل وأيد شعيباً وهودا وصالحا فان سنة اللّه ان ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وهذا هو الواقع • فمن كان لا يعلم ما يفعله الله الا بالعادة فهذه عادة الله وسنته تعرف بها ما يصنع ومن كان يعلم ذلك بمقتضى حكمته فانه يعلم انه لا يؤيد من ادعى النبوة وكذب عليه تأييداً لا يمكن احداً معارضته • وهكذا اخبرت الانبياء قبله ان الكذاب لا يتم الله امره ولا ينصره ويؤيده فصار هذا معلوماً من هذه الجهات ولهذا امر سبحانه ان نعتبر بما فعله في الامم الماضية من جعل العاقبة للانبياء واتباعهم وانتقامه ممن كذبهم وعصاهم قال تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) وقال تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وقال تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب) وقال تعالى (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير فكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) وقال تعالى (اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا

الارض وعمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوآى ان كذبوا
بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن وقال تعالى (ما يجادل فى ايات الله الا الذين
كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب
من بعدهم وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا
به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب) وقال تعالى (اولم يسيروا فى الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة
وآثارا فى الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق
ذلك بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوىّ
شديد العقاب) وقال تعالى (افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا فى الارض فما
اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم
من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما راوا بأسنا قالوا امنا بالله
وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا بأسنا سنة
الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون) وقال تعالى (كذبت
قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة
اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب) وقال تعالى
ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن) فأخبر ان المكذبين
له سيأتيهم فى المستقبل اخبار القرآن الذى استهزؤا به وبين ان ما اخبرهم
به حق بوقوع المخبر مطابقاً للخبر وكان الامر كذلك ومثله قوله (سنريهم

آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) اخبر انه سيريهم فى انفسهم وفى الآفاق مايبين ان القرآن حق بان يروا ما اخبر به كما اخبر به ثم قال او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد فانه قد يشهد للقرآن بانه حق بالآيات البينات والبراهين الدالة على صدقه التى تتبين بشهادة الرب بانه حق فلا يحتاج مع الشهادة الحاضرة الى انتظار الآيات المستقبلة وقال تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ولقد جاءهم من الانباء مافيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر) أخبر باقتراب الساعة وانشقاق القمر وانشقاق القمر قد عاينوه وشاهدوه وتواترت به الاخبار وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه السورة فى المجامع الكبار مثل الجمع والاعياد ليسمع الناس مافيها من آيات النبوة ودلائلها والاعتبار وكل الناس يقر ذلك ولا ينكره فعلم ان انشقاق القمر كان معلوما عند الناس عامة ثم ذكر حال الانبياء ومكذبيهم فقال (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه انى مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر وحملناه على ذات الواح ودسر تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد تركناها آية فهل من مدكر) فاخبر انه أبقى السفن آية على قدرة الرب وعلى ماجرى لنوح مع قومه ثم قال فكيف كان عذابى لمن كذب ونذرى وكذلك ذكر قصة عاد وثمود ولوط وغيرهم يقول فى عقب كل قصة فكيف كان عذابى ونذر ونذره انذاره وهو مابلغته عنه الرسل من الانذار وكيف كانت عقوبته

للمنذرين • والانذار هو الاعلام بالخوف فتبين بذلك صدق ما أخبرت به الرسل من الانذار وشدة عذابه لمن كذب رسله وذكر قصة فرعون (فقال ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر اكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر) وذكر فى قصة محمد صلى الله عليه وسلم مع الناس أنواعا من ذلك فقال (لقد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لأولى الابصار) وقال تعالى (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ماظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا ياأولى الابصار ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) ومثل هذا كثير فى القرآن من ذكر دلائل النبوة واعلام الرسالة ليس هذا موضع بسطه وانما المقصود هنا التنبيه على جنس ذلك • ومايذكره بعض اهل الكتاب او غيرهم من انه نصر فرعون ونمرود وسنجارب وجنكسخان وغيرهم من الملوك الكافرين • جوابه ظاهر فان هؤلاء لم يدع احد منهم النبوة وان الله امره ان يدعو الى عبادته وطاعته ومن اطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار • بخلاف من ادعى ان الله ارسله بذلك فانه لايكون الا رسولا صادقاً ينصره الله ويؤيده

وينصر اتباعه ويجعل العاقبة لهم • او يكون كذاباً فينتقم الله منه ويقطع دابره ويتبين ان ماجاء به ليست من الآيات والبراهين التى لاتقبل المعارضة بل هي من جنس مخارق السحرة والكهان والكذابين التى تقبل المعارضة فان معجزات الانبياء من خواصها انه لايقدر احد ان يعارضها ويأتي بمثلها بخلاف غيرها فان معارضتها ممكنة فتبطل دلالتها والمسيح الدجال يدعي الالهية ويأتي بخوارق ولكن نفس دعواه الالهية دعوى ممتنعة فى نفسها ويرسل الله عليه المسيح بن مريم فيقتله ويظهر كذبه ومعه مايدل على كذبه من وجوه • منها انه مكتوب بين عينيه كافر • ومنها انه اعور والله ليس باعور • ومنها ان احداً لن يرى ربه حتى يموت • ويريد ان يقتل الذى قتله اولا فيعجز عن قتله • فمعه من الدلائل الدالة على كذبه مايبين ان مامعه ليس اية على صدقه بخلاف معجزات الانبياء فانه لايمكن احد من الانس والجن ان يأتي بنظيرها ولايبطلها مثل قلب العصا حية لموسى • واخراج ناقة لصالح من الارض • واحياء الموتى للمسيح • وانشقاق القمر وانزال القرآن وغير ذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم فان المشركين لما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم آية واقترحوا عليه انشقاق القمر فأراهم ذلك • وقد اخبر الله تعالى بذلك فى القرآن فقال تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا اهوائهم وكل امر مستقر ولقد جاءهم من الانباء مافيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر خاشعاً ابصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين الى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسر) ثم

ذكر تعالى ماجرى قبله للمكذبين مع رسلهم فذكر قصة قوم نوح وهود وصالح ولوط ثم فرعون وهذه السو كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فى أعظم اجتماعات الناس عنده وهى الاعياد والناس كلهم يسمعون مايذكره من انشقاق القمر ٠ وقول المكذبين انه سحر والناس كلهم المؤمن به والمنافق والكافر يقرون على هذا لم يقل أحد منهم ان القمر لم ينشق ولا أنكره أحد وفى صحيح مسلم ان عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي مايقرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاضحى والفطر فقال كان يقرأ فيهما بقاف والقرآن المجيد ٠ واقتربت الساعة وانشق القمر ومعلوم بالضرورة في مطرد العادة انه لولم يكن انشق لاسرع الناس المؤمنون به الى تكذيب ذلك فضلا عن أعدائه من الكفار والمنافقين لاسيما وهو يقرأ عليهم ذلك فى أعظم مجامعهم ٠ وأيضاً فمعلوم ان محمداً صلى الله عليه وسلم كان من أحرص الخلق على تصديق الناس له واتباعهم اياه مع انه كان أخبر الناس بسياسة الخلق فلو لم يكن القمر انشق لما كان يخبر بهذا ويقرأ على جميع الخلق ويستدل به ويجعله آية له فان من يكون من أقل الناس خبرة بالسياسة لايتعمد الى مايعلم جميع الناس انه كاذب به فيجعله من أعظم آياته الدالة على صدقه ويقرأه على الناس فى أعظم المجامع وهى اقتربت الساعة وانشق القمر بصيغة الفعل الماضى ولم يقل قامت الساعة ولا تقوم بل اقتربت اى دنت اقتربت وانشق القمر الذي هو دليل على نبوة محمد وعلى امكان انخراق الفلك الذى هو قيام القيامة وهو سبحانه قرن بين خبره باقتراب الساعة وخبره بانشقاق القمر فان مبعث محمد صلى الله عليه وسلم هو من اشراط الساعة وهو دليل على

قربها كما قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح بعثت انا والساعة كهاتين وجمع بين أصبعيه السبابة والوسطى وقد قال تعالى (فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها) وعلم الساعة أخفاها الله عن جميع خلقه كما يذكر ذلك عن المسيح فى الانجيل انه لما سئل عنها فقال انها لايعلمها أحد من الناس ولا الملائكة ولا الابن وانما يعلمها الاب وحده وهذا مما يدل على انه ليس هو رب العالم وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك لما سئل عنها قال تعالى (يسئلونك عن الساعة آيان مرساها قل انما علمها عند ربي لايجليها لوقتها الاهو ثقلت فى السموات والارض) أى خفيت على أهل السموات والارض (لاتأتيكم الا بغتة يسئلونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لايعلمون) وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تسألوني عن الساعة وانما علمها عند الله فانشقاق القمر كان آية على شيئين على صدق الرسول • وعلى مجيء الساعة وامكان انشقاق الفلك فان المنكرين لقيام القيامة الكبرى قيام الناس من قبورهم لرب العالمين وانشقاق السموات وانفطارها سواء اقروا بالقيامة الصغرى وان الارواح بعد الموت تتنعم او تعذب كما هو قول الفلاسفة الالاهيين او انكروا المعاد مطلقاً كما انكر ذلك من انكره من مشركي العرب والفلاسفة الطبيعيين • وغيرهم ينكرون انشقاق السموات وزعم هؤلاء الدهرية ان الافلاك لايجوز عليها الانشقاق كما ذكر ذلك ارسطو واتباعه وزعموا ان الانشقاق يقتضى حركة مستقيمة وهي ممتنعة بزعمهم فى الفلك المحدد اذ لاخلاء وراءه عندهم وهذا لو دل فانما يدل على ذلك في الفلك الاطلس لافيما دونه فكيف وهو

باطل فان الحركة المستقيمة هناك بمنزلة جعل الافلاك ابتداء فى هـذه الاحياز التى هي فيها . سوآء سمي خلاء او لم يسم كما هو مذكور فى غير هذا الموضع . والمقصود هنا انه تعالى اخبر بانشقاق القمر مع اقتراب الساعة لانه دليل على امكان انشقاق الافلاك وانفطارها الذي هو قيام الساعة الكبرى وهو آية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو من اشراط الساعة والله تعالى فى كتابه يجمع بين ذكر القيامـة الكبرى والصغرى كما في سورة الواقعة ذكر فى اولها القيامة الكبرى وفى اخرها القيامة الصغرى وذلك كثير فى سور القرآن مثل سورة ق وسورة القيامة وسورة التكاثر وسورة الفجر وغير ذلك وقد استفاضت الاحاديث بانشقاق القمر ففى الصحيحين عن ابن مسعود انه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي لفظ ونحن معه بمنى فقال كفار قريش سحركم ابن أبي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان ساحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فاسئلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فاتوا فسألوهم فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك وعن أنس بن مالك انه قال سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما فنزلت (اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) وهذا حديث صحيح مستفيض رواه ابن مسعود وأنس بن مالك وابن عباس وهو أيضاً معروف عن حذيفة قال أبو الفرج ابن الجوزى والروايات فى الصحيح بانشقاق القمر عن عمر وابن مسعود

وابن عباس وأنس رضى الله عنهم ولما زعموا ان هذا القرآن هو افه قال الله تعالى (أم يقولون تقوله بل لايؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) ثم تحداهم بعشر سور فقال تعالى (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله وان لااله الاهو فهل أنتم مسلمون) ثم تحداهم بسورة واحدة فقال وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) وقال تعالى أيضاً (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله) فعجز جميع الخلق ان يعارضوا ماجاء به ثم اسجل على جميع الخلق بالعجز الى يوم القيامة بقوله (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) فاخبر من ذلك الزمان ان الانس والجن اذا اجتمعوا لايقدرون على معارضة القرآن بمثله فمعجز لفظه ومعناه ومعارفه وعلومه أكمل معجزة وأعظم شأناً والامر كذلك فانه لم يقدر أحد من العرب وغيرهم مع قوة عداوتهم له وحرصهم على ابطال أمره بكل طريق وقدرتهم على أنواع الكلام ان يأتوا بمثله وانزل الله اذ ذاك آيات بين فيها انه رسول الله اليهم ولم يذكر فيها انه لم يرسل الى غيرهم فقال تعالى فى سورة القصص (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ماأهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا

قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ماآتيهم من نذيرمن قبلك لعلهم يتذكرون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) وقال فى سورة السجدة (أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ماآتيهم من نذيرمن قبلك لعلهم يهتدون) وقال فى سورة يس (يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوماً ماأنذر آباؤهم فهم غافلون) ذكر تعالى فى هذه الآيات الثلاثة نعمته على هؤلاء وحجته عليهم بارساله وذكر بعض حكمته فى ارساله وذلك لايقتضى انه لم يرسل الا لهذا بل مثل هذا كثير معروف فى لسان العرب وغيرهم قال تعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون) ومعلوم ان فى هذه الدواب منافع غير الركوب وقال تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يومهم بارزون) فقد أخبر انه ينزل الملائكة بالوحى على الانبياء لينذروا يوم القيامة وذلك لايمنع ان يكونوا نزلوا بالبشارة للمؤمنين والامر والنهي بالشرائع وقال تعالى (الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما) فاخبر تعالى انه خلق العالم العلوى والسفلي ليعلم العباد قدرته وعلمه ومع هذا فى خلق ذلك له من الحكمة امور اخرى غير علم العباد ومثل ذلك قوله تعالى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر

الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم مافى السموات وما فى الارض وان الله بكل شيء عليم) ومعلوم ان فى جعل الكعبة قياماً للناس والهدى والقلائد حكما ومنافع اخرى وقال تعالى (ولله ما فى السموات وما فى الارض ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى) ومعلوم ان فى ملك الله حكما اخرى غير جزاء المحسن والمسيء وكذلك قوله (وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزي كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون) وقال تعالى (انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ومعلوم ان فى ارسال الرسل سعادة من آمن بهم وغيرها حكم اخرى غير دفع حجة الخلق على الله وكذلك قوله تعالى (كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم) ومعلوم ان فى تسخيرها حكما ومنافع غير التكبير وقوله (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم وقال تعالى وسخر لكم الفلك لتجري فى البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وأتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الانسان لظلوم كفار) ومعلوم ان لله حكما فى خلق الشمس والقمر والليل والنهار غير انتفاع بنى أدم وكذلك قوله (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) وقوله (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكوراً) وفيهما حكم اخرى وقال تعالى (وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) وفى انزال الكتاب من هدى من اهتدى به واتعاظه وغير ذلك مقاصد غير الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال

تعالى (واقسموا بالله جهد ايمانهم لايبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقاً ولكن اكثر الناس لايعلمون ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) ومعلوم ان فى بعث الخلق يوم القيامة مقاصدغير بيان المختلف فى علم هؤلاء ، ومما يبين ذلك انه قال فى الآية التى احتجوا بها لتنذر قوما ما انذر اباؤهم ومعلوم انه لم يبعث لمجرد الانذار بل وليبشر من آمن به ولامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتحليل الطيبات وتحريم الخبائث وغير ذلك من مقاصد الرسل كما قال تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين وقوله وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) لاينافى كونه لم يصفهم فى موضع آخر الا بالانذار وقد قال الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم إن يقولون الا كذباً) وكان المسلمون مرةصلوا صلاة العيدبحضرة حصار النصارى فقام خطيبهم فخطب بهذه الآية ولما قرأ قوله ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات اشار الى جند الايمان ولما قرأ قوله (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً) اشار الى جند الصلبان وقال تعالى (وانزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) وفي انزال الكتاب والميزان حكم اخرى من البشارة والانذار وغير ذلك وكذلك قوله عن اهل الكهف (ثم بعثناهم لنعلم اى الحزبين احصى لما لبثوا امداً) وفى بعثهم حكم اخرى بدليل قوله وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لاريب فيها

وقال تعالى (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم) ومعلوم ان فى ذلك مقاصد اخرى من هداية الخلق وقيام الحجة على من بلغهم وغير ذلك وقوله (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليذكر اولوا الالباب) وفيه حكم اخرى من قيام الحجة على الخلق وضلال من ضل به ومثله قوله (هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هواله واحدوليذكر اولوا الالباب) ومعلوم ان في ذلك مقاصد اخرى من البشارة والامر والنهى وغير ذلك وكذلك قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله) ومعلوم ان فى جزاء المؤمنين مقاصد اخرى غير علم اهل الكتاب وما معه وقال تعالى (وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولينذر ام القرى ومن حولها) ومعلوم ان فيه حكما اخرى مثل تبشير من آمن به والامر والنهى وانذار هؤلاء من العرب وقال تعالى (ان هو الاذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين) ومعلوم ان فيه حكمة أخرى غير الانذار وقال تعالى (ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربياً لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين) ومعلوم ان فيه حكمة أخرى من انذار الخلق كلهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتبشير المؤمنين فقال تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظاً ليسأل الصادقين عن صدقهم) ومعلوم ان فى

أخذ الميثاق حكما أخرى وقال تعالى (انا فتحنالك فتحاً مبينا ليغفرلك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما)وقوله (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجدالحرام الى المسجد الاقصى الى قوله لنريه من آياتنا) وقوله (وجعلنا الليل والنهار آيتين الى قوله لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكذلك قوله(هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) وفى ذلك كله حكم أخرى وكذلك قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) وان كانت هذه اللام لام العاقبة فليست العاقبة منحصرة فى ذلك بل فى ذلك من الاحسان الى موسى وتربيته وغير ذلك حكم أخرى ومثل قوله(وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم)الآية وقال تعالى (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) وفى ارساله حكم أخرى وكذلك قوله (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) وفى انزاله تبشير وانذار وأمر ونهى ووعد ووعيد وكذلك قوله فى عيسى بن مريم (هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا) وكذلك قوله(الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله) وفيه حكم أخرى كما قال تعالى فى الآية الاخرى (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) وقال تعالى (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذاملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى

الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) وقال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً الى قوله ولتصغى اليه أفئدة الذين لايؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون) وكذلك قوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهدآء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وفى كونهم وسطا حكم أخري وكذلك قوله (الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) وفيهما حكم أخرى وكذلك قوله (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) وفى ذلك حكم أخرى من البشارة والامر والنهى وقال تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهدآء الى قوله وليمحص الله الذين آمنوا) وفي ذلك حكم أخري ومثل ذلك كثير فى كلام الله عز وجل وغير كلام الله اذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم ان لاتكون له حكمة أخرى لكن لابد لتخصيص تلك الحكمة بالذكر فى ذلك الموضع من مناسبة وهذا كالمناسبة في قوله (لتنذر قوما ماأنذر آباؤهم) فانهؤلاء كانوا أول المنذرين وأحقهم بالانذار فكان فى تخصيصهم بالذكر فائدة لا انه خصهم لانتفاء انذار من سواهم وقال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين) ومعلوم أنه نزل به ليكون بشيرا وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحل الطيبات ويحرم الخبائث ويضع الآصار والاغلال صلى الله عليه وسلم (فصل) وأما احتجاجهم بقوله تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا) وقوله تعالى (لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من

أنفسهم يتلو عليهم آياته) فهذا كقوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) وهذا فى عمومه نزاع فانه اما ان يكون خطابا لجميع الناس ويكون المراد انا بعثنا اليكم رسولا من البشر اذ كنتم لاتطيقون ان تأخذوا عن ملك من الملائكة فمن الله عليكم بان أرسل اليكم رسولا بشريا قال تعالى (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لاينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون) وإما ان يكون الخطاب للعرب وعلى التقديرين فان ماتضمن ذكر انعامه على المخاطبين بارساله رسولا من جنسهم وليس فى هذا مايمنع ان يكون مرسلا الى غيرهم فانه ان كان خطابا للانس كلهم فهو أيضاً مرسل الى الجن وليس من جنسهم فكيف يمتنع اذا كان الخطاب خطابا للعرب بما امتن به عليهم ان يكون قد امتن على غيرهم بذلك فالعجم أقرب الى العرب من الجن الى الانس وقد أخبر فى الكتاب العزيز ان الجن لما سمعوا القرآن آمنوا به قال تعالى (واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ومن لايجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض) وقال (بسم الله الرحمن الرحيم قل أوحى الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وانه كان

يقول سفيهنا على الله شططا وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله أحدا وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وانا لا ندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وانا ظننا ان لن نعجز الله فى الارض ولن نعجزه هربا وانا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قل انما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا قل انى لا أملك لكم ضراً ولا رشدا قل انى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عددا قل ان أدرى أقريب ما توعدون أم يجعل له ربى أمدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم واحصى كل شيء عددا) ونظير هذا قوله (وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) وقومه قريش ولا يمنع ان يكون ذكرا لسائر العرب

بل لسائر الناس كما قال تعالى (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين) وقال تعالى (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) وقال تعالى (قل ما أسألكم عليه من أجر وما انا من المتكلفين ان هو إلاَّ ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين) وقال تعالى (انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وماصاحبكم بمجنون ولقد رآه بالافق المبين وما هو على الغيب بضنين وماهو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون ان هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين) وقال تعالى (وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا) وهذا على أصح القولين وان المراد بقوله وانه لذكر لك ولقومك انه ذكر لهم يذكرونه فيهتدون به • وقيل ان المراد انه شرف لهم وليس بشيء فان القرآن هو شرف لمن أمن به من قومه وغيرهم وليس شرفا لجميع قومه بل من كذب به منهم كان أحق بالذم كما قال تعالى (تبت يدا أبي لهب وتب) وقال تعالى (وكذب به قومك وهو الحق) بخلاف كونه تذكرة وذكرى فانه تذكرة لهم ولغيرهم كما قال تعالى (قل ماأسألكم عليه أجرا ان هو الا ذكر للعالمين) فعم العالمين جميعهم فقال وما أسألهم عليه من أجر ان هو الا ذكر للعالمين

(فصل) هذا الكلام على الوجه الاول وهو قول من يقول انه لم يقل انه أرسل إلاَّ الى العرب • وأما الوجه الثاني وهو ان نقول هو ذكر انه رسول الى الناس كافة كما نطق به القرآن في غير موضع كقوله تعالى (وما ارسلناك الا كافة للناس) وقوله (قل ياأيها الناس اني رسول الله اليكم

جميعاً الذي له ملك السموات والارض) وقد صرح فيه بدعوة اهل الكتاب وبدعوة الجن فى غير موضع فاذا سلموا انه ذكر ذلك ولكن كذبوه فى ذلك فاما ان يقروا برسالته الى العرب او لا يقروا . فان اقروا بانه رسول ارسله الله لم يمكن مع ذلك تكذيبه كما تقدم بل يجب الاقرار برسالته الى جميع الخلق كما اخبر بذلك كما تقدم ان من ذكر انه رسول الله لا يكون الا من افضل الخلق واصدقهم او من شر الخلق واكذبهم فانه ان كان صادقاً فهو من افضلهم . وان كان كاذبا فهو من شرهم واذا كان الله قد ارسله ولو الى قرية كما ارسل يونس بن متى الى اهل نينوى كان من افضل الخلق وكان صادقاً لا يكذب على الله ولا يقول عليه الا الحق ولو كذب على الله ولو فى كلمة واحدة لكان من الكاذبين لم يكن من رسل الله الصادقين فان الكاذب لا يكذب فى كل شيء بل في البعض فمن كذب على الله فى كلمة واحدة فقد افترى على الله الكذب وكان من القسم الكاذبين فى دعوى الرسالة لا من الصادقين . وايضاً فان مقصود الرسالة تبليغ رسالات الله على وجهها فاذا خلط الكذب بالصدق لم يحصل مقصود الرسالة وأيضاً فاذا علم انه كذب فى بعضها لم يتميز ما صدق فيه مما كذب فيه الا بدليل آخر غير رسالته فلا يحصل المقصود برسالته ولهذا اجمع اهل الملل قاطبة على ان الرسل معصومون فيما يبلغونه عن الله تبارك وتعالى لم يقل احد قط ان من ارسله الله يكذب عليه وقد قال تعالى ما يبين انه لا يقر كاذبا عليه بقوله تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين) وقال تعالى (ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشاء الله يختم على قلبك) ثم

قال تعالى (ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته) فقوله تعالى ويمحو الله الباطل ويحق الحق كلام مستأنف ليس داخلا فى جواب الشرط فانه لو كان معطوفاً على جواب الشرط لقال ويحق الحق بالكسر لالتقاء الساكنين كما فى قوله (قم الليل) فلما قال ويحق الحق بالضم دل على انه جملة مستأنفة اخبر فيها انه تعالى يمحو الباطل كباطل الكاذبين عليه ويحق الحق كحق الصادقين عليه فمحو الباطل نظير احقاق الحق ليس مما علق بالمشيئة بل لابد منه بخلاف الختم على قلبه فانه معلق بالمشيئة ولا يجوز ان يعلق بالمشيئة محو الباطل كتعليق الختم بل يقذف بالحق على الباطل فيدمغه وقال تعالى فى صيانته واحكامه لما تبلغه رسله (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم) وايضا فاذا لم يكن ارسل الا الى العرب وقد دعى اليهود والنصارى الى الايمان به وكفرهم اذا لم يؤمنوا به وجاهدهم وقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم كان ذلك ظلما لا يفعله الا من هو من اظلم الناس ومن كان نبيا قد ارسله الله فهو منزه عن هذا وهذا . فالاقرار برسالته الى العرب دون غيرهم مع ماظهر من عموم دعوته للخلق كلهم قول متناقض ظاهر الفساد وكل مادل عليه انه رسول فانه يستلزم رسالته الى جميع الخلق وكل من اعترف بانه رسول لزمه الاعتراف بانه رسول الى جميع الخلق.

والا لزم ان يكون الله ارسل رسولا يفترى عليه الكذب ويقول للناس ان الله امركم باتباعي وامرني بجهادكم اذا لم تفعلوا وهو كاذب فى ذلك ومعلوم ان كل مادل على ان الله ارسله فانه يدل على انه صادق فى الرسالة والا فلا ٠ فالرسول الكاذب لايحصل به مقصود الرسالة بل يكون من جملة المفترين على الله الكذب واولئك ليسوا من رسل الله ولا يجوز تصديقهم في قولهم ان الله ارسلهم

(فصل) واما ان لم يقروا برسالته لا الى العرب ولا غيرهم بل قالوا فيه ما كان يقوله مشركوا العرب من انه شاعر او ساحر أو مفتر كاذب ونحو ذلك ٠ فيقال لهم على هذا التقدير فدليلكم أيضاً باطل ولا يجوز ان تحتجوا بتقدير تكذيبكم لمحمد صلى الله عليه وسلم بشيء من كلام الانبياء قبله سوآء صدقتم محمداً صلى الله عليه وسلم فى جميع مايقوله او فى بعضه او كذبتموه فدليلكم باطل فيلزم بطلان دينكم على كل تقدير وما ثبت بطلانه على كل تقدير فهو باطل في نفس الامر فيثبت انه باطل فى نفس الامر وذلك انكم اذا كذبتم محمداً لم يبق لكم طريق تعلمون به صدق غيره من الانبياء فيمتنع مع تكذيبه القول بصدق غيره بل من اعتقد كذبه وصدق غيره لم يكن عالما بصدق غيره بل يكون مصدقاً لهم بغير علم واذا لم يكن عالما بصدقهم لم يجز احتجاجه قط باقوالهم بل ذلك قول منه بلا علم ومحاجة فيما لا علم له بها فان الدلائل الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم اعظم واكثر من الدلائل الدالة على صدق موسى وعيسى ومعجزاته اعظم من معجزات غيره والكتاب الذى ارسل به اشرف من الكتاب الذى بعث به غيره

والشريعة التي جاء بها اكمل من شريعة موسى وعيسى عليهما السلام وامته اكمل في جميع الفضائل من امة هذا وهذا ولا يوجد في التوراة والانجيل علم نافع وعمل صالح الا وهو في القرآن او مثله او اكمل منه وفي القرآن من العلم النافع والعمل الصالح ما لا يوجد مثله في التوراة والانجيل فما من مطعن من مطاعن اعداء الانبياء يطعن به على محمد صلى الله عليه وسلم الا ويمكن توجيه ذلك الطعن واعظم منه على موسى وعيسى وهذه جملة مبسوطة في موضع آخر لم نبسطها هنا لان جواب كلامهم لا يحتاج الى ذلك فيمتنع الاقرار بنبوة موسى وعيسى عليهما السلام مع التكذيب بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يفعل ذلك الا من هو من اجهل الناس واضلهم او من اعظمهم عنادا واتباعاً لهواه وذلك ان هؤلاء القوم احتجوا بما نقلوه عن الانبياء ولم يذكروا الادلة الدالة على صدقهم بل اخذوا ذلك مسلما وطلبوا ان يحتجوا بما نقلوه عن الانبياء قبله وبما نقلوه عنه على صحة دينهم وهذه حجة داحضة سواء صدقوه او كذبوه ٠ فان صدقوه بطل دينهم وان كذبوه بطل دينهم فانهم ان صدقوه فقد علم انه دعاهم وجميع اهل الارض الى الايمان به وطاعته كما دعا المسيح وموسى وغيرهما من الرسل وانه ابطل ما هم عليه من الاتحاد وغيره وكفرهم في غير موضع ولهذا كان مجرد التصديق بان محمداً رسول الله ولو الى العرب يوجب بطلان دين النصارى واليهود وكل دين يخالف دينه فان من كان رسولا لله فانه لا يكذب على الله ومحمد صلى الله عليه وسلم قد علم منه انه دعى النصارى واليهود الى الايمان به وطاعته كما دعى غيرهم وانه كفر من لم يؤمن

به ووعده النار وهذا متواتر عنه تواترا تعلمه العامة والخاصة وفى القرآن
من ذلك ما يكثر ذكره كما قال تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن
الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة
رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين حنفآء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة ان الذين
كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك
هم شر البرية ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية
جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه) وقال تعالى شهد
الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو
العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان
الله سريع الحساب فان حاجوك فقل اسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل
للذين أوتوا الكتاب والاميين ءأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان
تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) وقد ذكر كفر اليهود والنصارى
فى غير موضع كقوله تعالى عن النصارى (لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح
بن مريم وامه ومن فى الارض جميعاً) وقال تعالى أيضاً (لقد كفر الذين
قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله
ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه

النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما
من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسنّ الذين كفروا منهم
عذاب اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح بن مريم
الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر
كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون قل اتعبدون من دون الله ما لا
يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم قل يا اهل الكتاب لا تغلوا
فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا
كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) وقال تعالى (يا اهل الكتاب لا تغلوا
فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول
الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا
ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له
ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان
يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم
ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما
ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا يا ايها الناس قد جاءكم
برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين امنوا بالله واعتصموا
به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما) وقال تعالى
(وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم
بافواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما

امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) وقال تعالى (واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسي ولا اعلم مافى نفسك انك انت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد) فقد قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم فى موضعين وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) وقال تعالي (ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم) وقال تعالى (وقالت النصارى المسيح بن الله) فذكر الله عنهم هذه الاقوال الثلاثة والنصارى قالت الاقوال الثلاثة لكن من الناس من يظن ان هذا قول طائفة منهم • وهذا قول طائفة منهم • وهذا قول طائفة منهم وقولهم ثالث ثلاثة قول النسطورية • وقولهم انه ابن الله قول الملكانية • ومنهم من يقول قوله ان الله هو المسيح بن مريم قول اليعقوبية وقولهم والابن وروح القدس • وظن ابن جرير الطبرى ان هذه الطوائف كانوا قبل اليعقوبية والنسطورية والملكية كما ذكره طائفة من المفسرين كابن جرير الطبرى والثعلبي وغيرهما (ثم تارة يحكون عن اليعقوبية ان عيسى هو الله وعن النسطورية انه ابن الله وعن المربوسية انه ثالث ثلاثة وتارة يحكون عن النسطورية انه ثالث ثلاثة وعن الملكية انه الله ويفسرون قولهم ثالث ثلاثة بالاب • والابن • وروح القدس • والصواب ان هذه الاقوال جميعها قول طوائف النصارى المشهورة الملكية واليعقوبية

والنسطورية فان هذه الطوائف كلها تقول بالاقانيم الثلاثة الاب والابن وروح القدس فتقول ان الله ثالث ثلاثة وتقول عن المسيح انه الله وتقول انه ابن الله وهم متفقون على اتحاد اللاهوت والناسوت وان المتحد هو الكلمة وهم متفقون على عقيدة ايمانهم التى تتضمن ذلك وهو قولهم نؤمن باله واحد اب ضابط الكل خالق السموات والارض كل ما يرى ومالا يرى وبرب واحد يسوع المسيح بن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق مولود غير مخلوق • واما قوله تعالى (ولا تقولوا ثلاثة) وقوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة فقد فسروه بالتثليث المشهور عنهم المذكور فى امانتهم ومن الناس من يقول ان الله هو المسيح بن مريم قول اليعقوبية وقولهم ثالث ثلاثة هو قول النصاري الذين يقولون بالاب والابن وهم قد جعلوا الله فيها ثالث ثلاثة وسموا كل واحد من الثلاثة بالاله والرب وقد فسره طائفة بجعلهم عيسى وامه الهين يعبدان من دون الله قال السدى فى قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) قال قالت النصارى ان الله هو المسيح وامه فذلك قوله (ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله) وقد قيل قول ثالث اغرب من ذلك عن ابى صخر قال لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة قال هو قول اليهود عزير بن الله وقول النصارى المسيح بن الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة وهذا ضعيف وقد ذكر سعيد بن البطريق في اخبار النصارى ان منهم طائفة يقال لهم المرسية يقولون ان مريم اله وان عيسى اله فقد يقال ان هذا قول هولاء • كما ان القول بان عزير بن الله قول طائفة من

اليهود. واما الاول فمتوجه فان النصارى المتفقين على الامانة كلهم يقولون
ان الله ثالث ثلاثة والله تعالى قد نهاهم عن ان يقولوا ذلك فقال تعالى
(يا اهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح
عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا
بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم) فذكر سبحانه فى هذه
الآية التثليث والاتحاد ونهاهم عنهما وبين ان المسيح انما هو رسول
الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وقال (فآمنوا بالله ورسله ثم قال ولا
تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم) ولم يذكر هنا امه وقوله تعالى (وكلمته القاها
الى مريم وروح منه) قال معمر عن قتادة وكلمته القاها الى مريم وهو
قوله كن فكان وكذلك قال قتادة ليس الكلمة صار عيسى ولكن
بالكلمة صار عيسى وكذلك قال الامام احمد ابن حنبل فى مصنفه الذى
صنفه فى كتبه فى الرد على الجهمية وذكره عنه الخلال والقاضى ابو يعلى
قال احمد ثم ان الجهم ادعى امراً آخر فقال انا وجدنا فى كتاب الله
آية تدل على ان القرآن مخلوق قلنا اى آية ؟ قال قول الله (انما المسيح
عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم) وعيسى مخلوق. فقلنا
ان الله منعكم الفهم فى القرآن عيسى عليه السلام تجرى عليه الفاظ لاتجرى
على القرآن لان عيسى يجرى عليه نسمة ومولود وطفل وصبي وغلام
يأكل ويشرب وهو يخاطب بالامر والنهى يجرى عليه الوعد والوعيد
هو من ذرية نوح ومن ذرية ابراهيم ولا يحل لنا ان نقول فى القرآن
مانقول فى عيسى هل سمعتم الله يقول فى القرآن ما قال في عيسى
ولكن المعنى فى قوله جل ثناؤه (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله

وكلمته القاها الى مريم وروح منه) فالكلمة التى القاها الى مريم حين قال له كن فكان عيسي بكن وليس عيسى هو الكن ولكن بالكن كان فالكن من الله قوله • وليس الكن مخلوقاً وكذبت النصاري والجهمية على الله فى امر عيسى وذلك ان الجهمية قالوا عيسى روح الله وكلمته لان الكلمة مخلوقة قالت النصارى روح الله من ذات الله وكلمة الله من ذات الله كما يقال هذه الخرقة من هذا الثوب • وقلنا نحن ان عيسي بالكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة قال احمد واما قوله جل ثناؤه وروح منه يقول من امره كان الروح فيه كقوله (وسخر لكم ما في السموات وما فى الارض جميعاً منه) يقول من امره وتفسير روح الله انما معناها انها روح بكلمة الله خلقها الله كما يقال عبد الله وسماء الله وفى نسخة روح يملكها الله خلقها الله وقال الشعبي فى قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم الكلمة حين قال له كن فكان عيسى بكن وليس عيسى هو الكن ولكن بالكن كان وقال ليث عن مجاهد روح منه قال رسول منه يريد مجاهد قوله (فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك) والمعنى ان عيسى خلق من هذه الروح وهو جبريل روح القدس سمى روحاً كما سمى كلمة لانه خلق بالكلمة والنصارى يقولون فى امانتهم تجسد من مريم ومن روح القدس لانه جاء كذلك فى الكتب المتقدمة لكن ظنوا ان روح القدس هو صفة لله وجعلوها حياته وقدرته وهو رب وهذا غلط منهم فانه لم يسم احد من الانبياء حياة الله ولا قدرته ولا شيئاً من صفاته روح القدس بل روح القدس فى غير موضع من كلام

الانبياء عليهم السلام يراد بها ما ينزله الله على قلوب الانبياء كالوحي والهدى والتأييد ويراد بها الملك وهكذا فى تفسير ابن السائب عن ابي صالح عن ابن عباس ان عيسي بن مريم استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه فلما سمع عيسى ذلك قال اللهم انت ربي وانا من روحك خرجت وبكلمتك خلقتني ولم آتهم من تلقاء نفسي وذكر تمام الحديث وقد قال تعالى (والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) وقال تعالى (ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) فهذا يوافق قوله تعالى (فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك) وهذا مبسوط في موضع آخر والمقصود هنا انهم سواء صدقوا محمداً او كذبوه فانه يلزم بطلان دينهم على التقديرين فانه ان كان نبيا صادقاً فقد بلغ عن الله فى هذا الكتاب كفر النصارى فى غير موضع ودعاهم الى الايمان به وامر بجهادهم فمن علم انه نبي ولو الى طائفة معينة فيجب تصديقه فى كل ما اخبر به وقد اخبر بكفر النصارى وضلالهم فاذا ثبت هذا لم يغن عنهم الاحتجاج بشيء من الكتب والمعقول بل يعلم من حيث الجملة ان كل مايحتجون به على صحة دينهم فهو باطل وان لم يبين فساد حججهم على التفصيل لان الانبياء لايقولون الاحقا كما ان المسيح عليه السلام لما حكم بكفر من كذبه من اليهود كان كل ما يحتج به اليهود على خلاف ذلك باطلا فكل ما عارض قول النبي صلى الله عليه وسلم المعصوم فهو باطل وان كذبوا محمداً تكذيباً عاما مطلقاً وقالوا ليس هو

نبيّ اصلا ولا ارسل الى احد لا الي العرب ولا الي غيرهم بل كان من الكذابين • امتنع مع هذا ان يصدقوا بنبوة غيره فان الطريق الذى يعلم به نبوة موسى وعيسى يعلم به نبوة محمد بطريق الاولى • فاذا قالوا علمت نبوة موسى والمسيح بالمعجزات وعرفت المعجزات بالنقل المتواتر الينا • قيل لهم معجزات محمد صلى الله عليه وسلم اعظم وتواترها ابلغ والكتاب الذى جآء به محمد صلى الله عليه وسلم أكمل وامته افضل وشرائع دينه احسن وموسى جاء بالعدل وعيسى جاء بتكميلها بالفضل وهو صلى الله عليه وسلم قد جمع فى شريعته بين العدل والفضل فان ساغ لقائل ان يقول هو مع هذا كاذب مفتر • كان على هذا التقدير الباطل غيره اولى أن يقال فيه ذلك فيبطل بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم جميع ما معهم من النبوات اذ حكم احد الشيئين حكم مثله فكيف بما هو اولى منه فلو قال قائل ان هرون ويوشع وداود وسليمان كانوا أنبيآء • وموسى لم يكن نبيا • أو أن داود وسليمان ويوشع ويحيي كانوا أنبياء والمسيح لم يكن نبيا • أو قال ما يقوله السامرة ان يوشع كان نبيا ومن بعده كداود وسليمان والمسيح لم يكونوا أنبيآء • • أو قال مايقوله اليهود أن داود وسليمان واشعيا وحيقوق ومليخا وعاموص ودانيال كانوا أنبيآء والمسيح بن مريم لم يكن نبيا كان هذا قولا متناقضا معلوم البطلان فان الذين نفى هؤلآء عنهم النبوة أحق بالنبوة وأكمل نبوة ممن اثبتوها له • ودلائل نبوة الاكمل أفضل فكيف يجوز اثبات النبوة للنبي المفضول دون الفاضل؟ وصار هذا كما لو قال قائل ان زفر وابن القاسم والمزني والاثرم كانوا فقهآء وابا حنيفة ومالكا والشافعي واحمد لم يكونوا فقهاء

أو قال ان الاخفش وابن الانباري والمبرد كانوا نحاة والخليل وسيبويه والفراء لم يكونوا نحاة • أو قال أن صاحب الملكي والمسيحي ونحوهما من كتب الطب كانوا أطباء • وبقراط وجالينوس ونحوهما لم يكونوا أطباء أو قال أن كوشيار والخرقي ونحوهما كانوا يعرفون علم الهيئة وبطليموس ونحوه لم يكن له علم بالهيئة • ومن قال أن داود وسليمان ومليخا وعاموص ودانيال كانوا أنبياء ومحمد بن عبد الله لم يكن نبيا • فتناقضه أظهر وفساد قوله أبين من هذا جميعه بل وكذلك من قال أن موسى وعيسى رسولان والتوراة والانجيل كتابان منزلان من عند الله ومحمدا ليس برسول والقرآن لم ينزل من الله • فبطلان قوله فى غاية الظهور والبيان لمن تدبر ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من قبله وتدبر كتابه والكتب التى قبله وايات نبوته وايات نبوة هؤلاء وشرائع دينه وشرائع دين هؤلاء وهذه الجملة مفصلة مشروحة فى غير هذا الموضع لكن المقصود هنا التنبيه على مجامع جوابهم وهؤلاء القوم لم يأتوا بدليل واحد يدل على صدق من احتجوا به من الانبياء • فلو ناظرهم من يكذب بهؤلاء الانبياء كلهم من المشركين والملاحدة لم يكن فيما ذكروه حجة لهم ولا حجة لهم ايضاً على المسلمين الذين يقرون بنبوة هؤلاء • فان جمهور المسلمين انما عرفوا صدق هؤلاء الانبياء باخبار محمد انهم انبياء فيمتنع ان يصدقوا بالفرع مع القدح في الاصل الذي به علموا صدقهم وايضاً فالطريق الذى به علمت نبوة هؤلاء بما ثبت من معجزاتهم واخبارهم فكذلك تعلم نبوة محمد بما ثبت من معجزاته واخباره بطريق الاولى • فيمتنع ان يصدق احد من المسلمين بنبوة واحد من هؤلاء مع تكذيبه لمحمد فى كلمة مما جاء به

(فصل) ومما ينبغي ان يعلم ان كثيراً من النصارى انما يعتمدون فى النبوات على بشارة الانبياء بمن يأتي بعدهم فيقولون المسيح عليه السلام بشرت به الانبياء قبله بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم فانه لم يبشر به نبي • وجواب هؤلاء من وجهين • احدهما ان يقال بل البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فى الكتب المتقدمة اعظم من البشارة بالمسيح عليه السلام وكما ان اليهود يتأولون البشارة بالمسيح على انه ليس هو عيسى بن مريم بل هو آخر ينتظرونه وهم فى الحقيقة انما ينتظرون المسيح الدجال فانه الذي يتبعه اليهود ويخرج معه سبعون الف مطيلس من يهود اصبهان ويقتلهم المسلمون معه حتى يقول الشجر والحجر يامسلم هذا يهودى ورأى تعال فاقتله • كما ثبت ذلك فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وثبت ايضا في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ينزل عيسى بن مريم من السماء على المنارة البيضاء شرقي دمشق فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقتل مسيحُ الهدى عيسى بن مريم مسيح الضلالة الاعور الدجال على بضع عشرة خطوة من باب لدّ ليتبين للناس ان البشر لايكون الها فيقتل من ادعى فيه انه الله وهو برىء مما ادعي فيه لمن ادعي فى نفسه انه الله وهو دجال كذاب فهكذا البشارات بمحمد صلي الله عليه وسلم فى الكتب المتقدمة وقد يتأولها بعض اهل الكتاب على غير تأويلها كما قد بسط فى موضع آخر فان بسط الكلام فى ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فى الكتب التى بايدى اهل الكتاب له موضع آخر * الجواب الثانى ان يقال ليس من شرط النبي ان يبشر به من تقدمه كما ان موسى كان رسولا الى فرعون ولم يتقدم لفرعون به بشارة وكذلك الخليل عليه السلام ارسل الى

نمرود ولم يتقدم به بشارة نبي اليه وكذلك نوح وهود وصالح وشعيب
ولوط لم يتقدم بواحد من هؤلاء بشارة الى قومهم بهم مع كونهم انبياء
صادقين فان دلائل نبوة النبي لا تنحصر فى اخبار من تقدمه بل دلائل
النبوة منها المعجزات ومنها غير المعجزات كما قد بسط فى موضع آخر
وهؤلاء النصارى انما مستند دينهم فى التثليث والاتحاد وغير ذلك هو
السمع و هو دعواهم ان الكتب الالهية جاءت بذلك • ليس مستندهم فيه
العقل • فاذا تبين انهم مع تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم يمتنع ان
تثبت نبوة غيره امتنع استدلالهم بالسمعيات • واما العقليات فان تشبثوا
ببعضها فهم معترفون بان حجتهم فيها ضعيفة وانها على نقيض مذهبهم ادل
منها على مذهبهم وسنبين ان شاء الله ان لا حجة لهم فى سمع ولا عقل بل
ذلك كله حجة عليهم • واما تمثيلهم الكتاب بالوثيقة التى كتب الوفاء فى
ظهرها فتمثيل باطل غير مطابق • لان الاقرار بالوفاء اقرار بسقوط الدين
ولا مناقضة بين ثبوت الدين اولا وسقوطه اخراً بالوفاء • بل امكن مع
هذا دعواه واما من يذكر انه رسول الله فلا يمكن ان يقر بانه رسول
الله فى بعض ما انبأ به عن الله دون بعض • ولا يمكن اتباع بعض كتابه
الذى ذكر انه منزل من عند الله دون بعض • فانه ان كان صادقا فى قوله
انه رسول الله كان معصوما فى كل ما يخبر به عن الله لا يجوز ان يكذب
فى شيء منه لا عمداً ولا خطاء ووجب اتباع الكتاب الذى جاء به من
عند الله ولم يمكن رد شيء مما ذكر انه جاء به من الله وان كان كاذباً فى
كلمة واحدة مما اخبر به عن الله فهو من الكاذبين المفترين • فلا يجوز
ان يحتج بشيء من دينهم ولا دين غيرهم بمجرد اخباره عن الله بل ولا

بمجرد خبره وقوله وان لم يذكر انه خبر عن الله كما لايجوز مثل ذلك في سائر من عرف انه كاذب في قوله اني رسـول الله كمسيلمة الحنفي والاسود العنسي وطليحة الاسدى والحارث الدمشقي وبابا الرومي وامثالهم من الكذابين • والواحد من المسلمين وان كان الله لايؤاخذه بالنسيان والخطأ بل والرسول ايضاً وان لم يكن مواخذا بالنسيان والخطأ فى غير ما يبلغه عن الله عند السلف والائمة وجمهور المسلمين لكن ما يبلغه عن الله لايجوز ان يستقر فيـه خطأ فانه لو جاز ان يبلغ عن الله ما لم يقله الله ويستقر ذلك وياخذه الناس عنه معتقدين ان الله قاله ولم يقله الله كان هذا مناقضاً لمقصود الرسالة ولم يكن رسولا لله فى ذلك بل كان كاذباً فى ذلك وان لم يتعمده واذا بلغ عن الله ما لم يقله وصدق فى ذلك كان قد صدق من قال على الله غير الحق ومن تقول عليه مالم يقله وان لم يكن متعمداً ويمتنع فى مثل هذا ان يصدقه الله في كل ما يخبر به عنه او ان يقيم له من الآيات والبراهين ما يدل على صدقه فى كل مايخبر به عنه مع ان الامر ليس كذلك • ومن قامت البراهين والآيات على صدقه فيما يبلغه عن الله كان صادقا فى كل مايخبر به عن الله • لايجوز ان يكون فى خبره عن الله شئ من الكذب لاعمدا ولا خطأ وهذا مما اتفق عليه جميع الناس من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم لم يتنازعوا انه لايجوز ان يستقر فى خبره عن الله خطأ وانما تنازعوا هل يجوز أن يقع من الغلط ما يستدركه ويبينه فلا ينافى مقصود الرسالة كما نقل من ذكر تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى هذا فيه قولان للناس • منهم من منع ذلك أيضاً وطعن فى وقوع ذلك • ومن هؤلاء من قال انهم سمعوا مالم يقله فكان

الخطأ فى سمعهم والشيطان التى في سمعهم . ومن جوز ذلك قال اذا
حصل البيان ونسخ ماألقى الشيطان لم يكن فى ذلك محذور وكان ذلك
دليلا على صدقه وأمانته وديانته وانه غير متبع هواه ولا مصر على غير
الحق كفعل طالب الرياسة المصر على خطأه . واذا كان نسخ ماجزم بان
الله أنزله لامحذور فيه . فنسخ مثل هذا أولى أن لا يكون فيه محذور
واستدل على ذلك بقوله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى
الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم
الله آياته والله عليم حكيم ليجعل مايلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم
مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا
العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادى
الذين آمنوا الى صراط مستقيم) وعلى كل قول فالناس متفقون على ان
من أرسله الله وأقام الآيات على صدقه فيما يبلغه عن الله لم يكن مايبلغه
عنه الا حقا . والا كانت الآيات الدالة على صدقه دلت على صدق من
ليس بصادق وبطلان مدلول الادلة اليقينية ممتنع والصدق الذى هو
مدلول آيات الأنبياء وبراهينهم هو ان يكون خبره عن الله مطابقاً
لمخبره لايخالفه عمداً ولا خطأ ولو قال قائل انا لا أسمى الخطأ كذبا
أو قال ان المخطئ لا اثم عليه فى خطابه . قيل له هذا لاينفع هنا فان
الآيات دلت على ان الله أرسله ليبلغ عنه رسالاته والله لايرسل من يعلم
انه يخبر عنه بخلاف ماقال له . كما لايجوز ارسال من يتعمد عليه الكذب
بل الواحد من الناس لايرسل من يعلم انه يبلغ خلاف ما أرسله به ولو
علم انه يقول عليه مالم يقل وأرسله مع ذلك لكان جاهلا سفيها ليس

بعليم حكيم فكيف يجوز ذلك على أعلم العالمين وأحكم الحاكمين ٠
وأيضاً فان الآيات والبراهين دلت على صدقه فى كل ما يبلغه
عن الله وان الله مصدقه فى كل مايبلغه عنه فيمتنع ان لا يكون
صادقا فى شيء من ذلك ويمتنع ان يصدق الله فى كل ذلك من
لايصدق فى كل ذلك فان تصديق من لايصدق كذب والكذب ممتنع
على الله ٠ واذا تبين أن من ذكر انه رسول الله ٠ اما أن يكون رسولا
صادقا فى جميع ما يبلغه ٠ فيمتنع مع هذا تناقض اخباره لانها كلها صادقة
واما أن يكون غير صادق ولو فى كلمة فلا يكون رسولا لله فلا يحتج
بشيء مما يخبر به عن الله ٠ كان تمثيل من ذكر أنه رسول الله بالمقر باستيفاء
وثيقته تمثيلا باطلا فان صاحب الوثيقة الذى اقر بوفائها بعد كانت له
حجة ثم استوفاها ٠ ومن ذكر أنه رسول الله اما صادق ٠ واما كاذب وعلى
التقديرين لا يجوز أن يحتج ببعض كلامه دون بعض واذا قال القائل
مقصودى أبين أنه متناقض وأن نفس كلامه يبين أنه لم يرسل الينا
وأن ديننا حق كما أن نفس كلام الذي كان له الحق هو المقر بالوفاء
قيل ان كان كلامه متناقضا فليس برسول ٠ وحينئذ فلا يجوز لك أن
تحتج بشيء مما بلغه عن الله ٠ بخلاف المقر بالوفاء فان اقراره مقبول على
نفسه فانه شاهد على نفسه وشهادته على نفسه مقبولة ولو كان كافراً
وفاسقاً بخلاف شهادته على الله أن الله أرسله اذا كذب فى كلمة واحدة
لم يكن الله أرسله فلا يقبل شيء من شهادته وخبره عن الله ٠ فمن شبه
اقرار المقر على نفسه بقول الذى يقول أنه رسول الله دل ذلك على
غاية جهله بالقياس والاعتبار والتمثيل ٠ فان اقرار المقر على نفسه حجة

عليه ولو كان فاسقاً معروفا بالكذب ليس هو مثل شهادة الانسان على غيره • فان شهادته على غيره لا تقبل اذا كان معروفا بالكذب فكيف بمن شهد على الله بان الله أرسله؟فالمقر على نفسه يمكن قبول اقراره على نفسه ولا يقبل دعواه على غيره وكذلك الشاهد قد تقبل شهادته فيما ليس هو خصما فيه ولا تقبل شهادته بما ادعاه • واما من يقول أنه رسول الله فلا يمكن أن يصدق في بعض ما يخبر به عن الله ويكذب فى بعض بل ان كان كاذبا فى كلمة واحدة فليس هو رسولا لله فلا يحتج بكلامه وان قدر أن الكلام فى نفسه صدق لكن نسبته الى الله أن الله أرسله به وأوحاه لا يكون صادقا فيه اذا كذب فى كلمة واحدة لان الله لا يرسل كاذبا • وان لم يكن كاذبا فى كلمة واحدة وجب تصديقه فى كل ما يخبر به فلا يمكن تصديقه فى بعض ما يخبر به عن الله دون بعض بخلاف المقر والشاهد • وان كان المقصود بيان تناقضه كان هذا احتجاجا على انه ليس برسول فلا ينفعهم ذلك مع أنه تبين أنه ليس بمتناقض • وان كان المقصود الزام المسلمين به فقد بينا أنه لا يلزمه من وجوه متعددة فهذا بيان أنهم لا يجوز لهم الاحتجاج بشيء من كلام محمد صلى الله عليه وسلم سواء صدقوه او كذبوه • ثم يقال لهم ثانياً فالجواب عن التمثيل بالوثيقة أن الاقرار بالاستيفاء يناقض استيفاء الحق • وأما القرآن الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فليس فى اخباره بانه أرسل الى قريش ثم الى العرب ما يناقض اخباره بانه أرسل الى جميع الناس أهل الكتاب وغيرهم كما أنه ليس فى اخباره أنه أرسل الى بنى اسرائيل ومخاطبة الله لهم بقوله يابنى اسرائيل ما يمنع أن يكون مرسلا الى اليهود من غير بنى

اسرائيل والى النصارى والمشركين وهو أنه لم يقل قط أني لم أرسل الا الى العرب ولا قال ما يدل على هـذا بل ثبت عنه بالنقل المتواتر أنه قال أنه مرسل الى جميع الجن والانس الى أهل الكتاب وغيرهم ولو قدر أنه قال انه لم يرسل إلا الى العرب ثم قال إني أرسلت الى أهل الكتاب لكان قـد أرسل الى أهل الكتاب بعد ارساله الى العرب كما قال (قل لا أجد فيما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير) وقال أيضـاً (انما حرم عليكم الميتـة والدم ولحم الخنزير) ثم أنه بعد هـذا حرم الله أشياء فلم يكن بين نفي تحريمها فى الزمن الاول واثبات تحريمها فى الزمن الثاني منافاة • ولكن نظير الدين اذا اوجب شيئاً ثم نسخ ايجابه كما نسخ ايجاب الصدقة بين يدي النجوي ففي مثل هذا يتمسك بالنص الناسخ دون المنسوخ كما يتمسك بالاقرار بالوفاء الناسخ للاقرار بالدين

(فصل) وقد ذكر انه لايجوز ان يحتجوا بشيء من القرآن وما نقل عن محمد صلي الله عليه وسلم الا مع التصديق برسالته وانه مع التكذيب برسالته لايمكن الاقرار بنبوة غيره ولا الاحتجاج بشيء من كلام الانبياء فتكذيبهم به يستلزم تكذيبهم بغيره • فاذا ثبتت نبوة غيره ثبتت نبوته وذلك يستلزم بطلان دينهم فكان صحة دليلهم يستلزم بطلان المدلول وفساد المدلول يستلزم فساد الدليل • فان الدليل ملزوم للمدلول عليه واذا تحقق الملزوم تحقق اللازم واذا انتفى اللازم انتفى الملزوم فاذا ثبت الدليل ثبت المدلول عليه واذا فسد المدلول عليه لزم فساد الدليل فان الباطل لايقوم عليه دليل صحيح فان كان محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله لزم بطلان

دينهم واذا بطل دينهم لم يجز ان يقوم دليل صحيح على صحته • واذا لم يكن رسول الله لم يجز الاستدلال بقوله فثبت ان استدلالهم بقوله باطل على التقديرين • ونحن نذكر هنا انه لايجوز استدلالهم بقول احد من الانبياء اوالرسل على صحة دينهم • وأيضاً فان الذين احتجوا بقولهم مثل موسى وداود والمسيح وغيرهم • اما ان يكونوا عرفوا انهم انبياء بدليل على نبوتهم كالاستدلال بآياتهم وبراهينهم التي تسمى بالمعجزات • واما ان يكونوا قداعتقدوا ذلك بلا علم ولا دليل • واما ان يكونوا احتجوا بذلك على المسلمين لانهم يسلمون نبوة هؤلاء • وعلى كل تقدير لايصح استدلالهم بقولهم اما على الاول فلانه اى طريق ثبت به نبوة واحد من هؤلاء الانبياء عليهم السلام فانه تثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بمثلها واعظم منها وحينئذ فان لم يقروا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان كل دليل يدل على نبوة موسى وداود وعيسى وغيرهم يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم • لزم ان يكونوا قد نقضوا دليلهم فجعلوه قائماً مع انتفاء مدلوله • واذا انتقض الدليل بطلت دلالته • فانه انما يدل اذا كان مستلزماً للمدلول • فاذا كان تارة يوجد مع المدلول وتارة لايوجد لم يكن مستلزماً له فلا يكون دليلا • فان من جعل المعجزات دليلا على نبوة نبي وقال المعجزة هي الفعل الخارق للعادة المقرون بالتحدى السالم من المعارضة ونحو ذلك مما يذكر فى هذا المقام وجعلوا ذلك دليلا على نبوة موسى وعيسى وغيرهما من الانبياء • قيل له ان كان هذا دليلا فهو دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم • وان لم يكن دليلا لم يكن دليلا على نبوة موسى وعيسى فانه قد ثبت عن محمد صلى الله عليه وسلم من

المعجزات مالم يثبت مثله عن غيره • ونقل معجزاته متواتر اعظم من نقل معجزات عيسى وغيره فيمتنع التصديق بآياته مع التكذيب بآيات محمد صلى الله عليه وسلم • وان قالوا معجزات محمد صلى الله عليه وسلم لم تتواتر عندنا • قيل ليس من شرط التواتر ان تتواتر عند طائفة معينة بل هذا كما يقول المشركون والمجوس وغيرهم لم تتواتر عندنا معجزات موسى والمسيح عليهما السلام وانما تتواتر اخبار كل انسان عند كل من رأى المشاهدين له او رأى من رآهم وهلم جرا • ومعلوم ان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين رأوه ونقلوا معجزاته اضعاف اصحاب المسيح عليه السلام • والتابعون الذين نقلوا ذلك عن الصحابة كذلك فيلزم من التصديق بمعجزات المسيح عليه السلام التصديق بمعجزات محمد صلى الله عليه وسلم ومن التكذيب بمعجزات محمد التكذيب بمعجزات المسيح وان قالوا عرفت نبوة المسيح ببشارات الانبياء قبله • قيل وفي الكتب المتقدمة من البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم مثل ما فيها من البشارات بالمسيح واكثر كما سيأتي بعضها ان شاء الله تعالى • وان تاولوا تلك البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم بما يمنع دلالتها • قيل لهم واليهود يتأولون بشارات المسيح بما يمنع دلالتها على المسيح • فاذا قالوا تلك التأويلات باطلة من وجوه معروفة بين لهم ان هذه باطلة ايضاً بمثل تلك الوجوه واقوى فما من جنس من الادلة يدل على نبوة موسى والمسيح الا ودلالته على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اقوى واكثر فيلزم من ثبوت نبوة موسى والمسيح ثبوت نبوة محمد ومن الطعن في نبوة محمد الطعن في نبوة موسى والمسيح • وان قالوا ان المسيح اله • قيل

لهم ثبوت كونه الهاً لو كان ممكنا ابعدمن ثبوت كونه رسولا فكيف اذا كان ممتنعا؟ وذلك أنه ليس معهم ما يدل على الهيته الا ماينقلونه من أقوال الانبياء أو الخوارق والخوارق لا تدل على الالهية فان الانبياء ما زالوا يأتون بالايات الخارقة للعادة ولم تدل على إلهية أحد منهم • وأما أقوال الانبياء عليهم السلام فلا ريب أن دلالتها على رسالته ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم أظهر من دلالتها على الهية المسيح فيمتنع الاحتجاج بها على الهية المسيح دون رسالة محمد ورسالة المسيح ومتى ثبت أن محمداً رسول الله بطلت الهية المسيح فانه كفر من قال أنه الله أو ابن الله • بل وكذلك متى ثبت أن المسيح رسول الله بطل كونه الها فان كونه هو الله مع كونه رسول الله متناقض • وقولهم أنه اله بلاهوته ورسول بناسوته كلام باطل من وجوه • منها أن الذى كان يكلم الناس اما أن يكون هو الله أو هو رسول الله فان كان هو الله بطل كونه رسول الله • وان كان هو رسول الله بطل كونه هو الله • ولهذا لما كان الذى كلم موسى عليه السلام من الشجرة هو الله لم تنطق الكتب بانه رسول الله وهذا وارد باي وجه فسروا الاتحاد. فانه من المعلوم أن الناس كانوا يسمعون من المسيح كلاما بصوته المعروف وصوته لم يختلف عليهم ولا حاله عند الكلام تغيرت كما يختلف الانسان وحاله عند الكلام اذا دخل فيه الجنى واذا فارقه الجنى فان الجنى اذا تكلم على لسان المصروع ظهر الفرق بين ذلك المصروع وبين غيره من الناس. بل اختلف حال المصروع وحال كلامه وسمع منه من الكلام ما يعلم يقينا أنه لا يعرفه وغاب عقله بحيث يظهر ذلك للحاضرين واختلف صوته ونغمته. فكيف بمن يكون

رب العالمين هو الحال فيه المتحد به المتكلم بكلامه؛ فانه لا بد أن يكون بين كلامه وصوته وكلام سائر البشر وصوتهم من الفرق أعظم من الفرق الذى بين المصروع وغير المصروع بما لا نسبة بينهما. يبين هذا أن موسى لما سمع كلامه سمع صوتا خارقا للعادة مخالفا لما يعهد من الاصوات ورأى من الايات الخارقة والعجائب ما يبين أن ذلك الذى سمعه لا يقدر على التكلم به الا الله وأما المسيح فلم يكن بين كلامه وصوته طول عمره وكلام سائر الناس فرق يدل على أنه نبي فضلا عن أن يدل على أنه اله. وانما علم أنه نبى بادلة منفصلة ولم يكن حاله يختلف مع أنهم يقولون إن الاتحاد ملازم له من حين خلق ناسوته فى بطن أمه مريم والى الابد لا يفارق اللاهوت لذلك الناسوت أبداً. وحينئذ فمن المعلوم أن خطابه للناس ان كان خطاب رب العالمين لم يكن هو رسوله وان كان خطاب رسوله لم يكن ذلك صوت رب العالمين. الوجه الثاني أن خطابه خطاب رسول ونبي كما ثبت ذلك عنه فى عامة المواضع. الثالث أن مصير الشيئين شيئاً واحدا مع بقائهما على حالهما بدون الاستحالة والاختلاط ممتنع في صريح العقل وانما المعقول مع الاتحاد أن يستحيلا ويختلطا كالماء مع الخمر واللبن فانهما اذا صارا شيئاً واحدا استحالا واختلطا. الرابع أنه مع الاتحاد يصير الشيئان شيئاً واحدا فيكون الاله هو الرسول والرسول هو الاله اذ هذا هو هذا وان كان الاله غير الرسول فهما شيئان ومهما مثلوا به قولهم كتشبيههم ذلك بالنار فى الحديد والروح فى البدن فانه يدل على فساد قولهم فان الحديد متى طرق أو وضع في الماء كان ذلك مصيبا للنار وكذلك البدن اذا جاع أو صلب وتألم

كان ذلك الالم مصيبا للروح فيلزم أن يكون رب العالمين قد أصابه الم الجوع والعطش وكذلك الضرب والصلب على قولهم وهذا شر من قول اليهود انه فقير وانه بخيل وانه مسه اللغوب

(فصل) وان كان مقصودهم الاحتجاج بذلك على المسلمين • قيل لهم اولا هذه حجة جدلية فما مستندكم فيما بينكم وبين الله في تصديق شخص وتكذيب آخر مع ان دلالة الصدق فيهما واحدة بل هي في الذي كذبتموه اظهر ؟ فان كانت حقا لزم تصديق من كذبتموه وفسد دينكم • وان كانت باطلة بطل استدلالكم بها على دينكم فثبت انهم مع تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم لايستقيم لهم الاستدلال بكلام احد من الانبياء عليهم السلام • وقيل لهم ثانيا المسلمون انما عرفوا صدق هؤلاء الانبياء بمادلهم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فان لم يكن محمد صادقاً لم يعرفوا صدق هؤلاء فيبطل دليلكم • وان كان صادقاً بطل دين النصارى فيبطل دليل صحته فثبت بطلان دليلهم على كل تقدير وقيل لهم ثالثاً المسلمون لم يصدقوا نبوة احد من هؤلاء الا مع نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان قيل انهم عرفوا ذلك بطريق آخر فان الدليل الذى يدل على صدق واحد منهم يدل على صدق محمد بطريق الاولى فلا يمكنهم تصديق نبيء مع تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل لهم رابعاً هم انما يصدقون بموسى وعيسى الذين بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم • فان كان قد بشرا به فتثبت نبوته وان لم يكونا بشرا به فهم لايؤمنون الا بالمبشرين به • وبالتوراة والانجيل الذين هو مكتوب فيهما فان قدر عدم ذلك فهم لايسلمون وجود موسى وعيسى

وتوراة وانجيل منزلين من الله ليس فيهما ذكره صلى الله عليه وسلم وان قالوا نحن صدقنا هوءلاء الانبياء بلا علم لنا بصدقهم وطريق يدل على صدقهم لان هذا دين ابائنا وجدناهم يعظمون هوءلاء ويقولون هم انبياء فاتبعنا اباءنا في ذلك من غير علم وهذاهو الواقع من اكثرهم قيل فاذا كان هذا قولكم في الانبياء وفيما شهدوا به ان كانوا شهدوا فيلزم ان لا يكونوا عالمين به بل متبعين فيه لابائهم بغير علم بطريق الاولى وبهذا يحصل المقصود وهو ان ما انتم عليه من اعتقاد دين النصرانية لاعلم لكم به ولا دليل لكم على صحته بل انتم فيه متبعون لابائكم كاتباع اليهود والمشركين لابائهم ولا ريب ان هذا حال النصارى ولهذا سماهم الله ضلالا في قوله (ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً وضلوا عن سوآء السبيل) وقال تعالى (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً مالهم به من علم ولا لابآئهم كبرت كلمة تخرج من افواههم) وقال تعالى (وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم) وقال تعالى (وان الذين أوتوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب) ولهذا كان النصارى معروفين بالجهل والضلال كما ان اليهود معروفون بالظلم والقسوة والعناد فتبين بما ذكرناه انه لايمكنهم مع تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم في كلمة واحدة الاحتجاج بقول احد من الانبياء على شيء من دينهم ولا دين غيرهم

(فصل) واما كون القرآن انزل باللسان العربي وحده فمنه اجوبة احدها ان يقال والتوراة انما انزلت باللسان العبري وحده وموسى عليه السلام لم يكن يتكلم الا بالعبرية وكذلك المسيح لم يكن يتكلم

بالتوراة والانجيل وغيرهما الا بالعبرية ثم وكذلك سائر الكتب لاينزلها الله الا بلسان واحد بلسان الذي أنزلت عليه ولسان قومه الذين يخاطبهم اولا . وسائر الانبياء انما يخاطبون الناس بلسان قومهم الذي يعرفونه اولا ثم بعد ذلك تبلغ الكتب . وكلام الانبياء لسائر الامم . اما بان يترجم لمن لا يعرف لسان ذلك الكتاب . واما بان يتعلم الناس لسان ذلك الكتاب فيعرفون معانيه وإما بان يبين المرسل اليه معاني ما أرسل به الرسول اليه بلسانه وان لم يعرف سائر ما أرسل به . وقد أخبر الله فى القرآن ما قالته الرسل لقومهم وما قالوا لهم واكثرهم لم يكونوا عربا وأنزله الله باللسان العربي وحينئذ فان شرط التكليف تمكن العباد من فهم ما ارسل به الرسول اليهم . وذلك يحصل بان يرسل بلسان يُعرف به مراده ثم جميع الناس متمكنون من معرفة مراده بان يعرفوا ذلك اللسان أو يعرفوا معنى الكتاب بترجمة من يترجم معناه وهذا مقدور للعباد ومن لم يمكنه فهم كلام الرسول الا بتعلم اللغة التى أرسل بها . وجب عليه ذلك . فان مالا يتم الواجب الا به فهو واجب بخلاف مالا يتم الوجوب الا به فانه ليس بواجب ولا يكلف الله نفسا الا وسعها لا في الاصل ولا في التمام . فلا نحتاج أن نقول مالا يتم الواجب الا به وكان مقدورا للمكلف فهو واجب فان ما ليس مقدورا عليه لا يكلف به العباد بل وقد يكون مقدورا عليه ولا يكلفون به فلما كانت الاستطاعة شرطا في وجوب الحج لم يجب تحصيل الاستطاعة بخلاف قطع المسافة فانه ليس شرطا في الوجوب . فلهذا يجب على الانسان الحج من المسافة

البعيدة والقريبة اذا كان مستطيعا • وجمهور الناس لا يعرفون معاني الكتب الالهية التوراة والانجيل والقرآن الا بمن يبينها ويفسرها لهم وان كانوا يعرفون اللغة فهؤلاء يجب عليهم طلب علم ما يعرفون به ما أمرهم الله به ونهاهم عنه وهذا هو طلب العلم المفروض على الخلق وكذلك ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم من معاني الكتاب الذى انزله الله عليه يجب على الخلق طلب علم ذلك ممن يعرفه اذا كان معرفة ذلك لا تحصل بمجرد اللسان . كما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه تفسير تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر احد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله تبارك وتعالى فمن ادعى علمه فهو كاذب والله تعالى قال (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء) لم يقل وما ارسلنا من رسول الا الى قومه لكن لم يرسله الا بلسان قومه الذين خاطبهم أولا ليبين لقومه • فاذا بين لقومه ما اراده حصل بذلك المقصود لهم ولغيرهم فان قومه الذين بلغ اليهم اولا يمكنهم ان يبلغوا عنه اللفظ ويمكنهم ان ينقلوا عنه المعنى لمن لا يعرف اللغة ويمكن غيرهم ان يتعلم منهم لسانه فيعرف مراده • فالحجة تقوم على الخلق ويحصل لهم الهدى بمن ينقل عن الرسول تارة المعنى وتارة اللفظ ولهذا يجوز نقل حديثه بالمعنى والقرآن يجوز ترجمة معانيه لمن لا يعرف العربية باتفاق العلماء • وجوّز بعضهم أن يُقرأ بغير العربية عند العجز عن قراءته بالعربية • وبعضهم جوزه مطلقاً وجمهور العلماء منعوا أن يقرأ بغير العربية وان جاز ان يترجم للتفهيم بغير العربية كما يجوز تفسيره وبيان معانيه • وان كان

التفسير ليس قرآناً متلوا وكذلك الترجمة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فبلغه الى من لم يسمعه فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه وقال ايضاً في الحديث الصحيح مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها طائفة امسكت الماء فنفع الله به الناس فزرعوا وسقوا . وكانت منها طائفة انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من تفقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به من الهدى والعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى ارسلت به . فدعى النبي صلى الله عليه وسلم لمن يبلغ حديثه وان لم يتفقه وقال رب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه . وقد كانت العارفون باللغة العربية حين بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم انما يوجدون في جزيرة العرب وما والاها كارض الحجاز واليمن وبعض الشام والعراق ثم انتشر فصار اكثر الساكنين في وسط المعمورة يعرفون العربية حتى اليهود والنصارى الموجودون في وسط الارض يتكلمون بالعربية كما يتكلم بها اكثر المسلمين بل كثير من اليهود والنصارى يتكلمون بالعربية اجود مما يتكلم بها كثير من المسلمين وقد انتشرت هذه اللغة اكثر مما انتشرت سائر اللغات حتى ان الكتب القديمة من كتب اهل الكتاب ومن كتب الفرس والهند واليونان والقبط وغيرهم عربت بهذه اللغة . ومعرفة الكتب المصنفة بالعربية والكلام العربي ايسر على جمهور الناس من معرفة الكتب المصنفة بغير العربية فان اللسان العبرى والسرياني والرومي والقبطي وغيرها وان عرفه

طائفة من الناس فالذين يعرفون اللسان العربي اكثر ممن يعرف لسانا من هذه الالسنة • وايضاً فمعرفة ما امر الله به عباده امراً عاما هو مما نقلته الامة عن نبيها محمد صلى الله عليه وسلم نقلا متواتراً واجمعت عليه مثل الامر بشهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وانه ارسل الى جميع الناس اميهم وغير أميهم واقام الصلوات الخمس وايتاء الزكاة وصيام شهر رمضان وحج البيت العتيق من استطاع اليه سبيلا وايجاب الصدق وتحريم الفواحش والظلم والامر بالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت هو ما يعرفه المسلمون معرفة عامة ولا يحتاج الانسان فى معرفة ذلك الى ان يحفظ القرآن بل يمكن الانسان معرفة ما أمر الله به على لسان رسوله وان لم يعرف اللغة العربية ويكفيه أن يقرأ فاتحة الكتاب وسورا معها يصلى بهن وكثير من الفرس والروم والترك والهند والحبشة والبربر وغيرهم لا يعرفون أن يتكلموا بالعربية الكلام المعتاد وقد أسلموا وصاروا من اولياء الله المتقين • ومنهم من يحفظ القرآن كله واذا كلم الناس لا يستطيع ان يكلمهم الا بلسانه لا بالعربية واذا خوطب بالعربية لم يفقه ما قيل له • الوجه الثانى ان المسيح عليه السلام كان لسانه عبريا وكذلك السنة الحواريين الذين اتبعوه اولا ثم انه ارسلهم الى الامم يخاطبونهم ويترجمون لهم ما قاله المسيح عليه السلام فان قالوا ان رسل المسيح حولت السنتهم الى السنة من ارسل اليهم • قيل هذا منقول فى رسل المسيح وفي رسل محمد صلى الله عليهما وسلم الذين ارسلهم الى الامم ولا ريب أن رسل رسل الله كرسل محمد والمسيح عليهما الصلاة والسلام الى الامم لابد ان يعرفوا لسان من أرسلهم الرسول

اليهم أو أن يكون عند أولئك من يفهم لسانهم ولسان الرسول ليترجم لهم فاذا لم يكن عند من أرسل المسيح اليهم من يعرف بالعربية فلابد أن يكون رسوله ينطق بلسانهم • وكذلك رسل النبي صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم الى الامم فان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أرسل رسله الى أهل الارض فبعث الى ملوك العرب باليمن والحجاز والشام والعراق وأرسل الى ملوك النصاري بالشام ومصر قبطهم وروميهم وعربهم وعبرهم وغيرهم وأرسل الى الفرس المجوس ملوك العراق وخراسان • قال محمد بن سعد فى الطبقات ذكر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسل بكتبه الى الملوك وغيرهم يدعوهم وذكر ما كتب به رسول الله صلى الله عليه وسلم لناس من العرب وغيرهم • ثم قال اخبرنا محمد بن عمرو الاسلمى قال حدثني محمد بن معمر بن راشد ومحمد بن عبد الله عن الزهرى عن عبيد الله ابن عبد الله عن ابن عباس قال وعن الواقدي حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى سبرة عن المسور ابن رفاعة وحدثنا عبد الحميد بن جعفر عن ابيه عن جدته الشفا وحدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى سبرة عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد عن العلاء بن الحضرمي وحدثنا ابن محمد الانصارى عن جعفر ابن عمرو ابن جعفر ابن عمرو بن أمية الضمرى عن أهله عن عمرو بن أمية الضمرى دخل حديث بعضهم فى حديث بعض قالوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية فى ذى الحجة سنة ست أرسل الى الملوك يدعوهم الى الاسلام وكتب اليهم كتبا فقيل يارسول الله ان الملوك لا يقرؤن كتابا الا مختوما فاتخذ رسول الله صلى

الله عليه وسلم يومئذ خاتما من فضة فصه منه نقشه ثلاثة أسطر محمد رسول الله وختم به الكتب فخرج ستة نفر منهم فى يوم واحد وذلك في المحرم سنة سبع وأصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم أرسل النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل دحية ابن خليفة الكلبي والى المقوقس صاحب مصر والاسكندرية حاطب بن ابى بلتعة والى كسري عبد الله بن حذافة السهمى وأرسل الى الحارث بن أبى شمر الغسانى وكان نصرانياً بظاهر دمشق فبعث اليه شجاع بن ذهب الاسدى وأرسل الى غير هؤلاء • وقال ايضا اخبرنا الهيثم بن عدي قال أخبرنا دلهم بن صالح وأبو بكر الهذلى عن عبد الله بن بريدة بن الحصيب الاسلمى قال وحدثنا محمد بن اسحق عن يزيد ابن رومان والزهرى وحدثنا الحسن بن عمارة عن فراش عن الشعبى دخل حديث بعضهم فى حديث بعض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ائتوني باجمعكم بالنداة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الفجر يجلس في مصلاه قليلا يسبح ويدعو ثم التفت اليهم فبعث عدة الى عدة وقال صلى الله عليه وسلم انصحوا لله في امر عباده فان من اخبر عن شيء من امور المسلمين ثم لم ينصح حرم الله عليه الجنة انطلقوا ولا تصنعوا كما صنعت رسل عيسى بن مريم فانهم اتوا القريب وتركوا البعيد فاصبحوا يعنى الرسل وكل منهم يعرف بلسان القوم الذين ارسل اليهم وذكر ذلك لنبى صلى الله عليه وسلم فقال هذا اعظم ما كان من حق الله عز وجل عليهم في امر عباده • الوجه الثالث ان النصارى فيهم عرب كثير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكل من يفهم اللسان

العربي فانه يمكن فهمه للقرآن وان كان اصل لسانه فارسيا او روميا او تركيا او هنديا او قبطيا وهؤلاء الذين ارسلوا هذا الكتاب من علماء النصارى قد قرؤا المصحف وفهموا منه ما فهموا وهم يفهمونه بالعربية واحتجوا بآيات من القرآن فكيف يسوغ لهم مع هذا ان يقولوا كيف تقوم الحجة علينا بكتاب لم نفهمه • الوجه الرابع ان حكم اهل الكتاب في ذلك حكم المشركين ومعلوم ان المشركين فيهم عرب وفيهم عجم (ترك وهند وغيرهم) فكما ان جميع المشركين كمشركي العرب وكذلك جميع اهل الكتاب كاهل الكتاب من العرب وفي اليهود والنصارى ممن يعرف لسان العرب من لا يحصيه الا الله عز وجل • الوجه الخامس انه ليس فهم كل آية من القرآن فرضاً على كل مسلم وانما يجب على المسلم ان يعلم ما أمره الله به وما نهاه عنه بأي عبارة كانت وهذا ممكن لجميع الامم ولهذا دخل في الاسلام جميع اصناف العجم من الفرس والترك والهند والصقالبة والبربر ومن هؤلاء من يعلم اللسان العربي ومنهم من يعلم ما فرض الله عليه بالترجمة وقد قدمنا انه يجوز ترجمة القرآن في غير الصلاة والتعبير كما يجوز تفسيره باتفاق المسلمين وانما تنازعوا هل يقرأ بغير العربية تلاوة كما يقرأ في الصلاة فجمهور العلماء منعوا من ذلك وحينئذ فاذا قرا الاعجمي فاتحة الكتاب وسورتين معها بالعربية اجزاه وكذلك التشهد وغيره من الذكر المأمور به وهذا امر يسيرا يسير من اكثر الواجبات فكيف يمتنع ان يأمر الله تبارك وتعالى عباده بذلك وأما جمل ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم من الصلاة والزكاة والصوم والحج وصدق الحديث وأداء الامانة وصلة

الرحم وما حرمه الله من الشرك والفواحش والظلم وغير ذلك فهذا مما يمكن أن يعرفه كل أحد بتعريف من يعرفه اما باللسان العربي واما بلسان آخر لا يتوقف تعريف ذلك على لسان العرب

(فصل) واما قوله تعالى (انا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون) وقوله (ولو جعلناه قرآنا أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي) وقوله (انا جعلناه قرآنا عربياً) فهذا يتضمن انعام الله به على عباده لان اللسان العربي أكمل الالسنة واحسنها بيانا للمعاني فنزول الكتاب به اعظم نعمة على الخلق من نزوله بغيره وهو انما خوطب به أولا العرب ليفهموه ثم من يعلم لغتهم يفهمه كما فهموه ثم من لم يعلم لغتهم ترجمه له من عرف لغتهم وكان اقامة الحجة به على العرب اولا والانعام به عليهم أولا لمعرفتهم بمعانيه قبل أن يعرفه غيرهم قال تعالى (فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا) واللد جمع الالد وهو الاعوج في المناظرة الذى يروغ عن الحق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان أبغض الرجال الى الله الالد الخصم وأما قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فهو كما قال تعالى وقوم محمد صلى الله عليه وسلم هم قريش وبلسانهم أرسل وهو سبحانه لم يقل وما أرسلنا من رسول الا الى قومه بل الرسول يبعثه الله الى قومه وغير قومه كما تقول النصارى أنه بعث المسيح عليه السلام أو الحواريون الى غير بني اسرائيل وليسوا من قومه وكذلك بعث محمد صلى الله عليه وسلم الى قومه وغير قومه ولكن انما يبعث بلسان قومه ليبين لهم ثم يحصل البيان لغيرهم بتوسط البيان لهم اما بلغتهم واسانهم

واما بالترجمة لهم ولو لم يبين لقومه أولا لم يحصل مقصود الرسالة لا لهم ولا لغيرهم واذا تبين لقومه أولا حصل البيان لهم ولغيرهم بتوسطهم وقومه اليهم بعث أولاً ولهم دعى أولا وانذر أوّلا وليس في هذا انه لم يرسل الى غيرهم لكن اذا تبين لقومه لكونه بلسانهم أمكن بعد هذا إن يعرفه غير قومه اما بتعلمه بلسانهم واما بتعريف بلسان يفهم به والرجل يكتب كتاب علم فى طب أو نحو أو حساب بلسان قومه ثم يترجم ذلك الكتاب وينقل الى لغات أخر وينتفع به أقوام آخرون كما ترجمت كتب الطب والحساب التى صنعت بغير العربى وانتفع بها العرب وعرفوا مراد أصحابها وان كان المصنف لها أولا انما صنفها بلسان قومه واذا كان هذا في بيان الامور التى لا تتعلق بها سعادة الاخرة والنجاة من عذاب الله فكيف يمتنع في العلوم التى تتعلق بها سعادة الاخرة والنجاة من العذاب أن ينقل من لسان الى لسان حتى يفهم اهل اللسان الثانى بها ما اراده بها المتكلم بها اولا باللسان الاول وابناء فارس المسلمون لما كان لهم عناية بهذا ترجموا مصاحف كثيرة فيكتبونها بالعربي ويكتبون الترجمة بالفارسية وكانوا قبل الاسلام ابعد عن المسلمين من الروم والنصارى فاذا كان الفرس المجوس قد وصل اليهم معانى القرآن بالعربى وترجمته فكيف لا يصل الى اهل الكتاب وهم اقرب الى المسلمين منهم وعامة الاصول التي يذكرها القرآن عندهم شواهدها ونظائرها في التوراة والانجيل والزبور وغير ذلك من النبوات بل كل من تدبر بنبوات الانبياء وتدبر القرآن جزم جزماً يقينياً بأن محمداً رسول الله حقاً وان موسى رسول الله صدقاً لما يرى

من تصادق الكتابين التوراة والقرآن مع العلم بأن موسى عليه السلام لم يأخذ عن محمد صلى الله عليه وسلم وان محمداً صلى الله عليه وسلم لم يأخذ عن موسى فان محمداً صلى الله عليه وسلم باتفاق اهل المعرفة بحاله كان امياً من قوم اميين مقيما بمكة ولم يكن عندهم من يحفظ التوراة ولا الانجيل ولا الزبور ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يخرج من بين ظهرانيهم ولم يسافر قط الاسفرتين الى الشام خرج مرة مع عمه ابي طالب قبل الاحتلام ولم يكن يفارقه ومرة اخرى مع ميسرة في تجارته وكان ابن بضع وعشرين سنة مع رفقة كانوا يعرفون جميع احواله ولم يجتمع قط بعالم اخذ عنه شيئاً لا من علماء اليهود ولا النصارى ولا من غيرهم لا بحيرا ولا غيره ولكن كان بحيرا الراهب لما رآه عرفه لما كان عنده من ذكره ونعته فاخبر اهله بذلك وامرهم بحفظه من اليهود ولم يتعلم لا من بحيرا ولا من غيره كلمة واحدة وسنبين ان شاء الله الدلائل الكثيرة على انه لم يأخذ عن احد من اهل الكتاب كلمة واحدة وقصة بحيرا مذكورة ذكرها ارباب السير واصحاب المسانيد والسنن قال الحافظ ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى فى جامعه حدثنا الفضل ابو العباس البغدادي قال حدثنا عبد الرحمن بن غزوان ابو نوح انا يونس ابن ابى اسحق عن ابى بكر بن ابي موسى الاشعرى عن ابيه قال خرج ابوطالب الى الشام وخرج معه النبى صلى الله عليه وسلم فى اشياخ من قريش فلما اشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج اليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج اليهم ولا يلتفت قال فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ

بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين هذا رسول
رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش ماعامك
فقال انكم حين اشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الا خرّ
ساجدا ولا يسجدن الا لنبي واني اعرفه بخاتم النبوة اسفل من
غرضوف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاماً فلما اتاهم به
وكان هو فى رعية الابل فقال ارسلوا اليه فاقبل وعليه غمامة تظله فلما
دنى من القوم وجدهم قد سبقوه الي فيء الشجرة فلما جلس مال فيء
الشجرة عليه فقال انظروا الي فيء الشجرة مال عليه • قال فبينما هو قائم
عليهم يناشدهم ان لايذهبوا به الى الروم فان الروم ان رأوه عرفوه
بالصفة فيقتلونه فالتفت فاذا بسبعة قد اقبلوا من الروم فاستقبلهم الراهب
فقال ماجاء بكم؟ قالوا جئنا لان هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق
طريق الا بعث اليه باناس وانا قد أخبرنا خبره بطريقك هذه . فقال
افرأيتم امرا اراد الله ان يقضيه هل يستطيع احد من الناس
رده؟ قالوا لا. قال فتابعوه واقاموا معه قال انشدكم الله يامعشر العرب
ايكم وليه؟ فقال ابو طالب انا. فلم يزل يناشده حتى رده ابوطالب وزوده
الراهب من الكعك والزيت . قال الترمذى هذا حديث حسن غريب
لانعرفه الا من هذا الوجه. ورواه البيهقي فى كتاب دلائل النبوة من
حديث العباس بن محمد عن قراد بن نوح . وقال العباس لم يحدث به يعني
بهذا الاسناد غير قراد وسمعه يحي واحمد بن قراد قال البيهقى
اراد انه لم يحدث بهذا الاسناد سوى هؤلاء، فأما القصة فهي عند اهل
المغازى مشهورة . وقال بن سعد في الطبقات حدثنا محمد بن عمر

قال حدثني محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر وابراهيم بن اسماعيل ابن ابي حبيبة عن داود بن الحصين قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشر سنة خرج به ابو طالب الى الشام في العير التي خرج فيها للتجارة فنزلوا بالراهب بحيرا . فقال بحيرا لابي طالب في النبي صلى الله عليه وسلم ماقال وامره ان يحتفظ به فرده ابو طالب معه الى مكة وشب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ابي طالب يكلاءه الله ويحفظه ويحوطه من امور الجاهلية ومعائبها لما يريده به من كرامته حتى بلغ ان كان رجلا افضل قومه مروءة واحسنهم خلقا واكرمهم مخالطة واعظمهم حلما وامانة واصدقهم حديثاً وابعدهم من الفحش والاذى ماروئى ملاحيا ولا مماريا احدا حتى سماه قومه الامين لما جمع فيه من الامور الصالحة. وقال ابن الجوزي خرج ابو طالب الى الشام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اثني عشر سنة وشهرين وعشرة أيام فنزل الركب ببصرى وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له وكان ذا علم بالنصرانية ولم يزل في تلك الصومعة راهب تنتهي اليه علم النصرانية صاغرا عن كابر وفيها كتب يدرسونها وكان كثيرا ما يمر به الركب فلا يكلمهم حتى اذا كان في ذلك العام نزلوا منزلا قريبا من الصومعة فصنع لهم الراهب طعاما ودعاهم. وانما حمله على ذلك شيء رآه فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام فحضر وارسل الى القوم فقال يامعشر قريش احب ان تحضروا طعامي ولا يتخلف منكم احد فقال وهذا شيء تكرموني به فلما حضروا عنده جعل يلاحظ النبي صلى الله عليه وسلم لحظا شديدا وينظر الى جسده وجعل ابو طالب يخاف عليه

من الراهب ثم قال الراهب لابي طالب ارجع بابن اخيك فانه كائن له شأن عظيم .فانا نجد صفته فى كتبنا ونرويه عن ابائنا. فلما فرغوا من التجارة رجع به ابو طالب سريعاً الى مكة فما خرج بعدها به ابو طالب خوفا عليه.هذا مع ان فى القرآن من الرد على اهل الكتاب في بعض ماحرفوه مثل دعواهم ان المسيح عليه السلام صلب . وقول بعضهم انه اله . وقول بعضهم انه ساحر . وطعنهم على سليمان عليه السلام وقولهم انه كان ساحرا وامثال ذلك مما يبين انه لم يأخذ عنهم . وفي القرآن من قصص الأنبياء عليهم السلام مالا يوجد فى التوراة ولا في الانجيل مثل قصة هود وصالح وشعيب وغير ذلك . وفي القرآن من ذكر المعاد وتفصيله وصفة الجنة والنار والنعيم والعذاب مالا يوجد مثله في التوراة والانجيل بل التوراة ليس فيها تصريح بذكر المعاد وعامة ما فيها من الوعد والوعيد فهو في الدنيا كالوعد بالرزق والنصر والعاقبة والوعيد بالقحط والامراض والاعداء . وان كان ذكر المعاد موجودا في غير التوراة من النبوات ولهذا كان اهل الكتاب يقرون بالمعاد وقيام القيامة الكبرى وقد قيل ان ذلك مذكور في التوراة أيضا لكن لم يبسط كما بسط فى غير التوراة

(فصل) فان قالوا ان الكتب التى عندنا من التوراة والانجيل وغيرهما ترجمها لنا الحواريون وهم عندنا رسل معصومون وترجموها لجميع الامم بخلاف القرآن فانه انما يترجمه من ليس بمعصوم . فمن هذا أجوبة . أحدها أن هذا كذب بيّن فان من العرب من النصارى من لا يحصى عدده الا الله تعالى وكان فيهم نصارى كثيرون تنصروا قبل مبعث

محمد صلى الله عليه وسلم وكان فيهم قوم على دين المسيح الذى لم يبدل وهم مؤمنون من أهل الجنة كسائر من كان على دين المسيح عليه السلام فان كل من كان على دين المسيح الذى لم يبدل قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فانه مؤمن مسلم من أهل الجنة . ومع هذا فليس على وجه الارض توراة ولا انجيل معرب من عهد الحواريين بل التوراة العبرية تنقل من اللسان العبرى أوغيره الى العربية . وكذلك الانجيل ينقل من اللسان الرومي أو السرياني أو اليوناني أو غيره الى اللغة العربية فلو كان عند كل أمة من الامم تورات وانجيل ونبوات بلسانهم لكان نصارى العرب احق بهذا من نصارى الحبشة والصقالبة والهند . فانهم جيران البيت المقدس وهم بنو اسماعيل عليه السلام والاناجيل عندهم أربعة وهم يدعون أن كل واحد كتبها بلسان . كتبت بلسان العبرى والرومي واليوناني مع أن فى بعض الاناجيل ما ليس في بعض . مثل قولهم عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس الذى جعلوه اصل دينهم . وهذا انما هو قوله في انجيل متى واذا كان كل واحد من الاربعة كتب انجيلا بلسانه لم يكن هناك انجيل واحد اصلى ترجع اليه الاناجيل كلها ثم انهم مع هذا يدعون انها ترجمت باثنين وسبعين لسانا وهذا فيه من الكذب والتناقض أمور سننبه ان شاء الله على بعضها لكن غاية ما يدعون انه ترجم باثنين وسبعين لسانا . ومعلوم أن الالسنة الموجودة في بني آدم في جميع المعمورة فى زماننا وقبل زماننا اكثر من هذا كما يعرفه من عرف أحوال العالم بل اللسان الواحد كالعربى والفارسي والتركى جنس تحته أنواع مختلفة لايفهم بعضهم لسان بعض الا ان يتعلمه منهم . والعرب اقرب الامم الى

بنى اسحاق بنى اسرائيل والعيص. فلهم بنوا اسماعيل وجيرانهم فان اهل الحجاز جيران الشام ومكة لم تزل تحج اليها العرب ولم يكن قط عند العرب توراة ولا انجيل عربيان من عهد المسيح عليه السلام بل ولا كان بمكة لاتوراة ولا انجيل لامعرب ولا غير معرب ولهذا قال تعالى (لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك) فكيف يدعى ان التوراة والانجيل ترجمها الحواريون لكل قوم من جميع بنى آدم شرقا وغربا وجنوبا وشمالا بلسان يفهمونه به وهل يقول هذا الا من هو من اكذب الناس واجهلهم • الوجه الثاني ان يقال ترجمة الكلام من لغة الى لغة لاتحتاج الى معصوم بل هذا امر تعلمه الامم فكل من عرف اللسانين امكنه الترجمة ويحصل العلم بذلك اذا كان المترجمون كثيرين متفرقين لايتواطئون على الكذب وبقرائن تقترن بخبر احدهم وبغير ذلك وهذا موجود معلوم بل اذا ترجمه اثنان كل منهما لايعرف ما يقوله الآخر لم يتواطئا حصل بذلك المقصود فى الغالب وهم يذكرون ان التوراة ترجمها اثنان وسبعون حبرا من اليهود ولم يكونوا معصومين وان الملك فرقهم لئلا يتواطئوا على الكذب واتفقوا على ترجمة واحدة وهذا كان بعد الخراب الاول فهكذا يمكن ترجمة غير التوراة وهذه التوراة فى زماننا والانجيل والزبور يترجم باللغة العربية ويعرف المقصود به بلا ريب فكيف بالقران الذى يفهم اهله معناه ويفسرونه ويترجمونه اكمل واحسن مما يترجم اهل التوراة والانجيل التوراة والانجيل • الوجه الثالث ان دعوى العصمة فى كل واحد من الحواريين وانهم رسل الله بمنزلة ابراهيم وموسى عليهما السلام دعوى ممنوعة وهى باطلة وانما هم

رسل المسيح عليه السلام بمنزلة رسل موسى ورسل ابراهيم ورسل محمد صلى الله عليهم وسلم واكثر النصارى او كثير منهم او كلهم يقولون هم رسل الله وليسوا بانبياء وكل من ليس بنبي فليس برسول الله وليس بمعصوم وان كانت له خوارق عادات كاولياء الله من المسلمين وغيرهم فانه وان كانت لهم كرامات من الخوارق فليسوا معصومين من الخطأ والخوارق التي تجري على يدي غير الانبياء لاتدل على ان اصحابها اولياء الله عند اكثر العلماء فضلا عن كونهم معصومين • فان ولي الله من يموت على الايمان. ومجرد الخوارق لاتدل على انه يموت على الايمان بل قد يتغير عن ذلك الحال واذا قطعنا بان الرجل ولي الله كمن اخبر النبي بانه من اهل الجنة فلا يجب الايمان بكل مايقوله ان لم يوافق ماقالته الانبياء بخلاف الانبياء عليهم السلام فانهم معصومون لايجوز ان يستقر فيما يبلغونه خطأ . ولهذا اوجب الله الايمان بهم ومن كفر بواحد منهم فهو كافر ومن يسب واحدا منهم وجب قتله في شرع الاسلام كما قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) وقال تعالى (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) وهذا مبسوط في موضع آخر

(فصل) واما قولهم لا يلزمنا اتباعه لاننا نحن قد اتانا رسل من قبله خاطبونا بالسنتنا وانذرونا بديننا الذى نحن متمسكون به يومنا هذا وسلموا الينا التوراة والانجيل بلغاتنا على مايشهد لهما الكتاب الذى اتي به هذا حيث يقول فى سورة ابراهيم (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) وقال فى سورة النحل (ولقد بعثنا فى كل امة رسولا) فالجواب عنه من وجوه احدها ان اثبات رسول من قبله اليكم لايمنع اتيان رسول ثان فان بنى اسرائيل قد بعث الله اليهم موسى عليه السلام وكانوا على شريعة التوراة ثم بعث الله تبارك وتعالى اليهم المسيح عليه السلام وجب عليهم الايمان به ومن لم يؤمن به كان كافراً وان قال انى متمسك بالكتاب الذى انزل اليّ . فكذلك اذا ارسل الله رسولا بعد المسيح وجب الايمان به ومن لم يؤمن به كان كافراً كما ان من لم يؤمن بالمسيح من بنى اسرائيل كان كافراً وبنوا اسرائيل اكثر اختصاصا بموسى والتوراة من الروم وغيرهم فالمسيح والانجيل فانهم كانوا عبرانيين والتوراة عبرانية . الوجه الثانى دعواهم انهم متمسكون فى هذا الوقت بالدين الذى نقله الحواريون عن المسيح عليه السلام كذب ظاهر بل هم عامة ماهم عليه من الدين عقائده وشرائعه كالامانة والصلاة الى المشرق واتخاذ الصور والتماثيل فى الكنائس واتخاذها وسائط والاستشفاع باصحابها وجعل الاعياد باسمائهم وبناء الكنائس على اسمائهم واستحلال الخنزير وترك الختان والرهبانية وجعل الصيام فى الربيع وجعله خمسين يوما والصلوات والقرابين والناموس لم ينقله الحواريون عن المسيح ولاهو موجود لافى التوراة ولافى الانجيل وانما هم متمسكون بقليل مما جاءت به الانبياء . واما كفرياتهم وبدعهم

فكثيرة جداً ولا ينقل احد عن المسيح والحواريين انهم امروهم ان يقولوا ما يقولونه فى صلاتهم السحرية تعالوا بنا نسجد للمسيح إلهنا وفى الصلاة الثانية والثالثة ياوالدة الاله مريم العذراء افتحي لنا ابواب الرحمة . الوجه الثالث قولهم انهم سلموا اليهم التوراة والانجيل بلغاتهم انما يستقيم ان كان صحيحا فى بعض النصارى لافى جميعهم فان العرب من النصارى وغير العرب لم يسلم احد اليهم توراة ولا انجيلا بلسانهم وهـذا امر معروف ولا يوجد قط توراة ولا انجيل معرب من زمن الحواريين وانما عربت فى الازمان المتأخرة . فاذا كانت النصاري من العرب تقوم عليهم الحجة قبل محمد صلى الله عليه وسلم بكتاب نزل بغير لسانهم ثم عرب لهم فكيف لاتقوم على الروم وغيرهم الحجة بكتاب نزل بغير لسانهم ثم ترجم بلسانهم . الوجه الرابع ان يقال الامة اذا غيرت دين رسولها الذى ارسل اليها وبدلته ارسل الله اليها من يدعوها الى الدين الذى يحبه الله ويرضاه • كما ان بنى اسرائيل لما غيروا دين موسى وبدلوه بعث الله اليهم والى غيرهم المسيح بالدين الذى يحبه الله وكذلك النصارى لما بدلوا دين المسيح وغيروه بعث الله اليهم والى غيرهم محمداً صلى الله عليه وسلم بالدين الذى يحبه ويرضاه وقد ثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب واولئك البقايا الذين كانوا متمسكين بدين المسيح قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم كانوا على دين الله عز وجل. وأما من حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم فمن لم يؤمن به فهو من اهل النار كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح

والذى نفسى بيده لايسمع بى احد من هذه الامة يهودى ولانصرانى ثم يموت ولايؤمن بالذى ارسلت به الاكان من اصحاب النار . الوجه الخامس ان يقال دعواهم ان الرسل سلموا اليهم التوراة والانجيل وسائر النبوات باثنين وسبعين لسانا وانها باقية الى اليوم على لفظ واحد دعوى يعلم ان قائلها يتكلم بلا علم بل مفتر كاذب وذلك ان هذا يقتضى انه الآن فى الارض هذه الكتب باثنين وسبعين لسانا كلها منقولة عن الحواريين وكلها متفقة غير مختلفة البتة فهذا اربع دعاوى انها موجودة باثنين وسبعين لسانا. وانها متفقة. وانها كلها منقولة عن الحواريين • الرابعة انهم معصومون • فيقال من الذى منكم لو قدر ان هذه الكتب التى باثنين وسبعين لسانا هى عن الحواريين • وهى موجودة اليوم فمن الذى يمكنه ان يشهد بموافقة بعضها بعضا وذلك لا يمكن الا لمن يعلم الاثنين وسبعين لسانا ويكون ماعنده من الكتب يعلم انما هى ماخوذة عن الحواريين ويعلم ان كل نسخة فى العالم بذلك اللسان توافق النسخة التي عنده والا فلو جمع اثنين وسبعين نسخة باثنين وسبعين لسانا لم يعلم ان كل نسخة من هذه هي المأخوذة عن الحواريين ان قدر انه اخذ عنهم اثنين وسبعين لسانا . ولا يعلم ان كل نسخة فى العالم توافق تلك النسخة فانه من المعلوم انه فى زماننا وقبل زماننا لم تزل هذه الكتب تنقل من لسان الى لسان كما يترجم من العبرانية الى العربيـة ومن السريانية والرومية واليونانية الى العربية وغيرها. وحينئذ فاذا وجدت نسخة بالعربية لم يعلم انها مما عربت بعد الحواريين او هى من المأخوذ عن الحواريين اذا قدر انه اخذ عنهم نسخة بالعربية ولايمكن احداً

ان يجمع جميع النسخ المعربة ويقابل بينها. بل قد وجدنا النسخ المعربة يخالف بعضها بعضاً فى الترجمة مخالفة شديدة تمنع الثقة ببعضها وقد رأيت انا بالزبور عدة نسخ معربة بينها من الاختلاف مالا يكاد ينضبط وما يشهد بانها مبدلة مغيرة لا يوثق بها . ورأيت من التوراة المعربة من النسخ ما يكذب بكثير من ترجمتها طائفة من اهل الكتاب فكيف يمكنه ان يجمع جميع النسخ التى بالاثنين وسبعين لسانا ويقابل بين نسخ كل لسان حتى يكون فيها النسخة القديمة المأخوذة عن الحواريين ثم يقابل بين نسخ جميع الالسنة ولا يمكن ذلك الا لمن يكون عارفاً بالاثنين وسبعين لسانا معرفة تامة وليس في بنى ادم من يقدر على ذلك ولو قدر وجود ذلك فلم يعرف ان القادر على ذلك فعل ذلك واخبرنا باتفاقها. ولو وجد ذلك لكان هذا خبر واحد وان يترجم كل لسان من يعلم صحة ترجمته حتى تنتهى الترجمة الى لسان واحد كالعربي مثلا ويعلم حينئذ اتفاقها . والا فاذا ترجم هذا الكتاب بلسان او لسانين او اكثر وترجم الآخر كذلك لم يعلم اتفاقها ان لم يعلم ان المعنى بهذا اللسان هو المعنى بهذا اللسان وهذا لا يكون الا ممن يعرف اللسانين او من ترجم له اللسانان باللسان الذي يعرفه ومعلوم ان احدا لم يترجم له الاثنان وسبعون لساناً بلسان واحد او السنة يعرفها ولا يعرف احد باثنين وسبعين لساناً . وحينئذ فالجزم باتفاق جميع الكتب المكتوبة باثنين وسبعين لسانا او الجزم بان نسخ كل لسان متفقة جزم بما لا يعلم صحته لو لم يكن فى الارض اليوم الاثنان وسبعون لسانا منقولة عن الحواريين لم تختلط بالمترجم بعد ذلك فكيف واكثر ما

بأيدى الناس هو مما يترجم بعد ذلك بالعربي وغيره هذا اذا ثبت أن الحواريين سلموها باثنين وسبعين لسانا وانها باقية الى اليوم وهذا امر لا يمكن احدا معرفته • فليس اليوم توراة وانجيل ونبوات يشهد لها احد انها مترجمة باللسان العربى من عهد الحواريين بل ولا باكثر الالسنة والا فاذا قدران الحواريين سلموها باثنين وسبعين لسانا مع حصول الترجمة بعد ذلك وكثرة المترجمات امكن وقوع التغيير فى بعض المترجمات وحينئذ فالعلم بان تلك النسخ القديمة لا تغيير فيها لا يمنع وقوع التغيير فى بعض ما ترجم بعدها أو فى بعض ما نسخ بعدها ولا سبيل الى العلم باتفاقها مع كونها باثنين وسبعين لسانا بخلاف القرآن الذى هو بلسان العرب وخط العرب فان العلم باتفاق ما يوجد من نسخه ممكن وهو محفوظ فى الصدور لا يحتاج الى حفظ فى الكتب فهو منقول بالتواتر لفظا وخطا • الوجه السادس قولهم وسلموا الينا التوراة والانجيل بلساننا على ما يشهد لهما الكتاب الذي أتى به هذا • فيقال لهم ليس فى القرآن ما يشهد لكم بان التوراة والانجيل سلمت اليكم بلسانكم فاستشهادكم بالقرآن على هذه الدعوى من جنس استشهادكم به على ان دينكم حق • ومن جنس استشهادكم بالنبوات على ما احدثتموه وغيرتم به دين المسيح عليه السلام من التثليث والاتحاد وغير ذلك وقولهم حيث يقول الله (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) وقوله تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) فيقال لاريب ان قوم موسى عليه السلام هم بنوا اسرائيل وبلسانهم نزلت التوراة وكذلك بنوا اسرائيل هم قوم المسيح عليه السلام وبلسانهم كان المسيح يتكلم فلم يخاطب واحد من

الرسولين أحدا الا بالسان العبرانى لم يتكلم احد منهما لا برومية ولا سريانية ولا يونانية ولا قبطية وقوله تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) كلام مطلق عام كقوله (وان من أمة الا خلا فيها نذير) ليس فى هذا تعرض • لكون التوراة والانجيل سلمت اليهم بالسنتهم • الوجه السابع ان يقال عمدتهم فى هذه الحجة انهم يقولون الحواريون هم عندنا رسل الله كابراهيم وموسى • والمسيح عندنا هو الله وهو ارسل هؤلاء الينا فيجب ان يكونوا ارسلوا الينا بلساننا • وان يكونوا سلموا الينا التوراة والانجيل بلساننا • فيقال لهم هب انكم • تدعون هذا وتعتقدونه ونحن سنبين ان شاء الله تعالى ان هذه دعاوى باطلة لكن انتم فى هذا المقام تذكرون ان هذا الكتاب الذي هو القرآن الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يشهد لكم بذلك وهذا كذب ظاهر على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى كتابه وانتم صدرتم كتابكم بان كتابه يشهد لكم • ونحن نبين كذبكم وافتراءكم عليه سواء اقررتم بنبوته اولم تقروا بها • فانه من المعلوم يقينا عنه انه لم يشهد للمسيح بانه الله بل كفر من قال ذلك ولا يشهد للحواريين بانهم رسل ارسلهم الله بل انما شهد للحواريين بانهم قالوا انا مؤمنون مسلمون وانهم قالوا نحن انصار الله كما شهد لمن آمن به بانهم مؤمنون مسلمون ينصرون الله ورسوله بل وانهم افضل من الحواريين لكون امته خير الامم كما قال تعالى (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون) وقال تعالى (واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا

واشهد بأننا مسلمون) وقال تعالى (ياايها الذين آمنوا كونوا
انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال
الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة
فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) وسيأتي الكلام على هذا
مبسوطاً ونبين ان الرسل المذكورين في سورة يس ليس هم الحواريين
ولا كانوا رسلا للمسيح بل كان هذا الارسال قبل المسيح واهل القرية
كذبوا اولئك الرسل فاهلكهم الله كما قال تعالى (وما انزلنا على قومه
من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت الا صيحة واحدة
فاذاهم خامدون) والرسل المذكورون في سورة يس هم ثلاثة وكان في
القرية رجل آمن بهم وهذه وان كانت انطاكية فكان هذا الارسال
قبل المسيح • والمسيح عليه السلام ذهب الى انطاكية اثنان من اصحابه
بعد رفعه الى السماء ولم يعززوا بثالث ولا كان حبيب النجار موجوداً
اذ ذاك • وآمن أهل انطاكية بالمسيح عليه السلام وهم اول مدينة آمنت
به كما قد بسط في غير هذا الموضع • والمقصود هنا ان محمداً صلى الله عليه
وسلم لم يشهد للمسيح بالالهيه ولا للحواريين بانهم رسل الله ولا انهم
سلموا اليهم التوراة والانجيل بلسانهم ولا بانهم معصومون وما ذكروه
من قوله تعالى (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) انما يتناول
رسل الله لا رسل رسل الله بل رسل رسل الله يجوز ان يبلغوا رسالات
الرسل بلسان الرسل اذا كان هناك من يترجم لهم ذلك اللسان وان
لم يكن هناك من يترجم ذلك اللسان كانت رسل الرسل تخاطبهم

بلسانهم لكن لايلزم من هذا ان يكونوا قد كتبوا الكتب الآلهية بلسانهم بل يكفي ان يقرؤها بلسان الانبياء عليهم السلام ثم يترجموها بلسان اؤلئك وهو سبحانه قال (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) ولم يقل وما ارسلنا من رسول الا الى قومه بل محمد ارسل بلسان قومه وهم قريش وارسل الى قومه وغير قومه كما يذكرون هم ذلك عن المسيح عليه السلام

(فصل) واما قوله تعالى (ولقد بعثنا في كل امة رسولا) فحق فتمام الآية ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليهم الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) وهذا كقوله تعالى في الآية الاخرى (انا ارسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وان من امة الا خلافيها نذير) وقوله انما انت منذر ولكل قوم هاد) في اصح الاقوال اى ولكل قوم داع يدعوهم الى توحيد الله وعبادته كما انت هاد اى داع لمن ارسلت اليه والهادي بمعنى الداعي المعلم المبلغ لابمعنى الذي يجعل الهدى في القلوب كقوله (وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض) وقوله (واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) ومعلوم ان بني اسرائيل كانوا اكثر الامم انبياء بعث اليهم موسى وبعث اليهم بعده انبياء كثيرون حتى قيل انهم الف نبي وكلهم يأمرون بشريعة التوراة ولا يغيرون منها شيئاً ثم جاء المسيح بعد ذلك بشريعة أخرى غير فيها بعض شرع التوراة بأمر الله عز وجل فاذا كان ارسال موسى والانبياء بعده اليهم لم يمنع ارسال المسيح اليهم

فكيف يمتنع ارسال محمد صلى الله عليه وسلم الى اهل الكتاب من اليهود والنصارى وهم من حين المسيح لم يأتهم رسول من الله كما قال تعالى (يا أهل الكتاب قد جآءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ماجآءنا من بشير ولا نذير فقدجاءكم بشيرونذيروالله على كل شيء قدير) وهذه الفترة التي كانت بين المسيح وبين محمد صلوات الله عليهما وسلامه وهي فيما ذكره غير واحد من العلماء كسلمان الفارسي وغيره كانت ستمائة سنة وقد قيل ستمائة سنة شمسية وهي ستمائة وعشرون او ثمانية عشر هلالية وذلك ان كل مائة سنة شمسية تكون مائة وثلاث سنين هلالية كما قال تعالى (ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً) وهذه التسع وبعض العاشرة. والتاريخ قد تحسب فيه التامة وتحسب فيه الناقصة فمن قال عشرين حسب الناقصة. ومن قال ثمانية عشر حسب التامة فقط

(فصل) وأما قولهم ونعلم ان الله عدل وليس من عدله ان يطالب امة يوم القيامة باتباع انسان لم يات اليهم ولا وقفوا له على كتاب بلسانهم ولا من جهة داع من قبله. فيقال الجواب من وجوه. احدها ان هذا الكلام لا يجوز ان يقوله من كتب هذا الكتاب ولا احد يفهم بالعربية فان هؤلاء يفهمون هذا الكتاب بالعربية وقد قرأوه وناظروا بما فيه واذا كانوا مع ذلك يفهمون بغير العربية كان ذلك ابلغ فى قيام الحجة عليهم فانهم يمكنهم فهم ماقال بالعربية وتفهيم ذلك لقومهم باللسان الآخر. الوجه الثاني انهم يفهمون مافى كتبهم الرومية والسريانية والقبطية وغيرها ويترجمونها للعرب من النصارى بالعربية فاذا قامت

الحجة على عرب النصارى باللسان الرومي فلان تقوم على الروم باللسان العربي اولى. فان اللسان العربي اكثر انتشاراً فى العالم من اللسان الرومي والناطقون به بعد ظهور الاسلام اكثر من الناطقين بغيره وهو اكمل بياناً واتم تفهما . وحينئذ فيكون وصول المعاني به الى غير أهل لسانه ايسر لكمال معناه ولكثرة العارفين به . وهؤلاء علماء النصارى يقرأون كتب الطب والحساب والفلسفة وغير ذلك باللسان العربي مع ان مصنفيها كانوا عجما من رومي ويوناني وغير ذلك. فما المانع ان يقرأ القرآن العربي وتفسيره وحديث النبي صلى الله عليه وسلم باللسان العبري؛ مع انه اخذ عن الرسول بالعربي فهو اولى بان يعرف به مراد المتكلم به . الوجه الثالث ان يقال. الناس لهم فى عدل الله ثلاثة اقوال. قيل كل مايكون مقدوراً لله فهو عدل. وقيل العدل منه نظير العدل من عباده وهما قولان ضعيفان وقيل من عدله ان يجزى المحسن بحسناته ولا ينقصه شيئاً منها ولا يعاقبه بلا ذنب. ومعلوم انه اذا امر العبد بما يقدر عليه كان جائزاً باتفاق طوائف أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى وان كان الفعل مكروهاً للانسان فان الجنة حفت بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقد كلفت بنوا اسرائيل والنصارى من الاعمال ماهو مكروه لهم وشاق عليهم فكيف يمتنع ان يأمرهم وينهاهم بلغة يبين بعض المسلمين معناها لهم والعرب الذي نزل القرآن بلسانهم طبقوا الارض. ومنهم نصارى لا يحصون فكل من عرف بالعربية من النصارى أمكنه فهم مايقال بالعربي ومن كان منهم رومياً كان له اسوة من اسلم من سائر طوائف الاعاجم كالفرس والترك والهند والبربر والحبشة وغيرهم وهو متمكن من معرفة

ما امره الله به والعمل به كما يمكن هؤلاء كلهم . بل الروم اقدر على ذلك من غيرهم فلاى وجه يمتنع ان يامرهم الله بذلك ؟ وما لا يتم الواجب الا به اذا كان مقدورا للعبد فعليه ان يفعله باتفاق اهل الملل المسلمين واليهود والنصارى . وان ما تنازع الناس فيه هل يسمى واجبا؟ فقيل يسمى واجبا. وقيل لا يسمى واجبا . فان الآمر لم يقصده بالامر وقد لا يخطر بباله اذا كان الأمر مخلوقا قال هؤلاء. ولان الواجب ما يذم تاركه شرعا او يعاقب تاركه شرعا او ما يستحق تاركه الذم او العقاب او ما يكون تركه سببا للذم او العقاب . قالوا وما لا يتم الواجب الا به لا يستحق تاركه الذم والعقاب. فان الحج اذا وجب على شخصين احدهما بعيد والآخر قريب ولم يفعلاه لم تكن عقوبة البعيد على الترك اعظم من عقوبة القريب مع ان المسافة التي لا بد لهما من قطعها اكثر . وكذلك من وجب عليه قضاء دينه من غير احتياج الى بيع شيء من ماله ليست عقوبته على الترك باقل من عقوبة من يحتاج الى بيع مال له ليقضى به دينه . وفصل الخطاب ان مالا يتم الواجب الا به هو من لوازم وجود الواجب . ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع فالمأمور به لا يمكن فعله الا بلوازمه والمنهى عنه لا يمكن تركه الا بترك ملزوماته. لكن هذا الملزوم لزوم عقلي او عادي فوجوبه وجوب عقلي عادي. لا ان الامر نفسه قصد ايجابه والذم والعقاب على تركه وتنازع الناس هل يقال مالا يتم الواجب الا به فهو واجب سواء كان وجوبه شرعياً او عقلياً. او يحتاج ان يقال مالا يتم الواجب الا به وكان مقدورا للمكلف فهو واجب. فالجمهور اطلقوا العبارة الاولى وبعض المتأخرين

قيدوها بالمقدور ولا حاجة الى ذلك. فان مالم يكن مقدوراً ينتفي الوجوب مع انتفائه فيكون شرطاً في الوجوب لا في فعل الواجب والجمهور قالوا مالا يتم الواجب الا به فانه يجب. والمقصود هنا ان الله اذا اوجب على العباد شيئاً واحتاج اداء الواجب الى تعلم شيء من العلم كان تعلمه واجباً فاذا كان معرفة العبد لما امره الله به تتوقف على ان يعرف معنى كلام تكلم به بغير لغته وهو قادر على تعلم معنى تلك الالفاظ التي ليست بلغته او على معرفة ترجمتها بلغته وجب عليه تعلم ذلك. ولو جاءت رسالة من ملك الى ملك بغير لسانه لطلب من يترجم مقصود الملك المرسل ولم يجز ان يقول انك لم تبعث الى من يخاطبني بلغتي من قدرته على ان يفهم مراده بالترجمة فكيف يجوز ان يقال ذلك لرب العالمين؟ ولو امر بعض الملوك بعض رعاياه وجنوده بلغته وهم قادرون على معرفة ما امرهم به اما بتعلم لغته واما بمن يترجم لهم ماقاله لم يكن ذلك ظلما فكيف يكون ظلما من رب العالمين مع انه ليس بظلم من المخلوقين. ولو وجب لبعض الرعية حق على بعض او ظلم بعضهم بعضاً لوجب على الملك ان ينصف المظلوم ويرسل الى الظالم من يامره بالعدل والانصاف ويعاقبه اذا لم ينصف اذا كان الظالم متمكنا من معرفة امر الملك بالترجمة او غيرها وهذا هو العدل ليس العدل ان يترك الناس ظالمين في حق الله وحق عباده والله تعالى ارسل رسله وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط كما قال تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) فليس لاحد ممن ارسل اليه رسول وهو قادر على معرفة ما أرسل به اليه بالترجمة او غير الترجمة ان يمتنع من شرع الله

الذي انزله وهو القسط الذي بعث به رسوله لكون الرسول ليس لغته لغته مع قدرته على ان يعرف مراده بطرق متعددة والناس في مصالح دنياهم يتوسل احدهم الى معرفة مراد الآخر بالترجمة وغيرها فيتبايعون وبينهم ترجمان يبلغ بعضهم عن بعض ويتراسلون في عمارة بلادهم واغراض نفوسهم بالتراجم الذين يترجمون لهم وامر الدين اعظم من امر الدنيا فكيف لا يتوسلون الى معرفة مراد بعضهم من بعض؟ وكيف يكون امر الدنيا اهم من امر الدين الا عند من اغفل الله قلبه عن ذكر ربه واتبع هواه واعرض عن ذكر ربه ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم قال تعالى (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا) وقال تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطاً). الوجه الرابع انه من العجب ان تعد النصارى مثل هذا ظلماً خارجاً عن العدل وهم قد نسبوا الى الله من الظلم العظيم على هذا الاصل مالم ينسبه اليه احد من الامم كما سبوه وشتموه مسبة ماسبه اياها احد من الامم فهم من ابعد الامم عن توحيده وتمجيده وحمده والثناء عليه وذلك انهم يزعمون ان آدم لما أكل من الشجرة غضب الرب عليه وعاقبه وان تلك العقوبة بقيت في ذريته الى ان جاء المسيح وصلب وانه كانت الذرية في حبس ابليس فمن مات منهم ذهبت روحه الى جهنم في حبس إبليس حتى قالوا ذلك في الانبياء نوح وابراهيم وموسى وداود وسليمان وغيرهم . ومعلوم ان ابراهيم كان ابوه كافرا ولم يؤاخذه الله بذنب ابيه فكيف يؤاخذه

بذنب آدم وهو ابوه الا بعد؛ هذا لو قدر ان آدم لم يتب فكيف وقد
اخبر الله عنه بالتوبة؟ ثم يزعمون ان الصلب الذي هو من اعظم الذنوب
والخطايا به خلص الله آدم وذريته من عذاب الجحيم وبه عاقب ابليس
مع ان ابليس ما زال عاصياً لله مستحقاً للعقاب من حين امتنع من السجود
لادم ووسوس لادم الى حين مبعث المسيح . والرب قادر على عقوبته
وبنوا ادم لا عقوبة عليهم فى ذنب ابيهم فمن كان قولهم مثل هذه الخرافات
التي هي مضاحك العقلاء والتي لا تصلح ان تضاف الى اجهل الملوك
واظلمهم فكيف يدعون مع هذا انهم يصفون الله بالعدل ويجعلون
من عدله انه لا يأمر الانسان بتعلم ما يقدر على تعلمه وفيه صلاح معاشه
ومعاده ويجعلون مثل هذا موجبا لتكذيب كتابه ورسله والاصرار على
تبديل الكتاب الاول وتكذيب الكتاب الآخر وعلى انه يتضمن مخالفة
موسى وعيسى وسائر الانبياء والرسل . والنصارى يقولون ان المسيح
الذى هو عندهم اللاهوت والناسوت جميعاً انما مكن الكفار من صلبه
ليحتال بذلك على عقوبة ابليس .قالوا فاخفى نفسه عن ابليس لئلا يعلم
قالوا ومكن اعداءه من اخذه وضربه والبصاق في وجهه ووضع الشوك
على رأسه وصلبه واظهر الجزع من الموت وصار يقول يا الهي لم سلطت
اعدائي عليّ ليخفى بذلك عن ابليس فلا يعرف ابليس انه الله او ابن
الله ويريد ابليس ان يأخذ روحه الى الجحيم كما اخذ ارواح نوح وابراهيم
وموسى وغيرهم من الانبياء والمؤمنين. فيحتج عليه الرب حينئذ ويقول
بماذا استحللت يا أبليس ان تأخذ روحي؟ فيقول له أبليس بخطيئتك
فيقول ناسوتي لا خطيئة له كنوا سيت الانبياء فانه كان لهم خطايا استحقوا

بها ان تأخذ ارواحهم الى جهنم. وانا لاخطيئة لي . قالوا فلما اقام الله الحجة على ابليس جاز للرب حينئذ ان يأخذ ابليس ويعاقبه ويخلص ذرية آدم من اذهابهم الى الجحيم • وهذا الكلام فيه من الباطل ونسبة الظلم الى الله مايطول وصفه فمن هذا قوله فقد قدح في علم الرب وحكمته وعدله قدحاً ما قدحه فيه احد وذلك من وجوه • احدها ان يقال ابليس ان كان اخذ الذرية بذنب ابيهم فلا فرق بين ناسوت المسيح وغيره وان كان بخطاياهم فلم يأخذهم بذنب ابيهم وهم قالوا انما اخذهم بذنب ادم. الثاني ان يقال من خلق بعد المسيح من الذرية كمن خلق قبله فكيف جاز ان يمكن ابليس من الذرية المتقدمين دون المتاخرين وكلهم بالنسبة الى ادم سواء وهم ايضا يخطئون اعظم من خطايا الانبياء المتقدمين فكيف جاز تمكن ابليس من عقوبة الانبياء المتقدمين ولم يمكن من عقوبة الكفار والجبابرة الذين كانوا بعد المسيح . الوجه الثالث ان يقال اخذ ابليس لذرية ادم وادخالهم جهنم • اما ان يكون ظلما من ابليس • واما ان يكون عدلا • فان كان عدلا فلا لوم على ابليس ولايجوز ان يحتال عليه ليمتنع من العدل الذى يستحقه بل يجب تمكينه من المتقدمين والمتأخرين • وان كان ظلما فلم لا يمنعه الرب منه قبل المسيح • فان قيل لم يقدر فقد نسبوه الى العجز • وان قيل قدر على دفع ظلم ابليس ولم يفعله فلا فرق بين دفعه في زمان دون زمان او جاز ذلك جاز في كل زمان وان امتنع امتنع في كل زمان. الوجه الرابع ان ابليس ان كان معذورا قبل المسيح فلا حاجة الى عقوبته ولا يلام عليه • وان لم يكن معذورا استحق العقوبة ولا حاجة ان يحتال عليه بحيلة تقام بها الحجة عليه. الوجه الخامس

انه بتقدير انه لم يتم عليه حجة قبل الصاب فلم يقم عليه بالصاب فانه يمكنه ان يقول انا ما علمت ان هذا الناسوت هو ناسوت الرب وانت يارب قد اذنت لى ان آخذ جميع ذرية ادم فاؤديهم الى الجحيم وهذا واحد منهم وما علمت انك او ابنك اتحد به ولو علمت ذلك لعظمته فانا معذور في ذلك فلا يجوز ان تظلمني. الوجه السادس ان نقول ان ابليس يقول حينئذ يارب فهذا الناسوت الواحد اخطأت في اخذ روحه لكن سائر بنى ادم الذين بعده لى ان احبس ارواحهم في جهنم كما حبست ارواح الذين كانوا قبل المسيح اما بذنب ابيهم واما بخطاياهم انفسهم • وحينئذ فان كان ما يقوله النصارى حقا فلا حجة لله على ابليس. الوجه السابع ان يقال هب ان ادم اذنب وبنوه اذنبوا بتزيين الشيطان فعقوبة بنى ادم على ذنوبهم هي الى الله او الى ابليس؟ فهل يقول عاقل ان ابليس له ان يغوي بني ادم بتزيينه لهم ثم له ان يعاقبهم جميعا بغير اذن من الله له فى ذلك وهل هذا القول الا من قول المجوس الثنوية الذين يقولون ان كل ما في العالم من الشر من الذنوب والعقاب وغير ذلك هو من فعل ابليس لم يفعل الله شيئاً من ذلك ولا عاقب الله احدا على ذنب. ولا ريب ان هذا القول سرى الي النصارى من المجوس ولهذا لا ينقلون هذا القول في كتاب منزل ولا عن احد من الحواريين ولهذا كان المانوية دينهم مركبا من دين النصارى والمجوس وكان رأسهم مانى نصرانياً مجوسياً فالنسب بين النصارى والمجوس بل وسائر المشركين نسب معروف . الوجه الثامن ان يقال ابليس عاقب بنى آدم وادخلهم جهنم باذن الله او بغير اذنه. ان قالوا باذنه . فلا ذنب له ولا يستحق ان

يحتال عليه ليعاقب ويمتنع. وان كان بغير اذنه فهل جاز في عدل الله ان يمكنه من ذلك ام لم يجز؟ فان جاز ذلك في زمان جاز في جميع الازمنة وان لم يجز في زمان لم يجز في جميع الازمنة فلا فرق بين ماقبل المسيح وما بعده. الوجه التاسع ان يقال هل كان الله قادراً على منع ابليس وعقوبته بدون هذه الحيلة وكان ذلك عدلا منه لو فعله ام لا؟ فان كان ذلك مقدوراً له وهو عدل منه لم يحتج ان يحتال على ابليس ولا يصلب نفسه او ابنه ثم ان كان هذا العدل واجباً عليه وجب منع ابليس وان لم يكن واجباً جاز تمكينه في كل زمان فلا فرق بين زمان وزمان وان قيل لم يكن قادراً على منع ابليس فهو تعجيز للرب على منع ابليس وهذا من اعظم الكفر باتفاق أهل الملل من جنس قول الثنوية الذين يقولون لم يكن يقدر النور ان يمنع العالم من الشر ومن جنس قول ديمقراطيس والحنانين الذين يقولون لم يكن واجب الوجود الذى يمنع النفس عن ملابسة الهيولى بل تعلقت النفس بها بغير اختياره. الوجه العاشر ان مافعله به الكفار اليهود الذين صلبوه قد كان طاعة لله او معصية؟ فان كان طاعة لله. استحق اليهود الذين صلبوه ان يثيبهم ويكرمهم على طاعته كما يثيب سائر المطيعين له والنصارى متفقون على ان اولئك من اعظم الناس اثما وهم من شر الخلق وهم يستحلون من دمهم ولعنتهم مالا يستحلونه من غيرهم بل يبالغون فى طلب اليهود وعقوبتهم في آخر صومهم الايام التى تشبه ايام الصليب. وان كان اولئك اليهود عصاة لله فهل كان قادراً على منعهم من هذه المعصية ام لا؟ فان لم يكن قادراً لم يكن قادراً على منع ابليس من ظلم الذرية في الزمن المستقبل. وان كان قادراً

على منعهم من المعاصي ولم يمنعهم كان قادراً على منع ابليس بدون هذه الحيلة. وان كان حسنا منه تمكينهم من هذه المعصية كان حسنا منه تمكين ابليس من ظلم الذرية في الماضي والمستقبل فلا حاجة الى الحيلة عليه واعلم ان الوجوه الدالة على فساد دين النصارى كثيرة جداً وكلما تصور العاقل مذهبهم وتصور لوازمه تبين له فساده لكن المقصود هنا بيان تناقضهم فى انهم يقيمون عذر انفسهم فى ترك الايمان بكتابه ورسوله ودينه لكونه سبحانه عدلا لايأمر الناس بما يعجزون عنه وهو سبحانه لم يأمرهم الا بما يقدرون عليه وقد نسبوا اليه من الظلم مالم ينسبه اليه أحد من بنى آدم يوضح هذا • الوجه الحادى عشر وهو اما ان نقول فى الظلم كما تقول الجهمية المجبرة الذين يقولون يفعل مايشاء بلا حكمة ولا سبب ولا مراعاة عدل. واما ان يقال بقول القدرية انه يجب عليه العدل الذى يجب على المخلوقين • واما ان يقال هو عادل منزه عن الظلم ولكن ليس عدله كعدل المخلوقين فهذه اقوال الناس الثلاثة . فان قيل بالاول جاز ان يسلط ابليس على جميع الذرية بلا ذنب وان يعاقبهم جميعاً بلا ذنب ولا حاجة حينئذ الى الحيلة على ابليس. وان قيل بالثانى فمعلوم ان الواحد من الناس لو علم ان بعض مماليكه امره غيره بذنب يكرهه السيد ففعله كان العدل منه ان يعاقب الآمر والمأمور جميعاً. واما تسليطه للآمر على عقوبة المامور فليس من العدل وكذلك تسليط الآمر الظالم على جميع زرية المأمور الذين لم يذنبوا ذنب ابيهم ليس من العدل. وان قيل بل هو استحق ان يستعبدهم لكون ابيهم اطاعه قيل فحينئذ يستحق ان يأسر الاولين والآخرين فلا يجوز ان يمنع من حقه بالاحتيال عليه

وان قيل انما يستحق اخذهم بخطاياهم . قيل فله ان يأخذ الاولين والآخرين. وان قيل هو لما طلب اخذ روح ناسوت المسيح منع بهذا الذنب. قيل هذا ان كان ذنباً فهو اخف ذنوبه فانه لم يعلم انه ناسوت الاله فاذا استحق الرجل ان يسترق اولاد غيره فطلب رجلا ليسترقه لظنه انه منهم ولم يكن منهم لم يكن هذا ذنباً يمنع استرقاق الباقين. وان قيل ان عدل الرب ليس كعدل المخلوقين بل من عدله ان لا ينقص احداً من حسناته ولا يعاقبه الا بذنبه لم يجز حينئذ ان يعاقب ذرية ادم بذنب ابيهم ولم يجز ان يعاقب الانبياء الذين ليس لهم ذنب الا ذنب تابوا منه بذنب غيرهم بان الانبياء معصومون أن يقروا على ذنب فكل من مات منهم مات وليس له ذنب يستحق عليه العقوبة فكيف يعاقبون بعد الموت بذنب ابيهم ان قدر انه مات مصرا على الذنب مع ان هذا تقدير باطل ولو قدر أن الانبياء لهم خطايا يستحقون بها العقوبة بعد الموت وتسليط ابليس على عقوبتهم مع أن هذا تقدير باطل فمن بعد المسيح من غير الانبياء اولى بذلك فكيف يجوز في العدل الذي يوجب التسوية بين المتماثلين عقوبة الانبياء ومنع عقوبة من هو دونهم بل من هو من الكفار

الوجه الثاني عشر ان الرب اذا قصد بهذا دفع ظلم ابليس فهلا اتحد بناسوت بعض اولاد ادم ليحتال على ابليس فيمنعه من ظلم من تقدم فان المنع من الشر الكثير اولى من المنع من الشر القليل. أتراه ما كان يعلم ان ابليس يعمل هذا الشر كله فهذا تجهيل له. او كان يعترف ويعجز عن دفعه فهذا تعجيز له. ثم ما الفرق بين زمان وزمان؟ ام كان ترك منعه عدلا منه فهو عدل في كل زمان

(فصل) واما تفسيرهم لقوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) بأن مراده قومه كما قالوا واما قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين يريد بحسب مقتضى العدل قومه الذين اتاهم بلغتهم لاغيرهم ممن لم يأتهم بما جاء به. فيقال لهم من فسر مراد متكلم اي متكلم كان بما يعلم الناس انه خلاف مراده فهو كاذب مفترعليه وان كان المتكلم من احاد العامة ولو كان المتكلم من المتنبئين الكذابين فان من عرف كذبه اذا تكلم بكلام وعرف مراده به لم يجز ان يكذب عليه فيقال اراد كذا وكذا فان الكذب حرام قبيح على كل احد سواء كان صادقاً او كاذباً. فكيف بمن يفسر مراد الله ورسوله بما يعلم كل من خبر حاله علما ضروريا انه لم يرد ذلك بل يعلم علما ضروريا انه اراد العموم. فان قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا صيغة عامة وصيغة من الشرطية من ابلغ صيغ العموم كقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ثم ان سياق الكلام يدل على انه اراد اهل الكتاب وغيرهم• فان هذا في سورة آل عمران في اثناء مخاطبته لاهل الكتاب ومناظرته للنصارى فانها نزلت لما قدم على النبى صلى الله عليه وسلم وفد نجران النصارى• وروى انهم كانوا ستين راكباً وفيهم السيد والايهم والعاقب وقصتهم مشهورة معروفة كما تقدم ذكرها وقد قال قبل هذا الكلام بذم دين النصارى الذين ابتدعوه وغيروا به دين المسيح ولبسوا الحق الذى بعث به المسيح بالباطل الذى ابتدعوه حتى صار دينهم مركباً من حق وباطل واختلط احدهما بالآخر فلا

يكاد يوجد معه من يعرف مانسخه المسيح من شريعة التوراة مما اقره والمسيح قرر اكثر شرع التوراة وغيّر المعنى وعامة النصارى لايميزون ما قرره مما غيره فلا يعرف دين المسيح قال تعالى (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين ارباباً أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون) فقد بين ان من اتخذ الملائكة والنبيين ارباباً فهو كافر فمن اتخذ من دونهم ارباباً كان اولى بالكفر وقد ذكر ان النصارى اتخذوا من هو دونهم ارباباً بقوله تعالى (اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله الا هو سبحانه عما يشركون) ثم قال تعالى في سورة آل عمران (وإذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين) قال ابن عباس وغيره من السلف ما بعث الله نبياً الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حيّ ليؤمنن به ولينصرنه وأمره ان يأخذ الميثاق على امته لئن بعث محمد وهم احياء ليؤمنن به ولينصرنه . والآية تدل على ما قالوا فان قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين) يتناول جميع النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وهذه اللام الاولى تسمى اللام الموطئة للقسم . واللام الثانية تسمى لام جواب القسم والكلام اذا اجتمع فيه شرط وقسم وقدم القسم سد جواب

القسم مسد جواب الشرط والقسم كقوله تعالى (لئن اخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم ولئن نصروهم ليولنّ الادبار ثم لا ينصرون) ومنه قوله تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين) وقوله (واقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها) وقوله (وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لاتقسموا طاعة معروفة) وقوله (وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من إحدى الامم) ومنه قوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله. ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب. لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين. لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم. ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) وقوله (لئن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا. ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين) وقوله تعالى (ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون. ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم. ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن مايحبسه) ومثل هذا كثير وحيث لم يذكر القسم فهو محذوف مراد. تقدير الكلام والله لئن اخرجوا لايخرجون معهم والله لئن قوتلوا لاينصرونهم. ومن محاسن لغة العرب انها تحذف من الكلام مايدل المذكور عليه اختصاراً وايجازاً لاسيما فيما يكثر استعماله كالقسم وقوله (لما أتيتكم من كتاب وحكمة) هي ما الشرطية والتقدير اي شيء أعطيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ولا تكتفوا بما

عنـدكم عما جاء به ولا يحملنكم ما أتيتكم من كتاب وحكمة على ان تتركوا متابعته بل عليكم ان تؤمنوا به وتنصروه وان كان معكم من قبله من كتاب وحكمة فلا تستغنوا بما اتيتكم عما جاء به فان ذلك لاينجيكم من عذاب الله. فدل ذلك على ان من ادرك محمداً من الانبياء واتباعهم وان كان معه كتاب وحكمة فعليه ان يؤمن بمحمد وينصره كما قال (لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) وقد اقر الانبياء بهذا الميثاق وشهد الله عليهم به كما قال تعالى أأقررتم واخذتم على ذلكم إصرى قالوا اقررنا قال فاشـهدوا وانا معكم من الشاهدين) ثم قال تعالى (فمن تولى بعـد ذلك فاولئك هم الفاسقون) ثم قال تعالى (افغير دين الله يبغون وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليـه ترجعون) ثم قال تعالى (قل آمنا بالله وما انزل علينـا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون) ثم قال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) قالت طائفة من السلف لمـا انزل الله هـذه الآية قال من قال من اليهود والنصارى نحن مسلمون فقال تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليـه سبيلا) فقالوا لانحج فقال تعالى (ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) فكل من لم ير حج البيت واجباً عليه مع الاستطاعة فهو كافر باتفاق المسلمين كما دل عليه القرآن. واليهود والنصارى لايرونه واجباً عليهم فهم من الكفار حتى انه روى في حديث مرفوع الى النبى صلى الله

عليه وسلم . من ملك زاداً وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فليمت
ان شاء يهوديا وان شاء نصرانياً. وهو محفوظ من قول عمر بن الخطاب
وقد اتفق المسلمون على ان من جحد وجوب مبانى الاسلام الخمس
الشهادتين . والصلوات الخمس . والزكاة. وصيام شهر رمضان . وحج البيت
فانه كافر وايضاً فقد قال تعالى فى أول سورة آل عمران (شهد الله
انه لااله الاهو والملائكة واولوا العلم قائماً بالقسط لااله الا هو العزيز
الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب
الا من بعدما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع
الحساب فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين
أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما
عليك البلاغ والله بصير بالعباد) فقد امره تعالى بعد قوله (ان الدين
عند الله الاسلام) ان يقول اسلمت وجهى لله ومن اتبعن وان يقول
للذين اوتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى والاميين وهم الذين لا
كتاب لهم من العرب وغيرهم أأسلمتم فالعرب الاميون يدخلون في
لفظ الاميين باتفاق الناس . واما من سواهم. فاما ان يشمله هذا اللفظ
أو يدخل في معناه بغيره من الالفاظ المبينة انه ارسل الى جميع الناس
قال تعالى (فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله
بصير بالعباد) فقد امر أهل الكتاب بالاسلام كما أمر به الاميين وجعلهم
اذا اسلموا مهتدين وان لم يسلموا فقد قال انما عليك البلاغ اى تبلغهم
رسالات ربك اليهم والله هوالذى يحاسبهم فدل بهذا كله على انه عليه
ان يبلغ اهل الكتاب ما امرهم به من الاسلام كما يبلغ الاميين وان الله

يحاسبهم على ترك الاسلام كما يحاسب الاميين . وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم في الكتاب الذى كتبه الى هرقل ملك النصارى من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم واسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان توليت فان عليك اثم الاريسيين (ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) وابلغ من ذلك ان الله تعالى اخبر في كتابه ان الاسلام دين الانبياء كنوح وابراهيم ويعقوب واتباعهم الي الحواريين وهذا تحقيق لقوله تعالي (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) وان الدين عند الله الاسلام في كل زمان ومكان قال تعالي عن نوح اول رسول بعثه الله الي اهل الارض (واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون فان توليتم فما سألتكم من اجر إن اجري إلا على الله وامرت ان اكون من المسلمين) فهذا نوح الذى غرق الله اهل الارض بدعوته وجعل جميع الادميين من ذريته يذكر انه امر ان يكون من المسلمين واما الخليل فقال تعالى (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم) (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه

في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) فقد اخبر تعالى انه امر الخليل بالاسلام وانه قال اسلمت لرب العالمين وان ابراهيم وصى بنيه ويعقوب وصى بنيه ان لايموتن الا وهم مسلمون) وقال تعالى (ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) وقال تعالى عن يوسف الصديق ابن يعقوب انه قال (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً والحقني بالصالحين) وقال تعالى عن موسى (وقال موسى لقومه ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) وقال عن السحرة الذين آمنوا بموسى (قالوا لاضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين) وقال تعالى (وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) وقال تعالى في قصة سليمان (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ان لاتعلوا عليّ واتوني مسلمين) و (قال يا ايها الملاء ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين) وقال تعالى (واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) وقال تعالى عن بلقيس التي امنت بسليمان (رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقال عن انبياء بني اسرائيل (انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا) وقال تعالى

عن الحواريين (واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بى وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) فهؤلاء الانبياء كلهم واتباعهم كلهم يذكر تعالى انهم كانوا مسلمين وهذا مما يبين ان قوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وقوله (ان الدين عند الله الاسلام) لا يختص بمن بعث اليه محمد صلى الله عليه وسلم بل هو حكم عام في الاولين والآخرين ولهذا قال تعالى (ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا) وقال تعالى (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

(فصل) قولهم ثم وجدنا فى هذا الكتاب من تعظيم السيد المسيح وامه حيث يقول فى سورة الانبياء (والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) وقال فى سورة آل عمران (اذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) مع الشهادات للسيد المسيح بالمعجزات وانه حبلت به امه من غير مباضعة رجل لبشارة ملائكة الله لامه وانه تكلم فى المهد واحياء الميت وابرآء الاكمه ونقى الابرص وانه خالق من الطين كهيئة الطير فنفخ فيه فكان طيراً بأذن الله أى بأذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتحدة فى الناسوت. ووجدنا أيضاً فى الكتاب ان الله رفعه اليه قال في

سورة النساء (وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه) وفي سورة آل عمران انى متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) وقال في سورة البقرة (وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس) وقال في سورة الحديد (وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم) وقال في سورة آل عمران (من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات واؤلئك من الصالحين) ثم وجدناه يعظم انجيلنا * الجواب * اما تعظيم المسيح وامه فهو حق وكذلك مدح من كان على دينه الذى لم يبدل قبل ان ابعث محمد صلى الله عليه وسلم او بقى على ذلك الى ان بعث محمد صلى الله عليه وسلم فامن به فان هؤلاء مؤمنون مسلمون مهتدون وكذلك من كان على دين موسى الذى لم يبدل الى ان بعث المسيح فأمن به فهؤلاء مؤمنون مسلمون مهتدون وقد تقدمنا ان المسلمين هم عدل متوسطون لا يحرفون لا الى غلو ولا الى تقصير. واما اليهود والنصارى فهم على طرفي نقيض. هؤلاء يحرفون الى جهة. وهؤلاء الى الجهة التى تقابلها كما ذكرنا تقابلهم في النسخ. وكذلك تقابلهم في التحريم والتحليل والطهارة والنجاسة. فان اليهود حرمت عليهم الطيبات وهم يبالغون فى اجتناب النجاسات حتى ان الحائض لا يؤاكلونها ولا يشاربونها ولا يجامعونها وكانوا لا يرون ازالة النجاسة من الثوب بل يقرض موضعها

ويستخرجون الدم من العروق الى غير ذلك من الاصار والاغلال التي كانت عليهم. واما النصارى ففي مقابلتهم تجد عامتهم لا يرون شيئاً حراما ولا نجسا إلَّا ما كرهه الانسان بطبعه ويصلون مع الجنابة والحدث وحمل النجاسات ويأكلون الخبائث كالدم والميتة ولحم الخنزير الا من كره منهم شيئاً فتركه والمسلمون وسط كما قال تعالى فيهم (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) اي عدلا خيارا كما قال تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه اولئك هم المفلحون) ولهذا كان من انحرف من المسلمين الى شبه اليهود والنصارى مامورا بترك ذلك الانحراف واتباع الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا غير المغضوب عليهم كاليهود. ولا الضالين كالنصارى. وذلك مثل من بالغ في اجتناب النجاسات فينجس مالم ينجسه الله ورسوله ويحرم مالم يحرمه الله ورسوله وياخذه الوسواس في اجتناب النجاسات ويحرم الطيبات التي احلها الله للمسلمين مثل من يرى ان القياس ان النجاسة لا تزول لا بماء ولا غيره او يرى انها وان زالت فلم يبق لها اثر فالمحل نجس اذا لم تزل بما يشترطه هو من الماء او غيره اويرى ان الطيبات التي أحلها الله حرام

خبيثة لانها مستحيلة عن المحرم مع ان الخل حلال وان كان قد كان خمرا باتفاق المسلمين اذا بدا الي حالته. او يرى ان الماء الطيب والمائعات الطيبة التي ليس فيها أثر من الخبيث حرام لكون الخبيث لاقاها او استهلك فيها مع انها من الطيبات لا من الخبائث. او يرى تحريم ما سوى موضع الدم الذي هو اذى الى غير ذلك من اقوال قالها بعض العلماء ولكن غيرهم نازعهم في ذلك واتبع مادل عليه الكتاب والسنة. واعظم من ذلك من يكفر من خالفه من المسلمين ويرى نجاسة الكفار كما دل عليه كثير من اهل البدع من الرافضة والخوارج وغيرهم فاذا اكل غيرهم من وعائهم نجسه عندهم. واما ما يفعله كثير من الناس من غير ان يقوله عالم مثل من يغسل يديه وثيابه وحصر بيته بتوهم نجاستها او يأمر الحائض اذا طهرت ان تبدل ثيابها الاول او تغسلها او يمنع الجنب ان يأكل او يشرب حتى يغتسل فهذا كثير فيمن يشبه اليهود بل يشبه سامرة اليهود. واما من يشبه النصارى فمثل من يحسن الظن بمن لا يتطهر ولا يصلي من المنسوبين الى الفقر والزهد والعبادة مثل من يكون في مواضع الشياطين والنجاسات كالحمام والاتانين والمزابل وهو ملوث بالبول والعذرة ويعاشر الكلاب ولا يتوضأ ولا يغتسل من الجنابة بل ولا يصلي او ويصلي بلا وضوء، وقد علم بالاضطرار من دين الاسلام ان الصلوات الخمس فرض على كل احد وان الوضوء من الحدث والاغتسال من الجنابة فرض ولا يصلي الا به مع القدرة وان لا يتيمم مع القدرة. فمن انكر وجوب ذلك فهو كافر باتفاق المسلمين. ومن جعل الزاهد العابد الذي له نوع من الخوارق مثل نوع من الكشف والتصرف

الذى يكون من الشياطين . والجهال يظنون انه من كرامات اولياء الله اذا لم يكن يصلى الصلوات الخمس ويتوضأ ويغتسل من الجنابة من المؤمنين او من اولياء الله فهو كافر باتفاق المسلمين ومن لم يحرم الخبائث التي حرمها الله ورسوله كالبول والعذرة والدم والميتة ولحم الخنزير والخمر فهو كافر باتفاق المسلمين . ومن جعل مستحل ذلك مع العلم بمخالفته لدين الرسول ولياً لله فهو كافر باتفاق المسلمين • وكذلك فيمن ينتحل الاسلام ويذم أهل الكتاب من يكون منافقاً فى الدرك الاسفل من النار ويكون كثير من اليهود والنصارى اخف عذابا فى الآخرة منه قال تعالى (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤتى الله المؤمنين اجراً عظيما) وكذلك المسلمون وأهل السنة فى المسلمين فى التوحيد • فان اليهود شبهوا الخالق بالمخلوق فيما يختص بالمخلوق وهو صفات النقص الذى يجب تنزيه الرب عنها والنصارى شبهوا المخلوق بالخالق فيما يختص بالخالق وهو صفات الكمال التى لايستحقها الا الله تبارك وتعالى فقال من قال من اليهود ان الله فقير ونحن أغنياء وقالوا (يد الله مغلولة) وهو بخيل وقالوا انه خلق العالم فتعب فاستراح وحكى عن بعضهم انه قال بكى على الطوفان حتى رمد وعادته الملائكة وانه ناح على بعض من اهلكه من عباده كما ينوح المصاب على ميته وامثال ذلك مما يتعالى الله عنه ويتقدس سبحانه وتعالى وأيضاً فهم يستكبرون عن عبادة الله وطاعة رسله ويعصون أمره ويتعدون حدوده ولا يجوزون له ان ينسخ ماشرعه بل يحجرون عليه

والنصارى يصفون المخلوق بما يتصف به الخالق فيجعلونه رب العالمين
خالق كل شيء ومليكه الذى هـو بكل شيء عليم وعلى كل شيء
قدير واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم
وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لااله الا هو سبحانه عما يشركون
واتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً من دون الله وصوروا تماثيل المخلوقات
واتخذوهم شفعاء يشفعون لهم عنـد الله كما فعلت عباد الاوثان كما قال
تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض)
ولهذا قال تعالى (وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم
من دونه ولىّ ولا شـفيع لعلهم يتقون) وقال تعالى (الله الذى خلق
السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه
من ولي ولا شفيع) والمسلمون وسط يصفون الله بما وصف به نفسه
ووصـفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل
يصفونه بصفات الكمال وينزهونه عن النقائص التى تمتنع على الخالق ولا
يتصف بها المخلوق فيصفونه بالحياة . والقدرة . والرحمة . والعدل . والاحسان
وينزهونه عن الموت والنوم والجهل والعجز والظلم والفناء ويعلمون مع
ذلك انه لا مثل له فى شيء من صفات الكمال فلا احد يعلم كعلمه ولا
يقدر كقدرته ولا يرحم كرحمته ولا يسمع كسمعه ولا يبصر كبصره
ولا يخلق كخلقه ولا يستوى كاستوائه ولا يأتى كاتيانه ولا ينزل كنزوله
كما قال تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفواً أحد) ولا يصفون أحداً من المخلوقين بخصائص الخالق جل

جلاله بل كل ماسواه من الملائكة والانبياء وسائر الخلق فقير اليه عبد له وهو الصمد الذي يحتاج اليه كل شيء ويسأله كل احد وهو غني بنفسه لايحتاج الى أحد فى شيء من الاشياء كما قال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إداً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيمة فردا) وقال تعالى (ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له مافى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولايجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيرا) وكذلك هم فى المسيح فالنصارى يقولون هو الله ويقولون أيضاً ابن الله وهو اله تام وانسان تام. واليهود يقولون هو ولدزنا وهو ابن يوسف النجار ويقولون عن مريم انها بغي بعيسى كما قال تعالى (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) ويقولون عنه هو ساحر كذاب. واما المسلمون فيقولون هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول وروح منه وهو وجيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويصفونه

عما وصفه الله به فى كتابه لا يغلون فيــه غلو النصارى ولا يقصرون فى
حقه تقصير اليهود وكذلك قولهم فى سائر الانبياء والمرسلين وفى اولياء
الله. فاليهود قتلوا النبيين والذين يأمرون بالقسط من الناس. والنصارى
اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما
امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون ومع هذا
فقد شارك النصارى لليهود فى نقص حق كثير من الانبياء فيقولون ان سليمان
لم يكن نبيا ويقولون ان الحواريين مثل موسى وابراهيم ويقولون ان من
عمل بوصايا الله من غير الانبياء صار مثل الانبياء وكان له ان يشرع شريعة
وبعض اليهود غلو فى العزير حتى قالوا انه ابن الله ولهذا قال نبينا صلى
الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى
بن مريم فانما انا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله والله تعالى ذكر في
القرآن في سورة كهيعص قصــة ابنى الخالة يحيي وعيسى. ويحيي يسمونه
النصارى يوحنا المعمداني عندهم فقال تعالى بعد ان ذكر قصة يحيي
(واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبــذت من أهلهـا مكانا شرقيا
فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا
قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك
لاهب لك غلاماً زكياً قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك
بغيا قال كذلك قال ربك هو عليّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا
وكان امرا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجأها المخاض الى جذع
النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا فناداها من تحتهـا
ألاَّ تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط

عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقرّي عينا فاما ترينّ من البشر احداً فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا فاتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئاً فريا يا أخت هرون ما كان ابوك إمرأ سوء وما كانت امك بغيا فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلاة والزكوة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيا والسلام عليّ يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا) ثم قال الله تعالى (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فأختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) فذكر سبحانه قصة مريم والمسيح في هذه السورة المكية التي انزلها في اول الامر بمكة في السور التي ذكر فيها اصول الدين التي اتفق عليها الانبياء ثم ذكرها في سورة آل عمران وهي من السور المدنية التي يخاطب فيها من اتبع الانبياء من اهل الكتاب والمؤمنين لما قدم عليه نصارى نجران فكان فيها الخطاب لأهل الكتاب فقال تعالى (ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم اذ قالت أمرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم وأني اعيذها بك وذريتها

من الشيطان الرجيم)وفي الصحيحين عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مامن مولود الا يمسه الشيطان فيستهل صارخا من الشيطان الا مريم وابنها ثم يقول ابو هريرة اقرأوا ان شئتم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم قال تعالى (فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتاً حسنا وكفلها ذكريا كلما دخل عليها ذكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب)ثم ذكر قصة زكريا ويحيي ثم قال (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيي مصدقاً بكلمة من الله وسيدا وحصوراً ونبيا من الصالحين قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل مايشاء قال رب اجعل لي آية قال آيتك ان لاتكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والابكار واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفيك وطهرك واصطفيك على نساء العالمين يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعي مع الراكعين ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون اذقالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا

الى بنى اسرائيل اني قد جئتكم بآية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وابرىء الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فأعبدوه هذا صراط مستقيم فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الىَّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الىَّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فاعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكون من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يااهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا

نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ياهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانياً ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) فهو سبحانه قد ذكر قصة مريم والمسيح فى هاتين السورتين احداها مكية نزلت في اول الامر مع السور الممهدة لاصول الدين وهى سورة كهيعص . والثانية مدنية نزلت بعد ان امر بالهجرة والجهاد ولهذا تضمنت مناظرة اهل الكتاب ومباهلتهم كما نزلت فى براءة مجاهدتهم فاخبر في السور المكية انها لما انفردت للعبادة ارسل الله اليها روحه فتمثل لها بشرا سويا فقالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا . قال ابو وائل علمت ان المتقى ذو نهية اى تقواه ينهاه عن الفاحشة وانها خافت منه ان يكون قصده الفاحشة(فقالت اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) اى تتقى الله وما يقوله بعض الجهال من انه كان فيهم رجل فاجر اسمه تقى فهو من نوع الهذيان وهو من الكذب الظاهر الذى لا يقوله الا جاهل ثم قال (انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا) وفى القراءة الاخرى (ولاهب لك غلاما زكيا) فاخبر هذا الروح الذي تمثل لها بشرا سويا انه رسول ربها فدل الكلام على ان هذا الروح عين قائمة بنفسها ليست صفة لغيرها وانه رسول من الله ليس صفة من صفات الله ولهذا قال جماهير العلماء انه جبريل عليه

السلام فان الله سماه الروح الامين وسماه روح القدس وسماه جبريل وهكذا عند اهل الكتاب انه تجسد من مريم ومن روح القدس لكن ضلالهم حيث يظنون ان روح القدس حياة الله وانه اله يخلق ويرزق ويُعبد وليس في شيء من الكتب الالهية ولا في كلام الانبيآء ان الله سمى صفته القائمة به روح القدس ولا سمى كلامه ولا شيئاً من صفاته ابناً وهذا احد ما تبين به ضلال النصارى وانهم حرفوا كلام الانبيآء وتأوّلوه على غير ما ارادت به الانبيآء فان اصل تثليثهم مبنى على ما فى احد الاناجيل من ان المسيح عليه السلام قال لهم عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس. فيقال لهم هذا اذا كان قد قاله المسيح وليس فى لغة المسيح ولا لغة احد من الانبيآء انهم يسمون صفة الله القائمة به لا كلمته ولا حياته لا ابنا ولا روح قدس ولا يسمون كلمته ابنا ولا يسمونه نفسه ابنا ولا روح قدس ولكن يوجد فيما ينقلونه عنهم انهم يسمون المصطفى المكرم ابنا وهذا موجود فى حق المسيح وغيره كما يذكرون انه قال تعالى لاسرائيل انت ابنى بكرى اى بنى اسرائيل وروح القدس يراد به الروح التى تنزل على الانبياء كما نزلت على داود وغيره فان فى كتبهم ان روح القدس كانت فى داود وغيره وان المسيح قال لهم ابى وابيكم والهى والهكم فسماه ابا للجميع لم يكن المسيح مخصوصا عندهم باسم الابن ولا يوجد عندهم لفظ الابن الا اسما للمصطفى المكرم لا اسما لشيء من صفات الله القديمة حتى يكون الابن صفة الله تولدت منه واذا كان كذلك كان فى هذا ما يبين انه ليس المراد بالابن كلمة الله القديمة الازلية التى يقولون انها تولدت من الله

عندهم مع كونها ازلية ولا بروح القدس حياة الله بل المراد بالابن ناسوت المسيح وبروح القدس ما أنزل عليه من الوحي والملك الذى نزل به فيكون قد أمرهم بالايمان بالله وبرسوله وبما انزله على رسوله والملك الذي نزل به وبهذا الذى نزل به وبهذا امرت الانبياء كلهم وليس للمسيح خاصة استحق بها ان يكون فيه شيء من اللاهوت لكن ظهر فيه نور الله وكلام الله وروح الله كما ظهر في غيره من الانبياء والرسل. ومعلوم ان غيره ايضاً فيما ينقلونه عن الانبياء يسمى ابنا وروح القدس حلت فيه وهذا مبسوط في غير هذا الموضع والمقصود هنا التنبيه على ان كلام الانبياء عليهم السلام يصدق بعضه بعضاً وانه ليس مع النصارى حجة سمعية ولا عقلية توافق ما ابتدعوه ولكن فسروا كلام الانبياء بما لايدل عليه وعندهم في الانجيل انه قال ان الساعة لايعلمها الملائكة ولا الابن وانما يعلمها الاب وحده فبين ان الابن لايعلم الساعة فعلم ان الابن ليس هو القديم الازلى وانما هو المحدث الزمانى

(فصل) والمضاف الى الله نوعان فان المضاف اما ان يكون صفة لاتقوم بنفسها كالعلم والقدرة والكلام والحياة. واما ان يكون عيناً قائمة بنفسها فالاول اضافة صفة كقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه) وقوله (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقوله (اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) وقول النبى صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح حديث الاستخارة اذاهمّ احدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم انى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك

واسألك من فضلك وقوله تعالى (وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا) وقوله (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) وقوله (ذلك امر الله انزله اليكم) والثانى اضافة عين كقوله تعالى (وطهر بيتى للطائفين) وقوله (ناقة الله وسقياها) وقوله (عينا يشرب بها عباد الله) فالمضاف فى الاول صفة لله قائمة به ليست مخلوقا له بائن عنه والمضاف في الثانى مملوك لله مخلوق له بائن عنه لكنه مفضل مشرف لما خصه الله به من الصفات التى اقتضت اضافته الى الله تبارك وتعالى كما خص ناقة صالح من بين النوق وكما خص بيته بمكة من بين البيوت وكما خص عباده الصالحين من بين الخلق ومن هذا الباب قوله تعالى (فارسلنا اليها روحنا) فانه وصف هذا الروح بانه تمثل لها بشرا سويا وانها استعاذت بالله منه ان كان تقيا وانه قال انما انا رسول ربك وهذا كله يدل على انها عين قائمة بنفسها وهى التي تسمى في اصطلاح النظار جوهرا وقد تسمى جسما اذا كانت مشاراً اليها مع اختلاف الناس في الجسم هل هو مركب من الجواهر المفردة ام من المادة والصورة ام ليس مركبا لا من هذا ولا من هذا واذا كان الله قد بين ان المضاف هنا ليس من الصفات القائمة بغيرها بل من الاعيان القائمة بنفسها علم ان المضاف مملوك لله مخلوق له لكن اضافته الى الله تدل على تخصيص الله له من الاصطفاء والاكرام بما اوجب التخصيص بالاضافة وقد ذكرت فيما كنت كتبته قبل هذا من الرد على النصارى الكلام فى ذلك وغيره وبينت ان المضافات الى الله نوعان اعيان. وصفات. فالصفات اذا اضيفت اليه كالعلم والقدرة والكلام والحياة والرضا والغضب ونحو ذلك دلت الاضافة على انها اضافة وصف له

قائم به ليست مخلوقة لان الصفة لاتقوم بنفسها فلا بد لها من موصوف
تقوم به فاذا اضيفت اليه علم انها صفة له لكن قد يعبر باسم الصفة عن المفعول
بها يسمى المقدور قدرة والمخلوق بالكلمة كلاما والمعلوم علما والمرحوم به
رحمة كقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الرحمة يوم خلقها
مائة رحمة وقوله تعالى فيما يروى عنه نبيه انه قال للجنة انت رحمتي ارحم
بك من اشاء ويقال للمطر والسحاب هذه قدرة قادر وهذه قدرة عظيمة
ويقال في الدعاء غفر الله لك علمه فيك أى معلومه . وأما الاعيان اذا
اضيفت الى الله تعالى فاما ان تضاف بالجهة العامة التي يشترك فيها
المخلوق مثل كونها مخلوقة ومملوكة له ومقدورة ونحو ذلك فهذه اضافة
عامة مشتركة كقوله هذا خلق الله وقد يضاف لمعنى يختص بها يميز به
المضاف عن غيره مثل بيت الله وناقة الله وعبد الله وروح الله فمن
المعلوم اختصاص ناقة صالح بما تميزت به عن سائر النياق وكذلك
اختصاص الكعبة واختصاص العبد الصالح الذى عبد الله واطاع امره
وكذلك الروح المقدسة التي امتازت بما فارقت به غيرها من الارواح
فان المخلوقات اشتركت في كونها مخلوقة مملوكة مربوبة لله يجرى عليها
حكمه وقضاؤه وقدره وهذه الاضافة لا اختصاص فيها ولا فضيلة
للمضاف على غيره وامتاز بعضها بأن الله يحبه ويرضاه ويصطفيه ويقربه
اليه ويأمر به أو يعظمه ويحبه فهذه الاضافة يختص بها بعض المخلوقات
كاضافة البيت والناقة والروح وعباد الله من هذا الباب . وقد قال تعالى
فى سورة الانبياء (والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها
وابنها آية للعالمين) وقال في سورة التحريم (وضرب الله مثلا للذين آمنوا

إمرأة فرعون اذقالت رب ابن لى عندك بيتاً في الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) فذكر أمرأة فرعون التي ربت موسى بن عمران وجمعت بينه وبين امه حتى ارضعته امه عندها وذكر مريم ام المسيح التي ولدته وربته فهاتان المرءتان ربتا هذين الرسولين الكريمين فلما قال هنا فنفخنا فيها أي فى المرأة وفيه اي فى فرجها من روحنا وقال هنا فأرسلنا اليها روحنا الى قوله أنما انا رسول ربك لاهب لك غلاماً زكيا دل على ان قوله روحنا ليس المراد به انه صفة لله لا الحياة ولا غيرها ولا هو رب خالق فلا هو الرب الخالق ولا صفة الرب الخالق بل هو روح من الارواح التي اصطفاها الله واكرمها كما تقدم فى قوله فأرسلنا اليها روحنا وان الاكثرين على انه جبريل وهذا الاصل الذى ذكرناه من الفرق فيما يضاف الى الله من صفاته وبين مملوكاته اصل عظيم ضل فيه كثير من اهل الارض من اهل الملل كلهم فأن كتب الانبياء التوراة والانجيل والقرآن وغيرها اضافت الى الله اشياء على هذا الوجه واشياء على هذا الوجه فأختلف الناس فى هذه الاضافة فقالت المعطلة نفاة الصفات من اهل الملل ان الجميع اضافة ملك وليس لله حياة قائمة به ولا علم قائم به ولا قدرة قائمة به ولا كلام قائم به ولا حب ولا بغض ولا غضب ولا رضى بل جميع ذلك مخلوق من مخلوقاته وهذا اول ما أبتدعه في الاسلام الجهمية وانما ابتدعوه بعد انقراض عصر الصحابة واكابر التابعين لهم باحسان وكان مقدمهم رجل يقال له الجهم ابن صفوان فنسبت الجهمية

اليه ونفوا الاسماء والصفات واتبعهم المعتزلة وغيرهم فنفوا الصفات دون الاسماء ووافقهم طائفة من الفلاسفة اتباع ارسطو وقالت الحلولية بل ما يضاف الى الله قد يكون هو صفة له وان كان بائنا عنه بل قالوا هو قديم ازلي فقالوا روح الله قديمة ازلية صفة لله حتى قال كثير منهم ان ارواح بنى آدم قديمة ازلية صفة لله وقالوا ان ما يسمعه الناس من اصوات القرآء ومداد المصاحف قديم ازلى وهو صفة لله وقال حذاق هؤلاء بل غضبه ورضاه وحبه وبغضه وارادته لما يخلقه قديم ازلي وكلامه الذي سمعه موسى قديم ازلى وانه لم يزل راضيا محبا لمن علم أنه يطيعه قبل أن يخلق ولم يزل غضبانا ساخطا على من علم انه يكفر قبل ان يخلق ولم يزل ولا يزال قائلا يا آدم يانوح ياابراهيم قبل ان يوجدوا وبعد موتهم ولم يزل ولا يزال يقول يا معشر الجن والانس قبل ان يخلقوا وبعد ما يدخلون الجنة. والنار واما سلف المسلمين من الصحابة والتابعين لهم باحسان وائمة المسلمين المشهورون بالامامة فيهم كالاربعة وغيرهم واهل العلم بالكتاب والسنة فيفرقون بين مملوكاته وبين صفاته فيعلمون ان العباد مخلوقون وصفات العباد مخلوقة واجسادهم وارواحهم وأصواتهم وكلامهم بالكتب الآلهية وغيرها ومدادهم وأوراقهم والملائكة والانبياء وغيرها ويعلمون ان صفات الله القائمة به ليست مخلوقة كعلمه وقدرته وكلامه وارادته وحياته وسمعه وبصره ورضاه وغضبه وحبه وبغضه بل هو موصوف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا بما وصفه به رسله ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا

يتأولون كلام الله بغير ما اراده ولا يمثلون صفات الخالق بصفات المخلوق
بل يعلمون ان الله سبحانه ليس كمثله شيء لا فى ذاته ولا فى صفاته
ولا فى افعاله بل هو موصوف بصفات الكمال منزه عن النقائص وليس
له مثل فى شيء من صفاته ويقولون انه لم يزل ولا يزال موصوفا
بصفات الكمال لم يزل متكلما اذا شاء بمشيئته وقدرته ولم يزل عالما
ولم يزل قادرا ولم يزل حيا سميعا بصيرا ولم يزل مريداً فكل كمال لا
نقص فيه يمكن اتصافه به فهو موصوف به لم يزل ولا يزال متصفا
بصفات الكمال منعوتا بنعوت الجلال والاكرام سبحانه وتعالى والنصارى
من اعظم الناس اضطرابا في هذا الاصل فتارة يجعلون كلامه الذى
تكلم به كالتوراة والانجيل مخلوقا منفصلا عنه وينفون عنه الصفات
وتارة يجعلون كلمته قديمة أزلية متولدة عنه لم تزل ولا تزال ثم يقولون
هذه الكلمة هى ابنه ويجعلون هذه الكلمة علمه او حكمته ويقولون
ان هذه الكلمة هى آله خالق وهو الذى خلق السموات والارض
ويقولون هذه الكلمة هي المسيح والمسيح اله خالق العالم ويقولون مع
هذا ان هذه الكلمة ليست هى الاب الذى خلق السموات والارض
فيجعلون كلمته صفة قديمة أزلية ويجعلونها ابنا له ويجعلون الصفة إلها
خالقا ويجعلون المسيح هو الاله الخالق ويقولون مع هذا هو آله حق
من آله حق من جوهر ابيه ولهم فى كلام الله وصفاته من التناقض
والاضطراب ومخالفة كلام الانبياء وتفسيره بغير ما اراده ومخالفة صريح
المعقول وصحيح المنقول ما سنذكر ان شاء الله تعالى منه ما ييسره الله
اذ بيان فساد دين النصارى بالاستقصاء لا يتسع له هذا الكتاب ولما

قص الله تعالى قصة المسيح قال (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) اى يشكون ويتمارون كتمارى اليهود والنصارى ثم قال تعالى (فاختلف الاحزاب من بينهم) فاختلفت اليهود والنصارى فيه ثم اختلفت النصارى فيه وصاروا احزابا كثيرة جدا كالنسطورية واليعقوبية والملكية والباروبية والمرغانية والسمياطية وامثال هذه الطوائف كما سنذكر ان شاء الله تعالى كثيرا من طوائفهم واختلافهم فى مجامعهم كما حكي ذلك عنهم احدا كابرهم سعيد بن البطريق وغيره فانه ليس فى الامم اكثر اختلافا في رب العالمين منهم فويل للذين كفروا من هذه الطوائف كلها من مشهد يوم عظيم اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا يقول تعالى ما اسمعهم وما ابصرهم يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم كالنصارى الذين ظلموا بافكهم وشركهم فى ضلال مبين ضلوا عن الحق فى المسيح وقد وصف الله النصارى بالضلال فى مثل قوله تعالى (يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهوآء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سوآء السبيل) وقال تعالي (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ماهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا) لان الغالب عليهم الجهل بالدين وانهم يتكلمون بكلام لا يعقلون معناه ليس منقولا عن الانبياء حتي يسلم لقائله بل هم ابتدعوه واذا سألتهم عن معناه قالوا هذا لا يعرف بالعقول فيبتدعون كلاما يعرفون بانهم لا يعقلونه وهو كلام متناقض ينقض اوله آخره ولهذا لا تجدهم يتفقون على قول واحد فى معبودهم حتى قال بعض الناس لو اجتمع عشرة نصارى

افترقوا على احد عشر قولا. وقال الربيعي النصارى اشد الناس اختلافا في مذاهبهم واقلهم تحصيلا لها لا يمكن ان يعرف لهم مذهب ولو سألت قسا من اقسائهم عن مذهبهم في المسيح وسألت اباه وامه لاختلفوا عليك الثلاثة ولقال كل واحد منهم قولا لا يشبه قول الآخر. وقال بعض النظار ما من قول يقوله طائفة من العقلاء الا اذا تأملته تصورت منه معنى معقولا وان كان باطلا الا قول النصارى فانك كلما تأملته لم تتصور له حقيقة تعقل لكن غايتهم ان يحفظوا الامانة او غيرها واذا طولبوا بتفسير ذلك فسره كل منهم بتفسير يكفر به الآخر كما يكفر اليعقوبية والملكانية والنسطورية بعضهم بعضاً لاختلافهم في أصل التوحيد والرسالة اذ كان قولهم في التوحيد والرسالة من افسد الاقوال واعظمها تناقضاً كما بين في موضع آخر

(فصل) واما قولهم فكان طيراً باذن الله اى باذن اللاهوت الذى هو كلمة الله المتحدة في الناسوت فهذا اذا قالوه على انه مذهبهم من غير ان يقولوا ان محمداً أراده. تكلمنا معهم في ذلك وبينا فساد ذلك عقلا ونقلا. واما قولهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان يقول ان المراد إذن اللاهوت الذى هو كلمة الله المتحدة فى الناسوت فهذا من البهتان الظاهر على محمد صلى الله عليه وسلم وهو من جنس قولهم ان قوله (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم) اراد به النصارى ومن جنس قولهم ان قوله (ومن يبتغ غير الاسلام دينا) اراد به من العرب ومن جنس قولهم (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات) اراد بهم الحواريين ومن جنس قولهم (آلم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين) اراد به الأنجيل فهذه

المواضع التى فسروا بها القرآن وزعموا ان محمداً صلى الله عليه وسلم الذى بين للناس ما انزل اليهم كان يريد بها مايتلوه من القرآن هذه المعانى التى ذكروها وهى من الكذب الظاهر الذى يدل على غاية جهل قائلها أو غاية معاندته ولكن مثل هذا التأويل غير مستنكر من النصارى فانهم قد فسروا مواضع كثيرة من التوراة والانجيل والزبور والنبوات بنحو هذه التفاسير التى حرفوا فيها الكلام الذي جاءت به الانبياء عن مواضعه تحريفاً ظاهرا فبدلوا بذلك كتب الله ودين الله وضاهوا بذلك اليهود الذين حرفوا وبدلوا وان اختلفت جهة التحريف والتبديل فتحريفهم للقرآن من جنس تحريفهم للتوراة والانجيل وهم من الذين يدعون المحكم ويتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله لكن في هذه المواضع حرفوا المحكم الذى معناه ظاهر لايحتمل الا معنى واحدا فكانوا من الجهل والمعاندة ابعد عن الصواب ممن حرف معنى المتشابه وذلك انه قد علم بالاضطرار من دين محمد صلى الله عليه وسلم انه كان يقول ان المسيح عند الله مخلوق كسائر المرسلين وانه يكفر النصارى الذين يقولون هو الله وابن الله قال تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق مايشاء والله على كل شيء قدير) وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) وقال المسيح (يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين

كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح بن مريم الا رسـول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون قل اتعبدون من دون الله مالا يملك لـكم ضراً ولا نفعا والله هو السميع العليم قل يا أهل الـكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً وضلوا عن سـواء السبيل) فقد ذكر كفر النصارى فى قولهم هو الله مرتين وذكر انه ليس المسيح الا رسول قد خلت من قبله الرسل فغايته الرسالة كما قال في محمد صلى الله عليه وسلم (وما محمد الا رسول قد خلت من قبـله الرسل) وغاية امه ان تكون صديقة ودل بهذا انها ليست بنبية ثم قال كانا يأكلان الطعام وهذا من اظهر الصفات النافية للالهية لحاجة الاكل الى ما يدخل فى جوفه ولما يخرج منه مع ذلك من الفضلات . والرب تعالى احد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد. والنصارى تقول انه يلد وانه يولد وان له كفوا كما قد بين فى موضع آخر وقد اخبر بعبودية المسيح فى غير موضع كقوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خيرام هو ما ضربوه لك الا جدلاً بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد انعمنا عليـه وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل) واخبر تعالى ان اول شيء نطق به المسيح قوله اني عبد الله أتاني الـكتاب وجعلني نبياً وقال تعالى (واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك مايكون لى ان اقول ماليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته) الآيات الى قوله

شهيد. وقال تعالى (يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله
الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم) الآيات كلها فاذا كان قد علم
بالاضطرار من دين محمد صلى الله عليه وسلم وبالنقل المتواتر عنه وباجماع
امته اجماعاً يستندون فيه الى النقل عنه وبكتابه المنزل عليه وسنته
المعروفة عنه انه كان يقول ان المسيح عبد الله ورسوله ليس هو الا
رسول وانه يكفر النصارى الذين يقولون هو الله وهو ابن الله والذين
يقولون ثالث ثلاثة وامثال ذلك كان بعد هذا تفسيرهم لقول الله الذى
بلغه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فيكون طيرا بأذن الله أى بأذن اللاهوت
الذى هو كلمة الله المتحدة بالناسوت كذباً ظاهراً على محمد صلى الله عليه
وسلم. وهذا مما يعرف كذبهم فيه على محمد صلى الله عليه وسلم جميعُ اهل
الارض العالم بحال محمد صلى الله عليه وسلم سوآء اقروا بنبوته او
انكروها . فالمقصود فى هذا المقام ان هؤلاء كذبوا على محمد صلى
الله عليه وسلم كذباً ظاهراً معلوماً للخلق المؤمنين به والمكذبين له
ليس هو كذباً خفيا. وان قدر ان ما قالوه يكون ممكنا معقولا فكيف
اذا كان ممتنعاً في صرائح العقول بل هو قول غير معقول أي غير معقول
ثبوته في الخارج وان كان يعقل مايخلفون ويعلم به فساد عقولهم لمن
قال سائر الاقوال المتناقضة الفاسدة التى يمتنع ثبوتها فى الخارج وذلك كما
قد بسط في موضع آخر فأن قولهم بأذن اللاهوت الذي هو كلمة الله
المتحدة في الناسوت باطل من وجوه . منها ان تلك الكلمة اما ان
تكون هي الله اوصفة لذاته . اولاهي ذاته ولاهي صفة له . او الذات والصفة
جميعاً . فان لم تكن هي ذات الله ولا صفته . ولا الذات والصفة كانت بائنة

عنه مخلوقة له ولم يكن لاهوتا بل ولا خالقه وحينئذ فلم يتحد بالمسيح
لاهوت بل لم يتحد به ان كان اتحد به الا مخلوق. وان كانت الكلمة هي
الذات او الذات والصفة فهي رب العالمين وهي الاب عندهم وهم متفقون
على ان المسيح ليس هو الاب ولم يتحد به الاب بل الابن. وان كانت
الكلمة صفة لله عز وجل فصفة الله ليست هي الآله الخالق والمسيح
عندهم هو آلاله الخالق وأيضاً فصفة الله قائمة بذاته لاتفارق ذاته وتحل
بغيره وتتحد به وكلمة الله عندهم اتحدت بالمسيح وان قالوا قولنا هذا
كما يقول طائفة من المسلمين ان القرآن او التوراة او الانجيل حل في
القرآء أو اتحد بهم وان القديم حل في المخلوق او اتحد به ونحو ذلك
قيل لو كان قول هؤلآء صواباً لم يكن لهم فيه حجة فانه على هذا التقدير
لافرق بين المسيح وبين سائر من يقرأ التوراة والانجيل والزبور والقرآن
وانتم تدعون ان المسيح هو الله او ابن الله مخصوصاً بذلك دون غيره
وأيضاً فهؤلآء وجميع الامم متفقون على ان قراء القرآن وسائر الكتب
الالهية ليس واحد منهم هو الله ولا هو ابن الله ولا انه خالق لنعالم
فاذا جعلتم قولكم مثل قول هؤلآء لزمكم ان لا يكون المسيح هو الله
ولا ابن الله ولا ربا للعالم وأيضاً فلم نعلم احداً من هؤلآء قال ان اللاهوت
اتحد بالناسوت ولا ان القديم اتحد بالمحدث ولا ان كلام الله صار هو والمخلوق
شيئاً واحدا فالاتحاد باطل باتفاق هؤلاء وغيرهم ولكن طائفة منهم اطلقت
لفظ الحلول. وطائفة انكرت لفظ الحلول وقالوا انما نقول ظهر القديم في
المحدث لاحل فيه لكن قالوا ما يستلزم الحلول. وسلف المسلمين وجمهورهم
يخطئون هؤلآء ويبينون خطأهم عقلا ونقلا وقولهم ليس هو قول احد

من ائمة المسلمين ولا قول طائفة مشهورة من طوائف المسلمين كالمالكية والشافعية والحنفية والحنبلية والثورية والداودية والاسحاقية وغيرهم ولا قول طائفة من طوائف المتكلمين من المسلمين لا المنتسبين الي السنة كالاشعرية والكرامية ولا غيرهم كالمعتزلة والشيعة وامثالهم وانما قال ذلك طائفة قليلة انتسبت الى بعض علماء المسلمين مثل قليل من المالكية والشافعية والحنبلية وهؤلاء غايتهم ان يقولوا بحلول صفة من صفات الله وكذلك من قال بحلول الرب واتحاده في العبد من طوائف الغلاة المنتسبين الى التشيع والتصوف او غيرهم فهم ضلال كالنصارى مع انه لا حجة للنصارى على هؤلاء اذ كان ما يقولونه لا يختص به المسيح بل هو مشترك بينه وبين غيره من الانبياء والصالحين والنصارى تدعي اختصاص المسيح بالاتحاد مع ان المتحد بالناسوت صار هو والناسوت شيئاً واحداً ومع الاتحاد فيمتنع ان يكون لاحدهما فعل اوصفة خارج عن الآخر . والنصارى يدعون الاتحاد ثم يتناقضون . فمنهم من يقول جوهر واحد . ومنهم من يقول جوهران . ومنهم من يقول مشيئة واحدة . ومنهم من يقول مشيئتان كما سيأتي الكلام ان شاء الله تعالى على ذلك

(فصل) واما قوله تعالى (ياعيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) فهذا حق كما اخبر الله به فمن اتبع المسيح عليه السلام جعله الله فوق الذين كفروا الى يوم القيامة وكان الذين اتبعوه على دينه الذى لم يبدل قد جعلهم الله فوق اليهود وايضا فالنصارى فوق اليهود

الذين كفروا به الى يوم القيامة. واما المسلمون فهم مؤمنون به ليسوا كافرين به بل لمّا بدل النصارى دينه وبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بدين الله الذي بعث به المسيح وغيره من الانبياء جعل الله محمداً وامته فوق النصارى الى يوم القيامة كما في الصحيحين عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا معاشر الانبياء ديننا واحد وإنّ اولى الناس بابن مريم لانا لانه ليس بيني وبينه نبيّ وقال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين) وقال تعالى (يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون) فكل من كان اتم ايمانا بالله ورسله كان احق بنصر الله تعالى فان الله تعالى يقول في كتابه (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) وقال فى كتابه (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) واليهود كذبوا المسيح ومحمدا صلى الله عليهما وسلم كما قال الله فيهم (بئس مااشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغياً ان ينزل الله من فضله على من يشآء من عباده فبآؤا بغضب على غضب) فالغضب الاول تكذيبهم المسيح والثانى محمداً صلى الله عليه وسلم. والنصارى لم يكذبوا المسيح وكانوا منصورين على اليهود والمسلمون منصورون على اليهود والنصارى فانهم آمنوا بجميع كتب الله ورسله ولم يكذبوا بشيء من كتبه ولا كذبوا أحدا من رسله بل

اتبعوا ما قال الله لهم حيث قال (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون) وقال تعالى (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) ولما كان المسلمون هم المتبعون لرسل الله كلهم المسيح وغيره وكان الله قد وعد الرسل واتباعهم قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لا تزال طائفة من امتي ظاهرة على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة. وقال ايضا سالت ربي ان لا يسلط على امتي عدوا من غيرهم فيجتاحهم فاعطانيها (الحديث) فكان ما احتجوا به حجة عليهم لا لهم

(فصل) واما قولهم وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس فهذا حق كما قال تعالى وقد ذكر تعالى تأييد عيسى بن مريم بروح القدس فى عدة مواضع فقال تعالى في سورة البقرة (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس) وقال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) وقال تعالي (ياعيسى بن

مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً باذنى وتبرئ الاكمه والابرص باذنى) وقد قال تعالى في القرآن (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لايعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق) وقال تعالى (نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين) وقال تعالى (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) فروح القدس الذى نزل بالقرآن من الله هو الروح الامين وهو جبريل وثبت فى الصحيح عن أبي هريرة انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول لحسان بن ثابت أجب عنى اللهم أيده بروح القدس وفى صحيح مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لحسان بن ثابت ان روح القدس لايزال يؤيدك مانافحت عن الله ورسوله . وفى الصحيحين عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان بن ثابت اهجهم أو هاجهم وجبريل معك فهذا حسان بن ثابت واحد من المؤمنين لما نافح عن الله ورسوله وهجا المشركين الذين يكذبون الرسول أيده الله بروح القدس وهو جبريل عليه السلام وأهل الارض يعلمون ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن يجعل اللاهوت متحدا بناسوت حسان بن ثابت فعلم ان أخباره بان الله أيده بروح القدس لا يقتضى اتحاد اللاهوت بالناسوت فعلم ان التأييد بروح القدس ليس من خصائص المسيح وأهل الكتاب

يقرون بذلك وان غيره من الانبياء كان مؤيدا بروح القدس كداود وغيره بل يقولون ان الحواريين كانت فيهم روح القدس وقد ثبت باتفاق المسلمين واليهود والنصارى ان روح القدس يكون فى غير المسيح بل فى غير الانبياء كما سيأتي ان شاء الله تعالى وانما المقصود فى هذا المقام بيان كذبهم على محمد صلى الله عليه وسلم وهذا التأييد نظير قوله تعالى (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) فهذا التأييد بروح منه عام لكل من لم يحب اعداء الرسل وان كانوا اقاربه بل يحب من يؤمن بالرسل وان كانوا اجانب ويبغض من لم يؤمن بالرسل وان كانوا اقارب وهذه ملة ابراهيم قال تعالى (قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابداً حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال تعالى (واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني برآء مما تعبدون الا الذى فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون) وقال تعالى (فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه) وهذا التأييد بروح القدس لمن ينصر الرسل عام في كل من نصرهم على من خالفهم من المشركين واهل الكتاب كما تقدم وليس فى القرآن ولا في الانجيل ولا غير ذلك من كتب الانبياء ان روح القدس الذى أيد به المسيح هو صفة الله القائمة به وهى حياته ولا ان روح القدس يخلق ويرزق فليس روح القدس هى الله ولا صفة من صفات الله بل ليس فى شيء من

كلام الانبياء ان صفة الله القائمة به تسمى ابنا ولا روح القدس . فاذا تأول النصارى قول المسيح عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس على ان الابن صفته التى هي العلم وروح القدس صفته التى هي الحياة كان هذا كذباً بيناً على المسيح ولا يوجد قط فى كلامه ولا كلام غيره من الانبياء تسمية الله ولا شيء من صفاته ابنا ولا حياته روح القدس .وايضافهم يذكرون في الامانة ان المسيح تجسد من مريم ومن روح القدس وهذا يوافق ماأخبر الله به من انه ارسل روحه الذى هو جبريل وهو روح القدس فنفخ فى مريم فحملت بالمسيح فكان المسيح متجسداً مخلوقا من امه من ذلك الروح وهذا الروح ليس صفة الله لا حياته ولا غيرها بل روح القدس قد جاء ذكرها كثيراً فى كلام الانبياء ويراد بها اما الملك واما مايجعله الله فى قلوب انبيائه واوليائه من الهدى والتأييد ونحو ذلك كما قال تعالى (اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) وقال تعالى (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا) وقال تعالى (ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده) وقال تعالى (يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق) فسمى الملك روحا وسمى ماينزل به الملك روحا وهما متلازمان والمسيح عليه السلام مؤيد بهذا وهذا.ولهذا قال كثير من المفسرين انه جبريل وقال بعضهم انه الوحي وهذا كلفظ الناموس يراد به صاحب سر الخير كما يراد بالجاسوس صاحب سر الشر فيكون الناموس جبريل ويراد به الكتاب الذى نزل به وما

فيه من الامر والنهي والشرع ولما قال ورقة بن نوفل للنبي صلى الله عليه وسلم هذا هو الناموس الذى كان يأتى موسى فسر الناموس بهذا وهذا وهما متلازمان

(فصل) واما قوله تعالى (ولقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فأتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون) فهو حق كما قال تعالى وليس فى ذلك مدح للرهبانية ولا لمن بدل دين المسيح وانما فيه مدح لمن اتبعه بما جعل الله في قلوبهم من الرحمة والرأفة حيث يقول وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ثم قال ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم أى وابتدعوا رهبانية ما كتبناها عليهم وهذه الرهبانية لم يشرعها الله ولم يجعلها مشروعة لهم بل نفى جعله عنها كما نفى ذلك عما ابتدعه المشركون بقوله (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) وهذا الجعل المنفى عن البدع هو الجعل الذى اثبته للمشروع بقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقوله (ولكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه) فالرهبانية ابتدعوها لم يشرعها الله وللناس فى قوله ورهبانية قولان احدهما انها منصوبة يعنى ابتدعوها اما

بفعل مضمر على قوله وأصحابه يفسره ما بعده (١) أو يقال هذا الفعل يعمل في المضمر والمظهر كما هو قول الكوفيين حكاه عنهم ابن جرير وثعلب وغيرهما ونظيره قوله يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما وقوله (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) وعلى هذا القول فلا تكون الرهبانية معطوفة على الرأفة والرحمة فالقول الثاني انها معطوفة عليها فيكون الله قد جعل في قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية المبتدعة ويكون هذا جعلا خلقيا كونيا والجعل الكوني يتناول الخير والشر كقوله تعالى (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار) وعلى هذا القول فلا مدح للرهبانية لانها في القلوب فثبت انه على التقديرين ليس في القرآن مدح ثم قال الا ابتغاء رضوان الله اى لم يكتب عليهم إلا ابتغاء رضوان الله وابتغاء رضوان الله بفعل ما أمر به لا بما يبتدع. وهذا يسمى استثناء منقطعاً كما في قوله مالهم به من علم الا اتباع الظن) وقوله (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم) وقوله تعالى (لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) وقوله (فما لهم لايؤمنون واذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله اعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب اليم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون) وقوله تعالى (لايسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الاقيلا سلاما سلاما) وقوله (وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمناً الاخطأ) وهذا اصح الاقوال في هذه الآية كما هو مبسوط في موضع

---

(١) المعنى ابتدعوا رهبانية ابتدعوها واصحاب هذا يقولون تفسيره ما بعده

آخر وذكر انهم ابتدعوا الرهبانية ولا يجوز ان يكون المعنى ان الله كتبها عليهم ابتغاء رضوان الله فان الله لا يفعل شيئاً ابتغاء رضوان نفسه ولا ان المعنى انهم ابتدعوها ابتغاء رضوانه كما يظن هذا. وهذا بعض الغالطين كما قد بسط في موضع آخر و ذكر انهم ابتدعوا الرهبانية وما رعوها حق رعايتها وليس فى ذلك مدح لهم بل هو ذم ثم قال تعالي (فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم) وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وكثير منهم فاسقون ولو اريد الذين آمنوا بالمسيح أيضاً فالمراد من اتبعه على دينه الذي لم يبدل والآن فكلهم يقولون انهم مؤمنون بالمسيح وبكل حال فلم يمدح سبحانه الا من اتبع المسيح على دينه الذى لم يبدل ومن آمن بمحمد صلي الله عليه وسلم لم يمدح النصارى الذين بدلوا دين المسيح ولا الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم. فان قيل قد قال بعض الناس ان قوله تعالى (ورهبانية ابتدعوها) عطف على رأفة ورحمة وان المعنى ان الله جعل فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها وجعلوا الجعل شرعيا ممدوحاً. قيل هذا غلط لوجوه. منها ان الرهبانية لم تكن في كل من اتبعه بل الذين صحبوه كالحواريين لم يكن فيهم راهب وانما ابتدعت الرهبانية بعد ذلك بخلاف الرأفة والرحمة فانها جعلت فى قلب كل من اتبعه . ومنها انه اخبر انهم ابتدعوا الرهبانية بخلاف الرأفة والرحمة فأنهم لم يبتدعوها واذا كانوا ابتدعوها لم يكن قد شرعها لهم فان كان المراد هو الجعل الشرعى الدينى لا الجعل الكونى القدرى فلم تدخل الرهبانية في ذلك وان كان المراد الجعل الخالق الكونى فلا مدح للرهبانية في ذلك .ومنها ان الرأفة والرحمة جعلها في

القلوب . والرهبانيـة لاتختص بالقلوب بل الرهبانيـة تتضمن ترك المباحات من النكاح واللحم وغير ذلك وقـد كان طائفة من الصحابة رضوان الله عليهم هموا بالترهب فانزل الله تعـالى نهيهم عن ذلك بقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لـكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين) وثبت فى الصحيحين ان نفرا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال احدهم. اما انا فاصوم لا افطر وقال الآخر. اما انا فاقوم لا انام. وقال الآخر اما انا فلا اتزوج النسآء. وقال الاخر اما انا فلا أكل اللحم. فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال مابال رجال يقول احدهم كذا وكذا لـكنى اصوم وافطر واقوم وأنام واتزوج النساء وأكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني. وفي صحيح البخارى ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا قائماً في الشمس فقال ماهذا. قال هذا ابو اسرائيل نذر ان يقوم فى الشمس ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال مروه فليجلس وليستظل وليتكلم وليتم صومه وثبت فى صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليـه وسلم انه كان يقول في خطبته خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضـلالة . وفي السنن عن العرباض بن سارية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة. قال الترمذي حديث حسن صحيح وقد بينت النصوص الصحيحة ان الرهبـانية بدعة وضلالة وما كان بدعة وضلالة لم يكن هدى ولم يكن الله جعلها بمعنى انه شرعها كما لم يجعل الله ما شرعـه

المشركون من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام. فان قيل قد قال طائفة معناها ما فعلوها إلاّ ابتغاء رضوان الله ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله . وقالت طائفة مافعلوها او ما ابتدعوها الا ابتغاء رضوان الله . قيل كلا القولين خطأ والاول اظهر خطأ فان الرهبانية لم يكتبها الله عليهم بل لم يشرعها لا ايجابا ولا استحبابا ولكن ذهبت طائفة الى انهم لما ابتدعوها كتب عليهم اتمامها وليس فى الآية ما يدل على ذلك فانه قال (ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها) فلم يذكر انه كتب عليهم نفس الرهبانية ولا اتمامها ولا رعايتها بل اخبر انهم ابتدعوا بدعة وان تلك البدعة لم يرعوها حق رعايتها . فان قيل قوله تعالى (فما رعوها حق رعايتها) يدل على انهم لو رعوها حق رعايتها لكانوا ممدوحين. قيل ليس في الكلام مايدل على ذلك بل يدل على انهم مع عدم الرعاية يستحقون من الذم مالا يستحقونه بدون ذلك فيكون ذم من ابتدع البدعة ولم يرعها حق رعايتها أعظم من ذم من رعاها وان لم يكن واحد منهما محموداً بل مذموماً مثل نصارى بنى تغلب ونحوهم ممن دخل فى النصرانية ولم يقوموا بواجباتها بل أخذوا منها ماوافق أهوائهم فكان كفرهم وذمهم أغلظ ممن هو أقل شرا منهم والنار دركات كما ان الجنة درجات وأيضاً فالله تعالى اذا كتب شيئاً على عباده لم يكتب ابتغاء رضوانه بل العباد يفعلون مايفعلون ابتغاء رضوان الله وأيضاً فتخصيص الرهبانية بانه كتبها ابتغاء رضوان الله دون غيرها تخصيص بغير موجب فان ما كتبه ابتداء لم يذكر انه كتبه ابتغاء رضوانه فكيف بالرهبانيه ؟ وأما قول من قال

مافعلوها الا ابتغاء رضوان الله) فهذا المعنى لو دل عليه الكلام لم يكن في ذلك مدح للرهبانية فان من فعل مالم يأمر الله به بل نهاه عنه مع حسن مقصده غايته ان يثاب على قصده لايثاب على مانهى عنه ولا على ماليس بواجب ولا مستحب فكيف والكلام لايدل عليه فانه قال (ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله) لم يقل مافعلوها الا ابتغاء رضوان الله ولا قال ما ابتدعوها الا ابتغاء رضوان الله ولو كان المراد مافعلوها أوما ابتدعوها الا ابتغاء رضوان الله لكان منصوبا على المفعولية ولم يتقدم لفظ الفعل ليعمل فيه ولا نفى الابداع بل أثبته لهم وانما تقدم لفظ الكتابة فعلم ان القول الذى ذكرناه هو الصواب وانه استثناء منقطع فتقديره وابتدعوا رهبانية ما كتبناها عليهم لكن كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله فان ارضاء الله واجب مكتوب على الخلق وذلك يكون بفعل المأمور وبترك المحظور لابفعل مالم يأمر بفعله وبترك مالم ينهه عن تركه والرهبانية فيها فعل مالم يأمر به وترك مالم ينهه عنه

(فصل) وأما قوله تعالى (من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين) فهذه الآية لا اختصاص فيها للنصارى بل هى مذكورة بعد قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم

يولوكم الادبار ثم لاينصرون ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) ثم قال (ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة) ومعلوم ان الصفة المذكورة في قوله (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبيآء بغير حق) صفة لليهود وكذلك قوله ضربت عليهم الذلة والمسكنة فقوله عقب ذلك من اهل الكتاب امة قائمة لا بد ان يكون متناولا لليهود ثم قد اتفق المسلمون والنصارى على اذ اليهود مع كفرهم بالمسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم ليس فيهم مؤمن وهذا معلوم بالاضطرار من دين محمد صلى الله عليه وسلم والآية اذا تناولت النصارى كان حكمهم في ذلك حكم اليهود والله تعالى انما اثنى على من آمن من اهل الكتاب كما قال تعالى (وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب) وقد ذكر اكثر العلماء ان هذه الآية الاخرى في آل عمران نزلت فى النجاشي ونحوه ممن آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم لكنه لم تمكنه الهجرة الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا العمل بشرائع الاسلام لكون اهل بلده نصارى لايوافقونه على اظهار شرائع الاسلام وقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم انما صلى عليه لما مات لاجل هذا فانه لم يكن هناك من يظهر الصلاة عليه فى جماعة كثيرة ظاهرة كما يصلى المسلمون على جنائزهم . ولهذا جعل من أهل الكتاب مع

كونه آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم بمنزلة من يؤمن بالنبى صلى الله عليه وسلم فى بلاد الحرب ولا يتمكن من الهجرة الى دار الاسلام ولا يمكنه العمل بشرائع الاسلام الظاهرة بل يعمل مايمكنه ويسقط عنه مايعجز عنه كما قال تعالى (وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) فقد يكون الرجل في الظاهر من الكفار وهو فى الباطن مؤمن كما كان مؤمن آل فرعون قال تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ان الله لايهدى من هو مسرف كذاب ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا قال فرعون ما اريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد وقال الذى آمن ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد وياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فماله من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى إله موسى وانى لاظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد

فرعون الا في تباب وقال الذى آمن ياقوم اتبعونى أهدكم سبيل الرشاد
ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار من عمل
سيئة فلا يجزي الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو
مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ويا قوم مالى
أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى لاكفر بالله
وأشرك به ماليس لى به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار لاجرم
انّ ما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وان
مردنا الي الله وان المسرفين هم أصحاب النار فستذكرون
ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله
سيئات مامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها
غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب) فقد
اخبر سبحانه وتعالى انه حاق بآل فرعون سوء العذاب واخبر انه كان
من آل فرعون رجل مؤمن يكتم ايمانه وانه خاطبهم بالخطاب الذي
ذكره فهو من آل فرعون باعتبار النسب والجنس والظاهر. وليس هو
من آل فرعون الذين يدخلون اشد العذاب وكذلك امرأة فرعون
ليست من آل فرعون هؤلاء ، قال تعالى (وضرب الله مثلا للذين آمنوا
امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتاً في الجنة ونجنى من فرعون
وعمله ونجنى من القوم الظالمين) وامرأة الرجل من آله بدليل قوله
(الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته كانت من الغابرين) وهكذا
اهل الكتاب فيهم من هو في الظاهر منهم وهو فى الباطن يؤمن بالله
ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم يعمل بما يقدر عليه ويسقط عنه

ما يعجز عنه علما وعملا ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وهو عاجز عن الهجرة الى دار الاسلام كعجز النجاشي وكما ان الذين يظهرون الاسلام فيهم من هم فى الظاهر مسلمون وفيهم من هو منافق كافر فى الباطن . اما يهودى . واما نصرانى . واما مشرك واما معطل . كذلك فى اهل الكتاب والمشركين من هو فى الظاهر منهم وهو في الباطن من أهل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم يفعل ما يقدر على علمه وعمله ويسقط عنه ما يعجز عنه من ذلك . وفي حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن انس قال لما مات النجاشي قال النبي صلى الله عليه وسلم استغفروا لاخيكم فقال بعض القوم تأمرنا ان نستغفر لهذا العلج يموت بارض الحبشة فنزلت (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم) ذكره ابن ابي حاتم وغيره باسانيدهم وذكره حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن البصرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استغفروا لاخيكم النجاشي فذكر مثله وكذلك ذكر طائفة من المفسرين عن جابر وابن عباس وانس وقتادة انهم قالوا نزلت هذه الآية في النجاشى ملك الحبشة واسمه اصحمة وهو بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم في اليوم الذى مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فقالوا ومن هو؟ قال النجاشي فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البقيع وزاد بعضهم وكشف له من المدينة الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له وقال لاصحابه استغفروا له . فقال المنافقون ابصروا الى هذا

يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل الله تعالى هذه الآية (وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لايشترون بآيات الله ثمناً قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب) وقد ذهبت طائفة من العلماء الى انها نزلت فيمن كان على دين المسيح عليه السلام الى ان بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فآمن به كما نقل ذلك عن عطاء . وذهبت طائفة الى انها نزلت في مؤمن اهل الكتاب كلهم . والقول الاول اجود فان من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم واظهر الايمان به وهو من اهل دار الاسلام يعمل بما يعمله المسلمون ظاهراً وباطنا فهذا من المؤمنين وان كان قبل ذلك مشركا يعبد الاوثان فكيف اذا كان كتابيا وهذا مثل عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وغيرهما وهؤلاء لايقال انهم من اهل الكتاب كما لايقال في المهاجرين والانصار انهم من المشركين وعباد الاوثان ولا ينكر احد من المنافقين ولا غيرهم ان يصلى على واحد منهم . بخلاف من هو في الظاهر منهم وفي الباطن من المؤمنين وفي بلاد النصارى من هذا النوع خلق كثير يكتمون ايمانهم اما مطلقا واما يكتمونه عن العامة ويظهرونه لخاصتهم وهولاء قد يتناولهم قوله تعالى وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله) الآية فهؤلاء لايدعون الايمان بكتاب الله ورسوله لأجل مال يأخذونه كما يفعل كثير من الاحبار والرهبان الذين يأكلون اموال الناس بالباطل ويصدونهم عن سبيل الله فيمنعونهم من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم . واما قوله (من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون

بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واؤلئك من الصالحين) فهذه الآية تتناول اليهود اقوى مما تتناول النصارى ونظيره قوله تعالى (ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون) هذا مدح مطلق لمن تمسك بالتوراة ليس فى ذلك مدح لمن كذب المسيح ولا فيها مدح لمن كذب محمداً صلى الله عليه وسلم وهذا الكلام تفسيره سياق الكلام فانه قال تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ثم قال تعالى (ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون) فقد جعلهم نوعين نوعاً مؤمنين ونوعا فاسقين وهم اكثرهم لقوله تعالى (منهم المؤمنون) يتناول من كان مؤمناً قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم كما يتناولهم قوله تعالى (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة) الى قوله (وكثير منهم فاسقون) وكذلك قوله تعالى (ولقد ارسلنا نوحاً وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون) وقوله عن ابراهيم الخليل (وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) ثم لما قال (واكثرهم الفاسقون) قال (لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لاينصرون ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وبآؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) وضرب الذلة عليهم اينما ثقفوا ومبآؤهم بغضب من الله الآية وما ذكر معه من قتل الانبياء بغير حق وعصيانهم

واعتدائهم كان اليهود متصفين به قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى فى سورة البقرة (واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ماسألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) ثم قال بعد ذلك (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) فتناولت هذه الآية من كان من أهل هذه الملل الاربع متمسكا بها قبل النسخ بغير تبديل كذلك آية آل عمران لما وصف أهل الكتاب بما كانوا متصفاً به اكثرهم قبل محمد صلى الله عليه وسلم من الكفر قال (ليسوا سواء من أهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات واولئك من الصالحين) وهذا يتناول من كان متصفا منهم بهذا قبل النسخ فانهم كانوا على الدين الحق الذى لم يبدل ولم ينسخ كما قال فى الاعراف (ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقطعناهم فى الارض اممآمنهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لايقولوا على الله الا

الحق ودرسوا مافيه والدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة انا لانضيع اجر المصلحين) وقد قال تعالى مطلقا (وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون) فهذا خبر من الله عمن كان متصفا بهذا الوصف قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ومن ادرك من هؤلاء محمداً صلى الله عليه وسلم فآمن به كان له اجره مرتين

(فصل) قالوا ثم وجدناه يعظم انجيلنا ويقدم صوامعنا ويشرف مساجدنا ويشهد بأن اسم الله يذكر فيها كثيراً وذلك مثل قوله (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً) . والجواب ان فيها ذكر الصوامع والبيع واما قوله ويذكر فيها اسم الله كثيرا فانما ذكره عقب ذكر المساجد والمساجدُ للمسلمين وليس المراد بها كنائس النصارى فانما هى البيع ثم قوله يذكر فيها اسم الله كثيراً اما ان يكون مختصا بالمساجد فلا يكون في ذلك اخبار بان اسم الله يذكر كثيرا فى الصوامع والبيع . واما ان يكون ذكر اسم الله فى الجميع فلا ريب ان الصوامع والبيع قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم كان فيها من يتبع دين المسيح الذى لم يبدل ويذكر فيها اسم الله كثيراً . وقد قيل انها بعد النسخ والتبديل يذكر فيها اسم الله كثيرا وان الله يحب ان يذكر اسمه قال الضحاك ان الله يحب ان يذكر اسمه وان كان يشرك به يعنى ان المشرك به خير من المعطل الجاحد الذى لايذكر اسم الله بحال • واهل الكتاب خير من المشركين وقد

ذكرنا انه لما اقتتل فارس والروم وانتصرت الفرس ساء ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرهوا انتصار الفرس على النصارى لان النصارى اقرب الى دين الله من المجوس . والرسل بعثوا بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها وتقديم خير الخيرين على ادناها حسب الامكان ودفع شر الشرين بخيرهما فهدم صوامع النصارى وبيعهم فساد اذا هدمها المجوس والمشركون. واما اذا هدمها المسلمون وجعلوا اماكنها مساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً فهذا خير وصلاح وهذه الآية ذكرت في سياق الاذن للمسلمين بالجهاد بقوله تعالى (اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) وهذه الآية اول آية نزلت في الجهاد ولهذا قال(الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله) ثم قال (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) فيدفع بالمؤمنين الكفار ويدفع شر الطائفتين بخيرهما كما دفع المجوس بالروم النصارى ثم دفع النصارى بالمؤمنين امة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا كما قال في سورة البقرة (وقتل داوود جالوت واتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض و لكن الله ذو فضل على العالمين) واما التقديم في اللفظ فانه يكون للانتقال من الادنى الى الاعلى كقوله تعالى (قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وان تقولوا على الله مالا تعلمون)وقوله (يوم يفر المرء من أخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه) وقوله (والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا)ونظائره متعددة

وكذلك فى قوله تعالى (لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً) بين سبحانه انه لو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت مواضع العبادات. وهدمها فساد اذا هدمها من لا يبدلها بخير منها وادناها هى الصوامع فان الصومعة تكون لواحد او طائفة قليلة فبدا بادنى المعابد وختم باشرفها وهى المساجد التي يذكر فيها اسم الله كثيراً فى الجملة حكم هذه المعابد حكم اهلها. واهلها قبل النسخ والتبديل مؤمنون مسلمون وهدم معابد المؤمنين المسلمين فساد وبعد النسخ والتبديل اذا غلب أهل الكتاب من هو شر منهم كالمجوس والمشركين وهدموا معابدهم كان ذلك فسادا واذا هدمها من هو خير منهم كأمة محمد صلى الله عليه وسلم وابدلوها مساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولا يشرك به ويذكر فيها الايمان بجميع كتبه ورسله كان ذلك صلاحا لافساداً ولهذا امر النبي صلى الله عليه وسلم ان تتخذ المساجد مواضع معابد الكفار كما كان لثقيف أهل الطائف معبد يعبدون فيه اللات التي قال الله فيها (افرأيتم اللات والعزى) فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يهدم ذلك المعبد ويتخذ مكانه المسجد الذى يعبد الله وحده فيه فان المساجد هى بيوت الله فى الارض قال تعالى (قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بداكم تعودون وقال تعالى (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا) وقال تعالى (ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم) الآية الى قوله المهتدين وقال تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره) الآية الى قوله (بغير حساب) ثم لما

ذكر المؤمنين ذكر الكفار من أهل الكتاب والمشركين فذكر اهل الجهل المركب والبسيط فقال تعالى (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوافاه حسابه والله سريع الحساب او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) فقد تبين انه ليس لهم حجة فى شيء مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بل ماجاء به حجة عليهم من وجوه متعددة

(فصل) قالوا وهذا وغيره اوجب لنا التمسك بديننا وان لانهمل ما معنا ولا نرفض مذهبنا ولا نتبع غير السيد المسيح كلمة الله وروحه وحوارييه الذين ارسلهم الينا * والجواب * انهم احتجوا بحجتين باطلتين أحدهما ان محمداً لم يرسل اليهم بل الى العرب وقد تبين ان الاحتجاج بها من اعظم الكذب والافتراء على محمد صلى الله عليه وسلم فانه لم يقل قط انى لم ارسل الى اهل الكتاب ولا قال قط اني لم ارسل الا الى العرب بل نصوصه المتواترة عنه وافعاله تبين انه مرسل الى جميع اهل الارض اميهم وكتابيهم . والحجة الثانية قولهم ان محمداً صلى الله عليه وسلم اثنى على دين النصارى بعد التبديل والنسخ وهى ايضاً اعظم كذبا عليه من التي قبلها فكيف يثنى عليهم وهو يكفرهم فى غير موضع من كتابه ويأمر بجهادهم وقتالهم ويذم المتخلفين عن جهادهم غاية الذم ويصف من لم ير طاعته في قتالهم بالنفاق والكفر ويذكر انه يدخل جهنم وهذا كله يخبر به عن الله عز وجل ويذكره تبليغاً لرسالة ربه

وانما يضاف اليه لانه بلغه وأداه لا لانه انشاه وابتداه كما قال تعالى (انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم) واما ثناء الله ورسوله على المسيح وامه وعلى من اتبعه وكان على دينه الذي لم يبدل فهذا حق وهو لا ينافي وجوب اتباع محمد صلى الله عليه وسلم على من بعث اليه فلو قدر ان شريعة المسيح لم تبدل وان محمدا اثنى على كل من اتبعها وقال مع ذلك ان الله ارسلني اليكم لم يكن متناقضا واذا كفر من لم يؤمن به لم يناقض ذلك ثناؤه عليهم قبل ان يكذبوه. فكيف وهو انما مدح من اتبع ديناً لم يبدل. واما الذين بدلوا دين المسيح فلم يمدحهم بل ذمهم كما قال (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) وقد قدمنا ان النصارى كفروا كما كفرت اليهود كفروا بتبديلهم ما في الكتاب الاول وكفروا بتكذيبهم بالكتاب الثاني. واما من لم يبدل الكتاب او ادرك محمداً فآمن به فهؤلاء مؤمنون ومما يبين ذلك ان تعظيم المسيح للتوراة واتباعه لها وعمله بشرائعها اعظم من تعظيم محمد صلى الله عليه وسلم للانجيل ومع هذا فلم يكن ذلك مسقطاً عن اليهود وجوب اتباعهم للمسيح فكيف يكون تعظيم محمد صلى الله عليه وسلم للانجيل مسقطاً عن النصارى وجوب اتباعه

(فصل) واما قولهم وحواريه الذين ارسلهم الينا انذرونا بلغاتنا وسلموا الينا ديننا الذين قد عظموا في هذا الكتاب بقوله في سورة الحديد (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) وقال في سورة البقرة (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) فاعنى بقوله انبياءه المبشرين ورسله يحو بذلك الحواريين الذين داروا فى سبعة اقاليم العالم وبشروا بالكتاب الواحد الذى هو الانجيل الطاهر لانه لو عنى عن ابراهيم وداوود وموسى ومحمد لكان قال معهم الكتب لان كل واحد منهم جاء بكتاب دون غيره ولم يقل الا الكتاب الواحد لانه ما أتى جماعة مبشرين بكتاب واحد غير الحواريين الذين اتوا بالانجيل الطاهر وجآء ايضاً فى الكتاب (وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين) يعنى الحواريين لم يقل رسول انما قال المرسلين * والجواب * من وجوه. احدها انه ليس فيما ذكر ولا في غيره مايوجب تكذيب الرسول الذى ارسل اليكم او الى غيركم وتمسككم بدين مبدل منسوخ . كما انه ليس فيما يعظم به موسى والتوراة ومن اتبع موسى ما يوجب لليهود تكذيب الرسول الذى ارسل اليهم وتمسكهم بدين مبدل منسوخ . الثانى ان قولهم ولا نتبع غير المسيح وحواريه قول باطل فانهم ليسوا متبعين لا للمسيح ولا لحواريه لوجهين. احدهما ان دينهم مبدل ليس كله عن المسيح والحواريين بل اكثر شرائعهم او كثير منها ليست عن المسيح والحواريين . الثاني ان المسيح بشر باحمد كما قال تعالى (واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل انى

رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدي اسمه احمد) فاذا لم يتبعوا احمدكانوا مكذبين للمسيح وعندهم من البشارات عن المسيح وغيره من الأنبياء بأحمد ما هو مبسوط في موضع آخر كما سيأتي ان شاء الله وانما المقصود هنا منع احتجاجهم بشيء مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وبيان انه حجة عليهم لاهم اذ زعموا ان في بعضه حجتهم . الثالث ان قولهم عن الحواريين انهم الرسل الذين عظموا فى هذا الكتاب قول باطل فسروا به القرآن تفسيراً باطلا من جنس تفسيرهم الذين انعمت عليهم بالنصارى وتفسيرهم بأذنى أى ينفخ فيه فيكون طيراً بأذن اللاهوت الذى هو كلمة الله المتحدة فى الناسوت وتفسيرهم آلم ذلك الكتاب بالانجيل وتفسيرهم الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون هم النصارى وتفسيرهم قوله ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هي احسن هم النصارى الا الذين ظلموا هم اليهود وأمثال ذلك من تفسيرهم القرآن بمثل ما يفسرون به التوراة والانجيل والزبور من التفاسير التى هي من تحريف الكلم عن مواضعه والالحاد في آيات الله والكذب على انبيائه بما يظهر انه كذب على الانبياء لكل من تدبر ذلك. وبطلان ذلك يظهر من وجوه. احدها ان الله قال (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز) وقوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا اسم جمع مضاف يعم جميع من ارسله الله تعالى . الثانى ان احق الرسل بهذا الحكم

الرسل الذين سماهم الله تعالى في القرآن كما قال تعالى (انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داوود زبوراً ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما) وقال تعالى في سورة الشعراء (كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما أسألكم عليه من اجر ان اجريَ إلا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون أنى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجريَ إلا على رب العالمين كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين) وقال تعالى (انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبيلا) وقال تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق

فاخذتهم فكيف كان عقاب) وقال تعالى (ولقد ارسلنا نوحا الي قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون) وذكر قصته ثم قال من بعد ذلك (ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون) ثم لما قضى قصته قال تعالى (ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون ثم ارسلنا رسلنا تترا كلما جآء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين) فذكر ارسال رسله تترا اي متواترة ثم ذكر ارسال موسى وهرون وارسالُ موسى وهرون قبل ارسال المسيح بمدة طويلة وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين (فهذا اخبار منه سبحانه وتعالى بانه بعث فى كل أمة رسولا يدعوهم الى عبادة الله وحده وقال تعالى في المسيح صلوات الله عليه (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة) فاخبر ان المسيح رسول من هؤلاء الرسل (قد خلت من قبله الرسل) وقبله قد بعث في كل أمة رسولا وقد روي فى حديث ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الانبيآء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي وان الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر • وبعض الناس يصحح هذا الحديث وبعضهم يضعفه فان كان صحيحاً فالرسل ثلثمائة وثلاثة عشر • وان لم تعرف صحته امكن

ان يكونوا بقدر ذلك وان يكونوا اكثر كما يمكن ان يكونوا أقل فان الله اخبر انه بعث في كل أمة رسولا وقال تعالى (انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذير) وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انتم توفون سبعين امة انتم اكرمها وافضلها على الله وهو حديث جيد وقد قال تعالى في سورة الزمر (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) وقال تعالى في سورة تبارك (وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير) وقال تعالى (كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير) فهذا اخبار منه بان كل فوج يلقى في النار وقد جاءهم نذير كما قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقد قال تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال تعالى (يامعشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى شهدنا على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين) فقد ارسل الله قبل المسيح رسلا كثيرين الى جميع الامم فكيف يجوز ان يدعى ان المراد بقوله (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات) هم الحواريون فقط الذين ارسلهم المسيح مع ان الحواريين رسل المسيح بمنزلة رسل موسى وابراهيم ورسل محمد صلى الله عليه وسلم ومن ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت على الناس طاعته فيما يبلغه عن

رسول الله كما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من اطاعنى فقد اطاع الله ومن اطاع اميرى فقد اطاعنى ومن عصانى فقد عصى الله ومن عصى اميرى فقد عصانى • فبين ان اميره انما تجب طاعته فى المعروف الذى امر الله به ورسوله لا فى كل ما يأمر به ففى الصحيحين عن على عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيشا وامر عليهم رجلا وامرهم ان يسمعوا ويطيعوا فاغضبوه فقال اجمعوا لى حطبا فجمعوا له ثم قال اوقدوا نارا فاوقدوا نارا ثم قال ألم يامركم رسول الله ان تسمعوا لى وتطيعوا. قالوا بلى؟ قال فادخلوها فنظر بعضهم الى بعض فقالوا انما فررنا الى رسول الله من النار فكانوا كذلك حتى سكن غضبه فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله وقال لو دخلوها ما خرجوا منها ابدا وقال لا طاعة في معصية الله انما الطاعة في المعروف وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب وكره الا ان يؤمر بمعصية فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة. وفى صحيح مسلم عن ام الحصين سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع يقول ولو استعمل عليكم عبد اسود يقودكم بكتاب الله فاستمعوا واطيعوا وفى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ اوعى له من سامع وفى صحيح البخارى عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ومن كذب علىّ متعمدا فليتبوء مقعده من النار وفي السنن عنه انه قال نضر الله امرأ استمع فسمع منا حديثاً ويبلغه الى من لم يسمعه

فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه فالحواريون فى تبليغهم عن المسيح كسائر اصحاب الانبياء في تبليغهم عنهم وقال الله تعالى فى كتابه (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا) واولوا الامر هم العلماء والامراء فاذا امروا بما امر الله به ورسوله وجبت طاعتهم وان تنازع الناس فى شيء وجب رده الى الله والرسول لا يرد الى احد دون الرسل الذين ارسلهم الله كما قال فى الآية الاخرى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما أختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) والكتاب اسم جنس لكل كتاب انزله الله ليس المراد به كتابا معيناً كما قال تعالى (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) ولم يرد بهذا ان يؤمن بكتاب معين واحد بل هذا يتضمن الايمان بالتوراة والانجيل والقرآن وكل ما انزله الله من كتاب كما قال فى سورة الشورى (فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم) فامره الله تعالى ان يؤمن بكل ما انزله الله من كتاب وان يعدل بين من بلغتهم رسالته كما قال (لانذركم به ومن بلغ) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال بلغوا عنى ولو آية فكل من بلغه القرآن فهو مخاطب به يتناوله خطاب القرآن وقال تعالى (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) وفي القراءة الاخرى وكتابه ورسله وكلا القراءتين موافقة للاخرى وقوله تعالى (كان الناس امة واحدة) اى فاختلفوا بعد ذلك كما قال فى السورة الاخرى (وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا فلما اختلف بنوا آدم بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب) وذلك يتناول كل كتاب انزله الله ليحكم الله ويحكم كتابه بين الناس بالحق فالحاكم بين الناس هو الله تعالى وحكمه في كتبه المنزلة فلهذا امر الله المؤمنين اذا تنازعوا فى شيء ان يردوه الى الله والرسول . والرد الى الله هو الرد الى كتابه فامرهم بالرد الى كتابه ورسوله وقد ذم تعالى من لم يحاكم الى كتابه ورسوله فقال تعالى (الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيداً واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احساناً وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)

فقد تبين ان الرسل الذين ذكرهم الله في قوله (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات) يتناول الرسل الذين ارسلهم الله كلهم ومن احقهم بذلك الرسل الذين اخبر فى القرآن انه ارسلهم الى عباده فظهر بطلان قولهم انهم الحواريون . الوجه الثالث انه قال (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز) فذكر انه انزل الحديد أيضاً ليتبين من يجاهد في سبيل الله بالحديد. والنصارى يزعمون ان الحواريين والنصارى لم يؤمروا بقتال احد بالحديد. الوجه الرابع انه قال بعد ذلك (ولقد ارسلنا نوحاً وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة) واخباره بارسال نوح وابراهيم بعد قوله لقد ارسلنا رسلنا بالبينات من باب ذكر الخاص بعد العام وبيان ما اختص به الخاص من الاحكام التي امتاز بها عن غيره مما دخل في العام كما يأمر السلطان العسكر بالجهاد ويأمر فلاناً وفلاناً بان يفعلوا كذا وكذا ومثل ان يقال ارسل رسله الى فلان وفلان وارسل اليهم فلاناً وأمره بكذا وكذا قال تعالي (ولقد ارسلنا نوحاً وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) فنوح هو ابو الآدميين الذين حدثوا بعد الطوفان فان الله اغرق ولد آدم الا اهل السفينة وقال في نوح (وجعلنا ذريته هم الباقين) وابراهيم جعل الانبياء بعده من ذريته كما قال تعالى فى ابراهيم (ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب وآتيناه اجره فى

الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين) ثم قال بعد ان ذكر ارسال نوح وابراهيم وانه جعل في ذريتهما النبوة والكتاب (ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل) فاخبر انه قفا على آثارهم برسله وقفا بعيسى بن مريم واتاه الانجيل وهؤلاء رسل قبل المسيح وآخرهم المسيح ولم يذكر انه ارسل احداً من اتباع المسيح بل اخبر انه جعل في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة فكيف يجوز ان يقال ان مراده بالرسل الذين ارسلهم بالبينات وانزل معهم الكتاب والميزان هم الحواريون دون الرسل الذين ذكرهم وارسلهم قبل المسيح • الوجه الخامس انه ليس فى القرآن آية تنطق بأن الحواريين هم رسل الله بل ولا صرح فى القرآن بأنه ارسلهم لكن قال فى سورة يس (واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم اجراً وهم مهتدون ومالي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون انى اذاً لفى ضلال مبين انى امنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لي ربى وجعلنى من المكرمين وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان

كانت الا صيحة واحدة فاذاهم خامدون ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) فهذا كلام الله ليس فيه ذكر ان هؤلاء المرسلين كانوا من الحواريين ولا ان الذين ارسل اليهم آمنوا بهم وفيه ان هؤلاء القوم الذين ارسل اليهم هؤلاء الثلاثة انزل الله عليهم صيحة واحدة فاذاهم خامدون وقد ذكر طائفة من المفسرين ان هؤلاء كانوا من الحواريين وان القرية انطاكية وان هذا الرجل اسمه حبيب النجار ثم ان بعضهم يقول ان المسيح ارسلهم في حياته لكن المعروف عند النصارى ان اهل انطاكية آمنوا بالحواريين واتبعوهم لم يهلك الله اهل انطاكية. والقرآن يدل على ان الله اهلك قوم هذا الرجل الذى امن بالرسل وأيضاً فالنصارى يقولون انما جاؤا الى اهل انطاكية بعد رفع المسيح وان الذين جاؤا كانوا اثنين لم يكن لهما ثالث. قيل احدهما شمعون الصفا والآخر بولص ويقولون ان اهل انطاكية آمنوا بهم ولا يذكرون حبيب النجار ولا مجيء رجل من اقصى المدينة بل يقولون ان شمعون وبولص دعوا الله حتى احيا ابن الملك فالامر المنقول عند النصارى ان هؤلاء الرسل المذكورين في القرآن ليسوا من الحواريين وهذا اصح القولين عند علماء المسلمين. وأئمة المفسرين ذكروا ان الرسل المذكورين في القرآن في سورة يس ليسوا من الحواريين بل كانوا قبل المسيح وسموهم باسماء غير اسماء الحواريين كما ذكر محمد بن اسحاق قال سلمة بن الفضل كان من حديث صاحب يس فيما حدثني محمد بن اسحاق عن ابن عباس وعن كعب وعن وهب بن منبه انه كان رجل من اهل انطاكية وكان اسمه حبيبا وكان يعمل بالحرث وكان رجلا سقيما قد اسرع فيه

الجذام وكان منزله عند باب من ابواب المدينة يتأجرو كان موءمناً ذا صدقة يجمع كسبه اذا امسى فيما يذكرون فيقسمه نصفين فيطعم نصفه عياله ويتصدق بنصفه وكان بالمدينة التي هو بها مدينة انطاكية فرعون من الفراعنة يقال له انطخسر بن انطخجس يعبد الاصنام صاحب شرك فبعث الله اليه المرسلين وهم ثلاثة صادق وصدوق وسلوم فقدم الله اليه والى اهل المدينة منهم اثنين فكذبوهما ثم عزز الله بالثالث • وروى الربيع ابن انس عن ابي العالية في قوله واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث) لكي تكون الحجة عليهم اشد فاتوا اهل القرية فدعوهم الى الله وحده وعبادته لاشريك له فكذبوهم فاتوا على رجل في ناحية القرية في زرع له فسألهم الرجل ما انتم قالوا نحن رسل رب العالمين ارسلنا الى اهل هذه القرية ندعوهم الى عبادة الله وحده لاشريك له قال لهم اتسألون على ذلك اجرا قالوا لا. قال فالقى ما في يده ثم أتى اهل المدينة فقال (يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجراً وهم مهتدون) وهذا القول هو الصواب وان هؤلاء المرسلين كانوا رسلا لله قبل المسيح وان كانوا قد ارسلوا الى انطاكية وآمن بهم حبيب النجار فهم كانوا قبل المسيح ولم تؤمن اهل القرية بالرسل بل اهلكهم الله تعالى كما اخبر في القرآن ثم بعد هذا عمرت انطاكية وكان اهلها مشركين حتى جاءهم من جاءهم من الحواريين فآمنوا بالمسيح على ايديهم ودخلوا في دين المسيح • ويقال ان انطاكية اول المدائن الكبار الذين آمنوا بالمسيح عليه السلام وذلك بعد رفعه الى السماء

ولكن ظن من ظن من المفسرين ان المذكورين فى القرآن هم رسل المسيح وهم من الحواريين فهـذا غلط لوجوه . منها ان الله قـد ذكر في كتابه انه اهلك الذين جآتهم الرسل واهل انطاكية لما جاءهم من دعاهم الى دين المسيح آمنوا ولم يهلكوا . ومنها أن الرسل فى القرآن ثلاثة وجاءهم رجل من اهل المدينة يسعى والذين جاؤا من اتباع المسيح كانوا اثنين ولم يأتهم رجل يسعى لا حبيب ولا غيره . ومنها ان هؤلاء جآءوا بعد المسيح فلم يكن الله ارسلهم وهذا كما ان الله ذكر في القرآن انه اهلك اهل مـدين بالظلة لما جاءهم شعيب وذكر فى فى القرآن أن موسى اتاها وتزوج بنت واحد منها فظن بعض النـاس انه شعيب النبي وهذا غلط عند علماء المسلمين مثل ابن عباس والحسن البصرى وابن جريج وغيرهم كلهم ذكروا ان الذى صاهره موسى ليس هو شعيبا النبي وحكى انه شعيب عمن لا يعرف ولم يثبت ذلك عن احد من الصحابة والتابعين كما قد بسطناه في موضع آخر . واهل الكتاب يقرون بان الذي صاهره موسى ليس هو شعيبا بل رجل من اهـل مدين ومنهم من يقول انها غير مدين التى اهلك الله اهلها والله اعـلم وكذلك ذكر المفسرون فى المرسلين هل ارسلهم الله او أرسلهم المسيح قولين . احدهما ان الله هو الذى ارسلهم قال ابو الفرج ابن الجوزى وهذا ظاهر القرآن وهو مروى عن ابن عباس وكعب ووهب بن منبه قال وقال المفسرون فى قوله تعالى (ان كانت الا صيحة واحدة) اخذ جبريل بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة فاذا هم ميتون لا يسمع لهم حس كالنار اذا اطفئت وذلك قوله (فاذاهم خامدون)

اى سا كتون كهيئة الرماد الخامد. ومعلوم عند الناس ان اهل انطاكية
لم يصبهم ذلك بعد مبعث المسيح بل آمنوا به قبل ان يبدل دينه وكانوا
مسلمين مؤمنين به على دينه الى ان تبدل دينه بعد ذلك. ومما يبين ذلك
ان المعروف عند اهل العلم انه بعد نزول التوراة لم يهلك الله مكذبى
الامم بعذاب سماوي يعمهم كما اهلك قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط
وفرعون وغيرهم بل أمر المؤمنين بجهاد الكفار كما امر بنى اسرائيل
على لسان موسى بقتال الجبابرة وهذه القرية اهلك الله اهلها بعذاب
من السماء. فدل ذلك على ان هؤلاء الرسل المذكورين فى يس كانوا
قبل موسى عليه السلام وايضا فان الله لم يذكر فى القرآن رسولا ارسله
غيره وانما ذكر الرسل الذين ارسلهم هو وايضا فانه قال (اذ ارسلنا اليهم
اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث) فاخبر انه ارسلهم كما اخبر انه ارسل نوحا
وموسى وغيرهما وفى الآية (قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن
من شيء ومثل هذا هو خطاب المشركين لمن قال ان الله ارسله وانزل
عليه الوحي لا من جاء رسولا من عند رسول وقد قال بعد هذا
(يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) وهذا
انما هو في الرسل الذين جاءوهم من عند الله لا من عند رسله. وايضا
فان الله ضرب هذا مثلا لمن ارسل اليه محمداً صلى الله عليه وسلم
يحذرهم ان ينتقم الله منهم كما انتقم من هؤلاء. ومحمد انما يضرب له المثل
برسول نظيره لا بمن اصحابه افضل منهم فان ابا بكر وعمر وعثمان وعلياً
افضل من الحواريين باتفاق علماء المسلمين ولم يبعث الله بعد المسيح
رسولا بل جعل ذلك الزمان زمان فترة كقوله (يا اهل الكتاب قد

جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل) وايضا فانه قال تعالى
(اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون
قالوا ما انتم الا بشر مثلنا) ولو كانوا رسل رسول لكان التكذيب لمن
ارسلهم ولم يكن في قولهم ان انتم الا بشر مثلنا شبهة. فان احدا لا ينكر
ان يكون رسل رسل الله بشرا وانما انكروا ان يكون رسول الله
بشرا وايضا فلو كان التكذيب لهما وهما رسل الرسول لا مكنهما ان
يقولا فارسلوا الى من ارسلنا او الى اصحابه فانهم يعلمون صدقنا فى
البلاغ عنه بخلاف ما اذا كانا رسل الله وايضا فقوله اذ ارسلنا اليهم
اثنين) صريح في ان الله هو المرسل ومن ارسلهم غيره انما ارسلهم ذلك
لم يرسلهم الله كما لا يقال لمن ارسله محمد بن عبد الله انهم رسل الله فلا يقال
لدحية بن خليفة الكلبي ان الله ارسله ولا يقال ذلك للمغيرة بن شعبة
وعبد الله بن حذافة وامثالهم ممن ارسلهم الرسول وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم ارسل رسله الى ملوك الارض كما ارسل دحية بن خليفة
الى قيصر وارسل عبد الله بن حذافة الى كسرى وارسل حاطب بن
ابى بلتعة الى المقوقس كما تقدم ذكر ذلك. ومعلوم انه لا يقال فى هؤلاء
ان الله ارسلهم ولا يسمون عند المسلمين رسل الله ولا يجوز باتفاق
المسلمين ان يقال هؤلاء داخلون فى قوله (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات
فاذا كانت رسل محمد صلى الله عليه وسلم لم يتناولهم اسم رسل الله فى
الكتاب الذى جاء به.. فكيف يجوز ان يقال ان هذا الاسم يتناول
رسل رسول غيره والمقصود هنا بيان معاني القرآن وما اراده الله
تبارك وتعالى بقوله (اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين) هل

مراد الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم من ارسالهم الله او من ارسالهم رسوله وقد علم يقيناً ان محمداً صلى الله عليه وسلم لم يدخل في مثل هذا فمن قال ان محمداً اراد بذلك من ارسله رسول فقد كذب على محمد صلى الله عليه وسلم عمداً او خطأ

(فصل) وقد تبين بما ذكرناه فساد قولهم في تفسير آية البقرة فانهم قالوا وقال في سورة البقرة (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) قالوا فاعنى بقوله انبياءه المبشرين ورسله نحو بذلك عن الحواريين الذين داروا في سبعة أقاليم العالم وبشروا بالكتاب الواحد الذي هو الانجيل الطاهر لانه لو كان اعنى عن ابراهيم وموسي وداوود ومحمد لكان قال ومعهم الكتب لان كل واحد منهم جاء بكتاب دون غيره ولم يقل الا الكتاب الواحد لانه ما أتي جماعة مبشرين بكتاب واحد غير الحواريين الذين اتوا بالانجيل الطاهر • فيقال لهم قد تقدم بعض مايدل على فساد هذا التفسير وأيضاً فانه قال تعالى (كان الناس امة واحدة اى فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين • والحواريون ليسوا من النبيين وان كان المسيح ارسلهم ولا يلزم من ارساله لهم ان يكونوا انبياء كمن ارسلهم موسى ومحمد وغيرهما ولهذا تسميهم عامة النصارى رسلا ولا يسمونهم انبياء وايضاً فانه قال وانزل معهم الكتاب والحواريون لم ينزل معهم الكتاب انما انزل الكتاب مع المسيح ولكن الانبياء انزل معهم جنس الكتاب فان الكتاب اسم جنس فيدخل فيه الكتب المنزلة كلها كما في قوله (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة

والكتاب والنبيين) وفى قوله (كل آمن بالله وملائكته وكتبه)وفي القرآءة الاخرى وكتابه ورسله وكذلك قوله عن مريم (وصدقت بكلمات ربها وكتبه (وفى القرآءة الاخرى وكتابه وايضاً قال تعالى (كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) وقال تعالى فى سورة يونس (وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا) وهذا يدل انه لما اختلفت بنو آدم بعث الله النبيين وكان اختلافهم قبل المسيح بل قبل موسى بل قبل الخليل بل قبل نوح كما قال ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام ثم حدث فيهم الشرك والاختلاف على وجهين . تارة يختلفون فيؤمن بعضهم ويكفر بعضهم كما قال تعالى ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ماجاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر) وقال تعالى (هذان خصمان اختصموا في ربهم) يعنى اهل الايمان والكفر وقد يكون المختلفون كلهم على باطل كقوله (وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد وقوله (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك) وأيضاً فالانجيل ليس فيه حكم بين الناس فيما اختلفوا فيه بل عامته مواعظ ووصايا واخبار المسيح . بخلاف التوراة والقرآن فان فيهما من الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ما ليس في الانجيل وايضا فأنه قال (وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بأذنه) وذلك يقتضي ان الله هدى الذين آمنوا بعد اختلاف الذين اوتوا الكتاب بغيابينهم لما اختلفوا فيه من الحق وهذا ذم لمن أوتوا الكتاب فاختلفوا . والنصارى داخلون في هذا الذم

ولو كان المراد الانجيل كانوا هم المذمومين دون غيرهم وليس كذلك بل اليهود وغيرهم من المختلفين مذمومون ايضا وانما الممدوح هم المؤمنون الذين هداهم الله لما اختلف اولئك فيه من الحق باذنه . وهذا يتناول امة محمد صلى الله عليه وسلم قطعا وقد يتناول كل من آمن من الامم المتقدمة كالذين كانوا على دين موسى والمسيح وابراهيم الخليل كما قال تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وأما امة محمد صلى الله عليه وسلم فأن الله هداهم لما اختلف فيه الامم قبلهم من الحق بأذنه وهذا بين فأنهم على الحق والعدل الوسط بين طرفي الباطل وهذا ظاهر في اتباعهم الحق الذى اختلفت فيه اليهود والنصارى فى التوحيد والانبياء والاخبار والتشريع والنسخ والحلال والحرام والتصديق والتكذيب وغير ذلك . اما التوحيد فان اليهود شبهوا الخالق بالمخلوق فوصفوا الرب سبحانه بصفات النقص الذى يختص بها المخلوق فقالوا انه فقير وبخيل وانه يتعب وغير ذلك والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق صفات الكمال التي يختص بها الخالق فقالوا عن المسيح انه خالق السموات والارض القديم الازلى علام الغيوب القادر على كل شيء . واتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله . والمسلمون هداهم الله لما اختلف فيه من الحق فلم يشبهوا الخالق بالمخلوق ولا المخلوق بالخالق بل اثبتوا لله ما يستحقه من صفات الكمال ونزهوه عن النقائص واقروا بأنه احد ليس كمثله شيء وليس له كفؤا احد في شيء من

صفات الكمال فنزهوه عن النقائص خلافاً لليهود وعن مماثلة المخلوق له خلافاً للنصارى. واما الانبياء عليهم السلام فأن اليهود قتلوا بعضاً وكذبوا بعضاً كما قال تعالى (افكلما جاءكم رسول بما لاتهوى انفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون) والنصارى اشركوا بهم وبمن هو دونهم فعبدوا المسيح بل اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله وجعلوا الحواريين رسلا له وزعموا ان الانسان بطاعته يصير بمنزلة الانبياء وصوروا تماثيل الانبياء والصالحين وصاروا يدعونهم ويستشفعون بهم بعد موتهم واذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تماثيلهم وفي الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر له كنيسة بارض الحبشة وذكر من حسنها وتصاوير فيها فقال اولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك التصاوير اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة. واما المسلمون فهداهم الله لما اختلف فيه من الحق بأذنه فآمنوا بانبياء الله كلهم ولم يفرقوا بين احد منهم ولم يغلوا فيهم غلو النصارى ولا قصروا فى حقهم تقصير اليهود وكذلك قتل اليهود الذين يأمرون بالقسط من الناس. والنصارى يطيعون من يأمر بالشرك وان الشرك لظلم عظيم ويطيعون من يحرم الحلال ويحلل الحرام. والمسلمون يطيعون من يأمر بطاعة الله ولا يطيعون من يأمر بمعصية الله. والنصارى فيهم الشرك بالله • واليهود فيهم الاستكبار عن عبادة الله كما قال تعالى في النصارى (اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون

وقال في اليهود (افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) والاسلام هو ان يستسلم العبد لله وحده فيعبده وحده بما امره به. فمن استسلم له ولغيره كان مشركا والله لايغفر ان يشرك به. ومن لم يستسلم له بل استكبر عن عبادته كان ممن قيل فيه ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين فلهذا كان جميع الانبياء واممهم مسلمين لله يعبدونه وحده بما امرهم به وان تنوعت شرائعهم فالمسيح لم يزل مسلما لما كان متبعاً لشرع التوراة ولما نسخ الله له مانسخه منها. ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يزل مسلماً لما كان يصلي الى بيت المقدس ثم لما صلى الى الكعبة ولما بعثه الله الى الخلق كانوا كلهم مأمورين بطاعته وكانت عبادة الله طاعته فمن لم يطعه لم يكن عابداً لله فلم يكن مسلماً. واما التشريع فان اليهود زعموا ان ما أمره الله به يمتنع منه ان ينسخه. والنصارى زعموا ان ما أمر الله به يسوغ لاكابرهم ان ينسخوه فهدى الله المؤمنين لما اختلفوا فيه من الحق فقالوا ان الله سبحانه له ان ينسخ ماشرعه خلافا لليهود وليس لمخلوق ان يغير شيئاً من شرع الخالق خلافا للنصارى. واما الحلال والحرام والطهارة والنجاسة فان اليهود حرمت عليهم الطيبات وشدد عليهم في امر النجاسات فمنعوا من مواكلة الحائض والجلوس معها فى بيت ومن ازالة النجاسة وحرم عليهم شحم الترب والكليتين وكل ذى ظفر وغير ذلك. والمسيح عليه السلام احل لهم بعض الذى حرم عليهم فقابلهم النصارى فقالوا ليس شيء محرم لا الخنزير ولاغيره بل ولا شيء نجس لا البول ولا غيره وزعموا ان بعض اكابرهم رأى

ملاءة صور له فيها صور الحيوان وقيل له كل ما طابت نفسك ودع ما تكره وانه ابيح لهم جميع الحيوان ونسخوا شرع التوراة بمجرد ذلك. فالحلال عندهم ما اشتهته انفسهم. والحرام عندهم ما كرهته انفسهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق فاحل الله لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث وازال عنهم الاصار والاغلال التي كانت على بني اسرائيل خلافا لليهود وامرهم بالطهارة طهارة الحدث والخبث خلافا للنصارى. والمسيح عليه السلام جعلته اليهود ولدزنا كذابا ساحراً وجعلته النصاري هو الله خالق السموات والارض فهدى الله الذين آمنوا لما أختلف فيه من الحق باذنه فشهدوا انه عبد الله مخلوق خلافا للنصارى وانه رسول الله وجيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين خلافا لليهود واما التصديق والتكذيب فان اليهود من شأنهم التكذيب بالحق والنصارى من شأنهم التصديق بالباطل فان اليهود كذبوا من كذبوه من الانبياء وقد جاؤا بالحق كما قال تعالى (اوكلما جاءكم رسول بما لاتهوى انفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون) والنصارى يصدقون بمحالات العقول والشرائع كما صدقوا بالتثليث والاتحاد ونحوهما من الممتنعات

(فصل) قالوا عن القرآن انه شهد لهم انهم انصار الله حيث يقول كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) فيقال هذا حق والحواريون مؤمنون مسلمون وهم انصار الله لكن ليس فى هذا انهم رسل الله ولا فى هذا ان كل ما انتم عليه من الدين مأخوذ

عنهم ولا في هذا ان الواحد من الحواريين معصوم من الغلط بل يأمر الله المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ان يكونوا أنصار الله كما طلب المسيح ذلك بقوله (من أنصاري الى الله) وقد وصف الله المؤمنين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من أهل المدينة النبوية بانهم أنصار بقوله تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين أتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) والمهاجرون أفضل من الانصار وهم أيضاً من انصار الله نصروه كما نصره الانصار لكن لما كان لهم اسم يخصهم وهم المهاجرون وهو افضل الاسمين خص الانصار بهذا الاسم. والمهاجرون والانصار افضل ممن آمن بموسى ومن آمن بعيسى عند المسلمين ومع هذا فليس فيهم عندهم نبي ولا رسول لله ولكن فيهم رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما

(فصل) قالوا واما تعظيمه لانجيلنا وكتبنا التي في ايدينا فيقول (ثم انزلنا عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه) وقال فى سورة آل عمران (آلم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس) وقال فى سورة البقرة (آلم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون) فاعنى بالكتاب الانجيل والذين يؤمنون بالغيب نحن النصارى الذين آمنا بالسيد المسيح وما رأيناه ثم اتبع بالقول والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك

فاعنى بهم المسلمين الذين آمنوا بما أتى به وما أتى من قبله وقال فى سورة المائدة وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدي وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاؤلئك هم الفاسقون) وقال فى سورة آل عمران (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير فأعنى أيضاً بالكتاب المنير الذى هو الانجيل المقدس وقال أيضاً فأن كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلاتكونن من الممترين) فثبت بهذا مامعنا ونفى عن انجيلنا وكتبنا التى في ايدينا التهم والتبديل والتغيير لما فيها بتصديقه اياها * والجواب * بعد ان تعرف ان لفظ الآية الاولى في سورة المائدة ثم انزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ان يقال . اما تصديق خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم لما انزل الله قبله من الكتب ولمن جاء قبله من الانبياء فهذا معلوم بالاضطرار من دينه متواتر تواتراً ظاهراً كتواتر ارساله الى الخلق كلهم وهذا من اصول الايمان قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما أمنتم به فقد اهتدوا وأن تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) وقال تعالى (قولوا آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من

ربهم لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وقال تعالى (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون) وقال تعالى (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لايكلف الله نفسا الاوسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) وتصديقه للتوراة والانجيل مذكور في مواضع من القرآن وقد قال تعالى (وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) وقال تعالى (الله نزل احسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين الخ وقال تعالى (نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن) فبين انه انزل هذا القرآن مهيمنا على ما بين يديه من الكتب والمهيمن الشاهد المؤتمن الحاكم فشهد بما فيها من الحق ويبين ماحرف فيها ويحكم باقرار ما اقره الله من احكامها وينسخ مانسخه الله منها وهو مؤتمن في ذلك عليها واخبر انه احسن الحديث واحسن القصص وهذ

يتضمن انه كل من كان متمسكا بالتوراة قبل النسخ من غير تبديل شيء من احكامها فأنه من اهل الايمان والهدى وكذلك من كان متمسكا بالانجيل من غير تبديل شيء من احكامه قبل النسخ فهو من اهل الايمان والهدى. وليس فى ذلك مدح لمن تمسك بشرع مبدل فضلا عمن تمسك بشرع مبدل منسوخ ولم يؤمن بما ارسل الله اليه من الرسل وما انزل اليه من الكتب بل قد بين سبحانه كفر اليهود والنصارى بتبديل الكتاب الاول وبترك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم في غير موضع. واما تأويلهم قوله ذلك الكتاب انه الانجيل وان الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون عنى بهم النصارى فهو من تحريف الكلم عن مواضعه وتبديل كلام الله كما فعلوه فى قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا وفي قوله باذنى اى بأذن اللاهوت وفى قوله اهدنا الصراط المستقيم وفي غير ذلك مما ذكروه وتأولوه من القرآن على غير المعنى الذى اراد الله به وهذا مما يؤيد انهم فعلوا كذلك بالتوراة والانجيل فانه اذا كان القرآن الذى قد عرف تفسيره والمراد به العام والخاص ونقل ذلك عن الرسول نقلا متواتراً حتى عرف معناه علما يقينيا اضطرارياً فيبدلون معناه ويحرفون الكلم عن مواضعه فما ذا يصنعون بالتوراة والانجيل ولم ينقل لفظ ذلك ومعناه كما نقل القرآن وليس في اهل تلك الكتب من يذب عن لفظها ومعناهـا كما يذب المسلمون عن لفظ القرآن ومعناه وهؤلاء غرهم قوله (ذلك الكتاب) فظنوا ان لفظ ذلك لما كان يشار بها الى الغائب اشير بهـا الى الانجيل . فيقال لهم هـذا كقوله (ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم)

واشار بذلك الى ما تلاه قبل هـذه الآية وقوله (واسالوا ما انفقتم وليسئلوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم (وقوله (فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف واشهدوا ذوي عدل منكم ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) ومثله قوله تعالى بعد ان ذكر خبر يوسف الصديق (ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك) وقال ايضاً لما ذكر خبر مريم (ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم) كما قال لما ذكر آيات يخبر فيها عن نوح (تلك من انباء الغيب نوحيها اليك) الآية وقال (آلر تلك آيات الكتاب المبين انا انزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) وتلك فى المؤنث مثل ذلك فى المذكر ومع هذا فاشار الى القرآن ومنه قوله (آلر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) وقوله (طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين) ومنه قوله (طسم تلك آيات الكتاب المبين) ومنه قوله (حم عسق كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) وقوله (وكذلك أوحينا اليك قرآناً عربياً) وقوله (المر تلك آيات الكتاب والذى أنزل اليك من ربك الحق) الآية ومثل هـذا كثير وذلك أنه لما انزل قوله (ذلك الكتاب. وتلك آيات الكتاب ونحو ذلك لم يكن الكتاب المشار اليه قد انزل تلك الساعة وانما كان قد انزل قبل ذلك فصار كالغائب الذى يشار اليه كما يشار الى الغائب وهو باعتبار حضوره عند النبي صلى الله عليه وسلم يشار اليه كما يشار الى الحاضر كما قال تعالى (وهذا ذكر مبارك انزلناه) ولهذا قال غير واحد من السلف ذلك الكتاب اي هذا الكتاب يقولون المراد هـذا الكتاب

وان كانت الاشارة تكون تارة اشارة غائب وتارة اشارة حاضر وقد قال (هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب) وقد وصف النصارى بانهم لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وانهم كافرون ظالمون فكيف يجعلهم المتقين الذين يؤمنون بالغيب قال تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) واول التقوى تقوى الشرك وقد وصف النصارى بالشرك فى قوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً لا آله الا هو سبحانه عما يشركون) وقال تعالى لما ذكر المسيح (فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم أسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) ونهى عن موالاتهم فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم) وقد أخبر أن الله ولي المتقين فقال (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين) فلو كانوا من المتقين فضلا عن ان يكونوا هم المتقين لكان الله وليهم ولكانت موالاتهم واجبة على المؤمنين وهو قد نهى عن موالاتهم وجعل من يتولاهم ظالما وجعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض والكفار بعضم أولياء بعض ولهذا لما قطع الله

الموالاة بين المؤمنين وبين الكافرين قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا يرث المسلم الكافر ولا يرث الكافر المسلم واتفق المسلمون على ان اليهودى والنصرانى لا يرث مسلما ولو كان ابنه واباه لان الله قطع الموالاة بينهما وقد قال تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) وايضا فانه قال تعالى (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة) وهي الصلاة التى امر بها فى قوله (اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً) وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة بغير طهور . والنصارى يصلون بغير طهور وقال صلى الله عليه وسلم لا صلاة الا بفاتحة الكتاب وهم لا يقرؤنها والصلاة التي فرضها وأثنى عليها مشتملة على استقبال الكعبة وعلى ركوع وسجدتين فى كل ركعة وغير ذلك مما لا يفعله النصارى فكيف يمدحهم باقام الصلاة وهم لا يقيمون الصلاة التي امر باقامتها ثم لو قال اليهودى المراد بقوله ذلك الكتاب التوراة وبالمتقين اليهود . لكان هذا مع بطلانه اقرب من قول القائل ان المراد بالكتاب الانجيل لان التوراة أحق بذلك من الانجيل فانها الاصل والله تعالى يقرن بينها وبين القرآن في غير موضع كقوله (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة) وقوله تعالى (قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين) وقد قالت الجن

لما سمعت القرآن (ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم) وقال النجاشى لما سمع القرآن ان هذا والذى جاء به موسي ليخرج من مشكاة واحدة وكذلك ورقة بن نوفل قال هذا هو الناموس الذي كان ينزل على موسى ابن عمران وقال تعالى (وقالوا لولا أوتى مثل ماأوتى موسي أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا اى التوراة والقرآن وقالوا ساحران تظاهرا اي موسى ومحمد وقالوا انا بكل كافرون قال الله (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين) فقد بين أنه لم يأت من عند الله كتاب أهدي من التوراة والقرآن وقال تعالى (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى) اى الله هو الذى انزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم مالم تعلموا انتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) واما قوله تعالى (والذين يؤمنون بما انزل اليك وما أنزل من قبلك) فهى صفة ثانية للذين يؤمنون بالغيب وصفهم بالايمان بالغيب مجملا ثم وصفهم بايمان مفصل بما انزل اليه وما أنزل من قبله والعطف بالواو يكون لتغاير الذوات ويكون لتغاير الصفات كقوله تعالى (سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى والذى اخرج المرعى فجعله غثاء أحوى) والذى

خلق فسوى هو الذي قدر فهدى وهو الذى أخرج المرعى وكذلك قوله تعالي (ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم الذى جعل لكم الارض مهداً وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذى نزل من السمآء مآء بقدر فانشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون والذى خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون) ومثله قوله (قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الاعلى ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) فهم صنف واحد وصفهم بهذه الصفات بحرف الواو وكذلك في قوله (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسّه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى ورآء ذلك فاولئك هم العادونَ والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون اولئك في جنات مكرمون) وقد فسر قبل قوله يؤمنون بالغيب صفة المؤمنين من غير أهل الكتاب كمشركي العرب والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك صفة من آمن به

من أهل الكتاب . وعلى هذا القول هولآء غير هولآء لكن هذا ضعيف فانه لابد فى المؤمنين من غير اهل الكتاب ان يؤمنوا بما انزل اليه وما أنزل من قبله ولا بد فى مؤمن أهل الكتاب ان يؤمن بالغيب . فكل من الايمانين واجب على كل واحد ولا يكون احد على هدى من ربه مفلحا الا بهذا وهذا . وأما قول النصارى نحن الذين آمنا بالسيد المسيح وما رأيناه . فهكذا اليهود آمنوا بموسى عليه السلام وما راوه والمسلمون آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما رأوه بل المسلمون آمنوا بموسى وعيسى وسائر النبيين وما رأوهم بخلاف اليهود والنصارى الذين أمنوا ببعض وكفروا ببعض . ثم الغيب ليس المراد به صورة النبي عليه السلام فان صورة النبي ليست من الغيب فان الناس يرونها وليس في رؤيتها مايوجب ايماناً ولا كفرا ولكن الغيب ماغاب عن مشاهدة الخلق وهو ما اخبرت به الانبيآء من الغيب فيدخل فيه الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وهو الايمان بأنهم رسل الله وسوآء رؤيت ابدانهم او لم تُرَ فقد يراهم من لم يؤمن برسالتهم وقد يؤمن برسالتهم من لم يرهم . والمقصود الايمان برسالتهم لابنفس صورهم حتى يقول القائل آمنا بنبي ولم نره وقد يعلم من دلائل نبوته واعلام رسالته من لم يره اكثر مما يعلمها من رآه

(فصل) وأما قوله في سورة المائدة (وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاؤلئك هم الفاسقون

فهذا ثناء منه على المسيح والانجيل وأمر للنصارى بالحكم بما انزل فيه كما اثنى على موسى والتوراة باعظم مما عظم به المسيح والانجيل فقال تعالى (يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) أي قائلون للكذب مصدقون مستجيبون مطيعون لقوم آخرين لم يأتوك فهم مصدقون للكذب مطيعون لما يخالفك وانت رسول الله. فكل من تصديق الكذب والطاعة لمن خالف رسول الله من اعظم الذنوب. ولفظ السمع يراد به الاحساس بالصوت ويراد به فهم المعنى ويراد به قبوله فيقال فلان سمع ما يقول فلان أي يصدقه او يطيعه ويقبل منه بقوله سماعون للكذب أى مصدقون به والا مجرد سماع صوت الكاذب وفهم كلامه ليس مذموماً على الاطلاق وكذلك سماعون لقوم آخرين لم يأتوك. أى مستجيبون لهم مطيعون لهم كما قال في حق المنافقين وفيكم سماعون لهم أى مستجيبون مطيعون لهم ومن قال ان المراد به الجاسوس فهو غالط كغلط من قال سماعون لهم هم الجواسيس فأن الجاسوس انما ينقل خبر القوم الى من لايعرفه ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ما يذكره ويأمر به ويفعله يراه ويسمعه كل من بالمدينة مؤمنهم ومنافقهم ولم يكن يقصد ان يكتم يهود المدينة ما يقوله ويفعله. خلاف من كان يأتيهم من اليهود وهم يصدقون الكذب ويطيعون لليهود الآخرين الذين لم يأتوه والله نهى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يحزنه المسارعون فى الكفر من هاتين الطائفتين المنافقين الذين اظهروا الايمان به ولم تؤمن قلوبهم ومن اهل

الـكتاب الذين يطلبون ان يحكم بينهم وليس مقصودهم ان يطيعوه ويتبعوا حكمه بل ان حكم بما يهوونه قبلوه . وان حكم بخلاف ذلك لم يقبلوه لكونهم مطيعين لقوم آخرين لم يأتوه قال تعالى (سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) أى لم يأتك أولئك القوم الاخرون يقولون اي يقول السماعون (ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) والحكم يفتقر الى الصدق والعدل فلا بد ان يكون الشاهد صادقا والحاكم عادلا وهؤلاء يصدقون الكاذبين من الشهود ويتبعون حكم المخالفين للرسل الذين يحكمون بغير ما انزل الله واذا لم يكن قصدهم اتباع الصدق والعدل فليس عليك ان تحكم بينهم بل ان شئت فاحكم بينهم وان شئت فلا تحكم ولكن اذا حكمت فلا تحكم الا بما انزل الله اليك اذ هو العدل قال تعالى (سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين) وقال تعالى (سماعون للكذب أكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين) ثم قال (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والانف

بالانف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون) فهذا ثناؤه على التوراة وأخباره انا فيها حكم الله وأنه أنزل التوراة وفيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا وقال عقب ذكرها (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون) وهذا أعظم مما ذكره في الانجيل فانه قال في الانجيل (وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور) وقال فيه (وليحكم أهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون) وقال فى التوراة (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) وقال عقب ذكرها (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون) فهو سبحانه مع اخباره بانزال الكتابين يصف التوراة باعظم مما يصف به الانجيل كما قال تعالى (انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) واذا كان ما ذكره من مدح موسى والتوراة لم يوجب ذلك مدح اليهود الذين كذبوا المسيح ومحمداً صلى الله عليهما وسلم تسليما وليس فيه ثناء على دين اليهود المبدل المنسوخ باتفاق المسلمين والنصارى فكذلك ايضاً ما ذكره من مدح المسيح والانجيل ليس فيه مدح النصارى الذين كذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم وبدلوا أحكام التوراة والانجيل واتبعوا المبدل المنسوخ. واليهود توافق المسلمين على أنه ليس فيما ذكر مدح للنصارى والنصارى توافق المسلمين على أنه ليس فيما ذكر مدح لليهود بعد النسخ والتبديل. فعلم اتفاق أهل الملل كلها المسلمون واليهود والنصارى على أنه ليس فيما ذكر في القرآن من ذكر التوراة والانجيل وموسى وعيسى

مدح لاهل الكتاب الذين كذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم ولا مدح لدينهم المبدل قبل مبعثه فليس فى ذلك مدح لمن تمسك بدين مبدل ولا بدين منسوخ فكيف بمن تمسك بدين مبدل منسوخ

(فصل) وهذا أصل لا بد من ثباته وهو أنه قد دلت النصوص على أن الله لا يعذب الا من أرسل اليه رسولا تقوم به الحجة عليه قال تعالى (وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال تعالى عن أهل النار (كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا فى ضلال كبير) (وقال (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمراً حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) وقال تعالى (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين) وقال تعالى (وما كان ربك مهلك القري حتى يبعث فى امها رسولا يتلو عليهم اياتنا وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون) وقال تعالى ولو أنا أهلكناهم بعذاب

من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا) الى قوله (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتي موسى او لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون) وقال تعالى (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير) واذا كان كذلك فمعلوم ان الحجة انما تقوم بالقرآن على من بلغه كقوله (لانذركم به ومن بلغ) فمن بلغه بعض القرآن دون بعض قامت عليه الحجة بما بلغه دون مالم يبلغه فاذا اشتبه معنى بعض الآيات وتنازع الناس فى تأويل الآية وجب رد ماتنازعوا فيه الى الله والرسول. فاذا اجتهد الناس فى فهم ما أراده الرسل فالمصيب له أجران والمخطيء له أجر واحد. فلا يمتنع أن يقال ذلك فى أهل الكتاب قبلنا فمن لم يبلغه جميع نصوص الكتاب قبلنا لم تقم عليه الحجة بما بلغه فيما خفى عليهم معناه منه فاجتهد في معرفته فان أصاب فله أجران. وان أخطأ فله أجر وخطأه محطوط عنه . فاما من تعمد تحريف الكتاب لفظه أو معناه وعرف ماجاء به الرسول فعانده فهذا مستحق للعقاب وكذلك من فرط فى طلب الحق واتباعه متبعاً لهواه مشتغلا عن ذلك بدنياه. وعلى هذا فاذا كان بعض أهل الكتاب قد حرفوا بعض الكتاب وفيهم آخرون لم يعلموا ذلك وهم مجتهدون فى اتباع ماجاء به الرسول لم يجب ان يجعل هؤلاء من المستوجبين للوعيد فاذا جاز ان يكون في اهل الكتاب من لم يعرف جميع ماجاء به المسيح بل خفى عليه بعض ماجاء به أو بعض معانيه فاجتهد لم يعاقب على مالم يبلغه . وقد تحمل

أخبار اليهود الذين كانوا مع تبع والذين كانوا ينتظرون الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل المدينة كابن الهيبان وغيره على هذا وانهم لم يكونوا مكذبين للمسيح تكذيب غيرهم من اليهود وقد تنازع الناس هل يمكن مع الاجتهاد واستفراغ الوسع ان لايبين للمناظر المستدل صدق الرسول اولا. واذا لم يبين له ذلك هل يستحق العقوبة في الآخرة أم لايستحقها. بل وتنازع بعض الناس فى المقلد منهم أيضاً والكلام في مقامين المقام الاول في شأن خطأ المخالف للحق وضلاله. وهذا مما يعلم بطرق متعددة عقلية وسمعية وقد يعرف الخطأ في اقوال كثيرة من اهل القبلة المخالفين للحق وغير أهل القبلة بانواع متعددة من الدلائل. والمقام الثانى الكلام في كفرهم واستحقاقهم الوعيد في الآخرة فهذا فيه ثلاثة أقوال للناس من أصحاب الأئمة المشهورين مالك والشافعى واحمد لهم الاقوال الثلاثة. قيل انه يعذب في النار من لم يؤمن وان لم يرسل اليه رسول لقيام الحجة عليه بالعقل وهذا قول كثير ممن يقول بالحكم العقلى من أهل الكلام والفقه من اصحاب ابي حنيفة وغيرهم وهو اختيار ابى الخطاب. وقيل لاحجة عليه بالعقل بل لايجوز ان يعذب من لم يقم عليه حجة لا بالشرع ولا بالعقل وهذا قول من يجوز تعذيب اطفال الكفار ومجانينهم وهذا قول كثير من أهل الكلام كالجهم وكابى الحسن الاشعرى وأصحابه والقاضى ابى يعلى وابن عقيل وغيرهم. والقول الثالث وعليه السلف والأئمة انه لايعذب الا من بلغته الرسالة ولا يعذب الا من خالف الرسل كما دل عليه الكتاب والسنة قال تعالى لابليس (لأملئن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين) واذا كان كذلك

فهو كما تناظر فيه أهل الكتاب متقدميهم ومتأخريهم تارة نتكلم فى المقام الاول وهو بيان مخالفتهم للحق وجهلهم وضلالهم فهذا تنبيه بجميع الادلة الشرعية والعقلية وتبين كفرهم الذي يستحقون به العذاب في الدنيا والآخرة فهذا أمره الى الله ورسوله لانتكلم فيه الا بما اخبرت به الرسل كما انا أيضاً لا نشهد بالايمان والجنة الا لمن شهدت له الرسل ومن لم تقم عليه الحجة فى الدنيا بالرسالة كالاطفال والمجانين وأهل الفترات فهؤلاء فيهم اقوال اظهرها ما جاءت به الآثار انهم يمتحنون يوم القيامة فيبعث اليهم من يأمرهم بطاعته فان أطاعوه استحقوا الثواب وان عصوه استحقوا العقاب. واذا كان كذلك فنحن نشهد لمن كان مؤمناً بموسى متبعاً له مؤمن مسلم مستحق للثواب. وكذلك من كان مؤمناً بالمسيح متبعاً له. ونشهد لمن قامت عليه الحجة بموسي فلم يتبعه كآل فرعون انهم من أهل النار. وكذلك لمن قامت عليه الحجة بالمسيح الذين قال الله فيهم (انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا لا اعذبه أحداً من العالمين) والذين قال فيهم (ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لايحب الظالمين) واما من بعد عهده بالمسيح وبلغته بعض اخباره دون بعض او بموسى وبلغته بعض اخباره دون بعض فهؤلاء قامت عليهم الحجة بما بلغهم من اخبارهم دون مالم يبلغهم من اخبارهم واذا

اختلفوا فى تأويل بعض التوراة والانجيل فمن قصد الحق واجتهد فى طلبه لم يجب ان يعذب وان كان مخطئاً للحق جاهلا به ضالا عنه كالمجتهد فى طلب الحق من امة محمد صلى الله عليه وسلم . وعلى هذا فاذا قيل ان الحواريين او بعضهم او كثيراً من أهل الكتاب أو اكثرهم كانوا يعتقدون ان المسيح نفسه صلب . كانوا مخطئين فى ذلك ولم يكن هذا الخطأ مما يقدح في ايمانهم بالمسيح اذا آمنوا بما جاء به ولا يوجب لهم النار فان الاناجيل التي بايدى اهل الكتاب فيها ذكر صلب المسيح وعندهم انها مأخوذة عن الاربعة مرقس ولوقا ويوحنا ومتى ولم يكن فى الاربعة من شهد صلب المسيح ولا من الحواريين بل ولا فى اتباعه من شهد الصلب وانما الذين شهدوا الصلب طائفة من اليهود فمن الناس من يقول انهم علموا ان المصلوب غيره وتعمدوا الكذب فى انهم صلبوه وشبه صلبه على من اخبروهم . وهذا قول طائفة من اهل الكلام المعتزلة وغيرهم وهو قول ابن حزم وغيره . ومنهم من يقول بل اشتبه على الذين صلبوه وهذا قول اكثر الناس والاولون يقولون ان قوله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم أى شبه للناس الذين اخبرهم أولئك بصلبه . والجمهور يقولون بل شبه للذين يقولون صلبوه كما قد ذكرت القصة فى غير هذا الموضع والمقصود هنا ان الناس في هذا المقام على طرفين ووسط . اما الطرف الواحد فهم الغلاة من النصارى الذين يدعون ان الحواريين كانوا معصومين فيما يقولونه ويروونه ويرونه وكذلك يقولون بتصويب علماء النصارى فيما يقولونه من تأويل الانجيل والطرف الآخر يقول بل كل من غلط واخطأ فى شىء من ذلك فانه

يستحق الوعيد بل كافر .والثالث الوسط انهم لايعصمون ولا يؤثمون بل قد يكونون مخطئين خطأ مغفوراً لهم اذا كانوا مجتهدين فى معرفة الحق واتباعه بحسب وسعهم وطاقتهم وعلى هذا تصح الادلة الصحيحة وكتبُ الله تدل على ذم الضال والجاحد ومقته مع انه لايعاقب الا بعد انذاره وقد ثبت فى الصحيح عن عياض ابن حماد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب فاخبر انه مقتهم إلاَّ هؤلاء البقايا . والمقت هو البغض بل اشد البغض ومع هذا فقد أخبر في القرآن انه لم يكن ليعذبهم حتى يبعث اليهم رسولا فقال (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال (ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى) وقال تعالى (ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) فدل ذلك على ان المقتضي لعذابهم قائم ولكن شرط العذاب هو بعد بلوغ الرسالة ولهذا قال لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وفي الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما أحد احب اليه العذر من الله عز وجل من اجل ذلك ارسل الرسل وانزل الكتب وفى رواية من اجل ذلك بعث الرسل مبشرين ومنذرين وما أحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه وما أحد أغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقد تنازع الناس فى حسن الافعال وقبحها كحسن العدل والتوحيد والصدق وقبح الظلم والشرك والكذب هل يعلم بالعقل ام لا يعلم الا

بالسمع واذا قيل انه يعلم بالعقل فهل يعاقب من فعل ذلك قبل ان يأتيه رسول • على ثلاثة اقوال معروفة في اصحاب الائمة الاربعة وغيرهم وهي ثلاثة اقوال لاصحاب الامام احمد وغيرهم. فقالت طائفة لا يعرف ذلك الا بالشرع لا بالعقل وهذا قول نظار المجبرة كالجهم بن صفوان وامثاله وهو قول ابي الحسن الاشعري واتباعه من اصحاب الائمة الاربعة كالقاضي ابي بكر ابن الطيب وابي عبد الله بن حامد والقاضي ابي يعلى وابي المعالي وابي الوفاء بن عقيل وغيرهم وقيل بل قد يعلم حسن الاقوال وقبحها بالعقل وقال ابو الخطاب محفوظ بن احمد وهذا قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وهذا هو المنقول عن ابي حنيفة نفسه وعليه عامة اصحابه وكثير من اصحاب مالك والشافعي واحمد وأهل الحديث كأبي الحسن التميمي وابي الخطاب وابي بكر القفال وابي نصر السنجري وابي القاسم سعد بن علي الريحاني وهو قول الكرامية وغيرهم من نظار المثبتة للقدر وهو قول المعتزلة وغيرهم من نظار القدرية ثم هؤلاء على قولين. منهم من يقول يستحقون عذاب الآخرة بمجرد مخالفتهم للعقل كقول المعتزلة والحنفية وابي الخطاب. وقول هؤلاء مخالف للكتاب والسنة. ومنهم من يقول لا يعذبون حتى يبعث اليهم رسول كما دل عليه الكتاب والسنة لكن افعالهم تكون مذمومة ممقوتة يذمها الله ويبغضها ويوصفون بالكفر الذي يذمه الله ويبغضه وان كان لا يعذبهم حتى يبعث اليهم رسولا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح كما تقدم ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب وان ربي قال لي قم في قريش فانذرهم قلت اذا يثلغوا

رأسي حتى يدعوه خبزة قال اني مبتليك ومبتلي بك ومنزل عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظانا فابعث جندا ابعث مثليهم وقاتل بمن اطاعك من عصاك وانفق انفق عليك وقال اني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم ان يشركوا بي مالم انزل به سلطاناً . وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث كل مولود يولد على الفطرة وفي رواية على هذه الملة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعا هل تحسون فيها من جدعا ثم يقول ابو هريرة رضي الله عنه اقرؤا ان شئتم فطرة الله التي فطر الناس عليها . قيل يارسول الله أرأيت من يموت وهو صغير قال الله اعلم بما كانوا عاملين ومع مقت الله لهم فقد أخبر أنه لم يكن ليعذبهم حتى يبعث اليهم رسولا وهذا يدل على ابطال قول من قال انهم لم يكونوا مسيئين ولا مرتكبين لقبيح حتى جاء السمع وقول من قال انهم كانوا معذبين بدون السمع إما لقيام الحجة بالعقل كما يقوله من يقوله من القدرية . واما لمحض المشيئة كما يقوله المجبرة قال تعالى (وما كان ربك ليهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون) وقال تعالى (ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) وقال تعالى (ولو انا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) فهذا يبين انه لم يكن ليعذب الكفار حتى يبعث اليهم رسولا وبين انهم كانوا قبل الرسول قد اكتسبوا

الاعمال التي توجب المقت والذم وهي سبب للعذاب لكن شرط العذاب قيام الحجة عليهم بالرسالة

(فصل) ومما ينبغي ان يعلم ان سبب ضلال النصارى وامثالهم من الغالية كغالية العباد والشيعة وغيرهم ثلاثة اشياء. احدها الفاظ متشابهة مجملة مشكلة منقولة عن الانبياء وعدلوا عن الالفاظ الصريحة المحكمة وتمسكوا بها وهم كلما سمعوا لفظاً لهم فيه شبهة تمسكوا به وحملوه على مذهبهم وان لم يكن دليلا على ذلك. والالفاظ الصريحة المخالفة لذلك اما أن يفوضوها واما ان يتأولوها كما يصنع أهل الضلال يتبعون المتشابه من الادلة العقلية والسمعية ويعدلون عن المحكم الصريح من القسمين والثاني خوارق ظنوها من الآيات وهي من أحوال الشياطين وهذا مما ضل به كثير من الضلال المشركين وغيرهم مثل دخول الشياطين في الاصنام وتكليمهم للناس. ومثل اخبار الشياطين للكهان بامور غائبة ولا بد لهم مع ذلك من كذب. ومثل تصرفات تقع من الشياطين. والثالث اخبار منقولة اليهم ظنوها صدقا وهي كذب. والا فليس مع النصارى ولا غيرهم من اهل الضلال على باطلهم لا معقول صريح ولا منقول صحيح ولا آية من آيات الانبياء ان تكلموا بمعقول تكلموا بالفاظ متشابهة مجملة فاذا استفسروا عن معاني تلك الكلمات وفرق بين حقها وباطلها تبين ما فيها من التلبيس والاشتباه وان تكلموا بمنقول. فاما ان يكون صحيحاً لا يدل على باطلهم. واما أن يكون غير ثابت بل مكذوب وكذلك ما يذكرونه من خوارق العادات. اما ان يكون صحيحاً قد ظهر على يد نبي كمعجزات المسيح ومن قبله كالياس واليسع وغيرهما من الانبياء

وكمعجزات موسى صلى الله عليه وسلم فهذه حق . واما ان تكون قد ظهرت على يد بعض الصالحين كالحواريين وذلك لا يستلزم ان يكونوا معصومين كالانبياء . فان الانبياء معصومون فيما يبلغونه لا يتصور ان يقولوا على الله الا الحق ولا يستقر فى كلامهم باطل لا عمدا ولا خطأ واما الصالحون فقد يغلط احدهم ويخطئ مع ظهور الخوارق على يديه وذلك لا يخرجه عن كونه رجلاً صالحاً ولا يوجب ان يكون معصوما اذ كان هو لم يدع العصمة ولم يات بالآيات دالة على ذلك ولو ادعى العصمة وليس بنبي لكان كاذبا لابد أن يظهر كذبه فتقترن به الشياطين فتضله ويدخل فى قوله تعالى (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم) والنصارى عندهم منقول في الاناجيل ان الذى صلب ودفن في القبر راه بعض الحواريين وغيرهم بعد ان دفن قام من قبره مرتين أو ثلاثا وأراهم موضع المسامير وقال لا تظنوا أني شيطان وهذا اذا كان صحيحاً فذاك شيطان ادعى أنه المسيح و البس على اولئك ومثل هذا قد جرى لخلق كثير فى زماننا وقبل زماننا كناس كانوا بتدمر فرأوا شخصاً عظيما طائراً فى الهواء وظهر لهم مرات بانواع من اللباس وقال لهم انا المسيح بن مريم وامرهم بامور يمتنع ان يامر بها المسيح وحضروا الى عند الناس وبينوا ان ذلك هو شيطان اراد أن يضلهم . وآخرون ياتى احدهم الى قبر من يعظمه ويحسن به الظن من الصالحين وغيرهم فتارة يرى القبر قد انشق وخرج منه انسان على صورة ذلك الرجل وتارة يرى ذلك الانسان قد دخل فى القبر وتارة يراه اما راكباً واما ماشياً داخلا الى مكان ذلك الميت كالقبة

المبنية على القبر وتارة يراه خارجا من ذلك المكان ويظن ان ذلك هو ذلك الرجل الصالح وقد يظن ان قوماً استغاثوا به فذهب اليهم ويكون ذلك شيطانا تصور بصورته وهذا جرى لغير واحد ممن أعرفهم وتارة يستغيث أقوام بشخص يحسنون به الظن اما ميت واما غائب فيرونه بعيونهم قد جآء وقد يكلمهم وقد يقضي بعض حوائجهم فيظنونه ذلك الشخص الميت وانما هو شيطان زعم انه هو وليس هو اياه وكثيراً ما يأتي الشخص بعد الموت فى صورة الميت فيحدثهم ويقضي ديونا ويرد ودائع ويخبرهم عن الموتى ويظنون انه هو الميت نفسه قد جآء اليهم وانما هو شيطان تصور بصورته وهذا كثير جداً لاسيما فى بلاد الشرك كبلاد الهند ونحوها ومن هؤلآء من تراه انت تحت سريره آخذا بيد ابنه فى الجنازة ومنهم من يقول اذا مت فلا تدعوا احداً يغسلني فانا آتي من هذه الناحية اغسل نفسي فيأتي بعد الموت شخص فى الهواء على صورته يغسله هو والذى اوصاه ويظن ذلك انه جآء وانما هو شيطان تصور بصورته. وتارة يرى أحدهم شخصاً اما طائراً فى الهواء واما عظيم الخلقة واما ان يخبره باشياء غائبة ونحو ذلك ويقول له انا الخضر ويكون ذلك شيطاناً كذب على ذلك الشخص وقد يكون الرآئي من أهل الدين والزهد والعبادة وقد جرى هذا لغير واحد وتارة يرى عند قبر نبي او غيره ان الميت قد خرج اما من حجرته واما من قبره وعانق ذلك الزائر وسلم عليه ويكون شيطاناً تصور بصورته وتارة يجيء من يجيء الى عند قبر ذلك الشخص فيستأذنه في أشياء يسأله عن أمور فيخاطبه شخص يراه او يسمع صوتاً أو يرى شخصاً ويكون

ذلك شيطاناً اضله. وقد يرى اشخاصاً في اليقظة اما ركباناً واما غير ركبان ويقولون هذا فلان النبي اما ابراهيم واما المسيح واما محمد وهذا فلان الصديق اما ابو بكر واما عمر واما بعض الحواريين وهذا فلان لبعض من يعتقد فيه الصلاح اما جرجس واما غيره ممن تعظمه النصارى واما بعض شيوخ المسلمين ويكون ذلك شيطاناً ادعى انه ذلك النبي او ذلك الشيخ او الصديق او القديس ومثل هذا يجرى كثيراً لكثير من المشركين والنصارى وكثير من المسلمين ويرى أحدهم شيخاً يحسن به الظن ويقول انا الشيخ فلان ويكون شيطاناً واعرف من هذا شيئاً كثيراً واعرف غير واحد ممن يستغيث ببعض الشيوخ الغائبين والموتى يراه قد اتاه في اليقظة واعانه وقد جرى مثل هذا لى ولغيرى ممن اعرفه ذكر غير واحد انه استغاث بي من بلاد بعيدة وانه رآني قد جئته. ومنهم من قال رأيتك راكباً بثيابك وصورتك ومنهم من قال رأيتك على جبل ومنهم من قال غير ذلك فاخبرتهم انى لم اغثهم وانما ذلك شيطان تصور بصورتى ليضلهم لما اشركوا بالله ودعوا غير الله وكذلك غير واحد ممن اعرفه من اصحابنا استغاث به بعض من يحسن به الظن فرآه قد جاءه وقضى حاجته قال صاحبى وانا لا اعلم بذلك ومن هؤلاء الشيوخ من يقول انه يسمع صوت ذلك الشخص المستغيث به ويجيبه وتكون الشياطين اسمعته صوتا يشبه صوت المستغيث به فاجابه الشيخ بصوته فاسمعت المستغيث صوتاً يشبه صوت الشيخ فيظن انه صوت الشيخ وهذا اجرى لمن اعرفه فاخبر بذلك عن نفسه وقال بقى الجنى الذى يحدثنى يبلغنى مثل صوت المستغيثين بى ويبلغهم مثل صوتى ويرينى فى

شيء ابيض نظير ما أسأل عنه فاخبر به الناس انى رأيته وانه سيأتى ولا اكون قد رأيته وانما رأيت شبهه وهكذا تفعل الجن بمن يعزم عليهم ويقسم عليهم وكذلك ماراه قسطنطين من الصليب الذى راه من نجوم والصليب الذى راه مرة أخرى وهو مامثله الشياطين واراهم ذلك ايضلهم به كما فعلت الشياطين ماهو اعظم من ذلك لعباد الاوثان وكذلك من ذكر ان المسيح جاءه في اليقظة وقال انه المسيح شيطان من الشياطين كما جرى مثل ذلك لغير واحد . والشيطان انما يضل الناس ويغويهم بما يظن انهم يطيعونه فيه فيخاطب النصارى بما يوافق دينهم ويخاطب من يخاطب من ضلال المسلمين بما يوافق اعتقاده وينقله الى مايستجيب لهم فيه بحسب اعتقادهم . ولهذا يتمثل لمن يستغيث من النصارى بجرجس فى صورة جرجس او بصورة من يستغيث به من النصارى من اكابر دينهم امابعض البتاركة واما بعض المطارنة واما بعض الرهبان ويتمثل لمن يستغيث به من ضلال المسلمين بشيخ من الشيوخ فى صورة ذلك الشيخ كما يتمثل لجماعة ممن اعرفه فى صورتي وفي صورة جماعة من الشيوخ الذين ذكروا فى ذلك ويتمثل كثيراً في صورة بعض الموتى تارة يقول انا الشيخ عبد القادر وتارة يقول انا الشيخ ابو الحجاج الاقصرى وتارة يقول انا الشيخ عدى وتارة يقول انا احمد بن الرفاعى وتارة يقول انا ابومدين المغربى واذا كان يقول انا المسيح او ابراهيم او محمد فغيرهم بطريق الاولى والنبى صلى الله عليه وسلم قال من رآنى فى المنام فقد رآني حقاً فان الشيطان لايتمثل فى صورتى وفى رواية في صور الانبياء فرؤيا الانبياء في المنام حق. وأما رؤية

الميت في اليقظة فهذا جنى تمثل في صورته. وبعض الناس يسمي هذا روحانية الشيخ وبعض الناس يقول هي رفيقه وكثير من هؤلاء من يقوم من مكانه ويدع في مكانه صورة مثل صورته وكثير من هؤلاء ومن هؤلاء يرى في مكانين ويرى واقفاً بعرفات وهو في بلده لم يذهب فيبقى الناس الذين لا يعرفون حائرين فان العقل الصريح يعلم ان الجسم الواحد لا يكون في الوقت الواحد في مكانين. والصادقون قد رأوا ذلك عياناً لا يشكون فيه ولهذا يقع النزاع كثيراً بين هؤلاء وهؤلاء كما قد جرى ذلك غير مرة وهذا صادق فيما رأى وشاهد وهذا صادق فيما دل عليه الصريح لكن ذلك المرئي كان جنياً تمثل في صورة الانسان. والحسيات ان لم يكن معها عقليات تكشف حقائقها والا وقع فيها غلط كثير وهذا القسم المشهود في الخارج غير ما يتخيله الانسان في نفسه فان هذا يعرفه جميع الناس ويعرفه جميع العقلاء يتخيلون اشياء في انفسهم كما يتخيله النائم في منامه وتكون تلك الصورة موجودة فى الخيال لا في الخارج . والفلاسفة وجميع العقلاء يعترفون بهذا لكن كثير من الفلاسفة يظن ان ما رأته الانبياء من الملائكة وما سمعته من الكلام كان من هذا النوع ويظنون ان ما يرى من الجن هو من هذا النوع وهؤلاء جهال غالطون فى هذا كما جهلوا وغلطوا في ظنهم ان خوارق العادات سببها قوى نفسانية او طبيعية او قوى فلكية وان الفرق بين النبي والساحر انما هو حسن قصد هذا وفساد قصد ظن الآخر والا فكلاهما خوارق سببها قوي نفسانية او فلكية وهذا النفي باطل كما قد بسطنا الكلام عليه وبينا جهل هؤلاء وضلالهم فى غير

هذا الموضع. والذين شاهدوا ذلك في الخارج وثبت عندهم بالاخبار الصادقة المتواترة وجود ذات في الخارج يعلمون ان هؤلاء جاهلون ضالون ويعلمون ان الملائكة تظهر في صورة البشر كما ظهرت لابراهيم ولوط ومريم في صورة البشر وكما كان جبريل يظهر للنبي صلى الله عليه وسلم تارة في صورة دحية الكلبي وتارة في صورة اعرابي ويراه كثير من الناس عياناً وما في خيال الانسان لايراه وكذلك لما ظهر الشيطان للمشركين في صورة الشيخ النجدي وغيره وظهر لهم يوم بدر في صورة سراقة بن مالك بن جعشم فلما رأى الملائكة هرب قال تعالى (وإذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني أرى مالا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب) وروي عن ابن عباس وغيره قال تبدا ابليس في جند من الشياطين ومعه راية في صورة رجال من مدلج والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم فقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم. واقبل جبريل عليه السلام على ابليس فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين نزع ابليس يده وولى مدبراً هو وشعبه فقال الرجل ياسراقة أتزعم انك لنا جار فقال اني أرى مالا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب قال ابن عباس وذلك لما رأى الملائكة قال الضحاك سار الشيطان معهم برايته وجنوده والقى في قلوب المشركين ان احدا لن يغلبكم وانتم تقاتلون على دينكم ودين آبائكم. وكثير من الناس تحمله الجن الى مكان بعيد فتحمل كثيراً من الناس الى عرفات وغير عرفات واذا رأي واحد

من هؤلاء في غير بلده يكون تارة محمولا تارة قد حمله الجن وتارة قد تصورت على صورته ولا يكون هذا من اولياء الله المتقين الذين لهم كرامات بل قد يكون من الكافرين او الفاسقين واعرف من ذلك قصصا كثيرة ليس تفصيلها في هذا الموضع وعند المشركين والنصارى من ذلك شيء كثير يظنونه من جنس الآيات التي للانبياء وانما هي من جنس ما للسحرة والكهان ومن لم يفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ويفرق بين معجزات الانبياء وكرامات الصالحين وبين خوارق السحرة والكهان ومن يقترن بهم الشياطين والا التبس عليه الحق بالباطل فاما ان يكذب بالحق الذي جاء به الانبياء الصادقون واما ان يصدق بالباطل الذي يقوله الكافرون والغالطون وهذه الامور مبسوطة في موضع آخر والمقصود هنا التنبيه على هذا الاصل . وعلماء النصارى يسلمون هذا وعندهم من ذلك اخبار كثيرة من حكايات أولياء الشيطان الذين عارضهم اولياء الرحمن وابطلوا أحوالهم كما ابطل موسى ما عارضه به السحرة من الخوارق كما ذكر في التوراة وكما يذكرونه عن فلان وفلان مثل حكاية سيمون الساحر مع الحواريين وغير ذلك فاذا كان هذا معلوما كان ما يذكرونه من هذا الجنس اذا كان مخالفا لما ثبت عن الانبياء من الشيطان فلا يجوز ان يحتج على ما يخالف شرائع الانبياء الثابتة عنهم بل هؤلاء من جنس الدجال الكبير الذي انذرت به الانبياء كلهم حتى نوح انذر قومه وقال خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا قد انذر أمته حتى نوح انذر قومه وسأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لامته أنه أعور وان ربكم

ليس باعور مكتوب بين عينيه كافر ك ف ر يقرأه كل مؤمن قارىء وغير قارىء وقال واعلموا أن أحداً منكم لن يرَ ربه حتى يموت وقد اخبر أن المسيح عيسى بن مريم مسيح الهدى ينزل الى الارض على المنارة البيضاء شرقي دمشق فيقتل مسيح الضلالة وهذا هو الذى تنتظر اليهود ويجحدون المسيح عيسى بن مريم ويقولون هذا هو الذى بشرت به الانبياء ويتبعه من يهود اصبهان سبعون الفاً مطيلسين ويقتلهم المسلمون مع عيسى بن مريم شر قتلة حتى يقول الشجر والحجر يامسلم هذا يهودى ورآئي تعال اقتله وكل هذا ثابت فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا أمر أمته ان يستعيذوا بالله من فتنته فقال اذا قعد أحدكم فى التشهد في الصلاة فليتعوذ باللهمن اربع . من عذاب جهنم. ومن عذاب القبر. ومن فتنة المحيا والممات. ومن فتنة المسيح الدجال. والانبياءُ كلهم انذروا بالكذابين الذين يتشبهون بالانبياء لكن من الناس من يتعمد الكذب وكثير منهم لا يتعمد بل يلتبس عليه فيغلط فيخبر بما يظنه حقا ولا يكون كذلك ويرى فى اليقظة ما يظنه فلانا الولى او النبي او الخضر ولا يكون كذلك. والغلط جائز على كل احد الا الانبياء عليهم السلام فانهم معصومون لا يقرون على خطأ فمن لم يزن علومه واعماله وأقواله وأفعاله بالعلوم عن الانبياء والا كان ضالا نسأل الله العظيم ان يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين انعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً

(فصل) والخوارق التى يضل بها الشياطين لبنى آدم مثل تصور

الشيطان بصورة شخص غائب أو ميت. ونحو ذلك ضل بها كثير من الناس من المنتسبين الى المسلمين أو الى أهل الكتاب وغيرهم وهم بنوا ذلك على مقدمتين • أحدها ان من ظهرت هذه على يديه فهو ولي لله . وبلغة النصارى هو قديس عظيم . الثاني ان من يكون كذلك فهو معصوم وكل مايخبر به فهو حق وكل مايأمر به فهو عدل وقد لا يكون ظهرت على يديه خوارق لا رحمانية ولا شيطانية ولكن صنع حيلة من حيل أهل الكذب والفجور. وحيل أهل الكذب والفجور كثيرة جدا فيظن ان ذلك من العجائب الخارقة للعادة ولا يكون كذلك مثل الحيل المذكورة عن الرهبان وقد صنف بعض الناس مصنفاً في حيل الرهبان مثل الحيلة المحكية عن أحدهم في جعل الماء زيتا بان يكون الزيت في جوف منارة فاذا نقص صب فيها ماء فيطفو الزيت على الماء فيظن الحاضرون ان نفس الماء انقلب زيتا • ومثل الحيلة المحكية عنهم في ارتفاع النخلة وهو ان بعضهم مر بدير راهب وأسفل منه نخلة فاراه النخلة صعدت شيئا فشيئاً حتى حاذت الدير فاخذ من رطبها ثم نزلت حتى عادت كما كانت فكشف الرجل الحيلة فوجد النخلة في سفينة فى مكان منخفض اذا ارسل عليه الماء أمتلأ حتى تصعد السفينة واذا صرف الماء الى موضع آخر هبطت السفينة. ومثل الحيلة المحكية عنهم في التكحل بدموع السيدة وهو أنهم يضعون كحلا في ماء متحرك حركة لطيفة فيسيل حتى ينزل من تلك الصورة فيخرج من عينها فيظن انه دموع ومثل الحيلة التي صنعوها بالصورة التي يسمونها القونة بصيدنايا وهي أعظم مزاراتهم بعد القيامة وبيت لحم حيث ولد المسيح وحيث قبر فان

هذه هي صورة السيدة مريم واصلها حشبة نخلة سقيت بالادهان حتى سمنت وصار الدهن يخرج منها مصنوعاً يظن انه من بركة الصورة ومن حيلهم الكثيرة النار التي يظن عوامهم انها تنزل من السماء في عيدهم في قمامة وهي حيلة قد شهدها غير واحد من المسلمين والنصارى وراؤها بعيونهم انها نار مصنوعة يضلون بها عوامهم يظنون انها نزلت من السماء ويتبركون بها وانما هي صنعة صاحب محال وتلبيس. ومثل ذلك كثير من حيل النصارى فجميع ماعند النصارى المبدلين لدين المسيح من الخوارق . اما حال شيطاني. واما محال بهتاني ليس فيه شيء من كرامات الصالحين. وكذلك أهل الالحاد المبدلين لدين محمد صلى الله عليه وسلم الذين يتخذون ديناً لم يشرعه الله ورسوله ويجعلونه طريقاً الى الله وقد يختارونه على الطريق الذى شرعها الله ورسوله مثل ان يختاروا سماع الدفوف والشبابات على سماع كتاب الله تعالى فقد يحصل لاحدهم من الوجد والغرام الشيطانى مايلبسه معه الشيطان حتى يتكلم على لسان أحدهم بكلام لايعرفه ذلك الشخص اذا أفاق كما يتكلم الجنى على لسان المصروع وقد يخبر بعض الحاضرين بما في نفسه ويكون ذلك من الشيطان فاذا فارق الشيطان ذلك الشخص لم يدر ما قال. ومنهم من يحمله الشيطان ويصعد به قدام الناس فى الهواء. ومنهم من يشير الى بعض الحاضرين فيموت او يمرض أو يصير مثل الخشبة . ومنهم من يشير الى بعض الحاضرين فيلبسه الشيطان ويزول عقله حتى يبقى دائراً زمانا طويلا بغير اختياره. ومنهم من يدخل النار ويأكلها ويبقى لهبها في بدنه وشعره. ومنهم من تحضر له الشياطين طعاما أو شيئاً من لادن أو

سكر او زعفران او ماء ورد. ومنهم من تأتيه بدراهم تسرقها الشياطين
من بعض المواضع. ثم من هؤلاء اذا فرق الدراهم على الحاضرين اخذت
منهم فلا يمكنون من التصرف فيها الى امور يطول وصفها. وآخرون
ليس لهم من يعينهم على ذلك من الشياطين فيصنعون حيلا ومخاريق
فالملحدون المبدلون لدين الرسل دين المسيح أو دين محمد صلى الله
عليهم وسلم كامثالهم من الالحاد والضلال الكفار المرتدين المشركين
وغيرهم كمسيلمة الكذاب والاسود العنسي والحارث الدمشقي وبابا
الرومي وغيرهم ممن لهم خوارق شيطانية. واما أهل الحيل فيكثرون
وهؤلاء ليسوا أولياء الله بل خوارقهم اذا كانت شيطانية من جنس
خوارق الكهنة والسحرة لم يكن لهم حال شيطاني بل محال بهتاني فهم
متعمدون الكذب والتلبيس. بخلاف من يقترن به الشياطين فان فيهم
من يلبس عليه فيظن ان هذا من جنس كرامات الصالحين كما ان فيهم
من يعرف ان ذلك من الشياطين ويفعله لتحصيل اغراضه فالمقصود
انه كثير من الخوارق مايكون من الشياطين. او يكون حيلا ومخاريق
ويظن انها من كرامات الصالحين فان مايكون سببه الشرك او الفجور
انما يكون من الشياطين مثل ان يشرك الرجل بالله فيدعو الكواكب
أو يدعو مخلوقا من البشر ميتاً أو غائباً أو يعزم أو يقسم باسماء مجهولة
لايعرف معناها او يعرف انها اسماء الشياطين أو يستعين بالفواحش
والظلم فان ما كان هذا سببه من الخوارق فهو من الشيطان كما قد بسط
الكلام على ذلك في غير هذا الموضع. والصالحون لهم كرامات مثل
كرامات صالحي هذه الامة ومثل كرامات الحواريين وغيرهم ممن كان

على دين المسيح لكن وجود الكرامات على ايدى الصالحين لا توجب ان يكونوا معصومين كالانبياء . بل يكون الرجل صالحاً ولياً لله وله كرامات ومع هذا فقد يغلط ويخطىء فيما يظنه او فيما يسمعه ويرويه أو فيما يراه أو فيما يفهمه من الكتب ولهذا كان كل من سوى الانبياء يؤخذ من قولهم ويترك. بخلاف الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين فانه يجب تصديقهم في كل ما اخبروا به من الغيب وطاعتهم فى كل ما امروا به ولهذا اوجب الله الايمان بكل ما اتوه ولم يوجب الايمان بجميع ما يأتى به غيرهم قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتيَ النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) وقال تعالى (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) ولهذا اتفق المسلمون على ان من كذب نبياً معلوم النبوة فهو كافر مرتد ومن سب نبياً وجب قتله بل يجب الايمان بجميع ما أوتيه النبيون كلهم وان لا يفرق بين أحد منهم فيؤمن ببعض ويكفر ببعض قال تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً) وليس هذا لاحد غير الانبياء ولو كان من رسل الانبياء وكانوا من اعظم الصديقين المقدمين

(فصل) فضلال الضلال من هؤلاء مبنى على مقدمتين . أحدهما ان هذا له كرامة فيكون ولياً لله . والثانى ان ولى الله لا يجوز ان يخطىء بل يجب تصديقه

في كل ما اخبر وطاعته في كل ما أمر وليس لاحد من البشران يصدق في كل ما أخبر به ويطاع في كل ما أمر الا ان يكون نبياً . والمقدمتان المذكورتان قد تكون احداهما باطلة وقد يكون كلاهما باطلا فالرجل المعين قد لا يكون من اوليآء الله وتكون خوارقه من الشياطين . وقد يكون من اولياء الله ولكن ليس بمعصوم بل يجوز عليه الخطأ .وقد لا يكون من اوليـآء الله ولا يكون له خوارق ولكن له محالات واكاذيب .والمسلمون وأهل الـكتاب متفقون على اثبات مسيحين مسيح هدى من ولد داوود ومسيح ضلال يقول أهل الـكتاب انه من ولد يوسف.ومتفقون على ان مسيح الهدى سوف يأتي كما ياتي مسيح الضلالة لكن المسلمون والنصارى يقولون مسيح الهدى هو عيسى بن مريم وان الله ارسله ثم يأتي مرة ثانية لكن المسلمون يقولون انه ينزل قبل يوم القيامة فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ولا يبقى ديناً إلا دين الاسلام ويؤمن به أهل الـكتاب اليهود والنصارى كما قال تعالى (وإنْ من أهل الـكتاب الا ليؤمننَّ به قبل موته) والقول الصحيح الذي عليه الجمهور قبل موت المسيح وقال تعالى (وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها) واما النصارى فيظن انه الله وانه يأتي يوم القيامة لحساب الخـلائق وجزائهم وهذا مما ضلوا فيه . واليهود تعترف بمجيء مسيح هدى يأتي لـكن يزعمون ان عيسى عليه السلام لم يكن مسيح هدى لزعمهم انه جاء بدين النصارى المبدل ومن جآء به فهو كاذب وهم ينتظرون المسيحين

(فصل) قالوا وقال في سورة آل عمران (فان كذبوك فقد كذب رسل

من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير) فأعنى أيضاً بالكتاب المنير الذي هو الانجيل المقدس. فيقال قد تقدم ان الرسل يتناول قطعاً الرسل الذين ذكرهم الله في القرآن لاسيما اولوا العزم كنوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم فان هؤلاء مع محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين صلوات الله عليهم وسلامه خصهم الله وفضلهم بقوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ليسأل الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين عذاباً اليما) وفي قوله تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) فالدين دين رسل الله دين واحد كما بينه الله في كتابه وكما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا معاشر الانبياء ديننا واحد وأنا أولى الناس بابن مريم لانه ليس بيني وبينه نبي. ويتناول أيضاً اسم الرسل من لم يسمهم باعيانهم في القرآن قال تعالى (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داوود زبوراً ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما) وقال تعالى (ولقد ارسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) واما الحواريون فان الله تعالى ذكرهم في القرآن ووصفهم بالاسلام واتباع الرسول والايمان بالله كما انزل في

قوله تعالى (فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) وقال تعالى (واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) ولم يذكر الله تعالى في القرآن انه ارسلهم البتة بل ذكر انه الهمهم الايمان به وبرسوله وانهم امروا باتباع رسوله وقوله (واذ اوحيت الى الحواريين) لايدل على النبوة فانه قال تعالى (واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه) وام موسى لم تكن نبية بل ليس في النساء نبية كما تقوله عامة علماء النصارى والمسلمين وقد ذكر اجماعهم على ذلك غير واحد مثل القاضيين ابى بكر بن الطيب وابى يعلى ابن ابى الفرا والاستاذ ابى المعالي الجوينى وغيرهم ويدل على ذلك قوله تعالى (وما ارسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى اليهم من اهل القرى) وقوله تعالى (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة) فجعل غاية مريم الصديقية كما جعل غاية المسيح الرسالة وقد ثبت فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا اربعة مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم يعنى من نساء الامم قبلنا وهذا يدل على ان أم موسى ليست ممن كمل من النساء فكيف تكون نبية وقوله تعالى (جاؤا بالبينات

والزبر والكتاب المنير) والكتاب اسم جنس كما تقدم يتناول كل كتاب
أنزله الله تعالى وقال الله تعالى (ومن الناس من يجادل فى الله بغير
علم ولا هدى ولا كتاب منير) وقوله ولا كتاب منير نكرة فى سياق
النفى تعم كل كتاب منير ولو لم يكن الا الانجيل لقيل ولا الكتاب المنير
وأيضاً فالتوراة أعظم من الانجيل وقد بين الله انه لم ينزل كتابا اهدى
من التوراة والقرآن فقال تعالى (وقالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي
موسى أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران (وقرئ
ساحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو
اهدى منهما اتبعه إن كنتم صادقين) وهذا تعجيز لهم ان يأتوا بكتاب
من عند الله هو أهدى منهما كقوله (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة
من مثله وهذا يبين انه ليس الانجيل ولا الزبور اهدى من التوراة
والقرآن فكيف يجعل الكتاب المنير هو الانجيل دون التوراة والزبور
وايضا فان الله تعالى انما يخص بالذكر من الكتب المتقدمة التوراة
دون غيرها فهى التي يقرنها بالقرآن كقوله تعالى (وما قدروا الله
حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من انزل الكتاب
الذي جاء به موسي نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون
كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم
يلعبون وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم
القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على
صلاتهم يحافظون) وقد وصف التوراة بان فيها نورا وهدى للناس
فكيف يجعل النور في الانجيل دونها وقال تعالى (ثم آتينا موسى الكتاب

تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين) فقد ذكر التوراة والقرآن وقولهم أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا فبين ان الكتاب اسم جنس يتناول هنا التوراة والانجيل كقوله تعالى ياأهل الكتاب وقوله تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) فذكر الكتاب بلفظ المفرد ومعلوم انه اراد بالذين أوتوا الكتاب من قبلنا اليهود والنصارى لايختص ذلك بالنصارى كما قال (ان تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) وقد تبين بطلان قول هؤلاء الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويفسرون كلام الله ورسوله بما يعلم كل من عرف حاله من مؤمن وكافر انه لم يرده وبين ان الله لم يرد بالكتاب الانجيل وحده كما لم يرد بالرسل الحواريين بل اراد بالكتاب المنير ما أنزله الله من الكتب كالتوراة والانجيل كما اراد بالرسل من ارسله الله مطلقاً كنوح وابراهيم وموسى والمسيح بن مريم صلوات الله عليهم وسلامه اجمعين

(فصل) قالوا وقال ايضا (وان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) فيقال لهم من المعلوم بالاضطرار انه ليس المراد بهذا النصارى فقط كما تقدم بل اليهود يقرؤن الكتاب من قبلنا والنصارى

يقرؤن الكتاب من قبلنا .والكتاب اسم جنس كما تقدم نظائره في قوله
(ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) وقوله (وطعام
الذين اوتوا الكتاب) وقوله يا اهل الكتاب في غير موضع وقوله
(لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين) وقوله تعالى
(شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائماً بالقسط لا اله
الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين
اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات
الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك فقل اسلمت وجهيَ لله ومن
اتبعني وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان اسلموا فقد
اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) وقد قال تعالى
(يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان
نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت
وكان امر الله مفعولا) وتناول لفظ اهل الكتاب هنا لليهود اظهر
من تناوله للنصارى لذكره لعنة اصحاب السبت وكذلك قوله تعالى
(وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا
وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) فهذا خبر عن طائفة من
اليهود قالوا ذلك وقال تعالى (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من
الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) وسبب نزولها اراد
طائفة من اليهود القاء الفتنة بين المسلمين فهم داخلون قطعا وان كان
الخطاب مطلقا يتناول الطائفتين وامره تعالى بسوال الذين يقرؤن الكتاب
من قبله على تقدير الشك لا يقتضي ان يكون الرسول شك ولا سال

ان قيل الخطاب له وان قيل لغيره فهو اولى واحرى. فان تعليق الحكم بالشرط لا يدل على تحقيق الشرط بل قد يعلق بشرط ممتنع لبيان حكمة قال تعالى (ومن ذريته داوود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيي وعيسى والياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) فاخبر انهم لو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) مع انتفاء الشرك عنهم بل مع امتناعه لانهم قد ماتوا ولان الانبياء معصومون من الشرك وقال تعالى (قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) فهذا خطاب للجميع وذكر هنا لفظ ان لانه خطاب لموجود وهناك خبر عن ميت وكذلك قوله (فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال) لايدل على وقوع الشك ولا السؤال بل النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن شاكا ولا سال احدا منهم بل روي عنه انه قال والله لا اشك ولا اسال ولكن المقصود بيان ان اهل الكتاب عندهم ما يصدقك فيما كذبك فيه الكافرون كما قال تعالى في الآية الاخرى (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) وقال تعالى (قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين) وقال تعالى (اولم يكن لهم آية ان يعلمه

علمآء بنى اسرئيل) وقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به مؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين) الآية وقال (ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) وقال تعالى (واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) وقال تعالى (لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك) وقال تعالى (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم) فالمقصود بيان ان اهل الكتاب عندهم ما يصدقك فيما كذبك فيه الكافرون وذلك من وجوه. احدها ان الكتب المتقدمة تنطق بان موسى وغيره دعوا الى عبادة الله وحده ونهوا عن الشرك فكان فى هذا حجة على من ظن ان الشرك دين. ومثل هذا قوله تعالى (واسئل من أرسلنا قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقوله تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا آله الا انا فاعبدون) وقوله تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) الوجه الثانى ان اهل الكتاب يعلمون ان الله انما ارسل الى الناس بشراً مثلهم لم يرسل اليهم ملكا فان من الكفار من كان يزعم ان الله

لا يرسل الا ملكا او بشرا معه ملك ويتعجبون من ارسال بشر ليس معـــه ملك ظاهر كما قال تعالى (وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) وقال تعـالى (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهـذا فى آبائنا الاولين ان هو الا رجـل به جنة فتربصوا به حتى حين) وقال تعالى (كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر) الآية (وكذلك قال الذين من بعدهم ما هذا الا بشر مثلكم يا كل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون) وكذلك قال قوم فرعون لموسى وهرون (انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقال فرعون ام انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب او جاء معـه الملائكة مقترنين) وكذلك قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم (قال تعالى (آلر تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجباً ان اوحينا الى رجل منهم ان أنذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عنـد ربهم وقال تعالى (وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) فبين سبحانه انكم لا تطيقون التلقي عن الملك فلو انزلناه ملكا لجعلناه فى صورة بشر وحينئذ كنتم تظنونه بشرا فيجعل اللبس عليكم فامر الله

تعالى بسؤال اهل الكتاب عمن ارسل اليهم اكان بشرا ام كان ملكا ليقيم الحجة بذلك على من انكر ارسال بشر كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) وما جعلناهم جسداً لايأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين) واهل الذكر هم أهل الذكر الذي انزله الله تعالى. الوجه الثالث انهم يسألون أهل الكتاب عما جرى للرسل مع أممهم وكيف كان عاقبة المؤمنين بهم وعاقبة المكذبين لهم. الوجه الرابع يسألون أهل الكتاب عن الدين الذي بعث الله به رسله وهو دين الاسلام الذي اتفقت عليه الرسل كالامر بالتوحيد والصدق والعدل وبر الوالدين وصلة الارحام والنهى عن الشرك والظلم والفواحش. الوجه الخامس يسألونهم عما وصفت به الرسل ربهم هل هو موافق لما وصفه به محمد ام لا وهذه الامور المسئول عنها متواترة عند أهل الكتاب معلومة لهم ليست مما يشكون فيه وليس اذا كان مثل هذا معلوماً لهم بالتواتر فيسألون عنه يجب ان يكون كل ما يقولونه معلوماً لهم بالتواتر. وأيضاً فانهم يسألون أيضاً عما عندهم من الشهادات والبشارات بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد اخبر الله بذلك فى القرآن فقال تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت

عليهم وقال تعالى (وإذ قال عيسى بن مريم يابني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) فقد أخبر عن عيسى انه صدق بالرسول والكتاب الذي قبله وهو التوراة وبشر بالرسول الذي يأتي بعده وهو احمد قال تعالى (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) الى قوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) وقال تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الاولين اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل) وقال تعالى عن من اثنى عليه من النصارى (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا) وقال تعالى (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به اولا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً وقال تعالى افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) وقال تعالى (ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من

ربنا انا كنا من قبله مسلمين اؤلئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون) وقال تعالى فى سورة الانعام (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لايؤمنون) وقال تعالى (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) والاخبار بمعرفة أهل الكتاب بصفة محمد صلى الله عليه وسلم عندهم في الكتب المتقدمة متواترة عنهم وكان قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم تجري حروب وقتال بين العرب وبين أهل الكتاب فيقول أهل الكتاب قد قرب مبعث هذا النبي الامي الذي يبعث بدين ابراهيم فاذا ظهر اتبعناه وقتلناهم معه شر قتلة فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم كان منهم من آمن به ومنهم من كفر به فقال تعالى (وكانوا من قبل يستفتحون) أى يستنصرون بمحمد صلى الله عليه وسلم على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم في خطابه لاهل الكتاب يقول لهم والله الذي لا اله الا هو انكم تعلمون اني رسول الله وكذلك من اسلم منهم كعبد الله بن سلام وكان يقول لغيره من أهل الكتاب والله الذى لا اله الا هو انكم لتعلمون انه رسول الله وهذا امر معروف في الاحاديث الصحاح والمخرجة فى الصحيحين وغيرهما فظهر بما ذكرناه تحريف هؤلآء لكلام الله وانه لاحجة لهم فيما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم كما تقدم نظائر ذلك

(فصل) قالوا فثبت بهذا مامعنا نعم ونفا عن انجيلنا وكتبنا التي في ايدينا التهم والتبديل لها والتغيير لما فيها بتصديقه اياها. فيقال كلامكم الذى تحتجون به في هذا الموضع وغيره اما ان يكون باطلا محضاً واما ان يكون مما لبستم فيه الحق بالباطل . فان قولكم بتصديقه اياها ان اردتم انه صدق التوراة والانجيل والزبور التي انزلها الله على انبيائه فهذا لاريب فيه فان هذا مذكور في القرآن في غير موضع وقد اوجب على عباده ان يؤمنوا بكل كتاب انزله وكل نبي من الانبياء مع اخباره أنه انزل هذه الكتب قبل القرآن وانزل القرآن مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه قال تعالى (آلم الله لااله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان) وقال تعالى (ثم انزلنا عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) وقال تعالى (يا أهل الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على أدبارها او نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) وقال تعالى (آلم الله لااله الا هو الحىّ القيوم) الآية وقال تعالى وانزلنا عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه) الآية وقال (والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير) وقال (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) وقال (آمنوا بما انزلنا مصدقا لما معكم) وقد اوجب على عباده ان يؤمنوا بجميع كتبه ورسله وحكم بكفر من آمن ببعض وكفر

ببعض فقال تعالى (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) وقال تعالى (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله) وقال تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفوراً رحيما) فذم المفرّق بينهم بان يؤمن ببعض دون بعض وبين انه فضل بعضهم على بعض فقال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) فبين انه فضل بعضهم على بعض وقال تعالى (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وقد اتفق المسلمون على ما هو معلوم بالاضطرار من دين الاسلام وهو انه يجب الايمان بجميع الانبياء والمرسلين وبجميع ما انزل الله من الكتب فمن كفر بنبي واحد تعلم نبوته مثل ابراهيم ولوط وموسى وداود وسليمان ويونس وعيسى فهو كافر عند جميع المسلمين حكمه حكم الكفار وان كان مرتدا استتيب فان تاب والا قتل . ومن سب نبيا واحداً من الانبياء قتل ايضاً باتفاق المسلمين وما علم المسلمون ان نبيا من الانبياء اخبر به فعليهم التصديق به كما يصدقون بما اخبر

به محمد صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون ان اخبار الانبياء لا تتناقض ولا تختلف ومالم يعلموا ان النبي اخبر به فهو كما لم يعلموا ان محمدا اخبر به صلى الله وسلم عليهم اجمعين ولكن لا يكذبون الا بما علموا انه كذب كما لا يجوز ان يصدقوا الا بما علموا انه صدق ومالم يعلموا انه كذب ولا صدق لم يصدقوا به ولم يكذبوا به كما امرهم نبيهم محمد عليه السلام وبهذا امرهم المسيح عليه السلام فقال. الامور ثلاثة امر تبين رشده فاتبعوه وامر تبين غيه فاجتنبوه وامر اشتبه عليكم فكلوه الى عالمه

(فصل) وان ارادوا بتصديقه كتبهم انه صدق ماهم عليه من العقائد والشرائع التى ابتدعوها بغير اذن من الله وخالفوا بها ماتقدمه من شرائع المسلمين او خالفوا بها الشرع الذى بعث به مثل القول بالتثليث والاقانيم والقول بالحلول والاتحاد بين اللاهوت والناسوت وقولهم ان المسيح هو الله وابن الله وماهم عليه من انكار مايجب الايمان به من الايمان بالله واليوم الآخر ومن تحليل ماحرمه الله ورسله كالخنزير وغيره وبين انهم لايدينون بدين الحق الذى انزل به كتابه وارسل به رسوله بل بدين مبتدع ابتدعه لهم اكابرهم كما قال تعالى (اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم) وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم ذلك لعدىّ بن حاتم وكان نصرانياً لما جاءه ليؤمن به وقد آمن به عدى وكان من خيار الصحابة فسمعه يقرأ هذه الآية (اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون قال عدى قلت

يارسول الله ماعبدوهم .قال انهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاطاعوهم فكانت تلك عبادتهم اياهم فان أرادوا بتصديقهم كتبهم في هذه الامور او ان محمداً صلى الله عليه وسلم صدق ما عندهم مما لم يأت به الانبياء عن الله فقد كذبوا على محمد صلى الله عليه وسلم كذبا ظاهراً معلوما بالاضطرار من دينه وانما صدق ماجاءت به الانبياء قبله. وأما ما أحدثوه وابتدعوه فلم يصدقه كما انه لم يشرع لهم ان يستمروا على ما هم عليه من الشرع الاول ولو لم يكن مبدلا بل دعاهم وجميع الانس والجن الى الايمان به وبما جاء به واتباع مابعث به من الكتاب والحكمة وحكم بكفر كل من لم يتبع كتابه المنزل عليه واوجب مع خلودهم في عذاب الآخرة جهادهم فى الدنيا حتى يكون الدين كله لله وحتى تكون كلمة الله هى العليا وقد دعي أهل الكتاب من اليهود والنصارى عموما ثم كلا من الطائفتين خصوصاً في غير موضع مع دعائه الناس كلهم أهل الكتاب وغيرهم كقوله تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذى يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) وقال تعالى يخاطب

النصارى (يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنو بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له مافي السموات ومافي الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليما ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً) وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) في موضعين وقال تعالى (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) أخبر سبحانه ان النصارى تركوا حظاً مما ذكرهم به وبسبب ذلك أغرى بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة فعلم انه سبحانه بين انهم تركوا بعض ماجاء به المسيح ومن قبله من الانبياء واستحقوا لذلك ان يغرى بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وقال تعالى (يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) فنهاهم عن الغلو في دينهم وعن اتباع اهواء الذين ابتدعوا بدعا غيروا بها شرع المسيح فضلوا من قبل هؤلاء الاتباع وأضلوا كثيراً من هؤلاء الاتباع وغيرهم وضلوا عن سواء السبيل وهو وسط السبيل بين الضلال وقيده بعد

أن اطلقه واجماله وقال تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم لقتالهم بنفسه عام تبوك واستنفر لقتالهم جميع المؤمنين ولم يأذن لاحدمن القادرين على الغزو فى التخلف ومن تخلف لانه لم ير قتالهم واجباً كان كافراً وان أظهر الاسلام كان منافقا ملعونا بين الله انه لايغفرلهم ونهى نبيه عن الصلاة عليهم وانزل في ذلك جمهور سورة براءة بالنقل المتواتر حتى بين كفر الذين استأذنوه في ترك الخروج معه لقتال النصارى فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليما ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شئ قدير إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم

وانفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون

(فصل) فتبين أن قولهم فثبت بهذا ما معنا نعم ونفاعن انجيلنا وكتبنا التي في أيدينا التهم والتبديل لها والتغيير لما فيها بتصديقه اياها ان اراد به انه ثبت ما جاءت به الانبياء قبله عن الله فهذا حق . ان أرادوا أنه ثبت ما هم عليه بعد مبعثه من الشرع الذى خالف شرعه أو ما ابتدعوه مما لم يات به الانبياء عليهم السلام قبله فهذا باطل . وان أرادوا انه صدق الفاظ الكتب التى بايدينا أى التوراة والأنجيل فهذا مما يسلمه لهم بعض المسلمين وينازعهم فيه أكثر المسلمين وان كان أكثر ذلك مما يسلمه أكثر المسلمين . فاما تحريف معاني الكتب بالتفسير والتأويل وتبديل احكامها فجميع المسلمين واليهود والنصارى يشهدون عليهم بتحريفها وتبديلها كما يشهدون هم والمسلمون على اليهود بتحريف كثير من معاني التوراة وتبديل احكامها وان كانوا هم واليهود يقولون ان التوراة لم تحرف الفاظها . وحينئذ فلا ينفعهم بقاء حروف الكتب عندهم مع تحريف معانيها الا كما ينفع اليهود بقاء حروف التوراة والنبوات عندهم مع تحريف معانيها بل جميع النبوات التى يقرون بها هى عند اليهود وهم مع اليهود ينفون عنها التهم والتبديل لالفاظها مع ان

اليهود عندهم من أعظم الخلق كفراً واستحقاقا لعذاب الله في الدنيا والآخرة وهم عند النصارى الذين يكفرون المسلمين اكثر من هؤلاء وشر منهم فان النصارى متفقون على ان المسلمين خير من اليهود وكذلك اليهود متفقون على ان المسلمين خير من النصارى بل جميع الامم المخالفين للمسلمين يشهدون ان المسلمين خير من سائر الطوائف الا انفسهم وشهادتهم لانفسهم لاتقبل فصار هذا اتفاق أهل الارض على تفضيل دين الاسلام. فعلم ان بقاء حروف الكتاب مع الاعراض عن اتباع معانيها وتحريفها لايوجب ايمان اصحابها ولا يمنع كفرهم. وحينئذ فليس شهادة محمد صلى الله عليه وسلم وامته للمسيح عليه السلام ولما انزل عليه من الانجيل في تثبيت ما عند النصارى باعظم من شهادة المسيح عليه السلام والحواريين وسائر من اتبعه لموسى ولما انزل عليه من التوراة في تثبيت ماعند اليهود فان المسيح امر اتباعه باتباع التوراة إلا القدر اليسير الذي نسخه منها. واما محمد صلى الله عليه وسلم فبعث بكتاب مستقل وشرع مستقل كامل تام لم يحتج معه الى شرع سابق تتعلمه امته من غيره ولا الى شرع لاحق يكمل شرعه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح انه قال قد كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في امتي أحد فعمر. فجزم بان من كان قبله كان فيهم محدثون وعلق الامر في امته وان كان هذا المعلق قد تحقق لان أمته لاتحتاج بعده الى نبي آخر فلأن لاتحتاج معه الى محدث ملهم أولى واحرى. واما من كان قبله فانهم كانوا يحتاجون الى نبي بعد نبي فامكن حاجتهم الى المحدثين الملهمين ولهذا اذا انزل المسيح بن مريم في

امته لم يحكم فيهم الا بشرع محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان مع هذا
فشهادة المسيح والحواريين وكل من آمن بالمسيح للتوراة بانها حق
ولموسى بانه رسول لايمنع كفر اليهود لكونهم بدلوا شرع التوراة
وكذبوا بالمسيح وبالانجيل. فكيف تكون شهادة محمد وامته للانجيل
بانه منزل من عند الله وللمسيح بانه رسول الله مانعة من كفر النصارى مع
تبديلهم شرع الانجيل وتكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وشرع القرآن.
واما ايمان من يؤمن منهم بان محمداً رسول الله الى العرب او بكثير مما جاء
به القرآن. فلا يمنع كفرهم اذا كفروا ببعض ماجاء به بل من كذب بشيء
مما جاءت به الرسل عن الله فهو كافر. وان آمن باكثر ماجاءت به الرسل
كما قال تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله
ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين
ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهينا)
وقال تعالى (افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من
من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى
أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) وقد صرح بكفر النصارى
فى غير موضع وامر بجهادهم وقتالهم وحكم بكفر من لايوجب جهادهم
وقتالهم او لايرى ذلك عبادة لله وطاعة له كما تقدم التنبيه على ذلك
فاذا كان من لايرى جهادهم عبادة لله كافراً عند محمد صلى الله عليه
وسلم فكيف حالهم هم عنده صلى الله عليه وسلم

(فصل) واذا تبين للخاصة والعامة ممن آمن بمحمد صلى الله عليه
وسلم ومن كفر به انه كان مصدقا لما بين يديه من الكتب والانبياء

مصدقا للتوراة والانجيل شاهدا بان موسى عليه السلام ومن كان متبعا له على الحق. وان المسيح عليه السلام ومن اتبعه على الحق وان كان يكفر جميع اليهود والنصارى وغيرهم ممن بلغته رسالته ولم يؤمن به وشهد عليهم بانهم حرفوا كثيرا من معاني التوراة والانجيل قبل نبوته وان اهل الكتاب كلهم مع المسلمين يشهدون ايضا بان كثيرا من معانى التوراة والانجيل حرفها كثير من اهل الكتاب لم يجز لاحد من اهل الكتاب ان يحتج بقول محمد صلى الله عليه وسلم على صحة دينهم الذى شهد محمد صلى الله عليه وسلم بانه باطل مبدل منسوخ وأهله من أهل النار كما تقدم بسطه • واذا قالوا نحن نذكر ذلك لنبين تناقضه حيث صدقها وهى تناقض بعض ما اخبر به • او لنبين ان ما اخبرت به الانبياء قبله يناقض خبره فيكون ذلك قدحا فيما جاء به • اجاب المسلمون عن هذا بعدة طرق احدها ان يقولوا • اما مناقضة بعض خبره لبعض كما يزعمه هؤلاء من ان كتابه يمدح اهل الكتاب مرة ويذمهم اخرى وانه يصدق الكتب المنزلة تارة ويذمها اخرى • فهذا قد ظهر بطلانه فانه انما مدح من اتبع موسى والمسيح على الدين الذى لم يبدل ولم ينسخ • واما من اتبع الدين المبدل المنسوخ فقد كفره فاما دعواهم مناقضة خبره لخبر غيره • فيقال هو مصدق للانبياء فيما اخبروا به • واما مابدل من الفاظهم اوغيرها بالترجمة او فسر بغير مرادهم فلم يصدقه • ويقال ايضا ان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثبتت بمثل ما ثبتت به نبوات الانبياء قبله وباعظم من ذلك كما قد بسط فى موضع آخر وبين ان التكذيب بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم مع التصديق بنبوة غيره فمن غاية التناقض والفساد وانه ما من

طريق يعلم بها نبوة غيره • إلا ونبوته تعلم مثل تلك الطريق وباعظم منها فلو لم تكن نبوته بطريق نبوتها الا مثل نبوة غيره وطريق نبوآتها لوجب التصديق بنبوته كما وجب التصديق بنبوة غيره والكان تكذيبه كتكذيب ابراهيم وموسى وغيرهما من الرسل • فكيف اذا كان ذلك اعظم من وجوه متعددة وحينئذ فالانبياء كلهم صادقون مصدقون معصومون فيما يخبرون عن الله لايجوز ان يثبت في خبرهم عن الله خبر باطل لا عمداً ولا خطأ فلا يجوز ان يخبر احدهم بخلاف ماخبر به غيره بل ولا يفترقون في الدين الجامع كما قال تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقال تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً انى بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون) وانما يقع النسخ فى بعض الشرائع كما يقع النسخ فى شريعة الرسول الواحد وحينئذ فيعلم ان كل ماينقل عن الانبياء المتقدمين مما يناقض ماعلم من اخبار محمد صلى الله عليه وسلم فهو باطل • سواء كان اللفظ نفسه باطلا لم يقله ذلك النبى • او قد قال لفظاً وغلط المترجمون له من لغة الى لغة أو كان اللفظ وترجمته صحيحين لكن وقع الغلط في معرفة مراد ذلك النبي بذلك الكلام • فان كل ما يحتج به من الالفاظ المنقولة عن الانبياء انبياء بني اسرائيل وغيرهم ممن ارسل بغير اللغة العربية لا بد فى الاحتجاج بالفاظه من هذه المقدمات ان يعلم اللفظ الذى قاله ويعلم ترجمته و يعلم مراده بذلك اللفظ . والمسلمون وأهل الكتاب متفقون

على وقوع الغلط في تفسير بعض الالفاظ وبيان مراد الانبياء بها وفي ترجمة بعضها فانك تجد بالتوراة عدة نسخ مترجمة وبينها فروق يختلف بها المعنى المفهوم وكذلك في الانجيل وغيره فهذا الطريق في الجواب طريق عام لكل من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وشهد انه رسول الله باطنا وظاهرا يخاطب به كل يهودى ونصرانى على وجه الارض وان لم يكن عارفا بما عند اهل الكتاب فانه لا يقدر احد من اهل الارض يقيم دليلا صحيحاً على نبوة موسى وعيسى وبطلان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان هذا ممتنع لذاته. بل ولا يمكنه ان يقيم دليلا صحيحاً على نبوة احدهما الا واقامة مثل ذلك الدليل او اعظم منه على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اولى وحينئذ فلا يمكن احدا من اهل الكتاب ان يحتج بشيء من المنقولات عن الانبياء المخالفة لما ثبت عن محمد صلى الله عليه وسلم سواء اقر بنبوته او انكرها بل ان احتج بشيء مما نقل عن محمد صلي الله عليه وسلم بين له بطلان احتجاجه به وانه حجة عليه لاله • وان احتج بشيء من المنقول عن غيره من الانبياء عليهم السلام طولب بتقدير نبوة ذلك النبي مع تكذيب محمد صلي الله عليه وسلم • والا فبتقدير ان ينقل عن اثنين ادعيا النبوة واتيا بالآيات التي تثبت بها النبوات خبران متناقضان • لا يجوز تصديق هذا وتكذيب ذاك ان لم يتبين مايدل على صدق هذا وكذب هذا وكذلك اذا عورض أحدهما بجنس مايعارض الآخر • وهذا لا يرد على المسلمين اذا ردوا مايحتج به أهل الكتاب مما ينقلونه عن الانبياء مخالفا لخبر محمد صلى الله عليه وسلم • فان المسلمين لا يطعنون في نبوّة أحد من

الانبياء المعروفين وانما يطعنون في انهم اخبروا بما يخالف خبر محمد صلى الله عليه وسلم فان ذلك لايثبت • اى لم يثبت اللفظ والترجمة وتفسير اللفظ وهذه المقدمات تمتنع ان تقوم على شيء يخالف خبر محمد صلى الله عليه وسلم لاجملة ولاتفصيلا • فاهل الكتاب يطالبون فيما يعارضون به بثلاث مقدمات • أحدها تقدير ان اولئك صادقون ومحمد صلى الله عليه وسلم كاذب والثانى ثبوت ما اتوا به لفظاً • والثالث معرفة المراد باللفظ ترجمة وتفسيراً. وان قال الكتابي للمسلم انت توافقنى على نبوة هؤلاء المتقدمين. اجابه المسلم بوجوه منها ان يقول انى لم اوافقك على نبوة واحد منهم مع التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم بل دين المسلمين كلهم انه من آمن ببعض الانبياء وكفر ببعض فهو كافر فكيف بمن كفر بمن هو عند المسلمين افضل الانبياء وخاتمهم بل قد يقول له اكثر المسلمين نحن لم نعلم نبوة اولئك إلا باخبار محمد انهم انبياء فلو قدحنا فى الاصل الذى قد علمنا به نبوتهم لزم القدح في نبوتهم والفرع اذا قدح فى اصله دل على فساده فى نفسه سواء قدر اصله صحيحاً او فاسداً. فانه ان كان اصله فاسداً فسد هو وان كان اصله صحيحاً وهو يناقضه بطل هو فهو اذا ناقض اصله باطل على كل تقدير • وكذلك اذا قال له الكتابي قد اتفقنا على تصديق موسى والتوراة او المسيح والانجيل • قال له المسلم انما وافقتك على تصديق موسى وعيسى اللذين بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم كما اخبرنا به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله حيث قال الله تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون

الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الآية وقال تعالى (واذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد) الى امثال ذلك فاما الايمان بموسى الذي ذكر ان شريعته مؤبدة لا ينسخ منها شيء او بمسيح ادعى انه الله أو ان الله اتحد به أو حل فيه ونحو ذلك مما يدعيه أهل الكتاب في الرسولين والكتابين ويخالفهم فيه المسلمون فهذا من موارد النزاع لا من مواقع الاجماع فليس لاحد من أهل الكتاب أن يحتج على أحد من المسلمين بموافقته له على ذلك ومن تمام ذلك ان يقول المسلم نعم أنا أقر بنبوة موسى والمسيح وان التوراة والانجيل كلام الله لكن يمتنع عقلا الاقرار بنبوة واحد من هؤلاء دون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان البراهين والآيات والادلة الدالة على صدق موسى والمسيح تدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بطريق الاولى فلو انتقضت تلك الادلة لزم فسادها وان لا اصدق باحد من الانبياء وان كانت حقاً لزم تصديقهم كلهم فلزم إما أن اصدقهم كلهم واما ان اكذبهم كلهم ولهذا كان من آمن ببعض وكذب ببعض كافراً . ومن الاجوبة للمسلمين ان يقولوا نحن نصدق الانبياء المتقدمين في كل ما اخبروا به لكن من نقل عنهم انهم أخبروا بما يناقض خبر محمد صلى الله عليه وسلم فلا بد له من مقدمتين • ثبوت ذلك اللفظ عن الانبياء والعلم بمعناه الذي يعلم انه مناقض للمعنى الذي علم ان محمد صلى الله عليه وسلم عناه ثم العلم باللفظ يحتاج مع الخطاب بغير السن الانبياء العربية سواء كانت عربية أو

رومية أو سريانية أو قبطية الى ان يعرف ان هذا اللفظ الذى ترجم به لفظه مطابق للفظه ويمتنع ثبوت المقدمتين لان فى ثبوتهما تناقض الادلة العلمية والادلة العلمية لا تتناقض • الطريق الثاني ان يقول المسلمون ماتذكرونه من المنقول عن الأنبياء مناقضة لما اخبر به محمد صلى الله عليه وسلم أمور لم تعلم صحتها ولا يجوز اعتقاد ثبوتها والجزم بها ولو لم يعلم ان محمدا صلى الله عليه وسلم اخبر بخلافها فكيف اذا علم انه أخبر بخلافها وذلك ان العلم بثبوتها مبنى على مقدمات • أحدها العلم بنبوتهم وهذا ممتنع مع تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم • والثاني انهم قالوا هذه الالفاظ وهذا يحتاج الى اثبات تواتر هذه الالفاظ عن الانبياء ولو لم يثبت انها تواترت عنهم. والثالثة ان معناها هو المعنى المناقض لخبر محمد صلى الله عليه وسلم ولم يعلم ذلك • وكل واحدة من هذه المقدمات يمنع العلم بثبوت هذه المعاني المناقضة لخبر محمد صلى الله عليه وسلم فكيف اذا اجتمعت وهى تمنع العلم بصحتها ولو لم تناقض خبر محمد صلى الله عليه وسلم فكيف اذا ناقضته الطريق الثالث طريق من يتبين ان الفاظ هذه الكتب لم تتواتر ويثبتون ذلك بانقطاع تواتر التوراة وبسط الأمر لما خرب بيت المقدس وانقطاع تواتر الانجيل في أول الامر • الطريق الرابع طريق من يبين ان بعض الفاظ الكتب حرفت ويقيم الادلة الشرعية والعقلية على تبديل بعض الفاظها. الطريق الخامس ان يبين ان الالفاظ التي بايديهم لا تناقض ما اخبر به محمد صلى الله عليه وسلم بل تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ويتكلم على تفسير تلك الالفاظ باعيانها وهذه الطرق يسلكها من لا ينازع في ثبوت الالفاظ من المسلمين . وأما

الجمهور الذين يقولون بتبديل هذه الالفاظ فيسلكون هذه الطرق ويسلكون أيضاً بيان عدم تواتر الالفاظ بل بيان التبديل في الفاظها

(فصل) ومن حجة الجمهور الذين يزعمون ان تكون جميع الفاظ هذه الكتب المتقدمة الموجودة عند أهل الكتاب منزلة من عند الله لم يقع فيها تبديل ويقولون انه وقع التبديل فى بعض الفاظها أو يقولون انه لم يعلم ان الفاظها منزلة من عند الله فلا يجوز ان يحتج بما فيها من الالفاظ في معارضة ماعلم ثبوته انهم قالوا التوراة والانجيل الموجودة اليوم بيد أهل الكتاب لم تتواتر عن موسى وعيسى عليهما السلام أما التوراة فان نقلها انقطع لما خرب بيت المقدس أولا واجلى منه بنوا اسرائيل ثم ذكروا ان الذي أملاها عليهم بعد ذلك شخص واحد يقال له عازر وزعموا انه نبيٌّ ومن الناس من يقول انه لم يكن نبياً وانها قوبلت بنسخة وجدوها عتيقة • وقيل انه احضرت نسخة كانت بالمغرب وهذا كله لايوجب تواتر جميع الفاظها ولا يمنع وقوع الغلط في بعضها كما يجرى مثل ذلك في الكتب التي يلي نسخها ومقابلتها وحفظها القليل الاثنان والثلاثة وأما الانجيل الذي بايديهم فانهم معترفون بانه لم يكتبه المسيح عليه السلام ولا أملاه على من كتبه وانما أملوه بعد رفع المسيح متى ويوحنا وكانا قد صحبا المسيح ولم يحفظه خلق كثير يبلغون عدد التواتر ومرقس ولوقا وهمالم يريا المسيح عليه السلام وقد ذكر هؤلاء انهم ذكروا بعض ما قاله المسيح وبعض اخباره وانهم لم يستوعبوا ذكر اقواله وافعاله • ونقل اثنين وثلاثة

وأربعة يجوز عليهم الغلط لاسيما وقد غلطوا في المسيح نفسه حتى اشتبه عليهم بالمصلوب ولكن النصارى يزعمون ان الحواريين رسل الله مثل عيسى ابن مريم وموسى عليهما السلام وأنهم معصومون وانهم سلموا اليهم التوراة والانجيل وان لهم معجزات وقالوا لهم هذه التوراة وهذا الانجيل ويقرون مع هذا بانهم ليسوا بانبياء فاذا لم يكونوا انبياء فمن ليس بنبي ليس بمعصوم من الخطأ ولو كان من أعظم أولياء الله ولو كان له خوارق عادات فابو بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم من افاضل الصحابة عند المسلمين افضل من الحواريين ولا معصوم عندهم الا من كان نبيا ودعوى انهم رسل الله مع كونهم ليسوا بانبياء تناقض وكونهم رسل الله هو مبنى على كون المسيح هو الله فانهم رسل المسيح وهذا الاصل باطل ولكن في طرق المناظرة والمجادلة بالتي هي احسن فنمنعهم في هذا المقام ونطالبهم بالدليل على انهم رسل الله وليس لهم على ذلك دليل فانه لا يثبت انهم رسل الله ان لم يثبت ان المسيح هو الله. واثباتهم ان المسيح هو الله اما ان يكون بالعقل او بالسمع. والعقل لا يثبت ذلك بل يحيله وهم لايدعون ثبوت ذلك بالعقل. بل غاية ما يدعون اثبات امكانه بالعقل لا اثبات وجوده مع ان ذلك ايضا باطل وانما يدعون ثبوت وجوده بالسمع وهو ما ينقلونه عن الانبياء من الفاظ يدعون ثبوتها عن الانبياء، ودلالتها على ان المسيح هو الله كسائر من يحتج بالحجة السمعية فان عامة بيان صحة الاسناد دون بيان دلالة المتن وكلا المقدمتين باطلة. ولكن يقال لهم في هذا المقام انتم لا يمكنكم اثبات كون المسيح هو الله الا بهذه الكتب ولا يمكنكم تصحيح هذه الكتب الا

باثبات ان الحواريين رسل الله معصومون ولا يمكنهم اثبات انهم رسل
الله الا باثبات ان المسيح هو الله فصار ذلك دورا ممتنعا. فانه لاتعلم الهية
المسيح الا بثبوت هذه الكتب ولاتثبت هذه الكتب الا بثبوت انهم رسل
الله ولايثبت ذلك الا بثبوت انه الله فصار ثبوت الالهية متوقفاً على ثبوت
آلهيته وثبوت كونهم رسل الله متوقفاً على كونهم رسل الله فصار ذلك دور
ممتنعا وقد يدعون عصمة الحواريين وعصمة اهل المجامع بعد الحواريين
كاهل المجمع الاول الذى كان بحضرة قسطنطين الذى حضره ثلاثمائة
وثمانية عشر ووضعوا لهم الامانة التى هى عقيدة النصارى التى لايصح
لهم قربان الا بها فيزعمون ان الحواريين او هؤلاء جرت على ايديهم
خوارق وقد يذكرون ان منهم من جرى احياء الميت على يديه وهذا
اذا كان صحيحاً مع ان صاحبه لم يذكر انه نبي لايدل على عصمته . فان
اولياء الله من الصحابة والتابعين بعدهم باحسان وسائر اولياء الله من
هذه الامة وغيرها لهم من خوارق العادات ما يطول وصفه وليس
فيهم معصوم يجب قبول كل ما يقول بل يجوز الغلط على كل واحد منهم
وكل احد يؤخذ من قوله ويترك الا الانبياء عليهم السلام ولهذا اوجب
الله الايمان بكل ما اوتيه الانبياء ولم يوجب الايمان بكل ما تقوله كل
ولي لله قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم
واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما
اوتي النبيون من ربهم) وقال تعالى (ولكن البر من آمن بالله واليوم
الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ولهذا وجب الايمان بالانبياء جميعهم
وما اوتوه كلهم. ومن كذب نبيا واحدا تعلم نبوته فهو كافر باتفاق

المسلمين. ومن سبه وجب قتله كذلك. بخلاف من ليس بنبي فانه لا يكفر
احد بمخالفته ولا يقتل بمجرد سبه الا ان يقترن بالسب ما يكون مبيحا
للدم والذى عليه سلف الامة كالصحابة والتابعين لهم باحسان وائمة
الدين وجماهير المسلمين ان افضل هذه الامة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر
وليس بعد الانبياء أفضل منهما وهذه الامة أفضل الامم وقد ثبت في
الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قد كان قبلكم في
الامم محدثون فان يكن فى امتي أحد فعمر. والمحدث الملهم المخاطب وكان
عمر قد جعل الله الحق على قلبه ولسانه وما كان يقول لشيء اني لأراه
كذا وكذا الا كان كما يقول وكانت السكينة تنطق على لسانه ومع هذا
فلم يكن لا هو ولا غيره ممن ليس بنبي معصوما من الغلط ولا يجب على
المسلم قبول مايقوله ان لم يدل عليه الكتاب والسنة ولا كان يجوز له
العمل بما يلقي في قلبه ان لم يعرضه على الكتاب والسنة فان وافق ذلك
قبله وان خالف ذلك رده. وعند المسلمين انه ليس فى اتباع المسيح عليه
السلام مثل ابي بكر وعمر رضوان الله عليهما فاذا قالوا عن الحواريين
انهم ليسوا معصومين فهم يقولون ذلك فيمن هو عندهم أفضل من
الحواريين كما انهم اذا قالوا عن المسيح انه عبد مخلوق ليس باله فهم
يقولون ذلك فيمن هو عندهم أفضل من المسيح كمحمد وابراهيم عليهم
أفضل الصلاة والسلام وفي الملاحدة المنتسبين الى الامة من فيه بدع
من الغلو يشبه غلو النصارى من يدعي الالهية من الاسماعيلية كبني عبيد
القداح كالحاكم وغيره او من يدعي الالهية في علي بن ابي طالب او
غيره كدعوى النصيرية وهؤلاء كفار عند المسلمين وكذلك من يدعي

الالهية في بعض المشايخ كغلاة العدوية والحلاجية واليونسية وغيرهم وكذلك من يدعى عصمة بنى عبيد أو عصمة الاثنى عشر أو عصمة بعض المشايخ. فان النصارى يدعون عصمة الحواريين الاثنى عشر وهؤلاء يدعون عصمة الائمة الاثنى عشر. وهؤلاء يسندون أصل دينهم الي قول الحواريين المعصومين عندهم ويقولون انهم معصومون في النقل عن المسيح وفى الفتيا وان ما قالوه فقد قاله المسيح عليه أفضل الصلاة والسلام. وهؤلاء يقولون عن اولئك انهم معصومون في النقل والفتيا وان ما قالوه فقد قاله الرسول عليه السلام وهذا مبسوط فى موضع آخر. والمقصود هنا انه ليس مع النصارى نقل متواتر عن المسيح بالفاظ هذه الاناجيل ولا نقل متواتر ولا احاد باكثر ماهم عليه من الشرائع ولا عندهم ولا عند اليهود نقل متواتر بالفاظ التوراة ونبوات الانبياء كما عند المسلمين نقل متواتر بالقرآن وبالشرائع الظاهرة المعروفة للعامة والخاصة وهذا مثل الامانة التى هى أصل دينهم وصلاتهم الى المشرق واحلال الخنزير وترك الختان وتعظيم الصليب واتخاذ الصور فى الكنائس وغير ذلك من شرائعهم ليست منقولة عن المسيح ولا لها ذكر فى الاناجيل التي ينقلونها عنه. وهم متفقون على ان الامانة التي جعلوها أصل دينهم وأساس اعتقادهم ليست الفاظها موجودة في الاناجيل ولا هى مأثورة عن الحواريين وهم متفقون على ان الذين وضعوها أهل المجمع الاول الذين كانوا عند قسطنطين الذى حضره ثلاثمائة وثمان عشر وخالفوا عبد الله بن أريوس الذى جعل المسيح عبدا لله كما يقوله المسلمون ووضعوا هذه الامانة. وهذا المجمع كان بعد المسيح بمدة طويلة تزيد على ثلاثمائة

سنة وبسطه له موضع آخر وانما المقصود هنا الجواب عن قولهم ان محمداً صلى الله عليه وسلم ثبت مامعهم وانه نفى عن انجيلهم وكتبهم التي بايديهم التهم والتبديل لها والتغيير لما فيها بتصديقه اياها وقد تبين أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يصدق شيئاً من دينهم المبدل والمنسوخ ولكن صدق الانبياء قبله وما جاؤا به واثنى على من اتبعهم لا على من خالفهم أو كذب نبياً من الانبياء وان كفر النصارى من جنس كفر اليهود فان اليهود بدلوا معاني الكتاب الاول وكذبوا بالكتاب الثاني وهو الانجيل وكذلك النصارى بدلوا معانى الكتاب الاول التوراة والانجيل وكذبوا بالكتاب الثاني وهو القرآن وانهم ادعوا ان محمداً صلى الله عليه وسلم صدق بجميع الفاظ الكتب التي عندهم . فجمهور المسلمين يمنعون هذا ويقولون ان بعض الفاظها بُدّل كما قد بدل كثير من معانيها ومن المسلمين من يقول التبديل انما وقع في معانيها لا في الفاظها وهذا القول يقر به عامة اليهود والنصارى . وعلى القولين فلاحجة لهم في تصديق محمد صلى الله عليه وسلم لما هم عليه من الدين الباطل فان الكتب الالهية التي بايديهم لا تدل على صحة ما كفرهم به محمد صلى الله عليه وسلم وأمته . مثل التثليث والاتحاد والحلول وتغيير شريعة المسيح وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فليس فى الكتب التي بايديهم ما يدل لا نصاً ولا ظاهرا على الامانة التي هي اصل دينهم وما في ذلك من التثليث والاتحاد والحلول ولا فيها مايدل على اكثر شرائعهم كالصلاة الى الشرق واستحلال المحرمات من الخنزير والميتة ونحو ذلك كما قد بسط في موضع آخر (١)

(١) وسيأتي مابدلوه من الشرائع وغيرها بنقل علمائهم في آخر هذا الكتاب

ويقال لهم اين ما معكم عن محمد صلى الله عليه وسلم مما يدل على ان الفاظ الكتب التي بايديكم لم يغير منها شيء ومعلوم ان المسلمين وغيرهم اذا اختلفوا لم يكن قول فريق حجة على الفريق الآخر. فاذا كان المسلمون قد اختلفوا في تبديل بعض الفاظ الكتب الالهية المتقدمة لم يكن قول فريق حجة على الاخرى ولا يجوز لاحد من المسلمين ولا منكم ان يضيف الى الرسول قولا الا بدليل. فاين في القرآن والسنة الثابتة عن محمد صلى الله عليه وسلم ان جميع ما بايدى أهل الكتاب من التوراة والانجيل والزبور ونبوات الانبياء لم تبدل بشيء من الفاظها حتى يقولوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم نفى عن كتبهم ذلك. وهؤلاء بنوا كلامهم على ان الفاظ كتبهم تدل على صحة دينهم الذى هم عليه بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وبعد تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وانه لم يبدل شيء من الفاظها وقد تبين فساد ذلك من وجوه متعددة. ثم زعموا ان المسلمين يدعون ان الفاظ هذه الكتب حرفت كلها بجميع لغاتها بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لم يقله أحد من المسلمين فيما أعلم وظنوا انهم بالجواب عن هذا يكونون قد أجابوا المسلمين

(فصل) فقال الحاكى عنهم فقلت لهم ان قال قائل إنّ التبديل والتغيير يجوز ان يكون بعد هذا القول. فقالوا انا نعجب من هؤلاء القوم على علمهم وذكائهم ومعرفتهم كيف يحتجون علينا بمثل هذا القول وذلك انا أيضاً اذا احتججنا عليهم بمثل هذا القول وقلنا ان الكتاب الذى في أيديهم يومنا هذا قد غيروه وبدلوه وكتبوا فيه ما أرادوا واشتهوا هل كانوا يجوزون كلامنا؟ قال الحاكى عنهم فقلت لهم هذا مما لا يجوز ولا

يمكن أحداً ان يقوله ولا يمكن ان يتغير منه الى آخر الفصل وسيأتي بالفاظ بعد هذا • والجواب ان هذا السائل النصراني الذي ذكر عن المسلمين سؤالا لا يقولونه وعن علماء النصارى جوابه هو وهم بنوا كلامهم على أصلين فاسدين. أحدهما ان الرسول ثبت مامعهم ونفى عن كتبهم التي بين ايديهم التهم والتبديل والتغيير لها. ومقصودهم بذلك لايتم الا اذا نفى التبديل عن لفظها ومعناها وهذا مما يعلم كل عاقل ان الرسول لم ينفه عنها بل النقل المتواتر عنه بنقيض ذلك. وهم أيضاً وكل عاقل يعلم ان الكتب التي بايديهم في تفسيرها من الاختلاف والاضطراب بين فرق النصارى وبين النصارى واليهود مايوجب القطع بان كثيرا من ذلك مبدل محرف وكذلك وقع فى تغيير شرائع هذه الكتب فان الكتب تضمنت أصلين الاخبار. والامر. والايمان بها لايتم الا بتصديقها فيما أخبرت وايجاب طاعتها فيما أوجبته. وأهل الكتاب يكذبون بكثير مما اخبرت به ولا يوجبون طاعتها في كثير مما أوجبته وأمرت به وكل فرقة منهم تشهد على الفرقة الاخرى بمثل ذلك. والنصارى لهم سبع مجامع مشهورة عندهم وهم في كل مجمع يلعنون طائفة منهم كثيرة ويكفرونهم ويقولون عنهم انهم كذبوا ببعض مافي تلك الكتب ولم يوجبوا طاعة بعض امرها. وتلك الطائفة تشهد على الاخرى بانها كذبت ببعض مافيها. ثم فرقهم الثلاثة المشهورة النسطورية والملكية واليعقوبية كل طائفة تكفر الاخرى وتلعنها وتشهد عليها انها مكذبة لبعض مافي النبوات غير موجبة لطاعة بعض مافيها. بل اختلافهم في نفس التوحيد والرسالة فزعم كل فريق منهم ان المسيح جاء بما هم عليه. والمسيح عليه السلام وجميع الرسل بريئون

من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ويبرءون ممن يقول على الله غير الحق أو يقول على الله مالا يعلم. ويبرءون من كل قول باطل يقال على الله عز وجل وان كان قائله مخطئاً لم يتعمد الكذب وفي مقالات النصارى من هذه الانواع ما يطول وصفه وقد بسط في غير هذا الموضع. واذا عرف ان جميع الطوائف من المسلمين واليهود والنصارى يشهدون انه قد وقع في هذه الكتب تحريف وتبديل في معانيها وتفاسيرها وشرائعها فهذا القدر كافٍ وهم من حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم صار كل من لم يؤمن به كافرا بخلاف حال النصارى قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فانه كان فيهم من هو متبع لدين المسيح والمسلمون وان كان فيهم من حرف الدين وبدله فجمهورهم خالفوا هؤلاء فلا يزال فيهم طائفة ظاهرة على الحق لا يضرهم من خالفهم وخذلهم حتى تقوم الساعة بخلاف النصارى فانهم كفروا جميعهم كما كفرت اليهود بتكذيب المسيح. والمسلمون يثبتون بالدلائل الكثيرة انهم بدلوا معاني التوراة والانجيل والزبور وغيرهم من نبوات الانبياء وابتدعوا شرعا لم يات به المسيح ولا غيره ولا يقوله عاقل مثل زعمهم ان جميع بني آدم من الانبياء والرسل وغيرهم كانوا في الجحيم في حبس الشيطان لاجل ان اباهم آدم أكل من الشجرة وانهم انما تخلصوا من ذلك لما صلب المسيح. فان هذا الكلام لو نقله ناقل عن بعض الانبياء لقطعنا بكذبه عليهم فكيف وهذا الكلام ليس منقولا عندهم عن احد من الانبياء وانما ينقلونه عمن ليس قوله حجة لازمة فان كثيرا من دينهم مأخوذ عن رؤسهم الذين ليسوا بانبياء فاذا قطعنا بكذب من ينقله عن

الانبياء. فكيف اذا لم ينقل عنهم ذلك فان الانبياء عليهم السلام يخبرون الناس بما تقصر عقولهم عن معرفته . لا بما يعرفون انه باطل ممتنع فيخبرونهم بمحارات العقول لا محالات العقول • وآدم عليه السلام وان كان أكل من الشجرة فقد تاب الله عليه واجتباه وهداه قال تعالى (وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) وقال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) وليس عند أهل الكتاب في كتبهم ماينفي توبته وانما قد يقول قائلهم انالا نعلم تاب أو ليس عندنا توبته وعدم العلم بشيء ليس علماً بعدمه وعدم وجود الشيء في كتاب من كتب الله لا ينفي ان يكون في كتاب آخر ففي التوراة ماليس في الانجيل. وفيهما ماليس فى الزبور وفي الانجيل والزبور ماليس في التوراة وفي سائر النبوات مالايوجد في هذه الكتب والقرآن لو كان دون التوراة والانجيل والزبور والنبوات اوكان مثلها لامكن ان يكون فيه ماليس فيها. فكيف اذا كان أفضل واشرف وفيه من العلم أعظم مما في التوراة والانجيل وقد بين الله تعالى فضله عليهما في غير موضع كقوله تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه) وقال تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن) وقال تعالى (ثم انزلنا عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) وسواء تاب آدم اولم يتب فكيف يجوز ان يكون رسل الله الذين هم أفضل منه محبوسين في حبس الشيطان في جهنم بذنبه • وابراهيم خليل الرحمن كان ابوه كافراً ولم يؤاخذه الله بذنبه فكيف يجعله الله في جهنم في حبس الشيطان

بسبب ذنب أبيه الاقصى آدم مع انه كان نبيا . ونوح عليه السلام قد مكث في قومه الف سنة الا خمسين عاماً يدعوهم الى عبادة الله وحده وأغرق الله أهل الارض بدعوته وجعل ذريته هم الباقين فكيف يكون فى جهنم فى حبس الشيطان لاجل ذنب آدم . وموسى بن عمران كلمه الله تكليما وأظهر على يديه من البراهين والآيات ما لم يظهر مثله على يدي المسيح وقتل نفساً لم يؤمر بقتلها فغفر الله له ذلك وله من المنزلة عند الله والكرامة ما لا يقدر قدره فكيف يكون في جهنم في حبس الشيطان . ثم أي مناسبة بين الصلب الذي هو من أعظم الذنوب سواء صلبوا المسيح أو المشبه به . وبين تخليص هؤلاء من الشيطان . فان الشيطان ان فعل ذلك بالذرية كان ظالما معتديا والله عز وجل قادر على منعه من ظلمهم بل وعلى عقوبته اذا لم ينته عن ظلمهم فلماذا أخر منعه من ظلمهم الى زمن المسيح وهو سبحانه ولي المؤمنين وناصرهم ومؤيدهم وهم رسله الذين نصرهم على من عاداهم بل اهلك اعداءهم الذين هم جند الشيطان . فكيف لايمنع الشيطان بعد موتهم ان يظلمهم ويجعل أرواحهم فى جهنم هذا ان قدر ان الشيطان كان قادرا على ذلك وكيف يجوز ان يجعل الشيطان بعد موت انبيائه واوليائه وسقوط التكليف عنهم واستحقاقهم كرامته واحسانه وجنته بحكم وعده ومقتضى حكمته وجعله مسلطا على حبسهم فى جهنم . وان قالوا الرب عز وجل ما كان يقدر على تخليصهم من الشيطان مع علمه بانه ظالم معتد عليهم بعد الموت الا بان يحتال عليه باخفاء نفسه ليتمكن الشيطان منه كما يزعمون فهذا مع مافيه من الكفر العظيم وجعل الرب سبحانه عاجزاً كما جعلوه

او لاظالماً . فيه من التناقض مايقتضى عظيم جهلهم الذى جعلوا به الرب جاهلا فانهم يقولون انه احتال على الشيطان ليأخذه بعدل كما احتال الشيطان على آدم بالحية فاختفى منه لئلا يعلم انه ناسوت الاله وناسوت الاله لم يعمل خطيئة قط بخلاف غيره • فلما اراد الشيطان أخذ روحه ليحبسه فى جهنم كسائر من مضى وهو لم يعمل خطيئة . استحق الشيطان ان ياخذه الرب ويخلص الذرية من حبسه • وهذا تجهيل منهم للرب سبحانه وتعالى عما يقولون مع تعجيزه وتظليمه • فانه ان كان هو سلط الشيطان على بنى آدم كما يقولون . فلا فرق بين ناسوت المسيح وغيره اذ الجميع بنى آدم • وايضاً فاذا قدر ان الناسوت دفع الشيطان عن نفسه بحق فانهم يقولون انه دخل الجحيم واخرج منه ذرية آدم • فيقال ان كان تسلط الشيطان على حبسهم فى الجحيم بحق لاجل ذنوبهم مع ذنب ابيهم لم يجز اخراجهم لاجل سلامة ناسوت المسيح من الذنب • وان كانوا مظلومين مع الشيطان • وجب تخليصهم قبل صلب الناسوت ولم يجز تأخير ذلك فليس فى مجرد سلامة المسيح من الذنوب ما يوجب سلامة غيره • وان قالوا انه كان بدون تسلطهم على صلبه عاجزا عن دفعه فهو مع تسلطه على صلبه اعجز واعجز . الاصل الثاني الفاسد الذى بنوا عليه سؤالهم الذى جعلوه من جهة المسلمين وجوابهم ظنهم ان المسلمين يقولون ان هذه الكتب حرفت الفاظ جميع النسخ الموجودة منها بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم . وهذا مما لا يقوله المسلمون ولكن قد يقول بعضهم انه حرف بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم الفاظ بعد النسخ فان الجمهور الذين يقولون ان بعض الفاظها حرفت

منهم من يقول كان هذا قبل البعث . ومنهم من يقول كان بعده • ومنهم من يثبت الامرين او يجوزهما • ولكن لا يقولون انه حرفت الفاظ جميع النسخ الموجودة في مشارق الارض ومغاربها كما حكاه هذا الحاكى عنهم ولكن علماء المسلمين وعلماء اهل الكتاب متفقون على وقوع التحريف في المعاني والتفسير • وان كانت كل طائفة تزعم ان الاخرى هى التي حرفت المعانى واما الفاظ الكتب فقد ذهبت طائفة من علماء المسلمين الى ان الفاظها لم تبدل كما يقول ذلك من يقوله من اهل الكتاب وذهب كثير من علماء المسلمين واهل الكتاب الى انه بدل بعض الفاظها وهذا مشهور عن كثير من علماء المسلمين وقاله ايضا كثير من علماء اهل الكتاب حتى في صلب المسيح ذهبت طائفة من النصارى الى انه انما صلب الذى شبه بالمسيح كما اخبر به في القرآن وان الذين اخبروا بصلبه كانوا قد اخبروا بظاهر الامر فانه لما القى شبهه على المصلوب ظنوا انه هو المسيح او تعمدوا الكذب ثم هؤلاء منهم الذين يقولون ان في الفاظ الكتب ما هو مبدل. وفيهم من يجعل المبدل من التوراة والانجيل كثير منهما. وربما جعل بعضهم المبدل اكثرهما لاسيما الانجيل فان الطعن فيه اكثر واظهر منه في التوراة. ومن هؤلاء من يسرف حتى يقول انه لاحرمة لشيء منهما بل يجوز الاستنجاء بهما. ومنهم من يقول الذى بدلت الفاظه قليل منهما وهذا اظهر. والتبديل فى الانجيل اظهر بل كثير من الناس يقول هذه الاناجيل ليس فيها من كلام الله الا القليل. والانجيل الذى هو كلام الله ليس هو هذه الاناجيل. والصحيح ان هذه التوراة والانجيل الذى بايدي اهل الكتاب فيه ما هو حكم

الله وان كان قد بدّل وغيّر بعض الفاظها لقوله تعالى (يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم) الى قوله (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) فعلم ان التوراة التي كانت موجودة بعد خراب بيت المقدس بعد مجيء بخت نصر وبعد مبعث المسيح وبعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فيها حكم الله . والتوراة التي كانت عند يهود المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان قيل انه غير بعض الفاظها بعد مبعثه فلا تشهد على كل نسخة في العالم بمثل ذلك فان هذا غير معلوم لنا وهو ايضاً متعذر بل يمكن تغيير كثير من النسخ واشاعة ذلك عند الاتباع حتى لا يوجد عند كثير من الناس الا ما غير بعد ذلك ومع هذا فكثير من نسخ التوراة والانجيل متفقة فى الغالب انما يختلف في اليسير من الفاظها فتبديل الفاظ اليسير من النسخ بعد مبعث الرسول ممكن لا يمكن احدا ان يجزم بنفيه ولا يقدر احد من اليهود والنصارى ان يشهد بان كل نسخة فى العالم بالكتابين متفقة الالفاظ اذ هذا لا سبيل لاحد الى علمه . والاختلاف اليسير في الفاظ هذه الكتب موجود فى الكثير من النسخ كما قد تختلف نسخ بعض كتب الحديث او تبدل بعض الفاظ بعض النسخ وهذا بخلاف القرآن المجيد الذى حفظت الفاظه فى الصدور وبالنقل المتواتر لا يحتاج ان يحفظ فى كتاب كما قال تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وذلك ان اليهود قبل النبي صلى الله عليه وسلم وعلى عهده وبعده منتشرون في مشارق الارض

ومغاربها وعندهم نسخ كثيرة من التوراة ، وكذلك النصارى عندهم نسخ كثيرة من التوراة ولم يتمكن احد من جمع هذه النسخ وتبديلها ولو كان هذا ممكنا لكان ذلك من الوقائع العظيمة التي تتوفر الدواعي على نقلها وكذلك في الانجيل قال تعالى (وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه) فعلم ان في هذا الانجيل حكما انزله الله تعالى لكن الحكم هو من باب الامر والنهي ، وذلك لايمنع ان يكون التغيير في باب الاخبار وهو الذى وقع فيه التبديل لفظا ، واما الاحكام التي فى التوراة فما يكاد احد يدعى التبديل فى الفاظها وقد ذكر طائفة من العلماء ، ان قوله تعالى فى الانجيل (وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه) هو خطاب لمن كان على دين المسيح قبل النسخ والتبديل لا الموجودين بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا القول يناسب مناسبة ظاهرة لقراءة من قرأ وليحكم اهل الانجيل بكسر اللام كقرآءة حمزة فان هذه لام كي فانه تعالى قال (وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون) فاذا قرأ وليحكم كان المعنى وآتيناه الانجيل لكذا وكذا وليحكم أهل الانجيل بما انزل الله فيه وهذا يوجب الحكم بما انزل الله في الانجيل الحق . لايدل على ان الانجيل الموجود في زمن الرسول هو ذلك الانجيل . وأما قرآءة الجمهور وليحكم أهل الانجيل فهو أمر بذلك ، فمن العلماء من قال هو أمر لمن كان الانجيل الحق موجوداً عندهم ان يحكموا بما انزل الله فيه وعلى

هذا يكون قوله تعالى وليحكم أمرهم قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم • وقال آخرون لاحاجة الى هذا التكليف فان القول في الانجيل كالقول في التوراة وقد قال تعالى (يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يؤتك يحرفون الكلم عن مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم سماعون للكذب أكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ثم قفينا على آثارهم بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل) فهذا قد صرح بان اولئك الذين تحاكموا الى النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود عندهم التوراة فيها حكم الله ثم تولوا عن حكم الله وقال بعد ذلك

وليحكم أهل الانجيل بما انزل الله فيه (وهذا لام الامر وهو امر
من الله انزله على لسان محمد. وامر من مات قبل هذا الخطاب
ممتنع وانما يكون الامر أمراً لمن آمن به من بعد خطاب الله لعباده
بالامر فعلم انه امر لمن كان موجودا حينئذ ان يحكموا بما انزل الله في
الانجيل والله انزل في الانجيل الامر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم كما
أمر به فى التوراة فليحكموا بما انزل الله فى الانجيل مما لم ينسخه محمد
صلى الله عليه وسلم كما امر اهل التوراة ان يحكموا بما انزله مما لم
ينسخه المسيح • وما نسخه فقد امروا فيها باتباع المسيح وقد امروا في
الانجيل باتباع محمد صلى الله عليه وسلم لمن حكم من أهل الكتاب بعد
مبعث محمد صلى الله عليه وسلم بما انزل الله فى التوراة والانجيل لم يحكم
بما يخالف حكم محمد صلى الله عليه وسلم اذ كانوا مأمورين في التوراة
والانجيل باتباع محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى (الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل
وقال تعالى (ثم انزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من
التوراة ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهوآءهم عما
جاءك من الحق) فجعل القرآن مهيمنا. والمهيمن الشاهد الحاكم المؤتمن
فهو يحكم بما فيها مما لم ينسخه الله ويشهد بتصديق ما فيها مما لم يبدل
ولهذا قال (ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقد ثبت في الصحاح
والسنن والمسانيد هذا فى الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضى الله
عنهما انه قال • ان اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكروا له ان امرأة منهم ورجلا زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم ماتجدون في التوراة في شأن الرجم قالوا نفضحهم ويجلدون • فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له عبد الله ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم . فقالوا صدق يا محمد فامر بهما النبي صلى الله عليه وسلم فرجما واخرج البخاري عن عبد الله بن عمر انه قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودى ويهودية قد زنيا فانطلق حتى جاء يهود فقال ما تجدون في التوراة على من زنى قالوا نسوّد وجوههما ويطاف بهما. قال فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين قال فجاؤا بها فقرؤها حتى اذا مروا بآية الرجم وضع الفتى الذي يقراء يده على آية الرجم وقرأ ما بين يديها وما وراءها فقال عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مُره فليرفع يده فرفعها فاذا تحتها آية الرجم. قالوا صدق فيها آية الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا وان احبارنا احدثوا التحميم والتجبية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجمهما فرجما • واخرج مسلم عن البراء بن عازب رضى الله عنه انه قال مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودى محمم مجلود فدعاهم فقال هكذا تجدون حد الزانى في كتابكم قالوا نعم • فدعى رجلاً من علمائهم فقال انشدك الله الذى انزل التوراة على موسى اهكذا تجدون حد الزانى في كتابكم . قال لا ولولا انك نشدتنى بهذا لم اخبرك نجده الرجم ولكنه كثر في اشرافنا فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد

مكان الرجم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اول من
احي امرك إذ اماتوه فامر به فرجم فانزل الله تعالى (يا أيها الرسول
لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم
الى قوله واولئك هم الكافرون الى الظالمون الى الفاسقون قال هي
في الكفار كلها. وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله انه قال رجم النبي
صلى الله عليه وسلم رجلا من أسلم ورجلا من اليهود. واما السنن ففي
سنن ابى داود عن زيد بن اسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال
اتى نفر من اليهود فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القف فاتاهم
في بيت المدراس فقالوا يااباالقاسم ان رجلا منا زنا بامرأة فاحكم بينهم
فوضعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فجلس عليها ثم قال
ائتوني بالتوراة فاتى بها فنزع الوسادة من تحته ووضع التوراة عليها
وقال آمنت بك وبمن انزلك ثم قال ائتوني باعلمكم فاتى بشاب ثم ذكر
قصة الرجم واخرج ايضا ابو داود وغيره عن ابى هريرة انه قال زنى
رجل من اليهود بامرأة فقال بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى هذا النبي
فانه نبي بعث بالتخفيف فان افتانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتججنا
بها عند الله فقلنا نبي من انبيائك قالوا فاتوا النبي صلي الله عليه وهو
جالس في المسجد في أصحابه فقالوا يااباالقاسم ما ترى في رجل وامرأة
منهم زنيا فلم يكلمهم كلمة حتى أتى بيت مدراسهم فقام على الباب فقال
انشدكم بالله الذى انزل التوراة على موسى ما تجدون في التوراة على
من زنى اذا احصن • قالوا نحمم ونجبيه ونجلده والتجبية ان يحمل
الزانيان على حمار ويقابل اقفيتهما ويطاف بهما . قال وسكت شاب منهم

فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم ساكتاً أنشده فقال اللهم إذ انشدتنا
فانا نجد في التوراة الرجم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم فما اول ما
ارتخصتم أمر الله قال زنى ذو قرابة من ملك من ملوكنا فاخر عنه الرجم
ثم زنى رجل في أسره من الناس فاراد رجمه فحال قومه دونه . وقالوا لا
يرجم صاحبنا حتى يجيء بصاحبك فترجمه فاصطلحوا هذه العقوبة بينهم
قال النبي صلى الله عليه وسلم فاني أحكم بما في التوراة فامر بهما فرجما
قال الزهري فبلغنا ان هذه الآية نزلت فيهم (انا أنزلنا التوراة فيها هدى
ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا) وكان النبي صلى الله عليه وسلم منهم
وأيضاً فقد تحاكموا اليه في القود الذي كان بين بني قريظة والنضير
وكان النضير أشرف من قريظة فكان اذا قتل بعض احدى القبيلتين
قتيلا من الاخرى فيقتلونه ولم يضعفوا الدية واذا قتل من القبيلة الشريفة
قتلوا به واضعفوا الدية . قال ابو داود سليمان بن الاشعث في سننه حدثنا
محمد بن العلا حدثنا عبيد الله بن موسى عن على بن صالح عن سماك
ابن حرب عن عكرمة عن بن عباس قال كان قريظة والنضير وكان
النضير اشرف من قريظة فكان اذا قتل رجل من قريظة رجلا من
النضير قتل به واذا قتل رجل من النضير رجلا من قريظة ودى مائة
وسق من تمر . فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قتل رجل من النضير
رجلا من قريظة فقالوا ادفعوه الينا نقتله فقالوا بيننا وبينكم محمد فاتوه
فنزلت (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) والقسط النفس بالنفس ثم
نزلت (افحكم الجاهلية يبغون) قال ابو داود قريظة والنضير من ولد
هارون . وبسط هذا له موضع آخر وعلى كل قول فقد أخبر الله عز

وجل ان فى التوراة الموجودة بعد المسيح عليه السلام حكم الله وان أهل الكتاب اليهود تركوا حكم الله الذى فى التوراة مع كفرهم بالمسيح وهذا ذم من الله لهم على ما تركوه من حكمه الذى جاء به الكتاب الاول ولم ينسخه الرسول الثاني وهذا من التبديل الثانى الذى ذموا عليه ودل ذلك على ان في التوراة الموجودة بعد مبعث المسيح حكما انزله الله امروا أن يحكموا به وهكذا يمكن أن يقال في الانجيل ومعلوم أن الحكم الذى أمروا أن يحكموا به من أحكام التوراة لم ينسخه الانجيل ولا القرآن فكذلك. ما امروا أن يحكموا به من أحكام الانجيل هو مالم ينسخه القرآن وذلك ان الدين الجامع ان يعبد الله وحده ويأمر بما أمر الله به ويحكم بما انزله الله فى أى كتاب انزله ولم ينسخه فانه يحكم به. ولهذا كان مذهب جماهير السلف والائمة ان شرع من قبلنا شرع لنا مالم يرد شرعنا بخلافه. ومن حكم بالشرع المنسوخ فلم يحكم بما انزل الله كما ان الله امر أمة محمد صلي الله عليه وسلم ان يحكموا بما انزل الله في القرآن وفيه الناسخ والمنسوخ. فهكذا القول في جنس الكتب المنزلة قال تعالى (ثم انزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وان أحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك وإن تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان

كثيراً من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون يا أيها الذين آمنوا لاتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لايهدى القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى انفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشأ والله واسع عليم انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) فقد أمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ان يحكم بما أنزل الله اليه وحذره اتباع اهوائهم وبين ان المخالف لحكمه هو حكم الجاهلية حيث قال تعالى (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) وأخبره تعالى انه جعل لكل من أهل التوراة والانجيل والقرآن شرعة ومنهاجاً وأمره تعالى بالحكم بما انزل الله أمر عام لاهل التوراة والانجيل والقرآن ليس لاحد في وقت من الاوقات ان يحكم بغير ما انزل الله . والذى انزله الله هو دين واحد اتفقت عليه الكتب والرسل وهم متفقون في اصول الدين وقواعد الشريعة وان تنوعوا في الشرعة والمنهاج بين ناسخ ومنسوخ فهو شبيه بتنوع حال

الكتاب فان المسلمين كانوا أولا مأمورين بالصلاة لبيت المقدس ثم امروا ان يصلوا الى المسجد الحرام وفي كلا الامرين انما اتبعوا ما انزل الله عز وجل • وكذلك موسى عليه السلام كان مأموراً بالسبت محرماً عليه ما حرمه الله في التوراة وهو متبع ما أنزله الله عز وجل والمسيح صلي الله عليه وسلم أحل بعض ما حرمه الله في التوراة وهو متبع ما انزل الله عز وجل فليس فى أمر الله لاهل التوراة والانجيل أن يحكموا بما أنزل الله أمرٌ بما نسخ كما انه ليس فى أمر أهل القرآن ان يحكموا بما أنزل الله امر بما نسخ بل اذا كان ناسخ ومنسوخ فالذى انزل الله هو الحكم بالناسخ دون المنسوخ. فمن حكم بالمنسوخ فقد حكم بغيرما انزل الله ومما يوضح هذا قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما انزل اليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين) فان هذا يبين ان هــذا أمر لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يقول لاهل الكتاب الذى بعث اليهم انهم ليسوا على شيء حتى يقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم. فدل ذلك على انهم عندهم ما يعلم انه منزل من الله وانهم مأمورون باقامته اذ كان ذلك مما قرره محمد صلى الله عليه وسلم ولم ينسخه ومعلوم ان كل ما أمر الله به على لسان نبي ولم ينسخه النبى الثاني بل اقرّه كان الله امر به على لسان نبي بعد نبى ولم يكن في بعثة الثانى ما يسقط وجوب اتباع ما أمر به النبى الاول وقرره النبى الثانى ولا يجوز ان يقال ان الله ينسخ بالكتاب الثانى جميع ما شرعه بالكتاب الاول. وانما المنسوخ قليل بالنسبة الى ما اتفقت عليه الكتب والشرائع

وأيضاً ففي التوراة والانجيل ما دل على نبوة محمد صلي الله عليه وسلم فاذا حكم أهل التوراة والانجيل بما انزل الله فيهما حكموا بما اوجب عليهم اتباع محمد صلي الله عليه وسلم . وهذا يدل على ان في التوراة والانجيل ما يعلمون ان الله انزله اذ لا يؤمرون ان يحكموا بما انزل الله ولا يعلمون ما انزل الله. والحكم انما يكون في الامر والنهي. والعلم ببعض معاني الكتب لا ينافي عدم العلم ببعضها وهذا متفق عليه في المعاني فان المسلمين واليهود والنصارى متفقون على ان في الكتب الالهية الامر بعبادة الله وحده لا شريك له وانه أرسل الى الخلق رسلا من البشر وانه أوجب العدل وحرم الظلم والفواحش والشرك وامثال ذلك من الشرائع الكلية وان فيها الوعد بالثواب والوعيد بالعقاب بل هم متفقون على الايمان باليوم الآخر وقد تنازعوا في بعض معانيها واختلفوا في تفسير ذلك كما اختلفت اليهود والنصارى في المسيح المبشر به النبوات هل هو المسيح بن مريم عليه السلام او مسيح آخر ينتظر والمسلمون يعلمون ان الصواب في هذا مع النصارى لكن لا يوافقونهم على ما احدثوا فيه من الافك والشرك. وكذلك يقال اذا بدل قليل من الفاظها الخبرية لم يمنع ذلك ان يكون اكثر الفاظها لم يبدل لا سيما اذا كان في نفس الكتاب ما يدل على المبدل. وقد يقال ان ما بدل من الفاظ التوراة والانجيل ففي نفس التوراة والانجيل ما يدل على تبديله فبهذا يحصل الجواب عن شبهة من يقول انه لم يبدل شيء من الفاظها فانهم يقولون اذا كان التبديل قد وقع في الفاظ التوراة والانجيل قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لم يعلم الحق من الباطل فسقط الاحتجاج بهما

ووجوب العمل بهما على اهل الكتاب فلا يذمون حينئذ على ترك اتباعهما. والقرآن قد ذمهم على ترك الحكم بما فيهما واستشهد بهما في مواضع. وجواب ذلك انّ ما وقع من التبديل قليل والاكثر لم يبدل والذى لم يبدل فيه الفاظ صريحة بينة بالمقصود تبين غلط ما خالفها ولها شواهد ونظائر متعددة يصدق بعضها بعضاً. بخلاف المبدل فانه الفاظ قليلة وسائر نصوص الكتب يناقضها وصار هذا بمنزلة كتب الحديث المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم فانه اذا وقع فى سنن ابى داود والترمذي او غيرهما احاديث قليلة ضعيفة كان في الاحاديث الصحيحة الثابتة عن النبى صلى الله عليه وسلم ما يبين ضعف تلك بل وكذلك صحيح مسلم فيه الفاظ قليلة غلط. وفي نفس الاحاديث الصحيحة مع القرآن ما يبين غلطها مثل ماروي ان الله خلق التربة يوم السبت وجعل خلق المخلوقات في الايام السبعة فان هذا الحديث قد بين ائمة الحديث كيحيى بن معين وعبد الرحمن بن مهدى والبخارى وغيرهم انه غلط وانه ليس في كلام النبى صلى الله عليه وسلم بل صرح البخارى في تاريخه الكبير انه من كلام كعب الاحبار كما قد بسط في موضعه. والقرآن يدل على غلط هذا وبين ان الخلق في ستة ايام وثبت فى الصحيح ان آخر الخلق كان يوم الجمعة فيكون اول الخلق يوم الاحد. وكذلك ماروى انه صلى الله عليه وسلم صلى الكسوف بركوعين او ثلاثة فان الثابت المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة وابن عباس وعبد الله بن عمرو وغيرهم انه صلى كل ركعة بركوعين ولهذا لم يخرج البخارى الا ذلك. وضعف الشافعي والبخارى واحمد

في اخذ الروايتين عنه وغيرهم حديث الثلاثة والاربع فان النبي صلى الله عليه وسلم انما صلى الكسوف مرة واحدة وفي حديث الثلاث والاربع انه صلاها يوم مات ابراهيم ابنه واحاديث الركوعين كانت ذلك اليوم فمثل هذا الغلط اذا وقع كان في نفس الاحاديث الصحيحة ما يبين انه غلط والبخارى اذا روى الحديث بطرق في بعضها غلط في بعض الالفاظ. ذكر معه الطرق التي تبين ذلك الغلط كما قد بسطنا الكلام على ذلك فى موضعه فكذلك اذا قيل انه وقع تبديل فى بعض الفاظ الكتب المتقدمة كان في الكتب ما يبين ذلك الغلط وقد قدمنا ان المسلمين لا يدعون ان كل نسخة في العالم من زمن محمد صلى الله عليه وسلم بكل لسان من التوراة والانجيل والزبور بدلت الفاظها فان هذا لا اعرف احدا من السلف قاله وان كان من المتأخرين من قد يقول ذلك كما في بعض المتأخرين من يجوز الاستنجاء بكل مافي العالم من نسخ التوراة والانجيل فليست هذه الاقوال ونحوها من اقوال سلف الامة وائمتها وعمر ابن الخطاب رضي الله عنه لما رأى بيد كعب الاحبار نسخة من التوراة قال يا كعب ان كنت تعلم ان هذه هى التوراة التي انزلها الله على موسى بن عمران فاقراها فعلق الامر على ما يمتنع العلم به ولم يجزم عمر رضي الله عنه بان الفاظ تلك مبدلة لما لم يتأمل كل ما فيها. والقرآن والسنة المتواترة يدلان على ان التوراة والانجيل الموجودين في زمن النبي صلي الله عليه وسلم فيهما ما انزله الله عز وجل والجزم بتبديل ذلك في جميع النسخ التى في العالم متعذر ولا حاجة بنا الى ذكره ولا علم لنا بذلك ولا يمكن احداً من أهل الكتاب ان يدعي ان كل

نسخة فى العالم بجميع الالسنة من الكتب متفقة على لفظ واحد فان هذا مما لا يمكن أحداً من البشر ان يعرفه باختياره وامتحانه وانما يعلم مثل هذا بالوحى والا فلا يمكن أحداً من البشر ان يقابل كل نسخة موجودة في العالم بكل نسخة من جميع الالسنة بالكتب الاربعة والعشرين وقد رأيناها مختلفة فى الالفاظ اختلافا بينا. والتوراة هي أصح الكتب واشهرها عند اليهود والنصارى ومع هذا فنسخة السامرة مخالفة لنسخة اليهود والنصارى حتى في نفس الكلمات العشر ذكر في نسخة السامرة منها من أمر استقبال الطور ماليس فى نسخة اليهود والنصارى وهذا مما يبين ان التبديل وقع فى كثير من نسخ هذه الكتب فان عند السامرة نسخاً متعددة وكذلك رأينا فى الزبور نسخاً متعددة تخالف بعضها بعضاً مخالفة كثيرة فى كثير من الالفاظ والمعانى يقطع من رآها أن كثيراً منها كذب على زبور داود ليست من زبور داوود عليه السلام. واما الاناجيل فالاضطراب فيها أعظم منه في التوراة. فان قيل فاذا كانت الكتب المتقدمة منسوخة فلماذا ذم أهل الكتاب على ترك الحكم بما انزل الله منها. قيل النسخ لم يقع الا في قليل من الشرائع والا فالاخبار عن الله وعن اليوم الآخر وغير ذلك لانسخ فيه. وكذلك الدين الجامع والشرائع الكلية لانسخ فيها وهو سبحانه ذمهم على ترك اتباع الكتاب الاول لان أهل الكتاب كفروا من وجهين. من جهة تبديلهم الكتاب الاول وترك الايمان والعمل ببعضه. ومن جهة تكذيبهم بالكتاب الثاني وهو القرآن كما قال تعالى (واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق

مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) فبين انهم كفروا قبل مبعثه بما انزل عليهم وقتلوا الانبيآء كما كفروا حين مبعثه بما انزل عليه وقال تعالى (وقالوا لن نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جآء كم رسل من قبلي بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) وقال تعالى (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جآؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير) وقال تعالى (فلما جآءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتى مثل ما أوتي موسى اولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون قل فاتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين) واذا كان الامر كذلك فهو سبحانه يذمهم على ترك اتباع ما أنزله في التوراة والانجيل وعلى ترك اتباع ما انزله فى القرآن وبين كفرهم بالكتاب الاول وبالكتاب الثانى وليس في شيء من ذلك امرهم أن يحكموا بالمنسوخ من الكتاب الاول كما ليس فيه أمرهم ان يحكموا بالمنسوخ فى الكتاب الثانى

تم الجزء الاول من كتاب الجواب الصحيح ويليه

الجزء الثانى أوله فصل فحينئذ

فقولهم انا نعجب من

هؤلاء القوم على

علمهم وذكائهم

فهرست الجزء الاول من الجواب الصحيح

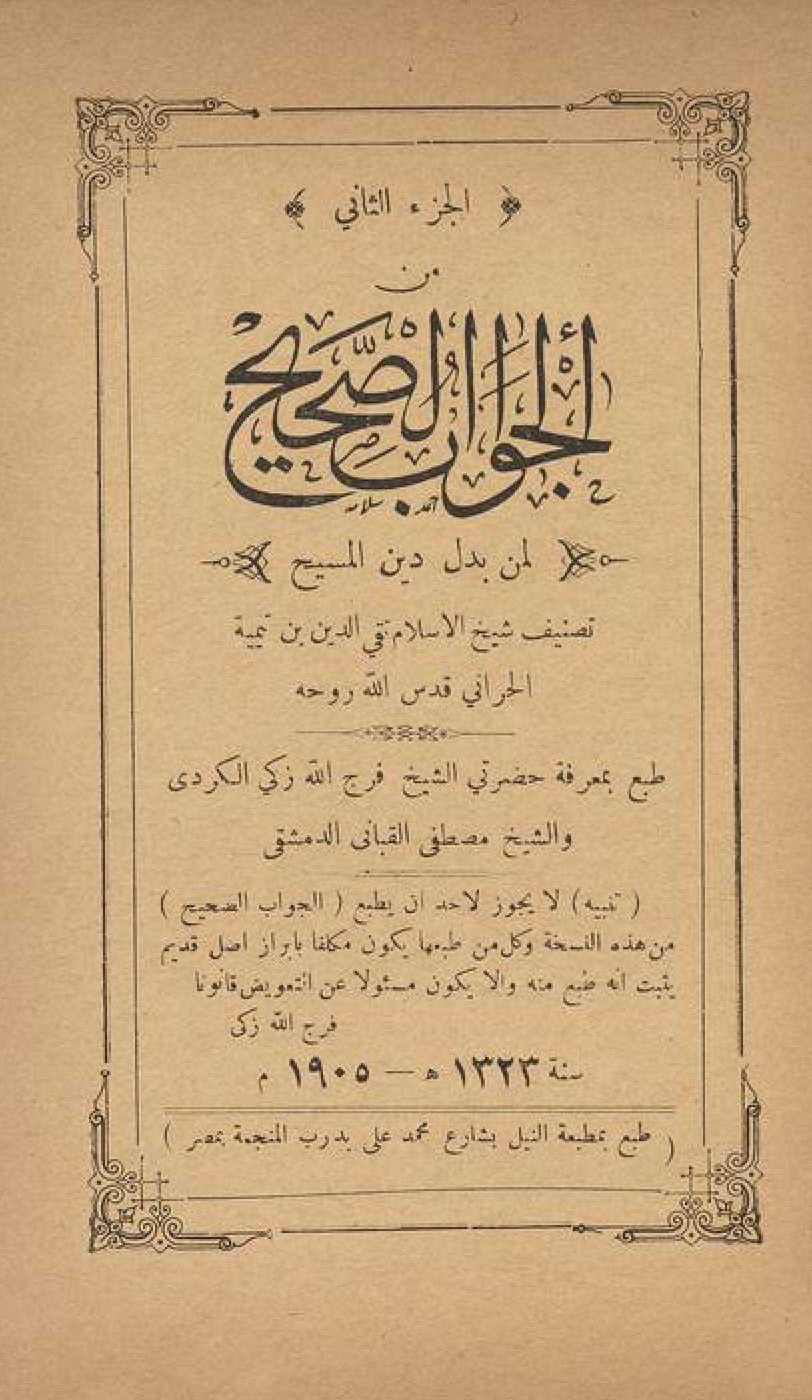
صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿ خطأ وصواب ﴾

صحيفة	سطر	صواب	خطأ
١٧	١١	ذرأنا	زرأنا
١٩	٦	ازهق	اذهق
٢٠	١٨	كل ما	كلما
٢٢	١٢	الملل	الملك
٢٣	١٢	قولهم	قوله
٢٥	١٥	جذعا	جزعا
٤٠	١٥	عربي	عرب



الجزء الثاني

من

الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

تصنيف شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية

الحراني قدس الله روحه

طبع بمعرفة حضرتي الشيخ فرج الله زكي الكردى

والشيخ مصطفى القباني الدمشقي

سنة ١٣٢٣ هـ — ١٩٠٥ م

(طبع بمطبعة النيل بشارع محمد على بدرب المنجمة بمصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل) فحينئذ فقولهم انا نعجب من هؤلاء القوم على علمهم وذكائهم ومعرفتهم كيف يحتجون علينا بمثل هذا القول وذلك انا ايضاً اذا قلنا واحتججنا عليهم بمثل هذا القول ان الكتاب الذى بايديهم يومنا هذا قد غيروه وبدلوه وكتبوا فيه ما أرادوا واشتهوا هل كانوا يجوزون كلامنا. قال الحاكي عنهم فقلت لهم هذا مما لا يجوز ولا يمكن لاحد ان يقوله ولا يمكن تغييره ولا تبديل حرف واحد منه. فقالوا سبحان الله العظيم اذا كان الكتاب الذى لهم الذى هو باللسان الواحد لا يمكن تبديله ولا تغيير حرف واحد منه فكيف يمكن تغيير كتبنا التي هى مكتوبة باثنين وسبعين لساناً وفى كل لسان منها كذا وكذا الف نسخة وجاز عليها الى مجيء محمد اكثر من ستماية سنة وصارت فى ايدى الناس يقرؤنها باختلاف السنتهم على تشاسع بلدانهم فمن الذى تكلم باثنين وسبعين لساناً ومن هو الذى حكم على الدنيا جميعها ملوكها وقساقستها وغالبها حتى حكم على جميعها في اقطار الارض وجمعها في اربع زوايا العالم حتى يغيرها وان كان غير بعضها وترك بعضها فهذا لايمكن ان يكون لان كلها قول واحد ولفظ واحد في جميع الالسن فهذا مما لايجوز لقائل ان يقوله ابدا والجواب ان يقال أولا هذا الكلام منهم يدل على غاية جهلهم بما تقوله المسلمون فى كتبهم وتبين انهم لفرط جهلهم يظنون

ان المسلمين يقولون مقالة لايخفى فسادها على من له أدنى عقل ومعرفة والمسلمون فلا يشك احد من الامم انهم أعظم الامم عقولا وافهاماً واتمهم معرفة وبياناً وأحسن قصداً وديانة وتحريا للصدق والعدل وانهم لم يحصل فى النوع الانسانى أمة أكمل منهم ولا ناموس أكمل من الناموس الذى جاء به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وحذاق الفلاسفة معترفون لهم بذلك وانه لم يقرع العالم ناموس أكمل من هذا الناموس وقد جمع الله للمسلمين جميع طرق المعارف الانسانية وانواعها فان الناس نوعان. أهل كتاب وغير أهل كتاب كالفلاسفة والهنود. والعلم ينال بالحس والعقل ومايحصل بهما وبوحى الله الى انبيائه الذى هو خارج عما يشترك فيه الناس من الحس والعقل ولهذا قيل الطرق العلمية البصر والنظر والخبر الحس والعقل. والوحى الحس والقياس والنبوة. فاهل الكتاب امتازوا عن غيرهم بما جاءهم من النبوة مع مشاركتهم لغيرهم فيما يشترك فيه الناس من العلوم الحسية والعقلية. والمسلمون حصل لهم من العلوم النبوية والعقلية ما كان للامم قبلهم وامتازوا عنهم بما لايعرفه الامم وما اتصل اليهم من عقليات الامم هذبوه لفظاً ومعنى حتى صار أحسن مما كان عندهم ونفوا عنه من الناموس وضموا اليه من الحق مما امتازوا به على من سواهم. وكذلك العلوم النبوية أعطاهم الله منها مالم يعطه أمة قبلهم وهذا ظاهر لمن تدبر القرآن مع تدبر التوراة والانجيل فانه يجد من فضل علم القرآن ما لايخفى الا على العميان. فكيف يظن مع هذا بالمسلمين ان يخفى عليهم فساد هذا الكلام الذى ظنه بهم هؤلاء الجهال. ويقال ثانيا الجواب من وجوه

أحدها، أن المسلمين لم يدعوا ان هذه الكتب حرفت بعد انتشارها وكثرة النسخ بها ولكن جميعهم متفقون على وقوع التبديل والتغيير في كثير من معانيها وكثير من احكامها. وهذا مما تسلمه النصارى جميعهم في التوراة والنبوات المتقدمة فانهم يسلمون ان اليهود بدلوا كثيراً من معانيها واحكامها ومما تسلمه النصارى في فرقهم فان كل فرقة تخالف الاخرى فيما تفسر به الكتب المتقدمة وتسلمه اليهود فانهم متفقون على ان النصارى تفسر التوراة والنبوات المتقدمة على الانجيل بما يخالف معانيها وانها بدلت احكام التوراة فصار تبديل كثير من معاني الكتب المتقدمة متفقا عليه بين المسلمين واليهود والنصارى • وأما تغيير بعض الفاظها ففيه نزاع بين المسلمين • والصواب الذي عليه الجمهور انه بدل بعض الفاظها كما ذكر ذلك في مواضعه • الوجه الثاني ان قياسهم كتبهم على القرآن وانه كما لا تسمع دعوى التبديل فيه . فكذلك في كتبهم قياس باطل في معناه ولفظه. أما معناه فكل ما اجمع المسلمون عليه من دينهم اجماعاً ظاهراً معروفاً عندهم فهو منقول عن الرسول نقلا متواتراً بل معلوماً بالاضطرار من دينه فان الصلوات الخمس والزكاة وصيام شهر رمضان وحج البيت العتيق ووجوب العدل والصدق وتحريم الشرك والفواحش والظلم بل وتحريم الخمر والميسر والربا وغير ذلك منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم نقلا متواتراً كنقل الفاظ القرآن الدالة على ذلك. ومن هذا الباب عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وانه مبعوث الى جميع الناس أهل الكتاب وغير اهل الكتاب بل الى الثقلين الانس والجن وانه كان يكفر اليهود والنصارى الذين لم يتبعوا

ما انزل الله عليه كما كان يكفر غيرهم ممن لم يؤمن بذلك وانه جاهدهم وامر بجهادهم. فالمسلمون عندهم منقولا عن نبيهم نقلا متواتراً ثلاثة امور. لفظ القرآن. ومعانيه التي أجمع المسلمون عليها. والسنة المتواترة وهي الحكمة التي انزلها الله عليه غير القرآن كما قال تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (وانزل عليك الكتاب والحكمة) وقال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة) وقال تعالى (واذكرنَ ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) وبذلك دعي الخليل حيث قال لما بنى هو واسماعيل الكعبة بارض فاران المذكورة فى الكتاب الاول قال تعالى (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم) وقال صلى الله عليه وسلم الا انى اوتيت الكتاب ومثله معه. فالمسلمون عندهم نقل متواتر عن نبيهم بالفاظ القرآن ومعانيه المتفق عليها وبالسنة المتواترة عنه مثل كون الظهر والعصر والعشاء اربعا وكون المغرب ثلاث ركعات وكون الصبح ركعتين ومثل الجهر في العشائين والفجر والمخافتة في الظهر والعصر ومثل كون الركعة فيها سجدتان وكون الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة سبعا ورمى الجمرات كل واحدة سبع حصيات وامثال ذلك. وأيضاً فالمسلمون يحفظون القرآن في صدورهم حفظاً

يستغنون به عن المصاحف كما ثبت في الصحيح الذي رواه مسلم عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان ربي قال لي اني منزل عليك كتاباً
لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظاناً. يقول ولو غسل بالماء من المصاحف
لم يغسل من القلوب كالكتب المتقدمة فانه لو عدمت نسخها لم يوجد
من ينقلها نقلا متواتراً محفوظة في الصدور. والقرآن ما زال محفوظاً
في الصدور نقلا متواتراً حتى لو أراد مريد ان يغير شيئاً من المصاحف
وعرض ذلك على صبيان المسلمين لعرفوا انه قد غير المصحف لحفظهم
للقرآن من غير ان يقابلوه بمصحف وانكروا ذلك. واهل الكتاب
يقدر الانسان منهم ان يكتب نسخاً كثيرة من التوراة والانجيل ويغير بعضها
ويعرضها على كثير من علمائهم ولا يعرفون ما غير منها. ان لم يعرضوه
على النسخ التي عندهم. ولهذا لما غير من نسخ التوراة راج ذلك على
طوائف منهم ولم يعلموا التغيير. وأيضاً فالمسلمون لهم الاسانيد المتصلة
بنقل العدول الثقات لدقيق الدين. كما نقل العامة جليله وليس هذا
لاهل الكتاب. وأيضا فما ذكروه من ان كتبهم مكتوبة باثنين وسبعين
لساناً هو اقرب الى التغيير من الكتاب الواحد باللغة الواحدة فان
هذا مما يحفظه الخلق الكثير فلا يقدر أحد ان يغيره. وأما الكتب
المكتوبة باثنين وسبعين لساناً فاذا قدر ان بعض النسخ الموجودة
ببعض الالسنة غير بعض ما فيها. لم يعلم بذلك سائر اهل الالسن الباقية
بل ولم يعلم بذلك سائر أهل النسخ الاخر فالتغيير فيها ممكن كما يمكن
في نظائر ذلك. وما ادعوه من تعذر جمع جميع النسخ هو حجة عليهم
فان ذلك اذا كان متعذراً لم يمكن الجزم باتفاق جمع النسخ لواحد حتى

يشهد بانها كلها متفقة لفظا ومعنى . بل امكان التغيير فيها ايسر من امكان الشهادة باتفاقها. ولهذا لا يمكن احدا تغيير القرآن مع كونه محفوظاً في القلوب منقولا بالتواتر مع انا لا نشهد لجميع المصاحف بالاتفاق بل قد يقع في بعض نسخ المصاحف ماهو غلط يعلمه حفاظ القرآن ولا يحتاجون الى اعتبار ذلك بمصحف آخر . وتلك الكتب لا يحفظ كلا منها قومٌ من اهل التواتر حتى يعتبر النسخ بها. ولكن لما كان الانبياء عليهم السلام فيهم موجودين . كانوا هم المرجع للناس فيما يعتمدون عليه اذا غير بعض الناس شيئاً من الكتب فلما انقطعت النبوة فيهم اسرع فيهم التغيير . فلهذا بدل كثير من النصارى كثيراً من دين المسيح عليه السلام بعد رفعه بقليل من الزمان وصاروا يبدلون شيئاً بعد شيء وتبقى فيهم طائفة متمسكة بدين الحق الى ان بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم وقد بقي من اولئك الذين على الحق طائفة قليلة كما فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم فى صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب ماتوا قبيل مبعثه صلى الله عليه وسلم وقد ادرك سلمان الفارسى وكان قد تنصر بعد ان كان مجوسياً طائفةً ممن كانوا متبعين لدين المسيح عليه السلام واحد بالموصل. وآخر بنصيبين. وآخر بعمورية. وكل منهم يخبر بانه لم يبق على دين المسيح عليه السلام الا قليل الى ان قال له آخرهم لم يبق عليه احد. واخبره ان يبعث نبي بدين ابراهيم من جهة الحجاز فكان ذلك سبب هجرة سلمان اليه وايمانه به. فالدين الذى اجتمع عليه

المسلمون اجماعا ظاهرا معلوما. هو منقول عن نبيهم نقلا متواترا نقلوا القرآن ونقلوا سنته. وسنته مفسرة للقرآن مبينة له كما قال تعالى له (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) فبين ما انزل الله لفظه ومعناه فصار معاني القرآن التي اتفق عليها المسلمون اتفاقا ظاهراً مما توارثته الامة عن نبيها كما توارثت عنه الفاظ القرآن فلم يكن ولله الحمد فيما اتفقت عليه الامة شيء محرف مبدل من المعاني فكيف بالفاظ تلك المعاني. فان نقلها والاتفاق عليها اظهر منه فى الالفاظ فكان الدين الظاهر للمسلمين الذين اتفقوا عليه مما نقلوه عن نبيهم لفظه ومعناه فلم يكن فيه تحريف ولا تبديل لا للفظ ولا للمعنى. بخلاف التوراة والانجيل فان من الفاظها ما بدل معانيه واحكامه اليهود والنصارى او مجموعهما تبديلا ظاهراً مشهوراً فى عامتهم كما بدلت اليهود ما فى الكتب المتقدمة من البشارة بالمسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم وما فى التوراة من الشرائع وامره فى بعض الاخبار وكما بدلت النصارى كثيراً مما فى التوراة والنبوات من الاخبار ومن الشرائع التى لم يغيرها المسيح. فان ما نسخه الله على لسان المسيح من التوراة يجب اتباع المسيح فيه. واما ما بدل بعد المسيح مثل استحلال لحم الخنزير وغيره مما حرمه الله ولم يبحه المسيح ومثل اسقاط الختان ومثل الصلاة الى المشرق وزيادة الصوم ونقله من زمان الى زمان واتخاذ الصور فى الكنائس وتعظيم الصليب واتباع الرهبانية فان هذه كلها شرائع لم يشرعها نبي من الانبياء لا المسيح ولا غيره خالفوا بها شرع الله الذى بعث به الانبياء من غير ان يشرعها الله على لسان نبي. الوجه الثالث ان القرآن قد ثبت

بالنقل المتواتر المعلوم بالضرورة للموافق والمخالف ان محمداً صلى الله عليه وسلم كان يقول انه كلام الله لا كلامه وانه مبلغ له عن الله وكان يفرق بين القرآن وبين ما يتكلم به من السنة وان كان ذلك مما يجب اتباعه فيه تصديقاً وعملا . فان الله انزل عليه الكتاب والحكمة وعلم امته الكتاب والحكمة كما قال تعالى (لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به) وقال تعالى (وانزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم) وقال تعالى (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) وقال تعالى عن الخليل وابنه اسماعيل (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) وقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا انى أوتيت الكتاب ومثله معه فكان يعلم أمته الكتاب وهو القرآن العزيز الذى اخبرهم انه كلام الله لا كلامه وهو الذى قال عنه قال لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وهو الذى شرع لامته ان تقرأه في صلاتهم فلا تصح صلاة الا به وعلمهم مع ذلك الحكمة التى انزلها الله عليه وفرق بينها وبين القرآن من وجوه . منها أن القرآن معجز . ومنها ان القرآن هو الذى يقرأ في الصلاة دونها . ومنها أن الفاظ القرآن العربية منزلة على ترتيب الآيات فليس لاحد ان يغيرها باللسان العربي باتفاق

المسلمين ولكن جوز تفسيرها باللسان العربي وترجمتها بغير العربي • وأما تلاوتها بالعربي بغير لفظها فلا يجوز باتفاق المسلمين بخلاف ماعلمهم من الحكمة فانه ليس حكم الفاظها حكم الفاظ القرآن • ومنها ان القرآن لايمسه الا المطهرون ولا يقرأه الجنب كما دلت عليه سنته عند جماهير أمته بخلاف ماليس بقرآن • والقرآن تلقته الامة منه حفظاً في حياته وحفظ القرآن جميعه في حياته غير واحد من اصحابه وما من الصحابة الامن حفظ بعضه وكان يحفظ بعضهم مالا يحفظه الآخر فهو جميعه منقول سماعا منه بالنقل المتواتر وهو يقول انه مبلغ له عن الله وهو كلام الله لا كلامه وفي القرآن مايبين انه كلام الله نصوص كثيرة وكان الذين رأوا محمداً صلى عليه وسلم ونقلوا ماعاينوه من معجزاته وافعاله وشريعته وما سمعوه من القرآن وحديثه الوفا مؤلفة اكثر من مائة الف رأوه وآمنوا به • وأما الاناجيل الذى بايدي النصارى فهي اربعة اناجيل انجيل متى ويوحنا ولوقا ومرقس وهم متفقون على ان لوقا ومرقس لم يريا المسيح وانما رآه متى ويوحنا وان هذه المقالات الاربعة التي يسمونها الانجيل وقد يسمون كل واحد انجيلا انما كتبها هؤلاء بعد ان رفع المسيح فلم يذكروا فيها انها كلام الله ولا ان المسيح بلغها عن الله بل نقلوا فيها أشياء من كلام المسيح واشياء من افعاله ومعجزاته • وذكروا انهم لم ينقلوا كل ما سمعوه منه وراوه فكانت من جنس مايرويه أهل الحديث والسير والمغازى عن النبي صلى الله عليه وسلم من اقواله وافعاله التي ليست قرآناً • فالاناجيل التي بايديهم شبه كتاب السيرة وكتب الحديث ومثل هذه الكتب وان كان غالبها صحيحاً وما قاله المسيح عليه السلام فهو

مبلغ له عن الله يجب فيه تصديق خبره وطاعة أمره كما قاله الرسول من السنة فهو يشبه ماقاله الرسول من السنة فان منها مايذكر الرسول انه قول الله كقوله يقول الله تعالى من عادى لى وليا فقد اذنته بالحرب ونحو ذلك ومنها مايقوله هو ولكن هو أيضاً مما أوحاه الله اليه فمن أطاع الرسول فقد أطاع الله فهكذا ماينقل في الانجيل هو من هذا النوع فانه وان كان أمراً من المسيح فامر المسيح امر الله ومن أطاع المسيح فقد أطاع الله . وما اخبر به المسيح عن الغيب فالله أخبره به فانه معصوم ان يكذب فيما يخبر به واذا كان الانجيل يشبه السنة المنزلة فانه قد يقع فى بعض الفاظها غلط كما يقع في كتاب السيرة وسنن ابي داود والترمذى وابن ماجة ثم هذه الكتب قد اشتهرت واستفاضت بين المسلمين فلا يمكن أحد بعد أشتهارها وكثرة النسخ بها ان يبدلها كلها . لكن في بعض الفاظها غلط وقع فيها قبل ان تشتهر فان المحدث وان كان عدلا فقد يغلط لكن ما تلقاه المسلمون بالقبول والتصديق والعمل من الاخبار فهو مما يجزم جمهور المسلمين بصدقه عن نبيهم هذا مذهب السلف وعامة الطوائف كجمهور الطوائف الاربعة وجمهور اهل الكلام من الكلابية والكرامية والاشعرية وغيرهم ولكن ظن بعض اهل الكلام أنه لايجزم بصدقها لكون الواحد قد يغلط اويكذب وهذا الظن انما يتوجه في الواحد الذى لم يعرف صدقه وضبطه . اما اذا عرف صدقه وضبطه اما بالمعجزات كالانبياء . واما بتصديق النبى له فيما يقول . واما باتفاق الامة المعصومة على صدقه واتفاقهم على العمل بخبره او اتفاقهم على قبول خبره واقراره وذكره من غير نكير او ظهور

دلائل وشواهد وقرائن احتفت بخبره ونحو ذلك من الدلائل الدالة على صدق المخبر فهذه يجب معها الحكم بصدقه بانه لم يكذب ولم يغلط وان كان خبره لو تجرد عن تلك الدلائل امكن كذبه أو غلطه كما ان الخبر المجرد لا يجزم بكذبه الا بدليل يدل على ذلك أما قيام دليل عقلي قاطع أو سمعي قاطع على انه بخلاف مخبره فيجزم ببطلان مخبره وحينئذ فالمخبر اما كاذب او غالط قد يعلم احدهما بدليل فالمسلمون عندهم من الاخبار عن نبيهم ما هو متواتر وما اتفقت الامة المعصومة على تصديقه وما قامت دلائل صدقه من غير هذه الجهة مثل ان يخبر واحد أو اثنان أو ثلاثة بحضرة جمع كثير لا يجوز ان يتواطئوا على الكذب بخبر يقولون ان اولئك عاينوه وشاهدوه فيقرونهم على هذا ولا يكذب به منهم أحد فيعلم بالعادة المطردة انه لو كان كاذبا لامتنع اتفاق أهل التواتر على السكوت عن تكذيبه . كما يمتنع اتفاقهم على تعمد الكذب واذا نقل الواحد والاثنان ما توجب العادة اشتهاره وظهوره ولم يظهر ونقلوه مستخفين بنقله لم ينقلوه على رؤس الجمهور . علم أنهم كذبوا فيه ودلائل صدق المخبر وكذبه كثيرة متنوعة ليس هذا موضع بسطها ولكن المقصود هنا أن المسلمين تواتر عنهم عن نبيهم الفاظ القرآن ومعانيه المجمع عليها والسنة المتواترة . وعندهم عن نبيهم أخبار كثيرة معلومة الصدق بطرق متنوعة كتصديق الامة المعصومة ودلالة العادات وغير ذلك وهم يحفظون القرآن فى صدورهم لا يحتاجون في حفظه الى كتاب مسطور فلو عدمت المصاحف من الارض لم يقدح ذلك فيما حفظوه . بخلاف أهل الكتاب فانه لو عدمت نسخ الكتب

لم يكن عندهم به نقل متواتر بالفاظها إذ لا يحفظها الا قليل لايوثق بحفظهم فلهذا كان اهل الكتاب بعد انقطاع النبوة عنهم يقع فيهم من تبديل الكتب اما تبديل بعض احكامها ومعانيها ٠ وإما تبديل بعض الفاظها ما لم يقوموا بتقويمه ٠ ولهذا لايوجد فيهم الاسناد الذي للمسلمين ولا لهم كلام في نقلة العلم وتعديلهم وجرحهم ومعرفة احوال نقلة العلم ما للمسلمين، ولا قام دليل سمعي ولا عقلي على أنهم لا يجتمعون على خطاء بل قد علم انهم اجتمعوا على الخطأ لما كذبوا المسيح ثم كذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم فاذا كانت الكتب المنقولة عن الانبياء من جنس الكتب المنقولة عن محمد ولم تكن متواترة عنهم ولم يكن تصديق غير المعصوم حجة ٠ لم يكن عندهم من العلم بالتمييز بين الصدق والكذب ماعند المسلمين فهذه الاناجيل التي بايدى النصارى من هذا الجنس فيها شيء كثير من أقوال المسيح وافعاله ومعجزاته وفيها ماهو غلط عليه بلا شك والذي كتبها في الاول اذا لم يكن ممن يتهم بتعمد الكذب فان الواحد والاثنين والثلاثة والاربعة لايمتنع وقوع الغلط والنسيان منهم ٠ لاسيما ماسمعه الانسان ورآه ثم حدث به بعد سنين كثيرة فان الغلط فى مثل هذا كثيرولم يكن هناك امة معصومة يكون تلقيها لها بالقبول والتصديق موجبا للعلم بها لئلا تجتمع الامة المعصومة على الخطأ والحواريون كلهم أثنا عشر رجلا ٠ وقصة الصلب مما وقع فيها الاشتباه وقدقام الدليل على ان المصلوب لم يكن هو المسيح عليه السلام بل شبهه وهم ظنوا أنه المسيح والحواريون لم يراحدمنهم المسيح مصلوبا بل اخبرهم بصلبه بعض من شهدذلك من اليهود ٠ فبعض الناس يقولون ان اولئك تعمدوا الكذب واكثر الناس يقول اشتبه عليهم ولهذا

كان جمهور المسلمين يقولون في قوله ولكن شبه لهم عن أولئك ومن قال بالاول جعل الضمير في شبه لهم عن السامعين لخبر أولئك فاذا جاز ان يغلطوا فى هذا ولم يكونوا معصومين فى نقله جاز ان يغلطوا فى بعض ماينقلونه عنه وليس هذا مما يقدح فى رسالة المسيح ولافيما تواتر نقله عنه بانه رسول الله الذي يجب اتباعه سواء صلب أو لم يصلب وما تواتر عنه فانه يجب الايمان به سواء صلب أو لم يصلب والحواريون مصدقون فيما ينقلونه عنه لايتهمون بتعمد الكذب عليه لكن اذا غلط بعضهم فى بعض ما ينقله لم يمنع ذلك ان يكون غيره معلوما لاسيما اذا كان ذلك الذى غلط فيه مما تبين غلطه فيه في مواضع اخر وقد اختلفت النصارى فى عامة ماوقع فيه الغلط حتى فى الصلب فمنهم من يقول المصلوب لم يكن المسيح بل الشبه كما يقول المسلمون• ومنهم من يقر بعبوديته لله وينكر الحلول والاتحاد كالاريوسية• ومنهم من ينكر الاتحاد وان اقر بالحلول كالنسطورية . واما الشرائع التي هم عليها فعلماؤهم يعلمون ان اكثرها ليس عن المسيح عليه السلام• فالمسيح لم يشرع لهم الصلاة الى المشرق ولا الصيام الخمسين ولا جعله في زمن الربيع ولا عيد الميلاد والغطاس وعيد الصليب وغير ذلك من أعيادهم بل اكثر ذلك مما ابتدعوه بعد الحواريين مثل عيد الصليب فانه مما ابتدعته هيلانة الحرانية ام قسطنطين وفي زمن قسطنطين غيروا كثيراً من دين المسيح العقائد والشرائع فابتدعوا الامانة التى هى عقيدة ايمانهم وهى عقيدة لم ينطق بها شيء من كتب الانبيآء التي هى عندهم ولا هي منقولة عن أحد من الانبيآء ولا عن أحد من الحواريين الذين صحبوا

المسيح بل ابتدعها لهم طائفة من اكابرهم قالوا كانوا ثلاثمائة وثمانية عشر واستندوا في ذلك الى الفاظ متشابهة في الكتب وفي الكتب الفاظ محكمة تناقض ماذكروه كما قد بسط في موضع آخر وكذلك عامة شرائعهم التي وضعوها في كتاب القانون بعضها منقول عن الانبياء وبعضها منقول عن الحواريين . وكثير منها مما ابتدعوه ليست منقولة عن أحد من الانبياء ولا عن الحواريين وهم يجوزون لاكابر أهل العلم والدين ان يغيروا ماراوه من الشرائع ويضعوا شرعا جديداً فلهذا كان اكثر شرعهم مبتدعا لم ينزل به كتاب ولا شرعه نبي

(فصل) واما قولهم كيف يمكن تغيير كتبنا التي هي مكتوبة باثنين وسبعين لسانا وفي كل لسان منها كذا كذا الف مصحف ومضى عليها الى مجيء محمد اكثر من ستمائة سنة . فيقال اما بعد انتشارها هذا الانتشار فلم يقل المسلمون بل ولا طائفة معروفة منهم ان الفاظ جميع كل نسخة في العالم غيرت لكن جمهور المسلمين الذين يقولون ان في الفاظها ما غير انما يدعون تغيير بعض الفاظها قبل المبعث أو تغيير بعض النسخ بعد المبعث لا تغيير جميع النسخ فبعض الناس يقول ان ذلك التغيير وقع في أول الامر ويقول بعضهم ان منها ما غير بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ولا يقولون انه غير كل نسخة في العالم بل يقولون غير بعض النسخ دون البعض وظهر عند كثير من الناس النسخ المبدلة دون التي لم تبدل . والنسخ التي لم تبدل هي موجودة عند بعض الناس ومعلوم ان هذا لايمكن نفيه فانه لايمكن أحداً ان يعلم ان كل نسخة في العالم بكل لسان مطابق لفظها سائر النسخ لسائر الالسنه الا من أحاط علما بذلك وهم قد سلموا ان أحداً

لايمكنه ذلك • واما من ذكر ان التغيير وقع في اول الامر فهم يقولون انما أخذت الاناجيل عن اربعة أثنان منهم لم يريا المسيح بل انما رآه أثنان من نقلة الانجيل متى ويوحنا. ومعلوم امكان التغيير فى مثل ذلك واما قولهم انها مكتوبة باثنين وسبعين لساناً فعلوم باتفاق النصارى ان المسيح لم يكن يتكلم الا بالعبرية كسائر انبياء بنى اسرائيل وانه كان مختوناً ختن بعد السابع كما يختتن بنو اسرائيل وانه كان يصلى الى قبلتهم لم يكن يصلى الى الشرق ولا أمر بالصلاة الى الشرق • ومن قال ان لسانه كان سريانياً كما يظنه بعض الناس فهو غالط فالكلام المنقول عنه فى الاناجيل انما تكلم به عبريا ثم ترجم من تلك اللغة الى غيرها. والترجمة يقع فيها الغلط كثيراً كما وجدنا في زماننا من يترجم التوراة من العبرية الى العربية ويظهر في الترجمة من الغلط مايشهد به الحذاق الصادقون ممن يعرف اللغتين • والنصارى يقولون انما كتبت باربع لغات بالعبرية والرومية واليونانية والسريانية • واما قولهم انها كتبت باثنين وسبعين لغة فهذا ان كان صحيحاً فانما كتبت بعد ان كتبت تلك الاربعة فاذا كان الغلط وقع فى مواضع من تلك الاربعة لم يرفعه بعد ذلك كتابتها باثنين وسبعين لغة • فان المسلمين لايقولون انها كتبت باثنين وسبعين لغة غير لفظها في جميع الالسن الاثنين وسبعين لغة في كل نسخة من ذلك • وانما يقال التغيير وقع قبل ذلك كما يقال في سائر مايرونه عن المسيح وموسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه من الحديث مثل سيرة ابن اسحاق وأحاديث السنن والمسانيد المأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم فان فى العالم بكل كتاب منها نسخ كثيرة لايمكن ان يغير منها فصل طويل

ولكن فى نفس السيرة وقع غلط في مواضع واحاديث وقعت في السنن هى غلط في الاصل. فاشتهار النسخ بها بعد ذلك لايمنع وقوع الغلط فى الاصل وهذه كتب التفسير والفقه والدقائق ما من كتاب الا وبه نسخ كثيرة فى العالم لايمكن تغيير فصل طويل منها وفيها احاديث غلط في الاصل. والاناجيل التى بايدى النصارى تشبه هذا ولهذا أمروا ان يحكموا بما فيها فان فيها احكام لله• وعامة مافيها من الاحكام لم يبدل لفظه وانما بدلت بعض الفاظ الخبريات وبعض معاني الامريات كما نؤمر نحن ان نعمل باحاديث الاحكام المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم فان العلماء اعتنوا بضبطها اكثر من اعتنائهم بضبط الخبريات كأحاديث الزهد والقصص والفضائل ونحو ذلك اذ حاجة الامم الى معرفة الامر والنهي اكثر من حاجتهم الى معرفة التفاصيل بالخبريات التي يكتفى بالايمان المجمل بها. وأما الامر والنهى فلا بد من معرفته على وجه التفصيل إذ العمل بالمأمور لا يكون الامفصلا والمحظور الذي يجب اجتنابه لا بد ان يميز بينه وبين غيره كما قال تعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) والنصارى لا يحتاجون عند انفسهم الى هذا فانه لا يجب عندهم ان يتمسكوا بشرع منقول عن المسيح عليه السلام. وعندهم لاكابرهم ان يشرعوا دينا لم يشرعه المسيح ويقولون ما شرعه هؤلاء فقد شرعه المسيح فلم يكن لهم عناية ولا معرفة بشرع المسيح كما للمسلمين عناية ومعرفة بشرع محمد صلى الله عليه وسلم

(فصل) واما التوراة فمن المعلوم عند المسلمين واليهود والنصارى ان

بيت المقدس خرب الخراب الاول وخلا اهله منه وسبوا ولم يكن هناك من التوراة نسخ كثيرة ظاهرة بل انما اخذت عن نفر قليل كما يقولون ان عزيرا املاها وانهم وجدوا نسخة أخرى فقابلوها بها. والمقابلة تحصل باثنين وقد يغلط أحدها وهم يذكرون ان من الملوك من أمر اثنين وسبعين حبرا منهم بنقلها واعتبر بعض تلك النسخ ببعض وهذا اذا كان صدقا لا يمنع ان يكون الغلط وقع في بعض الفاظها قبل ذلك الا ان يثبت انها ماخوذة عن نبي معصوم أو أقر جميع الفاظها نبي معصوم. فما قاله المعصوم فهو حق. وما ثبت بالنقل المتواتر فهو حق. وهؤلاء القائلون انه وقع التغيير في بعض الفاظها في ذلك الزمان يقولون لم تؤخذ عن نبي معصوم ولا نقلت بالتواتر. ومن نازع من المسلمين واهل الكتاب يقولون اخذت عن العزير وهو نبي معصوم. وهذا مما يحتاج المثبت فيه والنافي الى تحقيقه. واذا قالت النصارى فالمسيح عليه السلام اقرها. قيل المسيح عليه السلام لم يمكن ان يلزمهم بما اوجبه الله عليهم من الايمان به وطاعته. فكيف كان يمكنه ان يغير نسخ التوراة التي عندهم مع كثرتها وهم قد طلبوا قتله وصلبه لعجزه وضعفه وصلبوا شبهه كما يقوله المسلمون او صلبوا نفسه كما يقوله النصارى. فكيف كان يمكنه ان يصلح ما غير منها. واما من بعد المسيح فليس معصوما. والمسيح غير بعض احكامها وأقر أكثرها والاحكام انما يدعي المسلمون فيها النسخ وتبديلها بالاعتقاد بخلاف موجبها والعمل بذلك لا يحتاجون الى دعوى تبديل الفاظها كما بدلوا شريعة الرجم بغيرها وهو مكتوب في التوراة بخلاف الخبريات فان هذه نقول أكثر المسلمين ان التغيير وقع في بعض الفاظها. وأما

النبوات المنقولة عن الاثنين وعشرين نبياً فهذه لاتعلم منها نبوة واحدة تواترت جميع الفاظها بل أحسن أحوالها ان تكون بمنزلة الانجيل وهو بمنزلة ما ينقل من أقوال الانبياء وسيرهم كسيرة ابن اسحق أو بعض كتب المسانيد والسنن التي ينقل فيها ما ينقله الناقلون من اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأكثره صدق وبعضه غلط ولكن هذه الامة حفظ الله لها ما أنزله كما قال تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فما في تفسير القرآن او نقل الحديث او تفسيره من غلط فان الله يقيم له من الامة من يبينه ويذكر الدليل على غلط الغالط وكذب الكاذب فان هذه الامة لا تجتمع على ضلالة ولا يزال فيها طائفة ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة اذ كانوا آخر الامم فلا نبي بعد نبيهم ولا كتاب بعد كتابهم. وكانت الامم قبلهم اذا بدلوا وغيروا بعث الله نبياً يبين لهم ويأمرهم وينهاهم ولم يكن بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي وقد ضمن الله انه يحفظ ما أنزله من الذكر وان هذه الامة لا تجتمع على ضلالة بل اقام الله لهذه الامة في كل عصر من يحفظ به دينه من أهل العلم والقرآن وينفي به تحريف الغالين وانتحال المضلين وتأويل الجاهلين

(فصل) وأما من قال انه غير بعض الفاظها بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فهؤلاء يقولون انه كان في التوراة والانجيل وغيرهما الفاظ صريحة بامور. منها اسم محمد صلى الله عليه وسلم وانه عمد بعض اهل الكتاب فغيروا بعض الالفاظ في النسخ التي كانت عندهم . لايقولون ان هؤلاء غيروا كل نسخة كانت على وجه الارض لكن غيروا بعض

الفاظ النسخ. وكتب الناس من تلك النسخ المغيرة نسخاً كثيرة انتشرت
فصار اكثر ما يوجد عند كثير من أهل الكتاب هو من تلك النسخ
المغيرة وفي العالم نسخ أخرى لم تغير فذكر كثير من الناس انه رآها
وقرأها وفي تلك النسخ ما ليس في النسخ الاخري . ومما يدل على
ذلك انك فى هذا الزمان اذا أخذت نسخ التوراة الموجودة عندالهود
والنصارى والسامرة وجدت بينهما اختلافا فيمواضع متعددة . وكذلك
نسخ الانجيل وكذلك نسخ الزبور مختلفة اختلافا متباينا بحيث
لايعلم العاقل ان جميع نسخ التوراة الموجودة متفقة على لفظ واحد
ولا يعلم ان جميع نسخ الانجيل متفقة على لفظ واحد ولا يعلم ان جميع
نسخ الزبور متفقة على لفظ واحد فضلا عن سائر النبوات. ومعلوم انه
لايمكن أهل الكتاب اقامة حجة على ان جميع النسخ بجميع اللغات
في زوايا الارض متفقة على لفظ واحد في جميع ماهو موجود من جميع
النبوات. والحجة التي احتجوا بها على تعذر تغييرها كلها تدل على تعذر
العلم بتساويها كلها. فاذا قالوا فمن هو الذى تكلم باثنين وسبعين لسانا ومن
هو الذى حكم على الدنيا كلها ملوكها وقساقستها وعلمائها حتى حكم
على جميع من باقطار الارض وجمعها من اربع زوايا الارض حتى يغيرها
قيل لهم ومن الذى يعلم اثنين وسبعين لغة ومن هو الذى حكم على
الدنيا ملوكها وقساقستها وعلمائها حتى حكم على جميع من باقطار الارض
وجمعها من اربع زوايا الارض واحضر كل نسخة موجودة فى جميع
الارض وقابل كل نسخة موجودة فى جميع الارض بجميع النسخ فوجد
جميع الفاظ جميع النسخ التي باثنين وسبعين لسانا من جميع أقطار الارض

لفظاً متفقاً لم يختلف الفاظها فان دعوى العلم بهذا ممتنع أعظم من امتناع دعوى تغييرها فانه ان امكن أحداً ان يجمع جميع النسخ كانت قدرته على تغيير بعض الفاظها كلها أيسر عليه من مقابلة كل مافي نسخة بجميع مافى سائر النسخ . فانا اذا احضرنا بكتاب من الكتب عشرة نسخ كان تغيير بعض الفاظ العشرة أيسر علينا من مقابلة كل واحدة من العشرة بالتسعة الباقية. اذ المقابلة يحتاج فيها الى معرفة جميع الفاظ كل نسخة ومساواتها للاخرى . وأما التغيير فيكتفى فيه ان يغير من كل نسخة مايغيره من الاخرى . فان كان تغيير جميع النسخ ممتنعاً فى العادة فالعلم باتفاقها أشد امتناعاً . وان كان العلم باتفاقها ممكنا فامكان تغيير بعض الفاظها أيسر وايسر . واما قولهم ان قيل انه غير بعضها وترك بعضها فهذا لايمكن ان يكون لانها كلها قول واحد ولفظ واحد في جميع الالسن . فيقال أما إمكان هذا فظاهر لاينازع فيه عاقل وهو واقع فانا قد رأينا التوراة التي عند السامرة تخالف توراة اليهود والنصارى حتى في العشر الكلمات . فذكر السامرة فيها من أمر أستقبال الطور مالا يوجد في نسخ اليهود والنصارى . وكذلك بين نسخ اليهود والنصارى اختلاف معروف ونسخ الانجيل مختلفة ونسخ الزبور مختلفة اختلافا اكثر من ذلك وبكل حال فلا يقدر عاقل ان يقول يمتنع تغيير بعض النسخ ولكن اذا قالوا لم يغير شيء منها لان جميعها قول واحد ولفظ واحد فى جميع الالسن .كانت هذه الدعوى باطلة من وجهين أحدهما ان دعوى العلم بتساوى جميع النسخ ابلغ من دعوى امكان تغييرها فان كان التغيير ممتنعا على جميعها كان علم الواحد بما فى جميعها

وانها مماثلة الالفاظ مع اختلاف الالسن اولى بالامتناع. الثاني ان هذه دعوى خلاف الواقع فان الاختلاف في نسخ التوراة والانجيل والزبور موجود قد رأينا نحن باعيننا ورآه غيرنا فرأينا عدة نسخ بالزبور يخالف بعضها بعضاً اختلافا كثيراً ورأينا بعض الفاظ التوراة التي ينقلها هذه الطائفة وهي مكتوبة عندهم يدعون انها هي التوراة الصحيحة المنقولة عندهم بالتواتر تخالف بعض الفاظ توراة الطائفة الاخرى وكذلك الانجيل. وبالجملة قولهم هذا لا يمكن ان يكون لانها كلها قول واحد ولفظ واحد في جميع الالسن تضمن شيئين. تضمن دعوى كاذبة. وحجة باطلة. فان قولهم هذا لا يمكن مكابرة ظاهرة. فان امكان تغيير بعض النسخ مما لا ينازع عاقل في امكانه لكن قد يقول القائل اذا غير بعض النسخ واظهر ذلك شاع ذلك فرأى سائر أهل النسخ تلك النسخة مغايرة بنسخهم فانكروه فان الهمم والدواعي متوفرة على انكار ذلك كما يوجد اليوم مثل ذلك لو أراد رجل ان يغير كتابا مشهوراً عند الناس به نسخ متعددة فاذا غيره فوصلت تلك النسخة الى من يعرف ما في تلك النسخ انكروا ذلك. فيقال هذا يمكن اذا كانت تلك النسخة المغيرة وصلت الى طائفة يمتنع عليهم مواطاتهم على الكذب فانه كما يمتنع في الاخبار المتواترة التواطيء على الكذب. فيمتنع التواطيء على كتمان ما يتعذر كتمانه في العادة ومعلوم انه لا يمتنع على الجماعة القليلة التواطيء على تغيير بعض النسخ. والنسخ انما هي موجودة عند علماء اهل الكتاب وليس عامتهم يحفظ الفاظها كما يحفظ عوام المسلمين الفاظ القرآن فاذا قصد طائفة منهم تغيير نسخة او نسخ عندهم امكن ذلك ثم اذا تواطأت

طائفة اخرى على ان لايذكروا ذلك امكن ذلك ولكن اذا كانت الطوائف ممن لا يمكن تواطئها على الكذب او الكتمان امتنع ذلك فيهم وقد رأينا عند أهل الكتاب كتباً يدعون انها عندهم من النبي صلى الله عليه وسلم بخط على بن ابي طالب فيها أمور تتعلق باغراضهم وقد التبس أمرها على كثير من المسلمين وعظموا ما فيها وأعطوا اهل الكتاب ما كتب لهم فيها معتقدين أنهم ممتثلين مافيها فلماوصلت الى من وصلت اليه من علماء المسلمين بينوا كذبها بطرق معلومة بالتواتر مثل ذكرهم فيها . شهد بما فيها كعب بن مالك الحبر على النبي صلى الله عليه وسلم يعنون كعب الاحبار . وكعب الاحبار انما اسلم على عهد عمر بن الخطاب لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم واسمه كعب ابن مانع ولكن فى الانصار كعب بن مالك الشاعر الذي انزل الله توبته فى سورة براءة فظن هؤلاء الجهال ان هذا هو ذاك . ومثل ذكرهم شهادة سعد بن معاذ الذى اهتز لموته عرش الرحمن ذكروا شهادته عام خيبر وقد اتفق اهل العلم انه مات عقب غزوة الخندق قبل غزوة خيبر بمدة وامثال ذلك . واما حجتهم الداحضة بقولهم ان جميع كتب النبوات التي في العالم من التوراة والانجيل والزبور والنبوات موجودة باثنين وسبعين لسانا بلفظ واحد وقول واحد . فهل يقول عاقل من العقلاء انه علم ذلك وانه علم ان كل نسخة من النبوات الاربعة وعشرين باحد الالسنة الاثنين وسبعين موافقة لكل نسخة فى سائر الالسنة ولو ادعى مدع ان كل نسخة من التوراة في العالم باللسان العربي او كل نسخة من الانجيل فى العالم باللسان العربى او كل نسخة في العالم من الزبور

باللسان العربي موافقة لجميع النسخ العربية الموجودة في زوايا العالم لكان قد ادعى ما لا يعلمه ولا يمكنه علمه فمن اين له ذلك ؟ وهل راى كل نسخة عربية بهذه الكتب او اخبره من يعلم صدقه ان جميع النسخ العربية الموجودة في العالم موافقة لهذه النسخة. وكذلك اذا ادعى ذلك في اللسان اليوناني والسرياني والرومي والعبراني والهندى فان كان فى العالم بكل كتاب من هذه إثنان وسبعون لساناً يدعون اتفاق نسخ كل لسان من جنس دعوى اتفاق النسخ العربية. فكيف اذا ادعى اتفاق النسخ بجميع الالسنة وهب انه يمكن ان يقال ذلك في نسخ لسان نقلها أهله والناطقون به فكيف يمكن دعواه في لسان كثر الناطقون به وانتشر أهله وليس هذا كدعوى اتفاق مصاحف المسلمين بالقرآن فان القرآن لا يتوقف نقله على المصاحف بل القرآن محفوظ فى قلوب الوف مؤلفة من المسلمين لا يحصى عددهم الا الله عز وجل فلو عدم كل مصحف فى العالم لم يقدح ذلك في نقل لفظ من الفاظ القرآن بخلاف الكتب المتقدمة فانه قلّ ان تجد من أهل الكتاب أحداً يحفظ كتاباً من هذه الكتب. فقل ان يوجد من اليهود من يحفظ التوراة. واما النصارى فلا يوجد فيهم من يحفظ التوراة والانجيل والزبور والنبوات كلها فضلا عن ان يحفظها باثنين وسبعين لساناً وان وجد ذلك فهو قليل لا يمتنع عليهم لا الكذب ولا الغلط فتبين ان ما ذكروه من انتشار كتبهم بالالسنة المختلفة هو من اقوى الامور في عدم العلم بتماثل ما فيها من الالفاظ وان القرآن اذا كان منقولا بلغة واحدة وذلك اللسان يحفظه خلق كثير من المسلمين فكان ذلك مما يبين ان القرآن لا يمكن أحدا ان

يغير شيئاً من الفاظه وان أمكن تغيير بعض الفاظ التوراة والانجيل عند كثير من أهل الكتاب. والمسلمون لايدعون انه غير جميع الفاظ جميع النسخ بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم كما ظنه بهم هؤلاء الجهال بل انما ادعوا مايسوغه العقل بل ويظهر دليل صدقه ولكن هؤلاء جهال ادعوا العلم بان جميع النسخ بجميع الالسنة بجميع الكتب بلفظ واحد فادعوا مالا يمكن احدا علمه وادعوا مايعلم بطلانه

(فصل) وقد ظهر الجواب عن قولهم فمن هو الذى تكلم باثنين وسبعين لساناً او من هو الذى حكم على الدنيا جميعها ملوكها وقساقستها وعلمائها حتى حكم على جميعها من اربع زوايا العالم حتى غيرها وان كان مما أمكنه جمعها كلها او بعضها . فهذا ما لا يمكن إذ جميعها قول واحد ونص واحد واعتقاد واحد وقد ظهر الجواب عن ذلك من وجوه *أحدها انا لم ندع تغيرها بعد أن صارت بهذه الالسن وانتشرت بها النسخ بل لاندعي التغيير بعد انتشار النسخ فيما ليس من كتب الانبياء مثل كتب النحو والطب والحساب والاحاديث والسنن المنقولة عن الانبياء . مما نقل في الاصل نقل آحاد ثم صارت النسخ به كثيرة منتشرة فان أحداً لا يدعي انه بعد انتشار النسخ بكتاب فى مشارق الارض ومغاربها حكم انسان على جميع المعمورة وجمع النسخ به وغيرها. ولا ادعى أحد مثل ذلك في التوراة والانجيل وانما ادعى ذلك فيها لما كانت النسخ قليلة اما نسخة واما اثنتين واما أربعة ونحو ذلك. أو ادعى تغيير بعض الفاظ النسخ فان بعض النسخ يمكن تغيرها . ونسخ التوراة والانجيل والزبور موجودة اليوم وفي بعضها اختلاف لكنه اختلاف قليل

والغالب عليها الاتفاق وذلك يظهر بالوجه الثاني ان قولهم ان جميعها قول واحد ونص واحد واعتقاد واحد ليس كما قالوه بل نسخ التوراة مختلفة في مواضع. وبين توراة اليهود والنصارى والسامرة اختلاف وبين نسخ الزبور اختلاف اكثر من ذلك. وكذلك بين الاناجيل فكيف بنسخ النبوات وقد رأيت انا من نسخ الزبور ما فيه تصريح بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم باسمه ورأيت نسخة اخرى بالزبور فلم ارَ ذلك فيها وحينئذ فلا يمتنع ان يكون في بعض النسخ من صفات النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس في اخرى. الوجه الثالث ان التبديل في التفسير أمر لا ريب فيه وبه يحصل المقصود في هذا المقام فانا نعلم قطعاً ان ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيما كان موجودا في زمنه من التوراة والانجيل كما قال تعالى (الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل) ولا ريب ان نسخ التوراة والانجيل على عهده كانت كثيرة منتشرة في مشارق الارض ومغاربها فلا بد من أحد الامرين اما ان يكون غير اللفظ من بعض النسخ وانتشرت النسخ المغيرة. واما ان يكون ذكره في جميع النسخ كما استخرجه كثير من العلماء ممن كان من احبار اليهود والنصارى. وممن لم يكن من احبارهم استخرجوا ذكره والبشارة به في مواضع كثيرة متعددة من التوراة والانجيل ونبوات الانبياء كما هو مبسوط في موضع آخر. ومن قال ان ذكره موجود فيها اكثر من هذا واصرح في بعض النسخ لا يمكن هؤلاء دفعه بان يقولوا قد اطلعنا على كل نسخة في العالم بالتوراة والانجيل في مشارق الارض ومغاربها فوجدناها على لفظ واحد فان هذا لا يقوله

الاكذاب فانه لا يمكن بشراً ان يطلع على كل نسخة في مشارق الارض ومغاربها كما لا يمكنه ان يغير كل نسخة في مشارق الارض ومغاربها فلو لم يعلم اختلاف النسخ لم يمكنه الجزم باتفاقها في اللفظ فكيف وقد ذكر الناس المطلعون عليها من اختلاف لفظها ما يبين به كذب من ادعى اتفاق لفظها

(فصل) قالوا ثم وجدنا في هذا الكتاب ما هو أعظم من هذا برهاناً قوله في سورة الشورى (وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير) واما لغير أهل الكتاب فيقول (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد) السورة كلها. والجواب اما قوله وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم فهذه الاية مذكورة بعد قوله تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم بغياً بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم الآية) فقد اخبر انه شرع لنا من الدين ما وصى به نوحا وابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كما قال تعالى في

الآية الاخرى (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون وقال تعالى (ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً انى بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون) ثم أخبر عن تفرق الذين اوتوا الكتاب كتفرق اليهود والنصارى وتفرق فرق اليهود وفرق النصارى كالنسطورية واليعقوبية والملكية ثم قال (ان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم (أولئك المفترقين) لفي شك منه مريب) وهكذا توجد عامة اليهود والنصارى في شك من ذلك مريب وقال تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب) وقال تعالى (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين إختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيما) ثم قال تعالى (فلذلك فادع واستقم كما امرت) الى الدين الذي شرعه الله لنا واستقم كما امرت (ولا تتبع اهواءهم) هذا يتناول اهواء اهل الكتاب كما يتناول اهواء المشركين وقد صرح بذلك في قوله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير) وقال تعالى (ولئن أتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك

وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذاً لمن الظالمين) كما صرح بنهيه عن اتباع اهوآء المشركين في قوله تعالى (قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون) وقوله تعالى (وقل امنت بما انزل الله من كتاب) حق فان الله أمره وجميع الخلق ان يؤمنوا بجميع ما انزل الله وكذلك قوله وامرت لاعدل بينكم فان الله أمره ان يعدل بين جميع الخلق وقوله الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم هذه برآءة منه لمن يخاطب بذلك من المشركين واهل الكتاب كقوله تعالى (وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما أعمل وانا بريء مما تعملون) ومثله قوله تعالى (قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون وكذلك قوله (قل يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولى دين) فان هذه الكلمة كقوله لى عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون هى كلمة توجب براءته من عملهم وبراءتهم من عمله فان حرف اللام في لغة العرب يدل على الاختصاص فقوله لكم دينكم ولى دين يدل على انكم مختصون بدينكم لا اشرككم فيه وانا مختص بديني لا تشركوني فيه كما قال (لى عملى ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون) ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فى قل يا أيها الكافرون هي برآءة من الشرك وليس في هذه

الآية انه رضى بدين المشركين ولا اهل الكتاب كما يظنه بعض الملحدين ولا انه نهى عن جهادهم كما ظنه بعض الغالطين وجعلوها منسوخة بل فيها براءته من دينهم وبراءتهم من دينه وانه لا تضره اعمالهم ولا يجزون بعمله ولا ينفعهم. وهذا امر محكم لا يقبل النسخ ولم يرض الرسول بدين المشركين ولا اهل الكتاب طرفة عين قط ومن زعم انه رضى بدين الكفار واحتج بقوله تعالى (قل ياأيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ماعبدتم ولا انتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولى دين) فظن هذا الملحد ان قوله لكم دينكم ولى دين معناه انه رضى بدين الكفار ثم قال هذه الاية منسوخة فيكون قد رضي بدين الكفار وهذا من ابين الكذب والافتراء على محمد صلى الله عليه وسلم فانه لم يرض قط الابدين الله الذي أرسل به رسله وانزل به كتبه ما رضي قط بدين الكفار لا من المشركين ولا من أهل الكتاب وقوله لكم دينكم ولى دين لا يدل على رضاه بدينهم بل ولا على اقرارهم عليه بل يدل على براءته من دينهم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه السورة برآءة من الشرك . ونظير هذه الاية قوله تعالى (وان كذبوك فقل لى عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا برىء مما تعملون وكذلك قوله تعالى فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل امنت بما انزل الله من كتاب وأمرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم (وقد يظن بعض الناس ايضاً ان قوله (لكم دينكم ولى دين) الآية انى لا آمر

بالقتال ولا انهى عنه ولا اتعرض له بنفي ولا اثبات وانما فيها ان دينكم لكم انتم مختصون به وأنا بريء منه وديني لي وانا مختص به وانتم براء منه وهذا أمر محكم لا يمكن نسخه بحال كما قال تعالى عن الخليل (اذ قال لابيه وقومه انني بريء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين) وقد قال تعالى (وكل انسان الزمناه طائره في عنقه) وهو ما طار عنه من خير وشر وقال تعالى (ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى) وقال تعالى (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) وقال تعالى (ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها) بل قد قال تعالى لنبيه (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون) فاذا كان قد برّأه الله من معصية من عصاه من اتباعه المؤمنين فكيف لا يبريه من كفر الكافرين الذين هم أشد له معصية ومخالفة

(فصل) واما قوله تعالى (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ماعبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين) فهو أمر بالقول لجميع الكافرين من المشركين واهل الكتاب فان أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بما أنزل اليه من ربه كافرون قد شهد عليهم بالكفر وأمر بجهادهم وكفر من لم يجعلهم كافرين ويوجب جهادهم قال تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة) وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) وقال تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر

ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وحرف من في هذه المواضع لبيان الجنس فتبين جنس المتقدم وان كان ما قبلها يدخل في جميع الجنس الذي بعدها بخلاف ما اذا كانت للتبعيض كقوله (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) فانه يدخل في الذين كفروا بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم جميع المشركين وأهل الكتاب . وكذلك دخل في الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق جميع اهل الكتاب الذين بلغتهم دعوته ولم يؤمنوا به وكذلك قوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) وان كان جميعهم آمنوا وعملوا الصالحات وهذا اذا كان الجنس يتناول المذكورين وغيرهم لكن لم يبق في الجنس الا المذكورون كما يقول هنا رجل من بني عبد المطلب وان لم يكن بقي منهم غيره . ووصفهم بالشرك وبأنهم يعبدون غير الله كما قال تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) فاخبر أنهم اتخذوا من دون الله اربابا واتخذوا المسيح ربا وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً وهؤلاء باتخاذهم غيره اربابا عبدوهم فاشركوا بالله سبحانه وتعالى عما يشركون وقال تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر

بعد إذ أنتم مسلمون) فقد أخبر أيضاً أنه من اتخذ الملائكة والنبيين أربابا فانه كافر وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم) فقد وبخ اهل التثليث على أنهم يعبدون مالا يملك لهم ضراً ولا نفعا والله هو السميع العليم فدخلوا في قوله (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد) كما دخل في ذلك غيرهم من الكفار لا سيما وقد دخل في ذلك اليهود وهم أولى بالدخول من غيرهم فان قوله ما تعبدون يتناول صفات المعبود والاله الذي يعبده المؤمنون هو الاله الذي أنزل التوراة والانجيل والقرآن وأرسل موسى وعيسى ومحمداً صلوات الله عليهم وسلامه • والاله المتصف بهذه الصفات لا يعبده اليهود والنصارى وهذا كقوله (قالوا نعبد إلهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل وإسحق إلها واحداً ونحن له مسلمون) فهذا الاله الذي يعبده محمد صلى الله عليه وسلم وامته ليس هو اله المشركين الذي يعبدونه وان كان هو المستحق لان يعبدوه. فانهم يشركون بعبادته ويصفونه بما هو بريء منه فلا يخلصون له الدين فعبدوا معه آلهة اخرى ان لم يستكبروا عن عبادته. واله العبد الذي يعبده بالفعل ليس حاله معه كحاله مع الذي يستحق ان يعبده وهو لا يعبده بل يشرك به

أو يستكبر عن عبادته فهذا هو الذى قال فيه لا اعبد ماتعبدون والشرك غالب على النصارى والكبر غالب على اليهود

(فصل) واما قوله لاحجة بيننا وبينكم الآية فهذا ليس خطابا للنصارى خصوصاً بل هو خطاب للجميع وهؤلاء النصارى ظنوا ان معنى هذا لاتحاجوا أهل الكتاب كما ظنوا في قوله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم) ان معناه لاتجادلوا أهل الكتاب النصارى الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا أى اليهود وهذا تحريف كلم الله عن مواضعه وهو تشبيه بتحريفهم لما عندهم من التوراة والانجيل والزبور وسائر النبوات فانهم أعظم تسلطاً على تحريف معانيها منهم على تحريف معاني القرآن. إذ كان القرآن له أمة تحفظه وتعرف معانيه وتذب عنه من يحرف لفظه او معناه. واما تلك الكتب فليس لها من يذب عن لفظها ومعناها فلهذا عظم تحريفهم لها وكان أعظم من تحريفهم للقرآن . ومما يبين ان هذا الخطاب ليس مختصاً بالنصارى ان هذه السورة مكية والسور المكية كانت تتناول من لا يقرأ الكتاب لاتختص باهل الكتاب بل كانت تعم الامم او تختص بالمشركين. والسور المدنية خطابها تارة لاهل الكتاب وتارة تختص بالمؤمنين وتارة تعم وقد قال تعالى (كبر على المشركين ماتدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب) وقال تعالى (وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب) فالخطاب اما ان يعم المشركين وأهل الكتاب او يخص المشركين وأهل الكتاب

اليهود والنصارى وبكل تقدير فلا وجه لتخصيص النصارى به. واما قوله تعالى (لاحجة بيننا وبينكم) فهو نظير قوله تعالى (قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون) وقوله (فان حاجوك فقل اسلمت وجهى لله ومن اتبعنى وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ) فالحجة اسم لما يحتج به من حق وباطل كقوله (لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فان الظالمين يحتجون عليكم بحجة باطلة كقول المشركين لما حولت القبلة الى الكعبة قد عاد الى قبلتكم فسوف يعود الى ملتكم فهذه حجة داحضة من الظالمين ومما يبين ذلك قوله بعد ذلك (والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) فسماها حجة وجعلها داحضة وهؤلاء الذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له هم الكفار من المشركين وأهل الكتاب. فهم يحاجون المؤمنين ليردوهم عن دينهم وقال عن النصاري (فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فكان الكفار يحاجون المؤمنين حتى يردوهم عن دينهم كما كانوا يؤذونهم فهؤلاء حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد. ومحاجتهم للمؤمنين من باب الظلم لهم والعدوان عليهم وقول الباطل. فامره تعالى ان يقول لاحجة بيننا وبينكم أي ليس لكم ان تظلمونا وتعتدوا علينا بحجتكم الداحضة. وليس المراد بذلك انا نحن لانحاجكم وندعوكم الى الحق بالحجج الصحيحة فانه تعالى قال

(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) فامره تعالى ان يجادل أهل دعوته مطلقاً من المشركين وأهل الكتاب بالتي هى أحسن وقد قال تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم) فان الظالم باغ معتد مستحق للعقوبة فيجوز أن يقابل بما يستحقه من العقوبة لايجب الاقتصار معه على التي هي أحسن بخلاف من لم يظلم فانه لايجادل إلاّ بالتى هى أحسن وأهل الكتاب اسم يتناول اليهود والنصارى كما فى نظائره من القرآن كقوله تعالى (وطعام الذين اوتوا الكتاب الآية وقوله (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين) وامثال ذلك. والظالم يكون ظالماً بترك ماتبين له من الحق واتباع ماتبين له انه باطل والكلام بلا علم فاذا ظهر له الحق فعندعنه كان ظالماً. وذلك مثل الالد في الخصام قال تعالى (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على مافي قلبه وهو ألد الخصام) وقال (ويجادلونك فى الحق بعد ماتبين) وقال (ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم

(فصل) وقولهم انه لم يقل كونوا له مسلمين ولكن ونحن أى عنه وعن العرب التابعين له ولما أتى به وجاء فى كتابه. فيقال لهم هذا ونظائره كلام من لم يفهم القرآن بل ولا يفهم كلام سائر الناس فانه اذا عرف من صاحب كتاب يقول انه منزل من الله او يقول انه صنفه هو انه يدعو قوما بالاقوال الصريحة الكثيرة والاعمال البينة الظاهرة كان سكوته عن دعائهم فى بعض الالفاظ لا ينافي دعاءهم له. لكن ان

كان حكيما في كلامه كان للسكوت عن دعائهم في بعض المواضع حكمة تناسب ذلك وهذا كقوله تعالى (قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون) أفتراه لما أمر أمته ان يقولوا ونحن له مخلصون لم يكن اهل الكتاب مأمورين بالاخلاص لله وقد ذكر أمر أهل الكتاب بالاخلاص في غير موضع كقوله تعالى (وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعدما جاءتهم البينة وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) وكذلك دعاهم الى الاسلام وتوعدهم على التولى عنه في مثل (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك فقل اسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) وقال تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحداً ونحن له مسلمون) فقد بين سبحانه انه لا يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه اي سفه نفساً

اي كانت نفسه سفيهة جاهلة هذا أصح القوانين في ذلك وهو مذهب الكوفيين من النحاة يجوزون ان يكون المنصوب على التمييز معرفة كما يكون نكرة ثم اخبر عنه انه قال له ربه اسلم قال أسلمت لرب العالمين) وذكر ان ابراهيم وصى بها بنيه. ويعقوب وصى بها بنيه ايضاً كلاهما قال لبنيه (يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) ثم ذكر ان يعقوب عند موته قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحق الهاً واحداً ونحن له مسلمون فهؤلاء ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب كلهم على الاسلام وهم يأمرون بالاسلام ثم قال بعد ذلك (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) ثم قال قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ثم قال) فان آمنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) فقد أخبر انهم ان تولوا عن الايمان بمثل ما امنتم به المتضمن قولكم ونحن له مسلمون فانما هم في شقاق أي مشاقون لله ورسوله كما قال تعالى (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الابصار الى قوله ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله

ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب وقوله تعالى (ونحن له مسلمون في العنكبوت فهو مثل قوله ونحن له مسلمون في البقرة مع دعائهم الى الاسلام وكذلك في سورة آل عمران في قوله (قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) فقد دعاهم أولا الى الاسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له وان لا يتخذ بعضهم بعضاً اربابا من دون الله كما قال تعالى (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) ثم قال تعالى (فان تولوا فقولوا أشهدوا بانا مسلمون) وهذه الاية التي كتب بها النبي صلى الله عليه وسلم الى قيصر ملك الروم لما دعاه الى الاسلام وقال في كتابه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم اسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان توليت فانما عليك إثم الاريسين ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم الى الى الاسلام في كتابه الذى ارسله اليه وقال ايضاً في آل عمران (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين

ارباباً ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون) فذكر التوحيد في هذه الآية وكفر من اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً فكيف بمن اتخذ الاحبار والرهبان ارباباً ثم ذكر الايمان بخاتم الرسل (فقال واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون افغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) فقد ذكر انه اخذ الميثاق على النبيين واممهم مهما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وهذا يتناول الامر لكل أهل كتاب اذا جاءهم رسول ثانٍ ان يؤمنوا به وينصروه وان كان عندهم من الكتاب والحكمة مهما كان. ولا يقولون نحن مستغنون بما عندنا من الكتاب والحكمة لا نؤمن بالرسول الذي جاءنا ونخص الايمان بمحمد صلي الله عليه وسلم فانه خاتم الرسل وهو آخر رسول جاء مصدقا لما بين يديه من الكتاب فوجب على من جاءه ان يؤمن به وينصره وان كان عنده من الكتاب والحكمة ما كان . وهذا الميثاق اخذه الله على الانبياء واخذوه على اممهم ثم قال (افغير دين الله يبغون) وهذا هو دين الاسلام الذي ارسل به رسله

وانزل به كتبه فمن ابتغى غيره فقد ابتغي غير دين الله وهذا هو دين الاسلام الذى قال (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)

(فصل) واما قوله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) أمر للمؤمنين ان يقولوا الحق الذى اوجبه الله عليهم وعلى جميع الخلق ليرضوا به الله وتقوم به الحجة على المخالفين فان هذا من الجدال بالتى هي احسن وهو ان يقول كلاماً حقاً يلزمك ويلزم المنازع لك ان يقوله فان وافقك والا ظهر عناده وظلمه كما قال تعالى في الآية الاخرى (قل أتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون) فانا مشتركون في انه ربنا كلنا وان عمل كل عامل له لا لغيره وامتزنا نحن بانا مخلصون له وانتم لستم مخلصين له. فاوجب هذا ان الحق معنا دونكم وان أعمالنا صالحة مقبولة واعمالكم مردودة ويشبه ذلك قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) فامره لهم أن يقولوا اشهدوا بانا مسلمون يتضمن اقامة الحجة عليهم كما كان المسيح عليه السلام يقول

(فصل)ثم قالوا فاما الذين ظلموا فما يشك أحد فى انهم اليهود الذين سجدوا الرأس العجل وكفروا بالله مرارا كثيرة ليست واحدة وقتلوا انبياءه ورسله وعبدوا الاصنام وذبحوا للشياطين ليس حيوانات غير

ناطقة فقط. بل بنيهم وبناتهم حسب ما شهد الله عليهم قائلا على لسان داود النبي عليه السلام فى كتاب الزبور في مزمور ماية وخمسة يقول ذبحوا بنيهم وبناتهم للشياطين وأراقوا دماً زكيا دم بنيهم وبناتهم الذى ذبحوا للمنحوتات بكنعان وقد تجست الارض بالدماء وتجست أعمالهم وزنوا بضعائنهم وسخط الرب عليهم ورذل ميراثهم. وقال أيضاً على لسان أشعيا النبى عليه السلام يقول الله فى بنى اسرائيل لم يسمعوا وصاياى لم يحفظوا كل ما اوصيتهم به بل غيروا ونقضوا الميثاق الذى كنت جعلته لهم الى الابد فلذلك اجاستهم على الحزن والخراب واهلكتهم وانقطع ممن يبقى منهم الفرح والسرور هكذا قال الله على سكان البيت المقدس من بنى إسرائيل سأبددهم بين الامم وفى تلك الايام يرفعون الامم أصواتهم ويسبحون الله ويمجدونه باصوات عالية ويجتمعون من اقطار الارض ومن جزائر البحر ومن البلدان البعيدة ويقدسون اسم الله ويرجعون الى الله اله اسرائيل ويكونون شعبه. واما بنو اسرائيل فيكونون مبددين في الارض. وقال اشعيا النبي عليه السلام يقول الله يابنى اسرائيل نجستم جبلي المقدس فانى سأفنيكم بالحرب وتموتون وذلك لانى دعوتكم فلم تجيبوا وكلمتكم فلم تسمعوا وعملتم الشيء بين يدى. وقال اشعيا أيضاً ان الله قد بغض بنى اسرائيل وأخرجهم من بيوتهم ومن بيته ولا يغفر لهم لانهم لعنة وجعلوا لعنة الناس فلذلك اهلكهم الله وبددهم بين الامم ولا يعود يرحمهم ولا ينظر اليهم برحمة الى أبد الابدين ولا يقربون لله قربانا في ذلك اليوم وذلك الزمان ولا يفرح بنوا اسرائيل لانهم قد ضلوا عن الله عز وجل. وقال أرميا النبي عليه السلام كما ان

الحبشي لا يستطيع ان يكون أبيض فكذلك بنوا اسرائيل لا يتركون عادتهم الخبيثة ولذلك انى لا أرحم ولا أشفق ولا ارق على الامة الخبيثة ولا أرثى لها . وقال حزقيل النبي عليه السلام قال الله انما رفعت يدى عن بنى اسرائيل وبددتهم بين الامم لانهم لم يعملوا بوصاياى ولم يطيعوا أمري وخالفونى فيها فيما قلت لهم ولم يسمعوا لى . ومثل هذا القول في التوراة وكتب الانبياء وزبور داود شيء كثير يقرؤنها اليهود فى كنائسهم ويقرّونها ولا ينكرون منها حرفا واحداً ومثل ماهو عندهم وكذلك عندنا في جميع الالسن * والجواب أن يقال اما كون اليهود ظالمين كافرين معتدين مستحقين لعذاب الله وعقابه فهذا معلوم بالاضطرار من دين محمد صلى الله عليه وسلم منقول بالتواتر كما علم بالاضطرار والنقل المتواتر عنه صلى الله عليه وسلم ان النصارى أيضاً ظالمون معتدون كافرون مستحقون لعذاب الله وعقابه وفي اليهود من الكفر ما ليس في النصارى وفي النصارى ما ليس في اليهود فان اليهود بدلوا شريعة التوراة قبل أن يأتيهم المسيح بن مريم فلما أتاهم كفروا به وكذبوه فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كذبوه فباؤا بغضب على غضب كما قال تعالى عنهم (افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون

وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين) فغضب عليهم اولا بتكذيب المسيح وثانياً بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى (ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وقال تعالى (قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت . فبين ان اليهود لعنهم الله وانهم عبدوا الطاغوت وانه جعل منهم القردة والخنازير ومثل هذا في القرآن كثير لكن قول القائل انهم المرادون بقوله (الا الذين ظلموا منهم) في قوله ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا غلط

بين ولهذا كان باطلا باتفاق المسلمين فان قوله تعالى (ولا تجادلوا اهل
الكتاب الا بالتي هي احسن . نهى عن مجادلة اهل الكتاب من اليهود
والنصارى الا بالتى هي احسن وقوله الا الذين ظلموا من الطائفتين
جميعاً . ولهذا كان الواجب على المسلمين اذا جادلهم اليهودى والنصراني
ان يجادلوه بالتي هي احسن الا من ظلم من الطائفتين فانه يعاقب
باللسان تارة و باليد اخرى كما امر الله ورسوله بجهاد الظالمين من هؤلاء
وهؤلاء . فجاهد النبي صلى الله عليه وسلم اليهود الذين كانوا بالمدينة
النبوية وحولها وقريباً منها . كما جاهد بني قينقاع والنضير وقريظة واهل
خيبر واهل وادى القرى وغيرهم . وكما جاهد النصارى عام تبوك غزاهم
بالشام عربهم وروميهم واغزاهم قبل ذلك نوا به زيد بن حارثة وجعفر بن ابي
طالب وعبد الله بن رواحة وامر بغزوهم فغزاهم بعده خلفاؤه الراشدون
والنبي صلى الله عليه وسلم لما قدم وفد نجران جادلهم صلى الله عليه
وسلم في مسجده بالتي هى أحسن ثم أمره الله ان يدعوهم الى المباهلة
فامتنعوا عن مباهلته واقروا باداء الجزية عن يدوهم صاغرون كما تقدم
ذكر ذلك مفصلا فجادل بعضهم بالتى هي أحسن والظالم منهم عاقبه
وجاهده كما عاقب الظالم من اليهود ومن اعجب الاشياء قولهم . واما الذين
ظلموا فلا يشك احد انهم اليهود فان هذا من جنس قولهم ثم وجدنا
في الكتاب ماهو اعظم من هذا برهانا وهو قوله في سورة الشورى
(وقل آمنت بما انزل من كتاب وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم) كما تقدم وهي من جنس قولهم في قوله
ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون

الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) انه عنى بالكتاب الانجيل والذين يؤمنون بالغيب النصارى والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هم المسلمون وزعمهم ان قولهم هذا بين ظاهر. وتفاسير النصارى للكتب الالهية فيها من التحريف لكلمات الله والالحاد في اسماء الله واياته ما يطول وصفه ولا ينقضي التعجب منه. لكن اقدامهم على تفسير القرآن بالالحاد والتحريف اعجب واعجب كقولهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم ذكر انه لم يرسل اليهم وانه اثنى على الدين الذي هم عليه بعد النسخ والتبديل بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم وان قوله صراط الذين انعمت عليهم اراد به النصارى وقوله لقد ارسلنا رسلنا اراد به الحواريين وقوله وانزلنا معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس اراد به الانجيل فان فى هذا من الكذب الظاهر والافترا على محمد صلى الله عليه وسلم بانه اراد هذه الامور. ماهو من جنس افترائهم على الانبياء فانهم اخبروا ان المسيح هو خالق السموات والارض وان التوراة والزبور وغيرهما من الكتب اخبرت بذلك ثم يأتون الى ما يعلم كل عاقل ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يرده فيقولون انه لا يشك فيه واحد وانه قول ظاهر بين وكل من عرف حال محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من القرآن والدين يعلم علما يقينيا ضروريا ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن يجعل النصارى مؤمنين دون اليهود بل كان يكفر الطائفتين ويامر بجهادهم ويكفر من لم ير جهادهم واجبا عليه وهذا مما اتفق عليه المسلمون وهو منقول عندهم عن نبيهم نقلا متواترا بل هذا يعلمه من حاله الموافق والمخالف الا من هو مفرط

فى الجهل بحاله او من هو معاند عنادا ظاهرا

(فصل) واما ما نقلوه عن الانبياء مما يدل على كفر اليهود فهــذا لا ننازعهم فيه ولا حاجة بنا الى الاستدلال بما نقلوه وان كان فيما يثبت عن الانبياء ما يبين كفرهم لما بدلوا دين موسى عليه السلام كما كفر النصارى لما بدلوا دين المسيح. فهذا حق موافق لما اخبر به خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم فانا قد علمنا كفرهم من جهة لا نشك فى صدقها وما اخبرونا به عن الانبياء إن علمنا صدقهم فيه صدقنا هم فيه وان علمنا كذبهم فيه كذبنا هم فيه وان لم نعلم صدقه ولا كذبه لم نصدقه ولم نكذبه بل نقول آمنا بما انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون. فان الايمان بجميع ما اوتي النبيون حق واجب لكن وجوب التصديق في النبي المعين الذي لم نعلمه من غيرهم يقف على مقدمتين. ان يكون اللفظ قد قاله النبي. وان يكون المعنى الذى فسروه به مراداً للنبى الذي تكلم بذلك القول فلا بد من الاسناد ودلالة المتن وهاتان المقدمتان لا بد منهما في جميع المنقول عن الانبياء. وقد يحتاج الى مقدمة ثالثة في حق من لم يعرف اللغة العبرية فان موسى وداود والمسيح وغيرهم انما تكلموا باللغة العبرية فمن لم يعرف بها وانما يعرف بالعربية او الرومية لا بد ان يعرف ان المترجم من تلك اللغة الى هذه قد ترجم ترجمة مطابقة

(فصل) واما قولهم نحن النصارى فلم نعمل شيئاً مما عملته اليهود فيقال لهم الكفر والفسوق والعصيان لم ينحصر في ذنوب اليهود فانهم

تعملوا مثل اعمالهم فلكم من الاقوال والاعمال ما بعضه اصعب من كفر اليهود وان كنتم انتم الين من اليهود واقرب مودة فانتم أيضاً اجهل واضل من اليهود قال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئاً ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم اتيه يوم القيامة فردا) وقال تعالى (الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسناً ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا) وقال تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وقال تعالى (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) وقال تعالى (يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا ان كثيراً من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس

بالباطل ويصدون عن سبيل الله) وقال تعالى (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فاغرينا بينهم العدواة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) وقال تعالى لما قص قصة المسيح عليه السلام (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ما كان الله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) وقال تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل)

(فصل) ومن تدبر حال اليهود والنصارى مع المسلمين. وجد اليهود والنصارى متقابلين. هؤلاء فى طرف ضلال. وهؤلاء في طرف يقابله والمسلمون هم الوسط وذلك فى التوحيد والانبياء. والشرائع والحلال والحرام والاخلاق وغير ذلك. فاليهود يشبهون الخالق بالمخلوق في صفات النقص المختصة بالمخلوق التى يجب تنزيه الرب سبحانه عنها كقول من قال منهم انه فقير وانه بخيل وانه تعب لما خلق السموات والارض والنصارى يشبهون المخلوق بالخالق في صفات الكمال المختصة بالخالق التى ليس له فيها مثل كقولهم ان المسيح هو الله وابن الله. وكل من القولين يستلزم الآخر. والنصارى أيضاً يصفون اللاهوت بصفات النقص التى يجب تنزيه الرب عنها ويسبون الله سباً ما سبه أياه أحد من البشر كما كان معاذ بن جبل يقول لا ترحموهم فانهم قد سبّوا الله مسبة

ماسبه اياها احد من البشر . واليهود تزعم ان الله يمتنع منه ان ينسخ مما شرعه كما يمتنع منه مالا يدخل فى القدرة او ماينافي العلم والحكمة والنصارى يجوزون لاكابرهم ان ينسخوا شرع الله الذى بعث به رسله فيحللوا ماحرم كما حللوا الخنزير وغيره من الخبائث بل لم يحرموا شيئاً ويحرمون ماحلل كما يحرمون فى رهبانيتهم التى ابتدعوها وحرموا فيها من الطيبات ما احله الله ويسقطون ما اوجب كما اسقطوا الختان وغيره وانواع الطهارة من الغسل وازالة النجاسة وغير ذلك . ويوجبون ما اسقط كما اوجبوا من القوانين مالم يوجبه الله وانبياؤه . والمسلمون وصفوا الرب بما يستحقه من صفات الكمال ونزهوه عن النقص وان يكون له مثل . فوصفوه بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل مع علمهم انه ليس كمثله شيء لا فى ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله وقالوا إله الخلق والامر فكما لايخلق غيره لايأمر غيره بل الدين كله له وهو المعبود المطاع الذى لايستحق العبادة الا هو ولا طاعة لاحد الا طاعته وهو ينسخ ماينسخه من شرعه وليس لغيره ان ينسخ شرعه . واليهود بالغوا فى اجتناب النجاسات وتحريم الطيبات . والنصارى استحلوا الخبائث وملابسة النجاسات . والمسلمون أحل الله لهم الطيبات خلافاً لليهود وحرم عليهم الخبائث خلافاً للنصارى . واليهود يبالغون في طهارة ابدانهم مع خبث قلوبهم . والنصارى يدعون أنهم يطهرون قلوبهم مع نجاسة ابدانهم والمسلمون يطهرون ابدانهم وقلوبهم جميعاً . والنصارى لهم عبادات واخلاق بلا علم ومعرفة ولا زكاء . واليهود لهم علم ومعرفة بلا عبادات ولا اخلاق

حسنة. والمسلمون جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح بين الزكا والذكاء
فان الله ارسل رسله بالهدى ودين الحق. فالهدى يتضمن العلم النافع. ودين
الحق يتضمن العمل الصالح ليظهره على الدين كله. والظهور يكون بالعلم
واللسان ليبين انه حق وهدى. ويكون باليد والسلاح ليكون منصوراً
مؤيداً والله اظهره هذا الظهور فهم أهل الصراط المستقيم صراط
الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
اولئك رفيقاً. غير المغضوب عليهم الذين يعرفون الحق ولا يعملون به
كاليهود. ولا الضالين الذين يعملون ويعبدون ويزهدون بلا علم كالنصارى
واليهودُ قتلوا النبيين والذين يأمرون بالقسط من الناس. والنصارى اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم. والمسلمون
اعتدلوا فآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله ولم يفرقوا بين أحد من رسله
وآمنوا بجميع النبيين وبكل كتاب انزله الله فلم يكذبوا الانبياء ولا
سبوهم ولا غلوا فيهم ولا عبدوهم وكذلك في اهل العلم والدين لا يبخسونهم
حقهم ولا غلوا فيهم. واليهود يغضبون لانفسهم وينتقمون. والنصارى
لا يغضبون لربهم ولا ينتقمون. والمسلمون المعتدلون المتبعون لنبيهم
يغضبون لربهم ويعفون عن حظوظهم كما في الصحيحين عن عائشة
رضي الله عنها قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما له
ولا امرأة ولا شيئاً قط الا ان يجاهد في سبيل الله ولا نيل منه شيء
قط فانتقم لنفسه الا ان تنتهك محارم الله فينتقم لله وفي الصحيحين عن
أنس رضى الله عنه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين
فما قال لى اف قط وما قال لى لشيء فعلته لمَ فعلته ولا لشيء لم أفعله لم

لم تفعله وكان بعض أهله اذا عتبني على شيء يقول دعوه فلو قضى شيء لكان. هذا في حق نفسه. واما في حدود الله ففى الصحيحين عن عائشة ان قريشاً اهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا من يجترء عليه الا اسامة بن زيد حِبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكلمه فيها اسامة فقال يا اسامة أتشفع في حد من حدود الله انما هلك من كان قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدود والذى نفسي بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. وقد وصف الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم بانهم انفع الامم للخالق فقال (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون) ففى أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد ما لم يوجد مثله في الامتين

(فصل) ثم قالوا وكذلك جاء في هذا الكتاب يقول (لتجدنّ اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدنّ اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون) فذكر القسيسين والرهبان لئلا يقال ان هذا قيل عن غيرنا فدل هذا على أفعالنا وحسن نياتنا ونفى عنا اسم الشرك بقوله اليهود والذين اشركوا أشد عداوة للذين آمنوا والذين قالوا انا نصارى اقربهم مودة * والجواب ان يقال تمام الكلام (واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق

يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا
من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأثابهم الله بما قالوا
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) فهو سبحانه
لم يعد بالثواب في الآخرة الا لهؤلاء الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
الذين قال فيهم (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض
من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين)
والشاهدون هم الذين شهدوا له بالرسالة فشهدوا ان لا اله الا الله وان
محمداً رسول الله وهم الشهداء الذين قال فيهم وكذلك جعلناكم أمة
وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ولهذا
قال ابن عباس وغيره واكتبنا مع الشاهدين قال مع محمد صلى الله عليه
وسلم وأمته . وكل من شهد للرسل بالتصديق فهو من الشاهدين كما قال
الحواريون (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين
وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا
الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل
عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل
وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس) واما
قوله في أول الآية (لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود
والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا
نصارى) فهو كما اخبر سبحانه وتعالى فان عداوة المشركين واليهود
للمؤمنين اشد من عداوة النصارى . والنصارى اقرب مودة لهم وهذا
معروف من اخلاق اليهود فان اليهود فيهم من البغض والحسد والعداوة

ما ليس فى النصارى .وفى النصاى من الرحمة والمودة ما ليس في اليهود والعـداوة اصلها البغض .فاليهود كانوا يبغضون انبياءهم فكيف يبغضهم للمؤمنين .واما النصارى فليس فى الدين الذي يدينون به عداوة ولا بغض لاعداء الله الذين حاربوا الله ورسوله وسعوا فى الارض فساداً فكيف بعداوتهم وبغضهم للمؤمنين المعتدلين اهل ملة ابراهيم المؤمنين بجميع الكتب والرسل .وليس في هـذا مدح لنصارى بالايمان بالله ولا وعد لهم بالنجاة من العذاب واستحقاق الثواب .وانما فيه انهم اقرب مودة وقوله تعالى (ذلك بان منهم قسيسين ورهباناً وانهـم لا يستكبرون) اى بسبب هؤلاء .وسبب ترك الاستكبار يصير فيهم من المودة مايصيرهم بذلك خيراً من المشركين واقرب مودة من اليهود والمشركين ثم قال تعالى (واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) فهؤلاء الذين مدحهم بالايمان ووعدهم بثواب الآخرة والضمير وان عاد الي المتقدمين فالمراد به جنس المتقدمين لا كل واحـد منهم كقوله تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) وكان جنس الناس قالوا لهم ان جنس الناس قد جمعوا ويمتنع العموم فان القائل من الناس والمقول له من الناس والمقول عنـه من الناس ويمتنع ان يكون جميع الناس قال لجميع الناس انه قد جمع لكم جميع الناس ومثل هذا قوله تعالى (وقالت اليهود عزير بن الله) اى جنس اليهود قال هذا لم يقل هذا كل يهودى .ومن هذا ان في النصارى من رقة القلوب التي توجب لهم الايمان ماليس في اليهود وهـذا حق .واما

قولهم ونفى عنا اسم الشرك فلا ريب ان الله فرق بين المشركين وأهل الكتاب فى عدة مواضع ووصف من اشرك منهم في بعض المواضع بل قد ميز بين الصابئين والمجوس وبين المشركين في بعض المواضع وكلا الامرين حق فالاول كقوله تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) وقوله تعالى (ان الذين آمنو والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا) وقال تعالى (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا) واما وصفهم بالشرك ففى قوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) فنزه نفسه عن شركهم وذلك ان أصل دينهم ليس فيه شرك فان الله انما بعث رسله بالتوحيد والنهى عن الشرك كما قال تعالى (واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون) فالمسيح صلوات الله عليه وسلامه ومن قبله من الرسل انما دعوا الى عبادة الله وحده لاشريك له وفى التوراة من ذلك مايعظم وصفه لم يأمر أحد من الانبياء بان يُعبد ملك ولا نبي ولا كوكب ولا وثن ولا ان تُسئل الشفاعة الى الله من ميت ولا غائب لانبي ولا ملك فلم يأمر احد من الرسل بان يدعو الملائكة ويقول اشفعوا لنا الى الله ولا يدعو الانبياء والصالحين الموتى والغائبين ويقول اشفعوا لنا الى الله ولا تُصور تماثيلهم لامجسدة ذات

ظل ولا مصورة في الحيطان ولا يجعل دعاء تماثيلهم وتعظيمها قربة وطاعة سوآء قصدوا دعاء اصحاب التماثيل وتعظيمهم والاستشفاع بهم وطلبوا منهم ان يسألوا الله تعالى وجعلوا تلك التماثيل تذكرة باصحابها . او قصدوا دعاء التماثيل ولم يستشعروا ان المقصود دعآء اصحابها كما فعله جهال المشركين وان كان في هذا جميعه انما يعبدون الشيطان . وان كانوا لا يقصدون عبادته فانه قد يتصور لهم في صورة ما يظنون انها صورة الذى يعظمونه ويقول انا الخضر انا المسيح انا جرجس انا الشيخ فلان كما قد وقع هذا لغير واحد من المنتسبين الى المسلمين والنصارى . وقد يدخل الشيطان في بعض التماثيل فيخاطبهم وقد يقضى بعض حاجاتهم فبهذا السبب وامثاله ظهر الشرك قديماً وحديثاً . وفعل النصارى واشباههم ما فعلوه من الشرك . واما الانبيآء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه فنهوا عن هذا كله ولم يشرع احد منهم شيئاً من ذلك . فالنصارى لا يأمرون بتعظيم الاوثان المجسدة ولكن بتعظيم التماثيل المصورة فليسوا على التوحيد المحض وليسوا كالمشركين الذين يعبدون الاوثان ويكذبون الرسل فلهذا جعلهم الله نوعا غير المشركين تارة وذمهم على ما أحدثوه من الشرك تارة . واذا اطلق لفظ الشرك فطائفة من المسلمين تدخل فيه جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم كقوله تعالى (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) فمن الناس من يجعل اللفظ عاما لجميع الكفار لاسيما النصارى ثم من هؤلآء من ينهى عن نكاح هؤلآء . كما كان عبد الله بن عمر ينهى عن نكاح هؤلآء ويقول لا اعظم شركا من ان يقول عيسى ربنا . وهذا قول طائفة من

الشيعة وغيرهم • واما جمهور السلف والخلف فيجوزون نكاح الكتابيات ويبيحون ذبائحهم لكن اذا قالوا لفظ المشركين عام قالوا هذه الآية مخصوصة أو منسوخة بآية المائدة وهو قوله تعالى (وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان) وطائفة أخرى تجعلوا لفظ المشركين اذا اطلق لا يدخل فيه أهل الكتاب. واما كون النصارى فيهم شرك كما ذكره الله فهذا متفق عليه بين المسلمين كما نطق به القرآن كان المسلمين متفقون على ان قوله (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى لان النصارى لم يدخلوا في لفظ الذين اشركوا كما لم يدخلوا في لفظ اليهود وكذلك قوله (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) ونحو ذلك وهذا لان لفظ الواحد تتنوع دلالته بالافراد والاقتران فيدخل فيه مع الافراد والتجريد مالا يدخل فيه عند الاقتران كلفظ المعروف والمنكر في قوله تعالى (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) فانه يتناول جميع ما أمر الله به فانه معروف وجميع مانهى عنه فانه منكر وفي قوله (لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس) فهنا قرن الصدقة بالمعروف والاصلاح بين الناس وكذلك المنكر في قوله (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) قرن الفحشاء بالمنكر وقوله(ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) قرن الفحشاء بالمنكر والبغي • وكذلك لفظ

البر والايمان واذا افرده دخل فيه الاعمال والتقوى كقوله(ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين)الاية وقال (ان الابرار لفي نعيم) وقوله انما المؤمنون ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري وقال (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تُليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) وقد يقرنه بغيره كقوله (وتعاونوا على البر والتقوى) وقوله(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات)وكذلك لفظ الفقير والمسكين اذا افرد احدهما دخل فيه لفظ الآخر وقد يجمع بينهما في قوله(انما الصدقات للفقراء والمساكين) فيكونان هنا صنفين وفي تلك المواضع صنف واحد فكذلك لفظ الشرك في مثل قوله (انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) يدخل فيه جميع الكفار أهل الكتاب وغيرهم عند عامة العلماء لانه أفرده وجرده وإن كانوا اذا قرن باهل الكتاب كانا صنفين وفي صحيح مسلم عن بريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أرسل أميراً على سرية أو جيش أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله وأوصاه بمن معه من المسلمين خيراً وقال لهم اغزوا بسم الله في سبيل الله في دعة قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى احدى خلال ثلاث فانهم ما أجابوك اليها فاقبل منهم وكف عنهم الى الاسلام فان أجابوك الى ذلك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين واخبرهم أنهم ان فعلوا ذلك فان لهم ما للمهاجرين وعليهم ما عليهم فان أبوا ان يتحولوا عنها فاخبرهم أنهم يكونون كاعراب

المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المسلمين وليس لهم في الغنيمة والفيء نصيب الا ان يجاهدوا مع المسلمين فان هم أبوا فاسألهم الجزية فان هم أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم . وهذا الحديث كان بعد نزول آية الجزية وهى انما نزلت عام تبوك لما قاتل النبى صلى الله عليه وسلم النصارى بالشام واليهود باليمن وهذا الحكم ثابت في أهل الكتاب باتفاق المسلمين كما دل عليه الكتاب والسنة ولكن تنازعوا فى الجزية هل تؤخذ من غير أهل الكتاب وهذا مبسوط في موضعه

(فصل) قالوا وقال فى سورة البقرة (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فساوى بهذا القول بين سائر الناس اليهود والمسلمين وغيرهم *والجواب أن يقال أولا لا حجة لكم فى هذه الآية على مطلوبكم فانه يسوى بينكم وبين اليهود والصابئين وأنتم مع المسلمين متفقون على ان اليهود كفار من حين بعث المسيح اليهم فكذبوه . وكذا الصابئون من حين بعث اليهم رسول فكذبوه فهم كفار فان كان فى الآية مدح لدينكم الذي انتم عليه بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ففيها مدح دين اليهود أيضاً وهذا باطل عندكم وعند المسلمين . وان لم يكن فيها مدح لدين اليهود بعد النسخ والتبديل فليس فيها مدح لدين النصارى بعد النسخ والتبديل . وكذلك يقال لليهودى ان احتج بها على صحة دينه وأيضاً فان النصارى يكفرون اليهود فان كان دينهم حقاً لزم كفر اليهود وان كان باطلا لزم بطلان دينهم فلا بد من بطلان أحد الدينين فيمتنع أن تكون الآية مدحتهما

وقد سوت بينهما . فعلم أنها لم تمدح واحداً منهما بعد النسخ والتبديل وانما معنى الآية أن المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم والذين هادوا الذين اتبعوا موسى عليه السلام وهم الذين كانوا على شرعه قبل النسخ والتبديل والنصارى الذين اتبعوا المسيح عليه السلام وهم الذين كانوا على شريعته قبل النسخ والتبديل والصابئين وهم الصابئون الحنفا كالذين كانوا من العرب وغيرهم على دين ابراهيم واسماعيل واسحق قبل التبديل والنسخ فان العرب من ولد اسماعيل وغيره الذين كانوا جيران البيت العتيق الذى بناه ابراهيم واسماعيل كانوا حنفاء على ملة ابراهيم الى ان غير دينه بعض ولاة خزاعة وهو عمرو بن لحي وهو اول من غير دين ابراهيم بالشرك وتحريم مالم يحرمه الله ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه أى امعائه فى النار وهو اول من بحر البحيرة وسيب السوائب وغير دين ابراهيم . وكذلك بنوا اسحاق الذين كانوا قبل مبعث موسى متمسكين بدين ابراهيم كانوا من السعداء المحمودين فهؤلاء الذين كانوا على دين موسى والمسيح وابراهيم ونحوهم هم الذين مدحهم الله تعالى فقال (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) فاهل الكتاب بعد النسخ والتبديل ليسوا ممن آمن بالله ولا باليوم الآخر وعمل صالحا كما قال تعالى (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وقد تقدم

انه كفر أهل الكتاب الذين بدلوا دين موسى والمسيح وكذبوا بالمسيح او بمحمد صلى الله عليه وسلم في غير موضع وتلك آيات صريحة ونصوص كثيرة وهذا متواتر معلوم بالاضطرار من دين محمد صلى الله عليه وسلم ولكن هوءلاء النصارى سلكوا فى القرآن ماسلكوه في التوراة والانجيل يدعون النصوص المحكمة الصريحة البينة الواضحة التى لا تحتمل الا معنى واحداً • ويتمسكون بالمتشابه المحتمل وان فيه مايدل على خلاف مرادهم كما قال تعالى فيهم وفي امثالهم (هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنّا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب)

(فصل) قالوا ثم مدح قرابيننا وتواعدنا إن اهملنا ما معنا وكفرنا بما انزل الينا ان يعذبنا عذاباً لم يعذبه أحدا من العالمين بقوله ذلك فى سورة المائدة (اذ قال الحواريون ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم موءمنين) الى قوله (فمن يكفر بعدُ منكم فاني اعذبه عذاباً لا اعذبه أحداً من العالمين) فالمائدة هي القربان المقدس الذى يتقرب منه فى كل قداس * والجواب ان يقال هذا كذب ظاهر على القرآن في هذا الموضع كما كذبت عليه في غير هذا الموضع فانه ليس في الايات ذكر قرابينكم البتة وانما فيه ذكر المائدة التي انزلها الله تعالى في عهد المسيح عليه السلام وقولهم بالمائدة هى القربان الذى يتقرب به فى كل قداس . هو اولاً قول لادليل عليه وثانياً

هو قول معلوم الفساد بالاضطرار من دين المسلمين الذين نقلوا هذا القرآن عن محمد صلي الله عليه وسلم لفظه ومعناه فانهم متفقون على ان المائدة مائدة انزلها الله على عهد المسيح عليه السلام وقصتها مشهورة في عامة الكتب تعرفها العامة والخاصة ولم يقل أحد انها قرابين النصارى وليس فى لفظ الآية مايدل على ذلك بل يدل على خلاف ذلك فان الآية تبين ان المائدة منزلة من السماء وقرابينهم هى عندهم في الارض لم تنزل من السماء وفي الآية ان عيسى قال اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعدمنكم فانى اعذبه عذاباً لا اعذبه أحداً من العالمين)وفى اول الكلام(اذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين) قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين فاين هذا من قرابينهم الموجودة اليوم؟

(فصل)قالوا ولما تقدم به القول لانه غير لائق عند ذوى الالباب ان نهمل روح القدس وكلمة الله الذى شهد لهما فى هذا الكتاب بالعظائم فقال عن كلمة الله (وان من اهل الكتاب الاليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا)والجواب ان الله تعالى لم يبعث محمداً صلى الله عليه وسلم باهمال مايجب من حق المسيح عليه السلام بل امره بالايمان بالمسيح وبما جاء به كما أمر بالايمان بموسى وبما جاء به وكما أمر المسيح بالايمان بموسى وبما جاء به ولكنه أمر باهمال ما ابتدع من الدين

الذى لم يشرعه الله على لسان المسيح عليه السلام وما نسخه الله من شرعه على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فيهمل المبدل والمنسوخ كما أمر الله المسيح ان يهمل ما ابتدعته اليهود من الدين الذى لم يشرعه ومانسخه من شرع موسى فكما أمر المسيح ان يهمل المبدل والمنسوخ من التوراة التي جاء بها موسى عليه السلام ولم يكن في ذلك اهمال لما يجب من حق التوراة وموسى عليه السلام فكذلك اذا اهمل المبدل والمنسوخ من دين أهل الانجيل لم يكن في ذلك اهمال لما يجب من حق الانجيل والمسيح. بل ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم يتضمن الايمان بجميع الكتب والرسل وان لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون كما قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون) والنصارى كاليهود آمنوا ببعض وكفروا ببعض فايما هو اللائق عند اولى الالباب؟ ان نؤمن بجميع كتب الله ورسله. او نؤمن ببعض ونكفر ببعض؟ وايما هو اللائق عند اولى الالباب ان نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ونعبده بما شرعه على لسان رسوله. او نبتدع من الشرك والعبادات المبتدعة مالم ينزل به الله كتابا ولا بعث به رسولا ونضاهى المشركين عباد الاوثان قال تعالى (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل يعنى المشركين قاتلهم الله انى يؤفكون) وقال تعالى (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولايتخذ

بعضنا بعضاً اربابا من دون اللهفان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون)
فالمسلمون لم يهملوا روح القدس وكلمة الله وقد قال تعالى عن كلمة الله
(وان من أهل الكتاب الاليؤمنن بهقبل موته) بل هم الذين اتبعوا
دينه ودين الرسل قبله فان دين الانبياء عليهم السلام جميعهم واحد لما
ثبت في الصحيحين عن النبي صلي الله عليهوسلم انه قال انا معاشر الانبياء
ديننا واحد وقدقال تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى
أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا
تتفرقوا فيه) فدين المرسلين كلهم دين واحدويتنوع شرعهم ومناهجهم
كتنوع شريعة الرسول الواحد. فان دين المسيح هو دين موسى وهو
دين الخليل قبلهما ودين محمد بعدهما مع ان المسيح كان على شريعةالتوراة
ثم نسخ الله على لسانه ما نسخ منها وهو قبل النسخ وبعده دينه دين
موسى ولم يهمل دين موسى. كذلك المسلمون هم على دين المسيح وموسى
وابراهيم وسائر الرسل وهم الذين اتبعوا المسيح ولهذا جعلهم الله فوق
النصارى الى يوم القيامة . والنصارى الذين بدلوا دين المسيح وكذبوا
محمداً صلى الله عليه وسلم بريئون من دين المسيح. والمسيح بريء منهم
كبراءة موسى ممن بدل وغير دينه وكذب المسيح. والمسلمون اشد تعظيما
للمسيح عليه السلام واتباعاً له بالحق ممن بدل دينه وخالفه من النصارى
فان المسلمين يصدقونه في كل ما أخبر به عن نفسه ولا يحرفون ما قاله
عن مواضعه ولا يفسرون كلامه بغير مراده وكلامَ غيره من الانبياء
كما فعلت النصارى فانهم نقلوا عن المسيح انه قال عمدوا الناس باسم الاب
والابن وروح القدس وهذا اذا قاله المسيح فانه يفسر بلغته وعادته في

خطابه وعادة سائر الانبياء، وليس في كلام المسيح ولا في كلام سائر الانبياء، ولا كلام غيرهم ان كلمة الله القائمة بذاته سبحانه وتعالى تسمى ابنا ولا روح قدس ولا تسمى صفته القديمة ابنا ولا روح قدس ولا يوجد قط في كلام الانبياء، اسم الابن واقعاً الا على مخلوق والمراد فى تلك اللغة انه مصطفى محبوب لله كما ينقلونه انه قال لاسرائيل انه ابنه بكره ولداود أنت ابنى وحبيبي وان المسيح قال للحواريين ابي وابيكم فجعله أبا للجميع وهم كلهم مخلوقون فيكون اسم الابن واقعا على المسيح الذى هو ناسوت مخلوق فمعد هؤلاء الضلال فجعلوا اسم الابن واقعا على اللاهوت قديم ازلى مولود غير مخلوق وزعموا ان الابن يراد به الابن بالوضع وهو المخلوق وهو الابن بالطبع وهو القديم الازلى المولود غير المخلوق وهذا التفريق هم احدثوه وابتدعوه ولا يوجد قط في كلام المسيح ولا غيره انه سمي القديم الازلى ابنا ولا جعل له ابنا قديماً مولودا غير مخلوق ولا سمى شيئاً من صفات الله قط ابنا وكذلك لفظ روح القدس موجود في غير موضع من كلام الانبياء، عليهم السلام لا يراد بهذا قط حياة الله ولا صفة قائمة وانما يراد به ما ايد الله به الانبياء، والاولياء ويجعله في قلوبهم من هداه ونوره ووحيه وتأييده ومن ينزل بذلك من الملائكة وهذا الذى تسميه الانبياء، روح القدس لم يختص به المسيح باتفاق المسلمين واهل الكتاب بل قد أنزله على غيره من الانبياء، والصالحين كما هو موجود فى كتبهم ان روح القدس كانت فى داود وغيره وكانت ايضاً عندهم في الحواريين. وهكذا خاتم الرسل كان يقول لحسان بن ثابت ان روح القدس معك مادمت تنافح عن

نبيه ويقول اللهم أيده بروح القدس وقد قال تعالى عن المؤمنين (لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) فروح القدس لا اختصاص للمسيح عليه السلام بها بل ما يفسر به اسم الابن واسم روح القدس وغير ذلك مما وصف به المسيح فهو مشترك بينه وبين غيره من الرسل واذا فسروا الحلول بظهور نور الله وعلمه وهداه في الانبياء فهذا حق وهو مشترك بين المسيح وغيره فاما نفس ذات الله فلم تحل فى أحد من البشر • والمسلمون مع شهادتهم للمسيح بانه عبد الله ورسوله يقولون انه مؤيد منصور عصمه الله من اعدائه وطهره منهم ولم يسلطهم عليه • والنصارى يدعون انه اسم المسيح اسم اللاهوت والناسوت وانه اله تام وانسان تام وهذا يمتنع شرعا وعقلا ثم يصفونه بالصفات المتناقضة يصفونه بان طائفة من شرار اليهود وضعوا الشوك على رأسه وبصقوا في وجهه واهانوه وصلبوه وفعلوا به مالا يفعل باخس الناس ويقولون مع هذا انه رب السموات والارض وما بينهما

(فصل) قالوا ثم نشهد لقراءتنا وذبائحنا انها مقدسة مقبولة لدي الله من كتب اليهود التي فى ايديهم يومنا هذا المنزلة من الله على افواه الانبياء المرسلين قال اشعيا قال الله انى اعرف بنى اسرائيل وقلوبهم القاسية الخبيثة فاذا انا ظهرت الى الامم فنظروا الى كرامتي . اقيم منهم انبياء وابعث منهم مخلصين يخلصون الامم من البلدان القاصية الذين لم يسمعوا بسماعى ولم يعرفوه من قبل كرامتي ويكون اسمي فيهم ويجابون

اخوتهم من الامم كلها ويجيبون قرابين الله على الدواب والمراكب الى
جبل قدسى بيت المقدس فيقربون لى القرابين بالسميد كما كان بنوا
اسرائيل من قبل وكذلك باقى الامم ويقرب القرابين بين يدى فهم
وزرعهم الى الابد ويحجون فى كل سنة وفى كل شهرومن سنة الى سنة
الى بيت المقدس بيت الله ويقربون لله ربهم فيه قرابين زكية نقية
وينظرون الى الامة الخبيثة المارده بنى اسرائيل لا يبلى حرمها ولا
ينقطع بلاؤها الى الابد. وقال دانيال عليه السلام وسياتي على بيعتك
وقرية قدسك سبعون سابوعا وتنقضى الذنوب وتفنى الخطايا وغفران
الاثم ويوءتي بالحق الذى لم ينزل من قبل وتتم نبوات الأنبياء وكتب
الرسل وتبيد قرية القدس وتخرب مع مجيء المسيح ويفنى الميثاق العتيق
من الناس ومن بعد أسبوع ونصف تبطل ذبايح اليهود وقرابينهم
وتصير على كنف النجاسة والفساد الى انقضاء الدهر. وقال ميخاالنبي عليه
السلام قال الله فى آخر الزمان اذا اتي المسيح يدعوا الامم المبددة
ويضمهم شعباً واحدا ويبطل قتال بنى اسرائل وسلاحهم وقرا بينهم
الى الابد. وقال عاموص النبى لايذبحوا العجول بعد فان الرب سياتى
صهيون ويحدث وصية جديدة طاهرة من الخبز النقى والخمر الزكي
ويصير بنوا اسرائيل مطرودين * والجواب من وجوه احدها ان
ما يحتجون به من النقل عن الانبياء صلوات الله عليهم يحتاجون فيه
الى اربع مقدمات. الى ان تعلم نبوة المنقول عنه والى ان يعلم لفظه
الذي تكلم به والى ان تعلم ماذكروه ترجمة صحيحة عنه فان اولئك
الانبياء لم يتكلمو بالعربية بل ولا بالرومية والسريانية واليونانية وانما

تكلموا بالعبرية كالمسيح عليه السلام. والرابع ان يعلم ان ما ذكروه من كلام الانبياء دليل على ما ادعوه من قبول قرابينهم فى هذا الزمان ونحن فى هذا المقام نقتصر على منازعتهم فى هذه المقدمة فليس فيما ذكروه دليل على مدح قرابينهم وذبائحهم بعد التبديل والنسخ ولكن غايتها ان يدل على مدحها قبل النسخ والتبديل. وهذا مما لا ينازع فيه المسلمون. الوجه الثانى ان هذه النعوت المذكورة عن اشعيا وغيره من الانبيآء لا توافق ما عليه النصارى فان النصارى لا يقربون القرابين بالسميد كما كان بنوا اسرائيل من قبل ولا يحجون في كل شهر ومن سنة الى سنة الى بيت المقدس . ت الله ويقربون لله ربهم فيه قرابين نقية زكية . وانما يحجون الى قمامة الخارجة عن بيت الله الذى كانت الانبياء تقصده وتصلي فيه فان الانبيآء انما كانوا يصلون فى بيت المقدس ويزورون بيت المقدس نفسه . واما قمامة فليس لها ذكر فى كتب الانبياء عليهم السلام بل انما ظهرت قمامة فى زمن قسطنطين الملك لما اظهرتها أمه هيلانة الحرانية لما جاءت بيت المقدس واختارت من اليهود ثلاثة وسألتهم أن يدلوها على موضع الصلب فامتنعوا فعاقبتهم بالحبس والجوع فدلوها على موضعه في مزبلة فاستخرجوه وجعلته في غلاف من ذهب وحملته وبنت كنيسة القمامة فى موضعه كما ذكر ذلك ابن البطريق فى تاريخه وغيره كما سياتى وذلك بعد المسيح باكثر من ثلاث مائة سنة ومن ذلك الوقت اظهروا الصليب وجعلوا عيد الصليب فلم يشرع ذلك لا المسيح ولا الحواريون وهذا مذكور في كتبهم متفق عليه بين علمائهم كما قد ذكر في موضع آخر ولا هم يأتون بقرابين لله على الدواب

والمراكب الى جبل قدس الله المقدس • الوجه الثالث أنّ ما ذكروه عن
دانيال لا يتضمن مدح دينهم بعد النسخ والتبديل وانما يتضمن ان الله
يبعث المسيح عليه السلام بالحق الذى لم يزل من قبل وهو الدين الذى
بُعثت به الرسل قبله وهو عبادة الله وحده وأن بيت المقدس يخرب
مع مجيء المسيح وبقى الميثاق العتيق يعنى ما نسخ من شرع التوراة
وأنه يبطل ذبائح اليهود وقرابينهم وهذا كله انما يدل على نسخ شرع
التوراة وبطلان دولة اليهود ويدل على أن المسيح جاء بالحق ومن اتبع
المسيح كان على الحق وهذا مما لا ينازع فيه المسلمون فانهم متفقون على
ان من كان متمسكا بما أمر به المسيح فانه من عباد الله الصالحين ولكن
من جاء بشرع لم يات به المسيح أو اراد اتباع شرعه بعد النسخ فهو
بمنزلة اليهود الذى نسخ الله ما نسخه من شرعهم وازال دولتهم وكذلك
فعل بالنصارى لما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم أزال دولتهم عن
وسط الارض وخيارها حيث بعثت الانبياء كارض الشام ومصر والجزيرة
والعراق وأرمينية واذربيجان واجلاهم الى طرفي الارض من جهة
الشمال والجنوب وصار الذين فى وسط الارض منهم أحسنُ أحوالهم
إذا لم يسلموا أن يؤدوا الجزية عن يدوهم صاغرون • وكذلك ماذكروه
عن ميخا وعاموص انما يدل على مجيء المسيح عليه السلام وبطلان
ما نسخه الله وأبطله من شرع اليهود وملكهم لا يدل على صحة دين
النصارى الذى لم يشرعه المسيح عليه السلام ولا على صحته بعد أن
نسخ بشرع محمد صلى الله عليه وسلم نسخا هو أبلغ من نسخ بعض
شرع موسى بشرع المسيح • هذا اذا سمي الشرع الموقت بغاية مجهولة

نسخا فان الاول لم يبشر بالثاني وأما اذا كان الاول بشر بالثاني وكانت شريعة الاول موقتة الى مجيء الثاني لم يسم ذلك نسخا فالمسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم لم ينسخا شيئاً بل كان شرع موسى الى مجيء المسيح وشرع المسيح الى مجيء محمد صلى الله عليهما وسلم . وأما ما حكى عن اشعيا عن الله أنه قال فاذا ظهرتُ الى الامم فهذا قد يحتج به النصارى وبامثاله من كلام الانبياء عليهم السلام على الحلول الذى ابتدعوه وهو باطل فان هذا اللفظ مذكور في كتب أهل الكتاب في غير موضع ولا يراد بشيء منها حلول ذات الله في أحد من البشر كما ذكر فى التوراة ان الله عز وجل استعلن لابراهيم وغيره وان الله يأتي من طور سينا ويشرف من ساعير ويستعلن من جبال فاران ومعلوم عند جميع أهل الملل ان الله سبحانه وتعالى لم يحل في موسى ولا غيره لما كلمه ولا يحل في شيء من جبال فاران مع اخباره انه استعلن منها وقال تعالى (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) فاظهره بالعلم والحجة والبيان واظهره باليد والسنان كما قال تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضيء ولولم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء) قال ابي بن كعب وغيره مثل نوره في قلب المؤمن وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به) وقال تعالى (وكذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب

ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشآء من عبادنا)وفي الترمذى عن أبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ ان في ذلك لآيات للمتوسمين قال الترمذى حديث حسن وقد جآء عن بعض السلف ان قلوب المؤمنين تضيء لاهل السموات كما تضيء الكواكب لاهل الارض فالمخلوق الذى تظهر محبته وذكره وطاعته في بعض البلاد يقال فلان قد ظهر في هذه الارض فاذا ظهر ذكر الله وذكر اسمائه وصفاته وتوحيده وآياته وعبادته حتى امتلأت القلوب بذلك بعد ان كانت ممتلئة بظلمة الكفر والشرك ٠ كان ذلك مما أخبر به من ظهوره وهذا أعظم ما يكون في بيوته التي يعبد فيها ويذكر فيها اسمه ولهذا ذكر تعالى آية النور وقال (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم) قال عقب ذلك فى بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) وكذلك ما في الكتب من ظهوره ببيت المقدس فهو كظهوره بطورسينا وبجبل فاران ومع هذا فلم يره موسى ولا غيره لامجرداً ولا حالا فى غيره وقد أخبر المسيح انه لم يره أحد كما اخبر

غيره وذلك نفي علم يوجب انه لا يرى لا مجردا ولا حالا في دار الدنيا كما قد بسط هذا فى موضع آخر . ومعلوم ان ملابسة الشيء ابلغ من رؤيته فاذا كان الرب تعالى لا يراه ناسوت فان لا يلابسه ناسوت بطريق الاولى والاحرى . والنصارى يزعمون انه اتحد هو والناسوت وهذا اعظم من الرؤية

(فصل) قالوا فما يكون اعظم من هذا برهاناً واقوى شهادة إذ هذه كتب أعدائنا المخالفين لدينا وهم يقرون بذلك ويقرأونه في كنايسهم ولم ينكروا منه كلمة واحدة ولا حرفا واحداً والجواب ان الامر اذا كان على ما قالوه من ثبوت هذه الكلمات عن بعض الانبياء فليس فيها مدح لدينهم بعد التبديل فكيف بعد النسخ والتبديل؟ وانما فيها اخبار بزوال ملك بنى اسرائيل ونسخ ما نسخ من شرعهم بمجيء المسيح عليه السلام وهذا دليل على نبوة المسيح وصدقه وهذا مما اتفق عليه المسلمون . والمسيح عليه السلام عندهم كما اخبر الله عنه بقوله تعالى لمريم (ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين) واما قولهم ان هذا وغيره موجود في كتب أعدائنا اليهود * فيقال لهم لا ريب ان اليهود يخالفونكم في تفسير الكتب فانتم تفسرونها بشيء وهم يفسرونها بشيء آخر وقد يكون كلا التفسيرين باطلا وحينئذ فيقال لكم كما ان كتب الانبياء شاهدة للمسيح ولدينه وإن خالفتكم اليهود في تفسيرها فكذلك هي شاهدة لمحمد صلى الله عليه وسلم وامته وان خالف اهل الكتاب في تفسيرها كما قد بين الله في كتب الانبياء صفة محمد وامته

فى غير موضع • والواجب في الكتب اذا تازعت الامم في تفسيرها ان يبين الحق الذى يقوم عليه الدليل الشرعي والعقلى وحينئذ تبين انكم فسرتم كتب الله باشياء تخالف مراد الله فى أمر التثليث والاتحاد وغيره كما فعلت اليهود بتفسير الكتب كما قد بسط فى غير هذا الموضع

(فصل) قالوا وايضاً فى قول هذا الانسان مما أتي في كتابه حيث اتبع القول انه لم يرسل الينا مع تشككه فيما أتي به فى هذا الكتاب فى سورة سبا حيث يقول (وانا أواياكم لعلى هدى او في ضلال مبين) وايضاً فى سورة الاحقاف يقول (وما ادرى مايفعل بى ولا بكم) والجواب ان نقاهم انه قال انه لم يرسل اليهم كذب ظاهر عليه • فان كتابه مملوء بدعوتهم وامره لهم بالايمان به واتباعه بل وبعموم رسالته الى جميع الناس بل والى الجن والانس وليس فيه قط انه لم يرسل الى اهل الكتاب بل فيه التصريح بدعوة اهل الكتاب في غير موضع كقوله تعالى (قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية الى قيصر ملك النصارى الذى اسمه هرقل بالشام وقد تقدم ذكر ذلك وتقدم ايضاً ان قوله تعالى لتنذر قوماً ما أنذر اباؤهم يقتضي انه ينذر الاميين وليس فيه انه لاينذر غيرهم كما ان قوله وانذر عشيرتك الاقربين يقتضى انذار قومه ولا ينافي ان ينذر غيرهم من العرب كما ان قوله في قريش فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف لايمنع أن يكون غير قريش مأمورين بعبادة رب هذا البيت • بل قد امر الله جميع الثقلين

الجن والانس ان يعبدوا رب هذا البيت. فان قيل فقد سكت عن ماسوى الاميين فى هذا فيشعر بالنفى بدليل الخطاب الذى يسمى مفهوم المخالفة. قيل ذاك انما يدل اذا لم يكن فى التخصيص فائدة سوى الاختصاص بالحكم ولم يكن هنا صريح بان حكم المسكوت كحكم المنطوق وهنا لما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم وامره ان ينذر عشيرته الاقربين اولا ثم ينذر العرب الاميين ثم اهل الكتاب والمجوس وغيرهم وقد تقدم بسط هذا

(فصل) واما قولهم مع تشككه فيما اتي به فمن الكذب البين فانه تعالى قال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا فى الارض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين قل لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم) فانه لما دعاهم الى التوحيد وبين ان مايدعونه من دون الله لا يملك مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا هو شريك ولا هو ظهير ولا ينفع شفيع الا باذنه نفى بذلك جميع وجوه الشرك فان مايشرك به اما ان يكون له ملك او شريك فى الملك او يكون معيناً فاذا انتفت الثلاثة لم يبق الا الشفاعة التي هي دعاء لك ومسئلة وتلك لا تنفع عنده الا لمن اذن له . ثم ذكر بعد هذا انه لا رازق يرزق من السماء والارض الا الله دل بهذا وهذا على التوحيد كما

فى قوله (ومابكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجئرون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون) فلما ذكر مادل على وجوب توحيده وبيان ان اهل التوحيد هم على الهدى وان اهل الشرك على الضلال قال (وانا أو اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين) يقول ان أحد الفريقين أهل التوحيد الذين لايعبدون الا الحق وأهل الشرك لعلى هدى او في ضلال مبين وهذا من الانصاف في الخطاب الذى كل من سمعه من ولى وعدو قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك كما قال العادل الذى ظهر عدله للظالم الذى ظهر ظلمه. الظالم اما أنا واما أنت لا للشك فى الامر الظاهر لكن لبيان ان أحدنا ظالم ظاهر الظلم وهو أنت لا أنا . فانه اذا قيل أهل التوحيد الذين يعبدون الله على هدى او فى ضلال مبين ؛ وأهل الشرك الذين يعبدون مالا يضر ولا ينفع على هدى أو في ضلال ؛ تبين ان أهل التوحيد على الهدى. وأهل الشرك على الضلال وهذا مما يعلمه جميع الملل من المسلمين واليهود والنصارى يعلمون ان أهل التوحيد على الهدى وأهل الشرك على الضلال. وفي القرآن في بيان مثل هذا مالا يحصى الا بكلفة بل قطب القرآن وسائر الكتب مدارها على عبادة الله وحده فكيف يقال ان الرسول كان يشك هل المهتدى هم أهل التوحيد أم أهل الشرك وهل يقول هذا الا من هو فى غاية الجهل والعناد . ثم الآية خطاب للمشركين ليست خطابا للنصارى خصوصاً

(فصل) وأما قوله تعالى (قل ما أدرى مايفعل بى ولا بكم) فلفظ

الآية (قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الى وما انا إلا نذير مبين) وهــذا بعد قوله تعالى (أم يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيئاً هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيداً بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم) ونظير هذا قوله (قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن اتبع الا ما يوحى إلى وما أنا إلا نذير مبين) وهذا قاله نوح عليه السلام اول الرسل وأمر محمداً صلي الله عليه وسلم آخر الرسل ان يقوله ومثل قوله (قل اني لا املك لكم ضراً ولا رشدا قل انى لن يجيرني من الله أحد ولن اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا) وهذا ونحوه يتضمن اعترافه بانه عبد الله ورسول من الله لايتعدى حد الرسالة ولا يدعى المشاركة فى الالهية كما أدعته النصارى فى المسيح ولهذا قال تعالى (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأ كلان الطعام) فتبين انه لايتعدي حد الرسالة وهو كقوله تعالى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم) ولهذا قال صلي الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته لاتطرونى كما اطرت النصارى عيسى بن مريم فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله فقال تعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري مايفعل بى ولا بكم) يقول لست أول من أرسل وادعي الرسالة بل قد تقدم قبلى رسل وما ادرى ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا مايوحي الى وما أنا الا نذير مبين يقول

لا ادعى علم الغيب ان اتبع الا ما يوحي الى وما أنا الا نذير مبين (انذركم بما امرني الله ان انذركم به لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك وهذا من كمال صدقه وعدله وعبوديته لله وطاعته وتمييز مايستحقه الخالق وحده مما يستحقه العبد فان العلم بعواقب الامور على وجه التفصيل مما أستأثر الله بعلمه فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل . وليس من شرط الرسول ان يعلم كلما يكون وقوله تعالى (وما ادرى مايفعل بي ولا بكم) نفيٌ لعلمه بجميع مايفعل به وبهم وهذا لايعلمه الا الله تبارك وهذا لاينفى ان يكون عالماً بانه سعيد من اهل الجنة فان لم يدر تفاصيل ما يجري له في الدنيا من المحن والاعمال وما يجدد له من الشرائع وما يكرم به في الآخرة من أصناف النعيم فانه قد ثبت فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى (اعددت لعبادى الصالحين) مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأيضاً هذا مأثور عن غيره من الانبياء عليهم السلام ولا من شرط النبي ان يعلم حال المخاطبين من يؤمن به ومن يكفر وتفصيل مايصيرون اليه هذا ان قيل انه لم يعلم بعد هذه الآية مانفي فيها وان قيل انه أعلم بذلك فمعلوم ان الله لم يعلمه بكل شيء جملة بل أعلمه بالامور شيئاً بعد شيء وقد قال الله بعد ذلك (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما وينصرك الله نصراً عزيزا) وقال تعالى (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا) وفي القرآن والاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم

من الاخبار بما سيكون فى الدنيا وفى الآخرة اضعاف أضعاف مايوجد عن الانبياء قبله حتى انه ينبيء على الشيء الذى يكون بعد ما يبين من السنين خبراً اكمل من خبر من عاين ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الاعين دلف الانوف حمر الخدود ينتعلون الشعر كان وجوههم المجان المطرقة فمن رأى هؤلاء الترك الذين قاتلهم المسلمون من حين خرج جنكز خان ملكهم الاكبر واولاده واولاد اولاده مثل هلاكو وغيره من الترك الكفار الذين قاتلهم المسلمون لم يحسن ان يصفهم باحسن من هذه الصفة وقد اخبر بهذا قبل ظهوره باكثر من ستمائة سنة وقوله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضيء لها اعناق الابل ببصرى . وهذه النار ظهرت سنة خمس وخمسين وستمائة بارض الحجاز فكانت تحرق الحجر ولا تنضج اللحم ورأى أهل بصرى اعناق الجمال من ضوء تلك النار وكانت منذرة بما يكون بعدها ففى سنة ست وخمسين وستمائة دخل هلاكو ملك الكفار بغداد وقتل فيها مقتلة عظيمة مشهورة وسيأتي ان شاء الله بعض أخبار انه شاهد الناس وقوعها كما أخبر عند ذكرنا معجزاته

(فصل) ثم قالوا مع الامر له في فاتحة الكتاب ان يسال الهداية الى الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فاعنى بقوله المنعم عليهم والمغضوب عليهم والضالين الثلاث امم الذين كانوا في عصره وهم النصارى واليهود وعباد الاصنام ولم يكن فى زمانه غير هؤلاء الثلاث أمم . فالمنعم عليهم نحن النصارى

والمغضوب عليهم فلا يشك انهم اليهود والذين غضب الله عليهم في كتب التوراة والانبياء وهذا الكتاب. والضالين فهم عباد الاصنام الذين ضلوا عن الله فهذا أمر واضح بين ظاهر عند كل احد ولا سيما عند ذوي العقول والمعرفة. والصراط هو المذهب أي الطريق وهذه اللفظة رومية لان الطريق بالرومية اسطراطاً * والجواب اما قولهم المنعم عليهم نحن النصارى فمن العجائب التي تدل على فرط جهل صاحبها. واعجب من ذلك قولهم ان هذا شيء بين واضح عند كل احد لاسيما عند ذوى العقل والمعرفة فيا سبحان الله ألم يعرف العام والخاص علما ضرورياً لا تمكن المنازعة فيه من دين محمد صلى الله عليه وسلم ودين أمته الذى تلقوه عنه من تكفير النصارى وتجهيلهم وتضليلهم واستحلال جهادهم وسبي حريمهم وأخذ أموالهم ما يناقض كل المناقضة ان يكون محمد صلى الله عليه وسلم وأمته في كل صلاة يقولون اللهم اهدنا صراط النصارى وهل ينسب محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته الى انهم فى كل صلاة يطلبون من الله أن يهديهم صراط النصارى. الا من هو من اكذب الكذابين واعظم الخلق افتراء ووقاحة وجهلاً وضلالا. ولو كانوا يسئلون الله هداية طريق النصارى لدخلوا في دين النصارى ولم يكفروهم ويقاتلوهم ويضعوا عليهم الجزية التي يؤدونها عن يدوهم صاغرون ولم يشهدوا عليهم بأنهم من اهل النار. وأمته أخذوا ذلك جميعه عنه منقولا عنه بالنقل المتواتر باجماعهم لم يبتدعوا ذلك كما ابتدعت النصارى من العقائد والشرائع مالم يأذن به الله فلا يلام المسلمون في اتباعهم لرسول الله الذى جاء بالبينات والهدى. ومحمد صلى الله عليه وسلم

ان كان رسولاً صادقاً فقد كفر النصارى وأمر بجهادهم وتبرأ منهم ومن دينهم • وان كان كاذباً لم يقبل شيء مما نقله عن الله عز وجل وقد تقدم غير مرة قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله الا هو سبحانه عما يشركون) فمن يقول عن النصارى مثل هذه الاقوال هل يأمر أمته في كل صلاة ان يقولوا اهدنا طريقهم؟ ثم يقال أي شيء في الآية مما يدل على ان قوله صراط الذين أنعمت عليهم هم النصارى وانما المنعم عليهم هم الذين ذكرهم الله في قوله تعالى (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً) فهؤلاء الذين امر الله عباده ان يسألوا هداية صراطهم. واما النصارى الذين كانوا على دين المسيح قبل النسخ والتبديل فهم من المنعم عليهم كما ان اليهود الذين كانوا على دين موسى قبل النسخ والتبديل كانوا من المنعم عليهم واما النصارى بعد النسخ والتبديل فهم من الضالين لا من المنعم عليهم عند الله ورسوله كما قال تعالى (قل ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) وقال تعالى (اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليومَ في ضلال مبين) وعباد الاصنام من الضالين المغضوب عليهم وقد قال النبي صلى الله

عليه وسلم اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون رواه الامام احمد والترمذى عن عدى بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال الترمذى هذا حديث صحيح. وسبب ذلك ان اليهود يعرفون الحق ولا يعملون به والنصارى يعبدون بلا علم وقد وصف الله اليهود باعمال. والنصارى باعمال فوصف اليهود بالكبر والبخل والجبن والقسوة وكتمان العلم وسلوك الغي وهو سبيل الشهوات والعدوان وذكر عن النصارى الغلو والبدع في العبادات والشرك والضلال واستحلال محارم الله فقال تعالى (يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولاتقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له مافي السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً اليما ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيرا) وقال (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها) اى لكن كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله لم نكتب عليهم الرهبانية بل هم ابتدعوها ومع ابتداعهم اياها فما رعوها حق رعايتها وكل بدعة ضلالة فهم مذمومون على ابتداع الرهبانية وعلى انهم لم يرعوها حق رعايتها. فاما ما كتب عليهم من ابتغاء رضوان الله فيحصل بفعل ما شرعه الله لهم من واجب ومستحب فان ذلك

هو الذى يرضاه • ومن فعل مايرضاه الله فقد فعل ما كتب عليه ويحصل
رضوان الله أيضا بمجرد فعل الواجبات وهذا هو الذى كتب على
العباد فاذا لم يكتب عليهم الا ابتغاء رضوان الله كان ابتغاء رضوانه
واجباً فما ليس بواجب لايشترط في حصول ما كتب عليهم • ولهذا
ضعف احمد بن حنبل وغيره الحديث المروى . اول الوقت رضوان الله
وآخره عفو الله فان من صلي في آخر الوقت كما أمر فقد فعل الواجب
وبذلك يرضى الله عنه وان كان فعل المستحبات والمسابقة الى الطاعات
ابلغ في ارضاء الله عنه ويحصل له بذلك من رضوان الله ومحبته ما
لايحصل بمجرد الواجبات كما قال موسى عليه السلام وعجلت اليك رب
لترضى وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخارى وغيره عن ابى هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى من عادى الى
وليا فقد بارزنى بالمحاربة وما تقرب الى عبد بمثل اداء ما افترضت عليه
ولا يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه
الذى يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي
يمشى بها فبي يسمع وبي يبصر وبى يبطش وبى يمشي فلئن سألنى لاعطينه
ولئن استعاذ بي لاعيذنه وما ترددت عن شىء انا فاعله ترددي عن
قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه فقوله
حتى أحبه يريد المحبة المطلقة الكاملة • واما أصل المحبة فهي حاصلة
بفعل الواجبات فان الله يحب المتقين والمقسطين وقال تعالى فيهم (وقالت
النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين
كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم

أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الهاً واحداً
لا اله الا هو سبحانه عما يشركون)وقال تعالى لهم (قل يا أهل الكتاب
لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل
واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل)وهو سبحانه خاطب النصارى
بهذا لان النصارى يعتمدون في دينهم على مايقوله كبراؤهم الذين وضعوا
لهم القوانين والنواميس ويسوغون لاكابرهم الذين صاروا عندهم
عظماء في الدين ان يصنعوا لهم شريعة وينسخوا بعض ما كانوا عليه
قبل ذلك لا يردون ما يتنازعون فيه من دينهم الى الله ورسله بحيث
لا يمكنون احداً من الخروج عن كتب الله المنزلة كالتوراة والانجيل
وعن اتباع ما جاء به المسيح ومن قبله من الانبياء عليهم السلام ولهذا
قال تعالى (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة
والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) بل ماوضعه لهم اكابرهم من القوانين
الدينية والنواميس الشرعية بعضها ينقلونه عن الانبياء وبعضها عن
الحواريين وكثير من ذلك ليس منقولا لا عن الانبياء ولا عن الحواريين
بل من وضع اكابرهم وابتداعهم كما ابتدعوا لهم الامانة التي هي أصل
عقيدتهم وابتدعوا لهم الصلاة الى الشرق وابتدعوا لهم تحليل لحم
الخنزير وسائر المحرمات وابتدعوا لهم الصوم وقت الربيع وجعلوه
خمسين يوماً وابتدعوا لهم اعيادهم كعيد الصليب وغيره من الاعياد
وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم لما سمعه يقرأ هذه
الآيه اتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله فقال لم يعبدوهم
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انهم احلوا لهم الحرام فاطاعوهم

وحرموا عليهم الحلال فاطاعوهم فكانت تلك عبادتهم ولهذا قال تعالى لاتتبعوا اهوآء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) فانهم يتبعون اهوآء اكابرهم الذين مضوا من قبلهم واولئك ضلوا من قبل هؤلاء واضلوا اتباعهم وهم كثيرون وضلوا عن سواء السبيل وهو وسط السبيل وهو الصراط المستقيم فاذا كانواهم واتباعهم ضالين عن الصراط المستقيم فكيف يجوز ان يأمر الله عباده ان يهديهم الصراط المستقيم ويعنى به صراط هؤلاء الضالين المضلين الضالين عن سواء السبيل وهو الصراط المستقيم وقد قال سبحانه ولا تتبعوا أهوآء هؤلاء . لان اصل ابتداعهم هذه البدعة كان عن هوى من انفسهم مع ظن كاذب فكانوا ممن قيل فيهم ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وممن قيل فيه ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) وسبب ذلك ان المسيح صلى الله عليه وسلم لما رفع الى السماء وعاداه اليهود وعادوا اتباعه عداوة شديدة وبالغوا في اذاهم واذلالهم وطلب قتلهم ونفيهم صار في قلوبهم من بغض اليهود وطلب الانتقام منهم مالايوصف فلما صار لهم دولة وملك مثل ماصار لهم فى دولة قسطنطين صاروا يريدون مقابلة اليهود كما جرت العادة فى مثل ذلك بين الطوائف المتقابلة المتنازعين في الملك والمتنازعين في البدع كالخوارج والروافض والجبرية مع القدرية والمعطلة مع الممثلة وكالدولتين المتنازعتين على الملك والاهواء بمنزلة قيس ويمن وأمثال ذلك اذا ظهرت طائفة على الاخرى بعد ما آذتها الاخرى وانتقمت منها تريد ان تأخذ بثارها ولا تقف عند حد العدل بل تعتدى على تلك كما اعتدت تلك

عليها فصار النصارى يريدون مناقضة اليهود فاحلوا ما يحرمه اليهود كالخنزير وغيره وصاروا يمتحنون من دخل في دينهم باكل الخنزير فان اكله والا لم يجعلوه نصرانياً وتركوا الختان وقالوا ان المعمودية عوض عنه وصلوا الى قبلة غير قبلة اليهود وكان اليهود قد اسرفوا في ذم المسيح وزعموا انه ولد زنا وانه كذاب ساحر ففعلوا هؤلاء في تعظيم المسيح وقالوا انه الله وابن الله وامثال ذلك وصار من يطلب ان يقول فيه القول العدل مثل كثير من علمائهم وعبادهم يجمعون لهم مجمعاً ويلعنونه فيه على وجه التعصيب واتباع الهوى والغلو فيمن يعظمونه كما يجرى مثل ذلك لاهل الاهواء كالغلاة في بعض المشايخ وبعض اهل البيت وبعض العلماء وبعض الملوك وبعض القبائل وبعض المذاهب وبعض الطرائق فانما كان مصدر ضلالهم اهواء نفوسهم قال تعالى للنصارى الذين كانوا فى وقت النبى صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم (يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) واما قولهم ان الصراط هو المذهب اى الطريق وهذه لفظة رومية لان الطريق بالرومية اسطراطا • فيقال لهم الصراط في لغة العرب هو الطريق يقال هو الطريق الواضح ويقال هو الطريق المحدود بجانبين الذي لايخرج عنه ومنه الصراط المنصوب على جهنم وهو الجسر الذى يعبر عليه المؤمنون الى الجنة واذا عبر عليه الكفار سقطوا في جهنم ويقال فيه معنى الاستواء والاعتدال الذى يوجب سرعة العبور عليه وفيه ثلاث لغات هي ثلاث قرآت الصراط والسراط والزراط وهي لغة عربية عرباء ليست من

المعرب ولا مأخوذة من لغة الروم كما زعموا ويقال أصله من قولهم سرطت الشيء اسرطه سرطاً اذا ابتلعته واسترطته ابتلعته فان المبتلع يجرى بسرعة في مجرى محدود ومن أمثال العرب لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعفى من قولهم اعفيت الشيء اذا ازلته من فيك لمرارته ويقال فلان يسترط ما يأخذ من الدين وحكى يعقوب بن السكيت الاخذ سريط والقضاء سريط والسرطاط الفالوذج لانه يسترط استراطا وسيف سراطى اى قاطع فانه ماض سريع المذهب فى مضربه . فالصراط هو الطريق المحدود المعتدل الذى يصل سالكه الى مطلوبه بسرعة وقد ذكر الله لفظ الصراط فى كتابه في غير موضع ولم يسم الله سبل الشيطان سراطا بل سماها سبلا وخص طريقه باسم الصراط كقوله تعالى (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وفي السنن عن عبد الله بن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً وخط خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه. من اجابه قذفه فى النار ثم قرأ (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) فسمى سبحانه طريقه صراطاً وسمي تلك سبلا ولم يسمها صراطاً كما سماها سبيلا وطريقه يسميه سبيلا كما يسميه صراطاً وقال تعالى عن موسى وهرون (وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم) وقال تعالى (انا فتحنا لك فتحاً مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما وينصرك الله نصراً عزيزا) وهذه الهداية الخاصة التى أعطاه اياها

بعد فتح الحديبية أخص مما تقدم فان السالك الى الله لايزال يتقرب اليه بشيء بعد شيء ويزيده الله هدى بعد هدى. واقوم الطريق واكملها الطريق التي بعث الله بها نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى (ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)

(فصل) قال الحاكى عنهم فقلت انهم ينكرون علينا في قولنا اب وابن وروح قدس وأيضاً في قولنا انهم ثلاث اقانيم وأيضاً في قولنا ان المسيح رب واله وخالق وايضاً يطالبون منا أيضاح تجسد تجسم كلمة الله الخالق بانسان مخلوق اجابوا قائلين لو علموا قولنا هذا انما نريد به القول الذي ان الله شيء حي ناطق لما انكروا علينا ذلك لاننا معشر النصارى لما رأينا حدوث الاشياء علمنا ان شيئاً غيرها احدثها اذ لا يمكن حدوثها من ذواتها لما فيه من التضاد والتقلب فقلنا انه شيء لا كالاشياء المخلوقة اذ هو الخالق لكل شيء وذلك لتنفى عنه العدم ورأينا الاشياء المخلوقة تنقسم قسمين شيء حي وشيء غير حي فوصفناه باجلهما فقلنا هو شيء حي لتنفى الموت عنه ورأينا الحي ينقسم قسمين حي ناطق وحي غير ناطق فوصفناه بافضلهما فقلنا هو شيء حي ناطق لتنفى الجهل عنه والثلاثة اسماء وهي اله واحد مسمى واحد ورب واحد خالق واحد شيء حي ناطق أي الذات والنطق والحياة والذات عندنا الاب الذى هو ابتداء الاثنين والنطق الابن الذى هو مولود منه لولادة النطق من العقل والحياة روح القدس وهذه اسماء لم نسم نحن بها * والجواب من وجوه احدها قولهم اما قولنا اب وابن وروح قدس فلو علموا قولنا هذا انما نريد به تصحيح القول بان الله حي ناطق لما انكروا ذلك

علينا فيقال ليس الامر كما ادعوه فان النصارى يقولون ان هذا القول
تلقوه عن الانجيل وان في الانجيل عن المسيح صلوات الله عليه انه
قال عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس فكان أصل قولهم
هو مايذكرونه من انه تلقي من الشرع المنزل لا انهم أثبتوا الحياة
والنطق بعقولهم ثم عبروا عنها بهذه العبارات كما ادعوه في مناظرتهم
ولوكان الامر كذلك لما احتاجوا الى هذه العبارة ولا الى جعل الاقانيم
ثلاثة بل معلوم عندهم وعند سائر أهل الملل ان الله موجود حي عليم
قدير متكلم لاتختص صفاته بثلاثة ولا يعبر عن ثلاثة منها بعبارة لاتدل
على ذلك وهو لفظ الاب والابن وروح القدس فان هذه الالفاظ
لاتدل على مافسروها به في لغة احد من الامم ولا يوجد في كلام احد
من الانبياء انه عبر بهذه الالفاظ عما ذكروه من المعانى بل اثبات
مادعوه من التثليث والتعبير عنه بهذه الالفاظ هو مما ابتدعوه لم يدل
عليه شرع ولا عقل وهم يدعون ان التثليث والحلول والاتحاد انما
صاروا اليه من جهة الشرع وهو نصوص الانبياء والكتب المنزلة لامن
جهة العقل وزعموا ان الكتب الالهية نطقت بذلك ثم تكلفوا لما
ظنوه مدلول الكتب طريقاً عقلية فسروه بها تفسيراً ظنوه جائزاً في
العقل ولهذا نجد النصارى لايلجأون في التثليث والاتحاد الا الى الشرع
والكتب وهم يجدون نفرة عقولهم وقلوبهم عن التثليث والاتحاد
والحلول فان فطرة الله التي فطر الناس عليها وما جعله الله في قلوب
الناس من المعارف العقلية التى قد يسمونها ناموساً عقلياً طبيعياً يدفع
ذلك وينفيه وينفر عنه لكن يزعمون ان الكتب الالهية جاءت بذلك

وان ذلك أمر فوق العقل وان هذا الكلام من طور وراء طور العقل فينقلونه لظنهم ان الكتب الآلهية أخبرت به لا لان العقول دلت عليه مع انه ليس في الكتب الالهية مايدل على ذلك بل فيها مايدل على نقيضه كما سنذكره ان شاء الله تعالى ولا يميزون مايحيله العقل ويبطله ويعلم انه ممتنع وبين مايعجز عنه العقل فلا يعرفه ولا يعلم فيه بنفي ولا اثبات وان الرسل أخبرت بالنوع الثاني ولا يجوز ان تخبر بالنوع الاول فلم يفرقوا بين محالات العقول ومحارات العقول وقد ضاهوا في ذلك من قبلهم من المشركين الذين جعلوا لله ولداً وشريكاً قال تعالى (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون) وقد ضاهاهم في ذلك أهل البدع والضلال المشبهون لهم من المنتسبين الى الاسلام الذين يقولون بنحو قولهم من الغلو فى الانبياء وأهل الكتب والمشائخ وغيرهم ومن يدعى الوحدة والحلول او الاتحاد الخاص المعين كدعوى النصارى ودعوى الغالية من الشيعة في علي وطائفة في أهل البيت كالنصيرية ونحوهم ممن يدعي الهية علي وكدعوى بعض الاسماعيلية الالهية في الحاكم وغيره من بني عبد الله بن ميمون القداح المنتسبين الى محمد بن اسمعيل بن جعفر ودعوى كثير من الناس بنحو ذلك فى بعض الشيوخ اما المعروفين بالصلاح واما من يظن به الصلاح وليس من أهله فان لهم اقوالاً من جنس اقوال النصارى وبعضها شر من أقوال النصارى. وعامة هؤلاء اذا خوطبوا ببيان فساد قولهم قالوا من جنس قول النصارى هذا أمر فوق العقل ويقول بعضهم ما كان يقوله

التلمساني لشيخ اهل الوحدة يقول ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل ويقولون لمن اراد ان يسلك سبيلهم دع العقل والنقل او أخرج عن العقل والنقل وينشدون فيهم

مجانين الا ان سر جنونهم　　عزيز على اقدامه يسجد العقل
هم معشر حلوا النظام وحرقوا　　السياج فلا فرض لديهم ولا نفل

وهؤلاء مقلدون لمشايخهم متبعون لهم فيما يخرجون به عن شريعة الرسول وما ابتدعوه مما لم يأذن به الله باتخاذ البدع عبادات واستحلال المحرمات كتقليد بعض النصارى لشيوخهم فاذا اعترضوا على أحد منهم يقولون الشيخ يسلم له ولا يعترض عليه كما يقوله النصاري لشيوخهم ومن هؤلاء من يقول نحن اولاد الله ويقول الشيخ هو ولد الله وينطق بلفظ الشهوة فيقول انهم اولاد شهوة ويقول انه زوج مريم كما يقول ذلك من يقوله من النصارى وغاية ماعندهم انهم يحكون عن شيوخهم نوعا من خرق العادات قد يكون كذباً وقد يكون صدقا واذا كانت صدقا فقد يكون من احوال اولياء الشيطان كالسحرة والكهان وقد تكون من أحوال اولياء الرحمن لم يكن في ذلك ما يوجب تقليد الولي في كل ما يقوله اذ الولي لايجب ان يكون معصوما ولا يجب اتباعه في كل مايقوله ولا الايمان بكل مايقوله وانما هذا من خصائص الانبياء الذي يجب الايمان بكل مايقولونه فيجب تصديقهم في كل مايخبرون به من الغيب وطاعتهم فيما اوجبوه على الامم ومن كفر بشيء مما جاؤا به فهو كافر ومن سب نبياً واحداً منهم وجب قتله وليس هذا لغير الانبياء من الصالحين فهؤلاء المبتدعة الغلاة المشركون القائلون بنوع من الحلول هم مضاهئون للنصارى

عما شابهوهم فيه وخالفوا فيه دين المسلمين ومنهم من تكون موافقته لدين المسلمين اكثر واما الغلاة منهم فموافقتهم للنصارى اكثر ومنهم من هو اكفر من النصارى ولما كان مستند النصارى هو ماينقلونه اما عن الانبياء واما عن غيرهم ممن يوجبون اتباعه كانوا اذا اوردوا على علمائهم ما يقتضى امتناع ذلك قالوا هكذا فى الكتاب وبهذا نطق الكتاب وهذه الكتب جاءت بها الرسل يعنون المؤيدين بالمعجزات ويعنون بالرسل الحواريين فاعتصامهم بهم انما هو لما ظنوه مذكوراً في الكتب الالهية وان رأوه مخالفاً لصريح المعقول ولهذا ينهون جمهورهم عن البحث والمناظرة فى ذلك لعلمهم بان العقل الصريح متى تصور دينهم علم انه باطل فدعوى المدعين انا انما قلنا أب وابن وروح قدس لتصحيح القول بان الله حي ناطق كذب ظاهر وهم يعلمون انه كذب وتصحيح القول بان الله حى متكلم لايقف على هذه العبارة بل يمكنه تصحيح ذلك الشرعية والسمعية والعقلية والتعبير عنه بالعبارات المبينة كما يقوله المسلمون وغيرهم بدون قولنا اب وابن وروح قدس ومما يبين ذلك الوجه الثاني وهو ان النصاري المقرون بان هذه العبارة في الانجيل المأخوذ عن المسيح مختلفون فى تفسير هذا الكلام فكثير منهم يقول الاب هو الوجود والابن هو الكلمة وروح القدس هو الحياة ومنهم من يقول بل الاب هو الوجود والابن هو الكلمة وروح القدس هو القدرة وبعضهم يقول ان الاقانيم الثلاثة جواد حكيم قادر فيجعل الاب هو الجواد والابن هو الحكيم وروح القدس هو القادر ويزعمون ان جميع الصفات تدخل تحت هذه الثلاثة ويقولون انا استدللنا على وجوده باخراجه الاشياء

من العدم الى الوجود وذلك من جوده وقد رأيت في كتب النصارى هذا وهذا . ومنهم من يعبر عن الكلمة بالعلم فيقولون موجود حي عالم او موجود عالم قادر كما يقول بعضهم ناطق ومنهم من يقول موجود حي حكيم ومنهم من يقول قائم بنفسه حي حكيم وهم متفقون على ان المتحد بالمسيح والحال فيه هو اقنوم الكلمة وهو الذي يسمونه الابن دون الاب ومن انكر الحلول والاتحاد منهم كالاريوسية يقول ان المسيح عليه السلام عبد مرسل كسائر الرسل صلوات الله عليهم وسلامه فوافقهم على لفظ الاب والابن وروح القدس ولا يفسر ذلك بما يقوله منازعوه من الحلول والاتحاد كان النسطورية يوافقونهم أيضاً على هذا اللفظ وينازعونهم في الاتحاد الذي يقوله اليعقوبية والملكية فاذا كانوا متفقين على اللفظ متنازعين في معناه علم انهم صدقوا اولا باللفظ لاجل اعتقادهم مجيء الشرع به ثم تنازعوا بعد ذلك في تفسير الكتاب كما يختلفون هم وسائر أهل الملل في تفسير بعض الكلام الذي يعتقدون انه منقول عن الانبياء عليهم السلام وعلم بذلك ان أصل قولهم الاب والابن وروح القدس لم يكن لاجل تصحيح القول بان الله موجود حي ناطق الذي علموه اولا بالعقل يوضح هذا الوجه الثالث وهو قولهم انا لما رأينا حدوث الاشياء علمنا ان شيئاً غيرها احدثها ان كان المتكلم بها طائفة معينة من النصارى فيقال لهؤلاء. القول بالاب والابن وروح القدس موجود عند النصارى قبل وجودكم وقبل نظركم هذا واستدلالكم فلا يجوز أن يكون نظركم هو الموجب لقول النصارى هذا وان كان المراد به ان جميع النصارى من حين قالوا هذا الكلام نظروا واستدلوا حتى قالوا ذلك فهذا كذب

بين فان هذا الكلام يقول النصارى انهم تلقوه عن الانجيل وان المسيح عليه السلام قال عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس. والمسيح والحواريون لم يأمروهم بهذا النظر الموجب لهذا القول ولا جعل المسيح هذا القول موقوفاً عندهم على هذا البحث فعلم ان جعلهم هذا القول ناشئاً عن هذا البحث قول باطل يعلمون هم ببطلانه الوجه الرابع ان هذا القول ان كان المسيح لم يقله فلا يجوز ان يقال ولو عنى به الانسان معنى صحيحاً فان هذه العبارة انما يفهم منها عند الاطلاق المعانى الباطلة ولهذا يوجد كثير من عوام النصارى يعتقدون ان المسيح ابن الله البنوة المعروفة فى المخلوقات ويقولون ان مريم زوجة الله وهذا لازم لعامة النصارى وان لم يقولوه فان الذي يلد لابد له من زوجة ولهذا قال تعالى انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) وجعل الرب والد المولود انكر في العقول من اثبات صاحبة له سواء فسرت الولادة بالولادة المعروفة او بالولادة العقلية التي يقولها علماء النصارى فان من أثبت صاحبة له يمكنه تأويل ذلك كما تأولوا هم الولد ويقولون ان الاب ولدت منه الكلمة ومريم ولد منها الناسوت واتحد الناسوت باللاهوت فكما انّ الاب أب باللاهوت لا بالناسوت ومريم أم للناسوت لا للاهوت فكذلك هى صاحبة للاب بالناسوت واللاهوتُ زوج مريم بلاهوته كما انه اب للمسيح بلاهوته واذا اتحد اللاهوت بناسوت المسيح مدة طويلة فلماذا يمتنع ان يجتمع اللاهوت بناسوت مريم مدة قصيرة واذا جعل الناسوت الذي ولدته ابناً للاهوت فلاي شيء لا تجعل هى صاحبة وزوجة

للاهوت فان المسيح عندهم اسم لمجموع اللاهوت والناسوت وهو عندهم
إله تام وانسان تام. فلاهوته من الله وناسوته من مريم فهو من أصلين
لاهوت وناسوت فاذا كان أحد الاصلين اباه والآخر أمه فلماذا
لاتكون أمه زوجة أبيه بهذا الاعتبار مع ان المصاحبة قبل النبوة
فكيف يثبت الفرع الملزوم بدون ثبوت الاصل اللازم وليس في ذلك
من المحال على أصلهم الا ماهو من جنس أثبات نبوة المسيح وأقل
امتناعاً وان كان المسيح عليه السلام قال هذا الكلام فقد علمنا ان
المسيح عليه السلام وغيره من الانبياء معصومون لا يقولون الا الحق
واذا قالوا قولاً فلا بد له من معنى صحيح ويمتنع أن يريدوا بقولهم
مايمتنع بطلانه بسمع او عقل فاذا كانت العقول ونصوص الكتب المتقدمة
مع نصوص القرآن تناقض ماابتدعته النصارى في المسيح علم ان المسيح
لم يرد معنى باطلاً يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول بل نقول في
الوجه الخامس ان صحت هذه العبارة عن المسيح المعصوم عليه الصلاة
والسلام فانه اراد بذلك مايناسب سائر كلامه وفي الموجود في كتبهم
تسمية الرب اباً وتسمية عباده ابناً كما يذكرون انه قال في التوراة
ليعقوب اسرائيل أنت ابني بكري وقال لداود في الزبور أنت ابني
وحبيبي وفي الانجيل في غير موضع يقول المسيح أبي وأبيكم كقوله اني
أذهب الى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم فيسميه أباً لهم كما يسميهم ابناً له
فان كان هذا صحيحاً فالمراد بذلك انه الرب المربي الرحيم فان الله أرحم
بعباده من الوالدة بولدها والابن هو المربّى المرحوم فان تربية الله لعبده
أكمل من تربية الوالدة لولدها فيكون المراد بالاب الرب والمراد بالابن

عبده المسيح الذي رباه . واما روح القدس فهي لفظة موجودة في غير موضع من الكتب التي عندهم وليس المراد بها حياة الله باتفاقهم بل روح القدس عندهم تحل فى ابراهيم وموسى وداود وغيرهم من الانبياء والصالحين والقرآن قد شهد ان الله ايد المسيح بروح القـدس كما قال تعالى وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس في موضعين من البقرة وقال تعـالى ياعيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس وقد قال النبي صـلى الله عليه وسـلم لحسان بن ثابت ان روح القدس معك مادمت تنافح عن نبيه وقال اللهم أيده بروح القدس كما تقدم ذكر هذا كله مبسوطاً . وروح القدس قد يراد بها الملك المقدس كجبريل ويراد بها الوحي والهدى والتأييد الذي ينزله الله بواسطة الملك او بغير واسطته وقد يكونان متلازمين فان الملك ينزل بالوحي والوحي ينزل به الملك والله يؤيد رسله بالملائكة وبالهدى كما قال تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها فى موضعين من سورة براءة وقال تعـالى فارسلنا عليهـم ريحاً وجنوداً لم تروها وقال تعالى (اذيوحي ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا) الآية وقال تعـالى لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوآدون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهـم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه وقال تعالى ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده وقال تعالى يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق وقال وكذلك اوحينا اليك روحاً من

أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي
به من نشاء من عبادنا واذا كان روح القدس معروفاً في كلام الانبياء
المتقدمين والمتأخرين انها أمر ينزله الله على انبيائه وصالحي عباده
سوآء كان ملائكة تنزل بالوحي والنصر او وحياً وتأييداً مع الملك
وبدون الملك ليس المراد بروح القدس انها حياة الله القائمة به كان
قال عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس مراده مروا الناس
ان يؤمنوا بالله ونبيه الذي ارسله وبالملك الذي انزل عليه الوحي
الذي جآء به فيكون ذلك امراً لهم بالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله
وهذا هو الحق الذي يدل عليه صريح المعقول وصحيح المنقول فتفسير
كلام المعصوم بهذا التفسير الذي يوافق سائر الفاظ الكتب التي عندهم
ويوافق القرآن والعقل اولى من تفسيره بما يخالف صريح المعقول وصحيح
المنقول وهذا تفسير ظاهر ليس فيه تكلف ولا هو من التأويل الذي
هو صرف الكلام عن ظاهره الى ما يخالف ظاهره بل هو تفسير له
بما يدل ظاهره عليه باللغة المعروفة والعبارة المألوفة فى خطاب المسيح
وخطاب سائر الانبياء • واما تفسير النصارى بان الابن مولود قديم ازلى
هو العلم او كلمة الله فتفسير للفظ بما لم يستعمل هذا اللفظ فيه لا في كلام
أحد من الانبياء ولا لغة أحد من الانبياء وكذلك تفسير روح القدس
بحياة الله فالذي فسر النصارى به ظاهر كلام المسيح هو تفسير
لا تدل عليه لغة المسيح وعادته في كلامه ولا لغة غيره من الانبياء
والامم بل المعروف فى لغته وكلامه وكلام سائر الانبياء تفسيره
بما فسرناه وبذلك فسره اكابر علماء النصارى • واما ضلال

النصارى المحرفون لمعانى كتب الله عز وجل فسروه بما يخالف معناه الظاهر وينكره العقل والشرع وتمام هذا بالوجه السادس وهو ان النصارى لما كان عندهم فى الكتب تسمية المسيح عليه السلام ابناً وتسمية غيره من الانبياء ابنا كقوله ليعقوب انت ابنى بكرى وتسمية الحواريين ابنا قالوا هو ابنه بالطبع وغيره ابنه بالوضع فجعلوا لفظ الاب مشتركا بين معنيين واثبتوا لله طبعاً جعلوا المسيح ابنه باعتبار ذلك الطبع وهذا يقرره قول من يفهم منهم انه ابنه البنوة المعروفة في المخلوقين وان مريم زوجة الله وكذلك جعلوا روح القدس مشتركة بين حياة الله وبين روح القدس التى تنزل على الانبياء والصالحين ومعلوم ان الاشتراك على خلاف الاصل وان اللفظ اذا استعمل فى عدة مواضع كان جعله حقيقة متواطئاً فى القدر المشترك اولى من جعله مشتركا اشتراكا لفظياً بحيث يكون حقيقة فى خصوص هذا وخصوص هذا او يكون مجازاً في احدهما فان المجاز والاشتراك على خلاف الاصل هذا ان قدر ان لفظ الابن وروح القدس استعمل في نطق الله وحياته كما يزعم النصارى فكيف اذا لم يوجد فى كلام الانبياء انهم قالوا لفظ الابن ولفظ روح القدس وارادوا به شيئاً من صفات الله لا كلامه ولا حياته ولا علمه ولا غير ذلك بل لم يوجد استعمال لفظ الابن في كلام الانبياء الا في شيء مخلوق ولم يوجد استعمال روح القدس بما هو فى صفات الله القائمة به ونحن اذا فسرنا الاب وروح القدس ببنوة التربية وروح القدس بما ينزل على الانبياء .. كنا قد جعلنا اللفظ مفرداً متواطئاً وهم يحتاجون ان يجعلوا اللفظ مشتركا او مجازاً في احد المعنيين فكان تفسيرهم مخالفاً لظاهر اللغة

التي خوطبوا بها ولظاهر الكتب التي بايديهم وتفسيرنا موافقاً لظاهر لغتهم وظاهر الكتب التي بايديهم وحينئذ فقد تبين انه ليس معهم بالتثليث لاحجة سمعية ولا عقلية بل هو باطل شرعا وعقلا يؤيد هذا الوجه السابع وهو أنهم في اماناتهم أثبتوا من المعاني ولفظ الاقانيم وغير ذلك مالا تدل عليه الكتب التي بايديهم البتة بل فهموا منها معنى باطلا وضموا اليه معاني باطلة من عند انفسهم فكانوا محرفين لكتب الله فى ذلك مفترين على الله الكذب وهذا مبسوط فى موضع آخر. الوجه الثامن ان قولهم بالاقانيم مع بطلانه في العقل والشرع لم ينطق به عندهم كتاب ولم يوجد هذا اللفظ في شيء من كتب الانبياء التي بايديهم ولا في كلام الحواريين بل هى لفظة ابتدعوها ويقال انها رومية وقد قيل الاقنوم فى لغتهم معناه الاصل ولهذا يضطربون فى تفسير الاقانيم تارة يقولون اشخاص وتارة خواص وتارة صفات وتارة جواهر وتارة يجعلون الاقنوم اسما للذات والصفة معا وهذا تفسير حذاقهم. الوجه التاسع قولهم في المسيح عليه السلام انه خالق قول مع بطلانه فى الشرع والعقل لم ينطق به شيء من النبوات التى عندهم ولكن يستدلون على ذلك بما لايدل عليه كما سنبينه ان شاء الله تعالى • الوجه العاشر قولهم فى تجسد اللاهوت ايضاً هو قول مع بطلانه فى العقل والشرع لا يدل عليه شيء من كلام المعصوم من النبيين والمرسلين • الوجه الحادى عشر انا نقول لاريب ان الله حي عالم قادر متكلم وللمسلمين على ذلك من الدلائل العقلية التى دل الرسول عليها وارشد اليها فصارت معروفة بالعقل مدلولا عليها بالشرع ماهو مبسوط فى موضعه وانتم مع دعواكم

انكم تثبتون ذلك بالعقل لم تذكروا على ذلك دليلا عقليا . فقولكم لما رأينا حدوث الاشيآء علمنا ان شيئاً غيرها احدثها اذ لايمكن حدوثها من ذواتها لما فيها من التضاد والتقلب كلام قاصر لوجوه . أحدها انكم لم تروا حدوث جميع المخلوقات وانما رأيتم حدوث ما يشهد حدوثه كالسحاب والمطر والحيوان والنبات ونحو ذلك فاين دليلكم على حدوث سائر الاشيآء . الثاني انه كان ينبغي ان تقولوا لما علم حدوث المحدثات أو حدوث المخلوقات أو حدوث ماسوى الله ونحو ذلك مما يبين المحدث ماسوى الله . فاما اطلاق حدوث جميع الاشيآء فباطل فان الله يسمى عندكم وعند جمهور المسلمين شيئاً من الاشيآء . وهذا بخلاف قوله تعالى (الله خالق كل شيء) فان هذا التركيب يبين ان الخالق غير المخلوق خلاف قول القائل حدوث الاشيآء . الثالث ان العلم بالمحدث لابد له من محدث علم فطرى ضرورى ولهذا قال تعالى فى القرآن (ام خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) قال جبير بن مطعم لما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في صلاة المغرب أحسست بفؤادي قد انصدع يقول تعالى (اخلقوا من غير خالق خلقهم أم هم الخالقون) لانفسهم ومعلوم بالفطرة التي فطر الله عليها عباده بصريح العقل ان الحادث لايحدث الا بمحدث احدثه . وان حدوث الحادث بلا محدث احدثه معلوم البطلان بضرورة العقل وهذا أمر مركوز في بنى آدم حتى الصبيان لو ضرب الصبي ضربة فقال من ضربنى فقيل ما ضربك أحد لم يصدق عقله ان الضربة حدثت من غير فاعل ولهذا لو جوز مجوز ان يحدث كتابة أو نساجة أو غراساً ونحو ذلك من غير محدث لذلك لكان عند العقلا اما

مجنوناً واما مُسَفسِطاً كالمنكر للعلوم البديهية والمعارف الضرورية وكذلك معلوم انه لم يحدث نفسه فان كان معدوما قبل حدوثه لم يكن شيئاً فيمتنع ان يحدث غيره فضلا عن ان يحدث نفسه • فقولكم لم يكن حدوثها من ذواتها لما فيها من التضاد والتقلب تعليل باطل فان علمنا حدوثها لم يكن من ذواتها ليس لاجل مافيها من التضاد والتقلب بل سوآء كانت متماثلة او مختلفة أو متضادة نحن نعلم بصريح العقل ان المحدث لايحدث نفسه وهذا من أظهر المعارف وابينها للعقل كما نعلم ان العدم لايخلق موجوداً وان المحدث للحوادث الموجودة لايكون معدوما. الوجه الرابع انكم ذكرتم حجة على انها لم تحدث نفسها وهي حجة ضعيفة ولم تذكر حجة على انها حدثت بلا محدث لا انفسها ولا غيرها فان كان امتناع كونها احدثت نفسها محتاجا الى دليل فكذلك امتناع حدوثها بلا محدث وان كان معلوما ببديهة العقل وهو من العلوم الضرورية فكذلك الآخر فذكر الدليل على أحدهما دون الآخر خطأ لو كنتم ذكرتم دليلا صحيحاً فكيف اذا كان الدليل باطلا. ومن يكون مبلغهم من العلم بالادلة العقلية التي يثبتون بها العلم بالصانع وصفاته هذا المبلغ ثم يريدون مع ذلك ان يثبتوا معاني عقلية ويزعمون انها موافقة لفهمهم الباطل من الكتب الالهية • فهم ممن قال الله فيه (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جآءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) الوجه الثاني عشر قولكم فقلنا انه شيء لا كالاشياء

المخلوقة اذ هو الخالق لكل شيء لتنفى عنه العدم . فيقال لهم لاريب ان الله كما وصف نفسه بقوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وقوله (فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) أى مثلا يستحق ان يسمى باسمائه وقوله تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) وقد دل على ذلك العقل فان المثلين اللذين يسد احدهما مسد الآخر يجب لاحدهما مايجب للآخر ويمتنع عليه مايمتنع عليه ويجوز عليه ما يجوز عليه فلو كان للخالق مثل للزم ان يشتركا فيما يجب ويجوز ويمتنع والخالق يجب له الوجود والقدم ويمتنع عليه العدم فيلزم ان يكون المخلوق واجب الوجود قديماً ازلياً لم يعدم قط وكونه محدثا مخلوقا يستلزم ان يكون كان معدوما فيلزم ان يكون موجوداً معدوما قديماً محدثا وهو جمع بين النقيضين يمتنع فى بداية العقول . وأيضاً فالمخلوق يمتنع عليه القدم ويجب له سابقة العدم فلو وجب للخالق القديم مايجب له لوجب كون الواجب القدم واجب الحدوث بعدم العدم وهذا جمع بين النقيضين فالعقل الصريح يجزم بان الله ليس كمثله شيء والكلام على هذا مبسوط في موضع آخر لكن انتم لم تذكروا على هذا حجة على انه خالق كل شيء اذ كان عمدتكم على ماشهدتم حدوثه وليس ذلك كل شيء ولم تذكروا حجة مع كونه خالق كل شيء على انه ليس كمثله شيء بل قلتم لاننا معشر النصارى لما رأينا حدوث الاشياء علمنا ان شيئاً غيرها أحدثها لما فيها من التضاد والتقلب فقلنا انه شيء لا كالاشياء المخلوقة اذ هو الخالق لكل شيء وذلك لتنفى العدم عنه . ودليلكم لو دل على العلم بالصانع لم يدل الا على انه خالق

فكيف اذا لم يدل • ولا ريب ان الخالق سبحانه يجب ان يكون موجودا لا معدوما وهذا معلوم بالضرورة لا يحتاج الى دليل عند جمهور العقلاء والنظار وان كان بعضهم أثبت وجوده بالدليل النظري لكن ليس في دليلكم ما يدل على انه ليس كالاشياء المخلوقة وقولكم اذ هو الخالق لكل شيء يتضمن انه خالق لكل ماسواه ليس فيه بيان نفي المماثلة عنه ولكن يتم بهذا الكلام جهلكم بالدلائل العقلية كجهلكم بالكتب المنزلة وكذلك أخبر تعالى عن أهل النار انهم يقولون لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في أصحاب السعير

(فصل)واما قولكم ورأينا الاشياء المخلوقة تنقسم قسمين شيء حي وشيء غير حي فوصفناه باجل القسمين فقلنا انه حي لننفي الموت عنه فيقال لاريب أن الله حي كما نطقت بذلك كتبه المنزلة التي هى آياته القولية ودلت على ذلك آياته كمخلوقاته التي هى آياته الفعلية قال تعالى (سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) أي القرآن حق وقد تقدم ذكر القرآن في قوله قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو فى شقاق بعيد فالله تعالى يُري عباده من آياته المشاهدة المعاينة الفعلية مايبين صدق آياته المنزلة المسموعة القولية قال تعالى(الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم وقال تعالى وتوكل على الحي الذي لايموت) والدلائل على حياته كثيرة • منها انه قد ثبت انه عالم والعلم لايقوم الا بحي وثبت انه قادر مختار يفعل بمشيئته والقادر المختار لايكون الا حياً. ومنها انه خالق الاحياء • وغيرهم والخالق أكمل من المخلوق فكل كمال ثبت للمخلوق فهو من الخالق فيمتنع أن يكون

المخلوق أكمل من خالقه وكماله أكمل منه . والمتفلسفة القائلون بالموجب بالذات يسلمون هذا ويقولون كمال المعلول مستفاد من علته فاذا كان خالقاً للاحياء كان حياً بطريق الاولى والاحرى • ومنها ان الحي أكمل من غير الحي كما قال تعالى (وما يستوي الاحياء ولا الاموات فلو كان الخالق غير حي لزم ان يكون الممكن المحدث المخلوق اكمل من الواجب القديم الخالق فيكون انقص الموجودين أكمل من أكملهما وهذا الوجه يتناول ماذكروه من الدليل وان كانوا لم يبينوا بياناً تاماً لكن قولهم قلنا انه حي لتنفي الموت عنه كلام مستدرك فان الله موصوف بصفات الكمال الثبوتية كالحياة والعلم والقدرة فيلزم من ثبوتها سلب صفات النقص وهو سبحانه لايمدح بالصفات السلبية الا لتضمنها المعاني الثبوتية فان العدم المحض والسلب الصرف لامدح فيه ولا كمال اذ كان المعدوم يوصف بالعدم المحض والعدم نفي محض لا كمال فيه وانما الكمال في الموجود ولهذا جاء كتاب الله على هذا الوجه فيصف سبحانه نفسه بالصفات الثبوتية صفات الكمال وبصفات السلب المتضمنة للثبوت كقوله الله لا إله إلاَّ هو الحي القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم) فنفي أخذ السنة والنوم يتضمن كمال حياته وقيوميته اذ النوم أخو الموت ولهذا كان أهل الجنة لاينامون مع كمال الراحة كما لايموتون • والقيوم القائم المقيم لما سواه فلو جعلت له سنة أو نوم لنقصت حياته وقيوميته فلم يكن قائماً ولا قيوماً كما ضرب الله المثل لبني اسرائيل لما سألوا موسى هل ينام ربك فارقه ثلاثاً ثم اعطاه قوارير فاخذه النوم فتكسرت . بين بهذا المثل ان خالق العالم لو نام لنفد العالم ثم قال تعالى (له مافي السموات وما في

الارض من ذا الذي يشفع عنـده الا باذنه) فانكاره ونفيه ان يشفع أحد عنده الا باذنه يتضمن كمال ملكه لما في السموات وما في الارض وانه ليس له شريك فان من شفع عنـده غيره بغير اذنه وقبل شفاعته كان مشاركاً له اذ صارت شفاعته سبباً لتحريك المشفوع اليـه بخلاف من لايشفع عنـده احد الآ باذنه فانه منفرد بالملك ليس له شريك بوجه من الوجوه ثم قال تعالى (يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولايحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) فنفى ان يعلم أحد شيئاً من علمه الا بمشيئته ليس الا انه منفرد بالتعليم فهو العالم بالمعلومات ولا يعلم أحد شيئاً الا بتعليمه كما قالت الملائكة لاعلم لنا الا ما علمتنا انك أنت العلم الحكيم ثم قال تعالى (وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما) أي لايكرثه ولايثقل عليه فبين بذلك كمال قدرته وانه لايلحقه ادنى مشقة ولا أيسر كلفة فى حفظ المخلوقات كما قال تعالى في الآية الاخرى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) بين بذلك كمال قدرته وانه لايلحقه اللغوب فى الاعمال العظيمة مثل خلقـه السموات والارض كما يلحق المخلوق اللغوب اذا عمل عملا عظيماً واللغوب الانقطاع والاعيا وهـذا باب واسع مبسوط في موضع آخر • والمقصود هنا انه موصوف بصفات الكمال التي يستحقها بذاته ويمتنع اتصافه بنقائضها واذا وصف بالسلوب فالمقصود هو أثبات الكمال • وهؤلاء قالوا قد وصفناه بالحياة لننفي عنـه الموت كما قالوا هو شيء لننفى العدم عنه والحياة صفة كمال يستحقها بذاته والموت مناقض لها فلم يوصف بالحياة لاجل نفي الموت بل وصفه بالحياة يستلزم نفى

الموت فينفى عنه الموت لانه حي لايثبت له الحياة لنفي الموت وكذلك لتثبت له انه شيء موجود . وذلك يستلزم نفي العدم عنـه لا ان اثبات وجوده لاجل نفي العدم بل نفي العدم عنـه لاجل وجوده كما ان نفي الموت عنه لاجل حياته وكذلك قولهم قولنا انه شيء لا كالاشياء المخلوقة وذلك لتنفي العدم عنه لكن كان مرادهم والله أعلم وان كانت عبارتهم قاصرة اثبات الوجود ونفي العدم واثبات الحياة ونفي الموت

(فصل) ثم قالوا و راينا الحيّ ينقسم قسمين حياً ناطقاً وحياً غير ناطق فوصفناه بافضل الوصفين فقلنا انه ناطق لننفي الجهل عنه . فيقال لهم لاريب ان الرب سبحانه موصوف بانه حي عليم قدير متكلم مختار لكن قولهم فقلنا انه ناطق لننفي الجهل عنه يقتضي انكم اردتم النطق المناقض للجهل . وهذا هو العلم فان العلم يناقض الجهل لم تريدوا بذلك النطق الذي هو العبارة والبيان ولم يريدوا بذلك ما جعله بعض النظار كلاما وهي معاني قائمة بالنفس ليست من جنس العلوم ولا من جنس الارادات وحينئذ فيقال لكم ليس في الاحياء الا ما هو شاعر فكل حي فله شعور بحسبه . وكلما قويت الحياة قوي شعورها وشعور الحيوان قد يعبر عنه بلفظ العلم كما يقول الناس علم الفهد والبازي والكلب ويقال كلب معلم وغير معلم وبازي معلم وقال تعالى (وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله) وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فقتل فكل . ولاريب ان العلم صفة كمال فالعالم اكمل من الجاهل والدلائل الدالة على علم الله كثيرة مثل انه سبحانه خالق كل شيء بارادته . والارادة تستلزم تصور المراد فلابد ان

يعلم المخلوقات قبل ان يخلقها . وكل ما وجد في الخارج فهو موجود وجودا معيناً يمتاز به عن غيره فاذا خلقها كذلك فلا بد ان يعلمها علماً مفصلا يمتاز به كل معلوم عما سواه ولو قدر انه علمها على وجه كلى فقط لم يكن علم منها شيئاً لان الكلي انما يكون كلياً في الاذهان. واما ما هو موجود في الخارج فهو معين مختص بعينه ليس بكلي . وكل واحد من الافلاك معين فلو لم يعلم الا الكليات لم يكن عالماً بشيء من الموجودات وقد بسط في غير هذا الموضوع تمام الكلام على هذا وبين فساد شبه نفاق ذلك بما ادعوه من لزوم التغير او التكثر وبين انه لا يلزم من ثبوت علم الله بالاشياء كلها على وجه التفصيل محذور ينفيه دليل صحيح . فان التكثر فيما يقوم به من المعاني هو مدلول الادلة العقلية والسمعية فانه عالم قادر حي وليس العلم هو القدرة ولا القدرة هي الحياة ولا الصفة هي الموصوف ومن جعل كل صفة هي الاخرى وجعل الصفات هو الموصوف فهو قول في غاية السفسطة. وايضاً فانه خالق العالمين من الملائكة والجن والانس وجاعلهم علماء فيمتنع ان يجعل غيره عالماً من ليس هو في نفسه بعالم فان العلم صفة كمال ومن يعلم اكمل ممن لا يعلم وكل كمال للمخلوق فهو من الخالق فيمتنع ان يكون المخلوق اكمل من الخالق وايضاً فان في الممكنات المحدثة المخلوقة ما هو عالم والواجب القديم الخالق اكمل من الممكن المحدث فيمتنع ان يتصف بالكمال الموجود الناقص الخسيس دون الموجود الكامل الشريف وهذا يتناول معنى حجتهم وأيضاً فانه حي والحياة مستلزمة لجنس العلم واذا كانت حياته اكمل من كل حياة فعلمه اكمل من كل علم لكن يقال لكم كما انه

حي عالم فهو أيضاً قادر فيما ذكرتم بان الموجودات او الاحياء تنقسم الى
قادر وغير قادر فيجب ان يوصف باجل القسمين وهو القدرة لا سيما
ودلائل كونه قادرا اظهر من دلائل كونه عالماً فان نفس كونه خالقا
فاعلا يستلزم كونه قادرا فان الفعل بدون القدرة ممتنع حتى اذا قيل
ان الجماد يفعل فانما يفعل بقوة فيه كالقوى الطبيعية التي في الاجسام
الطبيعية فيمتنع في خالق العالم ان لا يكون له قوة ولا قدرة قال تعالى
(ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقال تعالى (اولم يروا ان الله
الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) وفي صحيح البخارى حديث
الاستخارة اللهم انى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك
من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام
الغيوب وكثير من نظار المسلمين المصنفين فى اصول الدين
الذين يقيمون الدليل على كونه قادرا قبل كونه عالماً وحياً ويقولون العلم
بذلك اسبق فى السلوك الاستدلالي النظرى لدلالة الاحداث والفعل
على قدرة المحدث الفاعل فيجب ان يثبتوا له صفة القدرة مع العلم
وكذلك يقولون ان الحي لما كان ينقسم الى سميع وغير سميع وبصير
وغير بصير وصفناه باشرف القسمين وهو السميع والبصير وكذلك في
النطق اذا اريد به البيان والعبارة ولم يرد به مجرد العلم او معنى من
جنس العلم فان الحي ينقسم الى متكلم ومبين معبر عما فى نفسه والى
ما ليس كذلك فيجب ان تصفوه باشرف القسمين وهو الكلام المبين
المعبر عما فى النفس من المعانى ومما يستدل به على ثبوت جميع صفات
الكمال انه لولم يوصف بكونه حياً عالماقادرا سميعاً بصيراً متكلما لوصف

بضد ذلك كالموت والجهل والعجز والصمم والبكم والخرس ومعلوم وجوب
تقدسه عن هذه النقائص بل هذا معلوم بالضرورة العقلية فانه اكمل
الموجودات واجلها واعظمها ورب كل ما سواه وخالقه ومالكه وجاعل
كل ما سواه حيا عالما قادرا سميعا بصيرا متكلما فيمتنع ان يكون هو
شيئا عاجزا جاهلا اصم ابكم اخرس بل من المعلوم بضرورة العقل ان
المتصف بهذه النقائص يمتنع ان يكون فاعلا فضلا عن ان يكون خالقا
لكل شيء ولبعض الملاحدة من المتفلسفة ومن اتبعهم هنا سؤال مشهور
وهو انه انما يلزم اذا لم يتصف بصفات الكمال ان يوصف باضدادها
اذا كان قابلا لها فاما اذا لم يكن قابلا لها لم يلزم. قالوا وهذه الصفات
متقابلة تقابل العدم والملكة وهو عدم الشيء عما من شانه ان يكون
قابلا له كعدم الحياة والسمع والبصر والكلام عن الحيوان الذى هو
القابل له فاذا لم يكن قابلا له كالجماد فلا يسمى مع عدم الحياة والسمع
والبصر والكلام ميتا ولا اصم ولا اعمى ولا اخرس * وجواب ذلك
من اوجه. احدها انه اما ان يكون قابلا للاتصاف بصفات الكمال واما
ان لا يكون . فان لم يكن قابلا لزم ان يكون انقص ممن قبلها ولم يتصف
بها . فالجماد انقص من الحيوان الذى لم يتصف بعد بصفات كماله وان
كان قابلا لها لزم اذا عدمها ان يتصف باضدادها . وهؤلاء قد يقولون
في اثباتها تشبيه له بالحيوان . فيقال لهم وفي نفيها تشبيه له بالجماد الذى
هو انقص من الحيوان فاذا لم يكن في نفيها تشبيه له بالجماد فكذلك
لا يكون في اثباتها تشبيه له بالحيوان وان كان في ذلك تشبيه بالحيوان فهو
محذور فالمحذور فى تشبيهه بالجماد اعظم وان لم يكن مثل هذا التشبيه محذورا

في ذلك فان لا يكون محذورا في هذا بطريق الاولى . الوجه الثاني ان جعلهم سلب الموت والصمم والبكم على الجماد ولزعمهم انه غير قابل لها اصطلاح محض فانه موجود في كلام الله تسمية الجماد ميتا كما قال تعالى (في الاصنام اموات غير أحياء) الثالث انه يكفي عدم هذه الصفات فان مجرد عدم الحياة والعلم والقدرة صفة نقص سوآء قدر الموصوف قابلاً لها أو غير قابل بل اذا قدر انه غير قابل لها كان ذلك ابلغ في النقص • فعلم ان نفي هذه الصفات عنه ونفي قبولها يوجب ان يكون انقص من الحيوان الاعمى الاصم الذي يقبلها وان لم يتصف بها . الوجه الرابع ان الكمال في الوجود والنقص في العدم فنفس ثبوت هذه الصفات كمال • ونفس نفيها نقص وان لم يتصف بها لزم نقصه وان يكون المفعول اكمل من الفاعل وان يكون المحدث الممكن اكمل من القديم الازلي الواجب الوجود الخالق وهذا ممتنع في بداية العقول وهذه الامور مبسوطة في غير هذا الموضع ولكن نبهنا عليها هنا لبيان بعض الطرق التي بها تعرف صفات الرب وبيان ان هؤلآء القوم من اجهل أهل الملل بالرب والطرق التي يعرف بها كماله في العقلية والسمعية وان القوم عندهم من الفاظ الانبيآء مالم يفهموا كثيرا منه وما حرفوه كثيراً منه وعندهم من المعقول في ذلك ما يفضلهم اليهود فيه لكن اليهود وان كانوا اعظم منهم فهم اعظم عنادا وكبرا وجحداً للحق والنصارى اجهل واضل من اليهود ولكن هم أعبد وازهد واحسن أخلاقاً ولهذا كانوا اقرب مودة للذين آمنوا من اليهود والمشركين

(فصل) قالوا والثلاثة أسمآء فهي اله واحد ورب واحد وخالق واحد

ومسمى واحد لم يزل ولا يزال شيئاً حياً ناطقاً اى الذات والنطق والحياة فالذات عندنا الاب الذي هو ابتداء الاثنين والنطق الابن الذي هو مولود منه كولادة النطق من العقل والحياة هي الروح القدس والجواب عن هذا من وجوه الاول ان اسماء الله تعالى متعددة كثيرة فانه (الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق الباريء المصور له الاسماء الحسنى يسبح له مافي السموات والارض وهو العزيز الحكيم) وقال تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى) وقال تعالى (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له مافى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة وهذا معناه فى أشهر قولى العلماء واصحهما ان من اسمائه تعالى تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة والا فاسماؤه تبارك وتعالى اكثر من ذلك كما في الحديث الآخر الذي رواه أحمد في مسنده وابو حاتم فى صحيحه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما أصاب عبداً قط هم ولا حزن فقال اللهم انى عبدك ابن عبدك بن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل فى قضائك

اسألك بكل اسم هولك سميت به نفسك أو انزلته في كتابك أوعلمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي إلا أذهب الله همه وغمه وابدله مكانه فرحا قالوا يارسول الله افلا نتعلمهن قال بلى ينبغي لمن سمعهن ان يتعلمهن واذا كانت اسماء الله كثيرة كالعزيز والقدير وغيرها فالاقتصار على ثلاثة أسماء دون غيرها باطل وأي شيء زعم الزاعم في اختصاص هذه الاسماء به دون غيرها فهو باطل كما قد بسط في موضع آخر .الوجه الثاني قولهم الاب الذي ابتداء الاثنين والابن النطق الذي هو مولود منه كولادة النطق من العقل كلام باطل فان صفات الكمال لازمة لذات الرب عز وجل اولا وآخراً لم يزل ولا يزال حياً عالماً قادراً لم يصر حياً بعد ان لم يكن حياً ولا عالماً بعد ان لم يكن عالماً فاذا قالوا ان الاب الذي هو الذات هو ابتداء الحياة والنطق اقتضى ذلك ان يكون الاب قبل الحياة والنطق وان يكون فاعلا للحياة والنطق فان ما كان ابتداء لغيره يكون متقدما عليه أو فاعلا له وهذا في حق الله باطل .وكذلك قولهم ان النطق مولود منه كولادة النطق من العقل فان المولود من غيره متولد منه فيحدث بعد ان لم يكن كما يحدث النطق شيئاً فشيئاً سوآء اريد بالنطق العلم او البيان فكلاهما لم يكن لازما للنفس الناطقة بل حدث فيها واتصفت به بعد ان لم يكن وان كانت قابلة له ناطقة له بالقوة فاذا مثلوا قوله النطق من الرب كتولده عن العقل لزم ان يكون الرب كان ناطقاً بالقوة ثم صار ناطقاً بالفعل فيلزم انه صار عالماً بعد ان لم يكن عالماً

وهذا من أعظم الكفر وأشده استحالة بانه لاشيء غيره لجعله متصفاً بصفات الكمال بعد ان لم يكن متصفاً بها اذ كل ماسواه فهو مخلوق له وكماله منه فيمتنع ان يكون هو جاعل الرب سبحانه وتعالى كاملاً وذلك دور ممتنع في صريح العقل اذ كان الشيء لايجعل غيره متصفاً بصفات الكمال حتى يكون هو متصفاً بها فاذا لم يتصف بها حتى جعله غيره متصفاً بها . لزم الدور الممتنع مثل كون كل من الشيئين فاعلاً للآخر وعلة له او لبعض صفاته المشروطة في الفعل فتبين بطلان كون نطقه متولداً منه كتولد النطق من العقل كما بطل ان يكون لصفاته اللازمة له ماهو مبدء لها متقدم عليها او فاعل لها . الوجه الثالث ان قولهم فى الابن انه مولود من الله ان أرادوا به انه صفة لازمة له فكذلك الحياة صفة لازمة لله فيكون روح القدس أيضاً ابناً ثانياً وان أرادوا به انه حصل منه بعد ان لم يكن لزم ان يكون صار عالما بعد ان لم يكن عالما وهذا مع كونه باطلاً وكفراً فيلزم مثله في الحياة وهو انه صار حياً بعد ان لم يكن حياً. الوجه الرابع ان تسمية حياة الله روح القدس امر لم ينطق به شيء من كتب الله المنزلة فاطلاق روح القدس على حياة الله من تبديلهم وتحريفهم. الوجه الخامس انهم يدعون ان المتحد بالمسيح هو الكلمة الذى هو العلم وهذا ان أرادوا به نفس الذات العالمة الناطقة كان المسيح هو الاب وكان المسيح نفسه هو الاب وهو الابن وهو روح القدس وهذا عندهم وعند جميع الناس باطل وكفر . وان قالوا المتحد به هو العلم فالعلم صفة لاتفارق العالم ولا تفارق الصفة الاخرى التي هي حياة فيمتنع ان يتحد به العلم دون الذات ودون

الحياة . الوجه السادس ان العلم أيضا صفة والصفة لاتخلق ولا ترزق والمسيح نفسه ليس هو صفة قائمة بغيرها باتفاق العقلاء . وأيضاً فهو عندهم خالق السموات والارض فامتنع ان يكون المتحد به صفة فان الاله المعبود هو الاله الحي العالم القادر وليس هو نفس الحياة ولا نفس العلم والكلام . فلو قال قائل ياحياة الله او ياعلم الله او ياكلام الله اغفر لى وارحمنى واهدني كان هذا باطلا في صريح العقل ولهذا لم يجوز احد من أهل الملل ان يقال للتوراة او الانجيل وغير ذلك من كلام الله اغفر لي وارحمنى وانما يقال للاله المتكلم بهذا الكلام اغفر لي وارحمنى والمسيح عليه السلام عندكم هو الاله الخالق الذى يقال له اغفر لنا وارحمنا فلو كان هو نفس علم الله وكلامه لم يجز ان يكون إلهاً معبوداً فكيف اذا لم يكن هو نفس علم الله وكلامه بل هو مخلوق بكلامه حيث قال له كن فيكون فتبين من ذلك ان كلمات الله كثيرة لانهاية لها وفي الكتب الالهية كالتوراة انه خلق الاشياء بكلامه وكان فى اول التوراة انه قال ليكن كذا ليكن كذا ومعلوم ان المسيح ليس هو كلمات كثيرة بل غايته ان يكون كلمة واحدة اذ هو مخلوق بكلمة من كلمات الله عزّ وجل . الوجه السابع ان امانتكم التى وضعها اكابركم بحضرة قسطنطين وهي عقيدة ايمانكم التى جعلتموها اصل دينكم تناقض ماتدعونه من ان الاله واحد وتبين انكم تقولون لمن يناظركم خلاف ماتعتقدونه وهذان امران معروفان في دينكم تناقضكم واظهاركم فى المناظرة خلاف ماتقولونه من أصل ايمانكم فان الامانة التى اتفق عليها جماهير النصارى يقولون فيها نؤمن باله واحد اب ضابط الكل خالق

السموات والارض كل مايرى وما لا يرى وبرب واحد يسوع المسيح
ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور نور من نور اله حق
من اله حق من جوهر ابيه مولود غير مخلوق مساو للاب فى الجوهر
الذى به كان كل شيء الذى من اجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا
نزل من السمآء وتجسد من روح القدس ومن مريم العذرا وتانس
وصلب وتالم وقبر وقام في اليوم الثالث على مافى الكتب المقدسة وصعد
الى السمآء وجلس عن يمين الاب وايضاً سيأتى بمجده ليدين الاحيآء
والاموات الذى لافناء لملكه وبروح القدس الرب المحيي المنبثق من
الاب الذى هو مع الاب والابن المسجود له وممجد ناطق فى الانبيآء
كنيسة واحدة جامعة رسولية واعترف بعمودية واحدة لمغفرة الخطايا
وابن جاء لقيامة الموتى وحياة الدهر العيد كونه امين فى هـذه الامانة
التي جعلتموها أصل دينكم ذكر الايمان بثلاثة اشياء باله واحـد خالق
السموات والارض خالق مايرى وما لا يرى فهـذا هو رب العالمين
الذى لااله غيره ولا رب سـواه وهو اله ابراهيم واسحق ويعقوب
وسائر الانبيآء والمرسلين وهو الذى دعت جميع الرسل الى عبادته
وحده لاشريك له ونهوا ان يعبد غيره كما قال تعالى (وما ارسلنا من
قبلك من رسول الا نوحى اليـه انه لااله الا أنا فاعبدون) وقال تعالى
(واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة
يعبدون) ثم قلتم وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود
من الاب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق من جوهر
ابيه مولود غير مخلوق مساو الاب فى الجوهر فصححتم بالايمان مع خالق

السموات والارض برب واحد مخلوق مساو الاب ابن الله الوحيد وقلتم
هو اله حق من اله حق من جوهر أبيه وهذا تصريح بالايمان بالهين
أحدهما من الآخر وعلم الله القائم به أو كلامه او حكمته القائمة به الذي
سميتموه ابناً ولم يسمّ احد من الرسل لصفة الله ابناً ليس هو اله حق
من اله حق بل اله واحد وهذا صفة الاله وصفة الاله ليست باله كما ان
قدرته وسمعه وبصره وسائر صفاته ليست بالهة ولان الاله واحد وصفاته
متعددة. والاله ذات متصفة بالصفات قائمة بنفسها والصفة قائمة بالموصوف
ولانكم سميتم الاله جوهرا وقلتم هو القائم بنفسه والصفة ليست جوهراً
قائما بنفسه وهم فى هذه الامانة قد جعلوا الله والداً وهو الاب ومولوداً
وهو الابن وجعلوه مساويا له في الجوهر وقد نزه الله نفسه عن الانواع
الثلاثة فقالوا مولود غير مخلوق مساو الاب في الجوهر فصرحوا بانه مساو
له فى الجوهر والمساوى ليس هو المساوي ولا يساوي الاب فى الجوهر
الا جوهر فوجب ان يكون الاب جوهرا ثانياً وروح القدس جوهراً
ثالثاً كما سيأتي وهذا تصريح باثبات ثلاثة جواهر ثلاثة آلهة ويقولون مع
ذلك انما نثبت جوهراً واحداً وإلها واحداً وهذا جمع بين النقيضين
فهو حقيقة قولهم يجمعون بين جعل الآلهة واحدا واثبات ثلاثة آلهة
وبين اثبات جوهر واحد وبين اثبات ثلاثة جواهر وقد نزه الله نفسه
عن ذلك بقوله (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفواً أحد) فنزه نفسه ان يلد كما يقولون هو الاب وان يولد
كما يقولون هو الابن وان يكن له كفواً أحد كما يقولون ان له من
يساويه في الجوهر • واذا قلتم نحن نقول احدي الذات ثلاثي الصفات

قيل لكم قد صرحتم باثبات اله حق من اله حق وانه مساوى للاب في الجوهر وهـذا تصريح باثبات جوهر ثاني لا بصفة فجمعتم بين القولين بين اثبات ثلاثة جواهر وبين دعوى اثبات جوهر واحـد ولا يحيكم عن هـذا اعتذار من اعتذر منكم كيحيي بن عدى ونحوه حيث قالوا هـذا بمنزلة قولك زيد الطبيب الحاسب الكاتب ثم تقول زيد الطبيب وزيد الحاسب وزيد الكاتب فهو مع كل صفة له حكم خلاف حكمه مع الصفة الاخرى وقد يفسرون الاقنوم بهذا فيقولون الاقنوم هو الذات مع الصفة فالذات مع كل صفة اقنوم فصارت الاقانيم ثلاثة لان هـذا المثال لايطابق قولكم فان زيداً هنا هو جوهر واحـد له ثلاثة صفات الطب والحساب والـكتابة وليس هنا ثلاثة جواهر ولكن لكل صفة حكم ليس للاخرى ولا يقول عاقل ان الصفة مساوية للموصوف فى الجوهر ولا ان الذات مع هذه الصفة تساوى الذات مع الصفة الاخرى فى الجوهر لان الذات واحدة والمساوي ليس هو المساوى ولان الذات مع الصفة هى الاب فان كان هذا هو الذى اتحد بالمسيح فالمتحد به هو الاب ولانكم قلتم عن هـذا الذى قلتم انه اله حق من اله حق من جوهر ابيـه الذى هو مساو الاب في الجوهر الذى نزل وتجسد من روح القدس ومن مريم العذرا وتانس وصلب وتالم . اقتضى ذلك ان يكون الاله الحق المساوى للاب في الجوهر صلب وتالم فيكون اللاهوت مصلوباً متألماً وهذا تقر به طوائف منكم وطوائف تنكره لكن مقتضى امانتكم هو الاول وايضاً فاذا كان تجسد من روح القدس ومريم فاذا كان روح القدس هو حياة الله كما زعمتم فيكون المسيح كلمة الله وحياته فيكون

لاهوته اقنومين من الاقانيم الثلاثة وعندهم انما هو اقنوم الكلمة فقط وان كان روح القـدس ليس هو حياة الله بطل تفسيركم لروح القدس فانه حياة الله. وقيل لكم لايجب ان يكون روح القـدس صفة الله ولا اقنوما ثم ذكرتم في عقيدة امانتكم انكم تؤمنون بروح القدس الرب المحيي فاثبتم رباً ثالثاً قائماً المنبثق من الاب. والانبثاق الانفجار كالاندفاق والانصباب ونحو ذلك يقال بثق السـيل موضع كذا يبثقه بثقاً أي خرقه وشقه فانبثق أي انفجر فاقتضى ذلك ان يكون هذا الرب المحيي انفجر من الاب واندفق منه. ثم قلتم هو مع الاب مسجود له وممجد ناطق فى الانبياء. فجعلتموه مع الاب مسجوداً له فاثبتم إلهاً ثالثاً يسجد له ومعلوم ان حياة الله التي هي صفته ليست منبثقة منه بل هي قائمة به لاتخرج عنه البتة وهي صفة لازمة له لاتتعلق بغيره فان العلم يتعلق بالمعلومات والقدرة بالمقـدورات والتكليم بالمخاطبين. بخلاف التكلم فانه صفة لازمة يقال علم الله كذا وقدر الله على كل شيء وكلم الله موسى واما الحياة فاللفظ الدال عليها لازم لايتعلق بغـير الحي يقال حي يحيا حياة ولا يقال حي كذا ولا بكذا وانما يقال احيا كذا. والاحياء فعل غير كونه حياً كما ان التعليم غير العلم والاقدار غير القدرة والتكليم غير التكلم ثم جعلتم روح القدس هذا ناطقا فى الانبياء عليهم السلام وحياة الله صفة قائمة به لاتحل في غيره وروح القدس الذي تكون في الانبياء والصالحين ليس هو حياة الله القائمة به ولو كان روح القـدس الذي فى الانبياء هو احد الاقانيم الثلاثة لكان كل من الانبياء إلهاً معبوداً قد اتحدنا سوته باللاهوت كالمسيح عندكم فان المسيح لما اتحد به احد

الاقانيم صار ناسوتاً ولاهوتاً فاذا كان روح القـدس الذي هو احد
الاقانيم الثلاثة ناطقاً في الانبياء كان كل منهـم فيه لاهوت وناسوت
كالمسيح وأنتم لاتقرون بالحلول والاتحاد الا للمسيح وحده مع اثباتكم
لغيره ما ثبت له وهم تارة يشبهون الاقنومين العلم والحياة التي يسمونها
الكلمة وروح القدس بالضياء والحرارة التي للشمس مع الشمس
ويشبهون ذلك بالحياة والنطق الذي للنفس مع الشمس وهذا تشبيه فاسد
فانهم ان أرادوا بالضيا والحرارة مايقوم بذات النفس فذلك صفة
للشمس قائمة بها لم تحل بغيرها ولم تتحد بغيرها كما ان صفة الشمس
كذلك هذا ان قيل ان الشمس تقوم بها حرارة والا فهـذا ممنوع
والمقصود هنا بيان فساد كلامهـم وقياسهم وان أرادوا ماهو بائن عن
الشمس قائم بغيرها كالشعاع القائم بالهواء والارض والحرارة القائمة
بذلك كان هذا دليلاً على فساد قولهم من وجوه منها ان هذه اعراض
منفصلة بائنة عن الشمس قائمة بغيرها لا بها ونظير هذا مايقوم بقلوب
الانبياء من العلم والحكمة والوحي الذى أنذروا به وعلى هذا التقدير
فليس في الناسوت شئ من اللاهوت وانما فيـه آثار حكمته وقدرته
ومنها ان الحرارة والضوء القائم بالهواء والجدران اعراض قائمة بغير
الشمس .والكلمة وروح القدس عندهم هما جوهران. ومنها ان هذا
ليس هو الشمس ولا صفة من صفات الشمس وانما هو اثر حاصل في
غير الشمس بسبب الشمس ومثل هـذا لاينكر قيامه بالانبياء
والصالحين ولكن ليس للمسيح عليه السلام بذلك اختصاص فما حل
بالمسيح حل بغيره من المرسلين ومالم يحل بغيره لم يحل به فلا اختصاص

له بامر يوجب ان يكون إلهاً دون غيره من الرسل ولا هنا اتحاد بين اللاهوت والناسوت كما لم تحد الشمس ولا صفتها القائمة بها بالهواء والارض التي حصل بها الشعاع والحرارة

(فصل) قالوا وهـذه الاسماء لم نسمه نحن معشر النصارى بها من ذات أنفسنا بل الله سمي لاهوته بها وذلك انه قال على لسان موسى النبي في التوراة مخاطباً لبنى اسرائيل قائلاً أليس هذا الاب الذى صنعك وبراك واقتناك وعلى لسانه أيضا قائلاً وكان روح الله ترف على الماء وقوله على لسان داود النبي روحك القدس لاتنزع مني وأيضا على لسانه بكلمة الله تشددت السموات والارض وبروح فاه جميع قواهن وقوله على لسان اشعيا ييبس القتاد ويجف العشب وكلمة الله باقية الى الابد . وعلى لسان أيوب الصـديق روح الله خلقنى وهو يعلمني وقال السيد المسيح في الانجيل المقدس للتلاميذ الاطهار اذهبوا الى جميع العالم وعمدوهم باسم الاب والابن وروح القدس إله واحد وعلموهم ان يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وقد قال في هـذا الكتاب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقال أيضا ياعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس وقال أيضا وكلم الله موسى تكليما وقال في سورة التحريم ومريم ابنـة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين وسائر المسلمين يقولون ان الكتاب كلام الله ولا يكون كلام الا لحي ناطق وهذه صفات جوهرية تجري مجرى الاسماء وكل صفة منها غير الاخرى والاله واحد لايتبعض ولا يتجزى والجواب

من وجوه احدها ان نقول أولاً ان كلام الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم لايكون الا حقاً وصدقا ولا يكون فيه شيء يعلم بطلانه بصريح العقل وان كان فيه ما يعجز العقل عن معرفته بدون أخبار الانبياء . ولا يكون كلام النبي الذى يخبر به مناقضاً لكلامه في موضع آخر ولا لكلام سائر الانبياء بل كل ما أخبرت به الانبياء فهو حق وصدق يصدّق بعضه بعضاً وقد أوجب الله علينا ان نؤمن بكل ما أخبروا به وأخبروا بكفر من آمن ببعض ذلك وكفر ببعضه فما علم بصريح العقل لا يناقض ما علم بالنقل الصحيح عن الانبياء وما علم بالنقل الصحيح عن بعضهم لايناقض ما علم بالنقل الصحيح عن غيره ولكن قد يختلف بعض الشرع والمناهج فى الامر والنهي . فاما ما يخبرون به عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وغير ذلك فلا يجوز ان يناقض بعضه بعضاً واذا كان كذلك مما ينقلونه عن الانبياء انما تتم الحجة به اذا علم اسناده ومتنه فيعلم انه منقول عنهم نقلا صحيحا ونعلم ان ترجمته من العبرية الى اللسان الآخر كالرومية والعربية والسريانية ترجمة صحيحة ويعلم بعد ذلك انهم أرادوا به ذلك المعنى وليس مع النصارى حجة عن الانبياء تثبت فيها هذه المقدمات الثلاث ونحن في هذا المقام يكفينا المنع والمطالبة لهم بتصحيح هذه المقدمات فانهم ادعوا ان التثليث أخذوه عن الانبياء فنحن نطالبهم بتصحيح هذه المقدمات والجواب الثانى انا نبين تفسير ما ذكروه من الكلمات . أما قوله على لسان موسى عليه السلام مخاطباً لبنى اسرائيل قائلا أليس هذا الاب الذى صنعك وبراك واقتناك فهذا فيه انه سماه ابا لغير المسيح عليه

السلام وهذا نظير قوله لاسرائيل أنت ابني بكري ولداود ابني وحبيبي وقول المسيح أبي وأبيكم وهم يسلمون • ان المراد بهذا في حق غير المسيح بمعنى الرب لا معنى التولد الذي يخصون به المسيح • الثالث ان هذا حجة عليهم فاذا كان في الكتب المتقدمة تسميته ابا لغير المسيح وليس المراد بذلك الا معنى الرب علم ان هذا اللفظ في لغة الكتب يراد به الرب فيجب حمله في حق المسيح على هذا المعنى لان الاصل عدم الاشتراك في الكلام • الرابع ان استعماله في المعنى الذي خصوا به المسيح انما يثبت اذا علم انه أريد المعنى الذي ادعوه في المسيح فلو اثبت ذلك المعنى بمجرد اطلاق لفظ الاب لزم الدور فانه يعلم انه أريد به ذلك المعنى من حيث يثبت انه كان يراد به في حق الله هذا المعنى ولا يثبت ذلك حتى يعلم انه أريد به ذلك المعنى في حق المسيح فاذا توقف العلم بكل منهما على الآخر لم يعلم واحد منهما فتبين انه لا علم عندهم بانه أريد في حق المسيح بلفظ الاب ما خصوه به في محل النزاع • الوجه الخامس انه لا يوجد في كتب الانبياء وكلامهم اطلاق اسم الاب والمراد به أب اللاهوت ولا اطلاق اسم الابن والمراد به شئ من اللاهوت ولا كلمته ولا حياته بل لا يوجد لفظ الابن الا والمراد به المخلوق فلا يكون لفظ الابن الا لابن مخلوق وحينئذ فيلزم من ذلك ان يكون مسمى الابن في حق المسيح هو الناسوت وهذا يبطل قولهم ان الابن وروح القدس انهما صفتان لله وان المسيح اسم للاهوت والناسوت فتبين ان نصوص كتب الانبياء تبطل مذهب النصارى وتناقض امانتهم فهم بين أمرين بين الايمان بكلام الانبياء وبطلان دينهم • وبين تصحيح دينهم

وتكذيب الانبياء وهذا هو المطلوب

(فصل) قالوا وعلى لسانه أيضا قائلا وكان روح الله ترف على الماء فيقال هذا فى السفر الاول سفر الخليقة فى أوله لما ذكر انه فى البدء خلق السموات والارض وانه كانت الارض معمورة بالماء وكانت روح الله ترف على الماء أخبر انه كان الماء فوق التراب والهواء فوق الماء وروح الله هى الريح التي كانت فوق الماء هذا تفسير جميع الامم من المسلمين واليهود وعقلاء النصارى ولفظ الكلمة بالعبرية روح بضم الراء وتشديد الواو وهى الروح والريح تسمي روحا وجمعها أرواح ولم يرد بذلك ان حياة الله كانت ترف على الماء فان هذا لا يقوله عاقل فان حياة الله صفة قائمة به لا تفارقه ولا تقوم بغيره فيمتنع أن تقوم بماء أو غيره فضلا عن ان ترف على الماء والذي يرف على الماء جسم قائم بنفسه وهذا أخبار عن الريح التي كانت تحرك فوق الماء ومثل هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الريح فانها من روح الله تأتى بالرحمة وتأتى بالعذاب فلا تسبوها ولكن تعوذوا بالله من شرها وسلوا الله خيرها وقوله اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن

(فصل) قالوا وقوله على لسان داود النبى صلى الله عليه وسلم روحك القدس لا تنزع منى. فيقال هذا دليل على ان روح القدس كانت فى داود فعلم بذلك ان روح القدس التى كانت في المسيح من هذا الجنس فعلم بذلك ان روح القدس لا تختص بالمسيح وهم يسلمون ذلك فانها ما فى الكتب التي بايديهم في غير موضع ان روح القدس حلت في غير المسيح في داود وفي الحواريين وفي غيرهم وحينئذ فان كان روح القدس هو حياة الله

ومن حات فيه يكون لاهوتاً لزم ان يكون إلها لزم ان يكون كل هؤلاء فيهم لاهوت وناسوت كالمسيح وهذا خلاف اجماع المسلمين والنصارى واليهود ويلزم من ذلك أيضاً ان يكون المسيح فيه لاهوتان الكلمة وروح القدس فيكون المسيح مع الناسوت اقنومين اقنوم الكلمة واقنوم روح القدس وأيضاً فان هذه ليست صفة لله قائمة به فان صفة الله القائمة به بل وصفة كل موصوف لاتفارقه وتقوم بغيره وليس في هذا ان الله اسمه روح القدس ولو ان حياته اسمها روح القدس ولا ان روح القدس الذي تجسد منه المسيح ومن مريم هو حياة الله سبحانه وتعالى وانتم قلتم انا معاشر النصارى لم نسمه بهذه الاسماء من ذات انفسنا ولكن الله سمى لاهوته بها وليس فيما ذكرتموه عن الانبياء ان الله سمى نفسه ولا شيئاً من صفاته روح القدس ولاسمي نفسه ولا شيئاً من صفاته ابنا فبطل تسميتكم لصفته التي هي الحياة بروح القدس ولصفته التي هي العلم بالابن وأيضاً فانتم تزعمون ان المسيح مختص بالكلمة والروح فاذا كانت روح القدس في داود عليه السلام والحواريين وغيرهم بطل ماخصصتم به المسيح وقد علم بالاتفاق ان داود عبدالله عز وجل وان كانت روح القدس فيه وكذلك المسيح عبدالله وان كانت روح القدس فيه فما ذكرتموه عن الانبياء حجة عليكم لاهل الاسلام لا حجة لكم

(فصل) قالوا وايضا على لسان داود النبي عليه السلام بكلمة الله تشددت السموات والارض وبروح فاه جميع قواهن • فيقال اما قوله بكلمة الله تشددت السموات والارض فهو ايضا حجة عليكم لوجوه

أحدها ان الله خلق الاشيآء بكلمته التي هي كن كما قال فى التوراة ليكن كذا ليكن كذا وكذلك في الزبور لانه قال فكانوا وهو أمر فخلقوا فجعل كونهم عن قوله ومثله قوله فى الزبور الكل بحكمه صنعت وفي القرآن (انما أمره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون) وليس المسيح هو هذه الكلمات . الثاني ان كلمة الله اسم جنس فان كلمات الله لانهاية لها قال تعالى (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) والتوراة تدل على تعدد الكلمات واذا كان كذلك فالمسيح ليس هو مجموع الكلمات بل خلق بكلمة منها . الثالث ان المسيح عندكم هو الخالق وانتم مع قولكم انه الابن والكلمة تقولون انه الاله الخالق وتقولون انه اله حق من اله حق وتقولون اله واحد فتجمعون بين النقيضين واذا كان هو الخالق فهو الذى يشدد السموات والارض لايقال به تشددت السموات والارض وانما يقال به فيما كان صفة للموصوف فيقال خلق الله الاشيآء بكن وخلق الاشياء بقدرته وقوله بكلمته تشددت السموات والارض يقتضى ان الكلمة صفة فعل بها لانها هي الخالقة والمسيح عندكم هو الخالق ليس هو صفة خلق بها . الرابع ان كلمة الله يراد بها جنس كلماته كما قال تعالى (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا) وكقول النبي صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وحينئذ فالمراد ان الله اقام السموات والارض بكلمته كقوله كن وليس في هذا تعرض للمسيح عليه السلام . واما نقلكم انه قال وبروح فاه جميع قواهن فهذه الكلمة سوآء كانت حقا او باطلا لاحجة لكم

فيها لانه ان اريد بهذه الكلمة حياة الله فاثبات حياة الله حق وهو لم يسم حياة الله روح القدس كما زعمتم وان اراد شيئا غير حياة الله لم ينفعكم فانتم ادعيتم حياة الله روح القدس حتى قلتم مراده في الانجيل بقوله عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس هو حياة الله وادعيتم ان الانبياء سموه بذلك ولم تذكروا نقلا عن الانبياء انهم سموا حياته روح القدس بل ذكرتم عنهم مايوافق مافي القرآن ان روح القدس ليس المراد بها حياة الله ولو قدر ان هذا اللفظ استعمل في هذا وهذا لم يتعين ان المسيح أراد بقوله روح القدس حياة الله فكيف اذا لم يستعمل في كلام الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في حياة الله قط

(فصل) قالوا وقوله على لسان أيوب الصديق روح الله خالقني وهو يعلمني . فيقال هذا لاحجة فيه لانكم ادعيتم ان الانبياء سمت حياة الله روح القدس وهذا لم يقل روح القدس بل قال روح الله . وروح الله يراد بها الملك الذي هو روح اصطفاها الله فاحبها كما قال في القرآن (فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا) فقد أخبر انه ارسل اليها روحه فتمثل لها بشرا سويا وتبين انه رسوله فعلم ان المراد بالروح ملك هو روح اصطفاها فاضافها اليه كما يضاف اليه الاعيان التي خصها بخصائص يحبها كقوله ناقة الله وسقياها وقوله وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود وقوله عينا يشرب بها عباد الله والمضاف الى الله ان كان صفة لم تقم بمخلوق كالعلم والقدرة والكلام

والحياة كان صفة له. وان كان عيناً قائمة بنفسها او صفة لغيره كالبيت والناقة والعبد والروح كان مخلوقاً مملوكاً مضافاً الى خالقه ومالكه لكن الاضافة تقتضى اختصاص المضاف بصفات تميز بها عن غيره حتى استحق الاضافة كما اختصت الكعبة والناقة والعباد الصالحون بان يقال فيهم بيت الله وناقة الله وعباد الله كذلك اختصت الروح المصطفاة بان يقال لها روح الله بخلاف الارواح الخبيثة كارواح الشياطين والكفار فانها مخلوقة لله ولا تضاف اليه اضافة الارواح المقدسة كما لا تضاف اليه الجمادات كما تضاف الكعبة ولا نوق الناس كما تضاف ناقة صالح التى كانت آية من آياته كما قال (هذه ناقة الله لكم آية واذا كان كذلك فهذا اللفظ ان كان ثابتاً عن النبي وترجم ترجمة صحيحة فقد يكون معناه ان الملك صورني في بطن أمي وهو يعلمني فان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يارب اذكر ام أنثى فيقضى ربك ماشاء ويكتب الملك ثم يقول يارب اجله فيقول ربك ماشاء ويكتب الملك ثم يقول يارب رزقه فيقول ربك ماشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزاد على أمر ولا ينقص رواه مسلم من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري وقد يقال من هذا قوله في الزبور في مزمور الخليقة ترسل روحك فيخلقون وفي المزمور أيضاً هو قال فكانوا وامر فخلقوا فقد يضاف الخلق الى الملك ومن هذا الباب قوله تعالى (واذ تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه

فيكون طيراً باذن الله فاخبر انه يخلق من الطين كهيئة الطير فيكون طيراً باذن الله وكذلك الملك يخلق النطفة في الرحم باذن الله ولا يجوز أن يريد به ان حياة الله خلقتني وتعلمني فان الصفة لاتخلق ولا تعلم وانما يخلق ويعلم الرب الموصوف الذي خلق خلق الانسان من علق الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم ولكن هو سبحانه يخلق بواسطة الملائكة فان الملائكة رسل الله في الخلق فجاز ان يضاف الفعل الى الوسائط تارة والى الرب أخرى وهذا موجود في الكتب الالهية في غير موضع كما في القرآن الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وفى موضع آخر حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون وفي موضع ثالث قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون والجميع حق فاذا وجد لفظ له معنى في كلام بعض الانبياء ولم يوجد له معنى يخالف ذلك من كلامهم كان حمله على ذلك المعنى اولى من حمله على معنى يخالف كلامهم ولا يوجد في كلامهم ان حياة الله تسمى روحا ولا ان صفات الله تخلق المخلوقات

(فصل) قالوا وقوله على لسان اشعيا النبي ييبس القتاد ويجف العشب وكلمته باقية الى الابد فيقال اما ان يريد بكلمة الله عامه او كلمة معينة او يكون كلمة الله اسم جنس وعلى التقديرات فلا حجة لكم فى ذلك فانه ان كان كلمة الله اسم جنس لكل ما تكلم به كما قال وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا وقال النبى صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله ولهذا جمعها فى قوله تعالى وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلا وفي قوله قل لو كان البحر

مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً فالمراد بذلك ان ماقاله الله فهو حق ثابت لايبطل كما قال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا) يعنى بتمامها نفاذ ماوعدهم به من النصر على فرعون واهلاكه واخراجهم الى الشام وقال تعالى وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً ومنه قوله واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لامبدل لكلماته وقوله سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل) ومن هذا الباب قول المسيح السماء والارض يزولان وكلامي هذا لايتغير فان أراد علم الله فعلم الله باق سواء أراد به علمه القائم بذاته او معلومه الذى أخبر ببقائه فلا حجة لكم فيه وكذلك ان أراد كلمة معينة فان المسيح عندكم ليس كلمة معينة من كلامه بل هو عندكم هو الكلمة وهو الله الخالق وليس في هذا اللفظ مايدل على انه أراد بالكلمة المسيح والمسيح عندكم أزلي أبدى لايوصف بالبقاء دون القدم ولو قدر انه أراد بالكلمة المسيح فنحن لاننكر انه تسمى بالكلمة لانه قال له كن فكان كما سيأتى بيان ذلك ويريد بذلك اما بقاؤه الى ان ينزل الى الارض واما ان يريد بقاء ذكره والثناء عليه ولسان الصدق له الى آخر الزمان ومما يوضح هذا فانه ليس المراد به مايدعونه انه قال وكلمة الله باقية الى الابد فوصفها بالبقاء دون القدم وعندهم ان الكلمة المولودة من الاب قديمة ازلية لم تزل ولا تزال ومثل هذا لايحتاج ان يوصف بالدوام والبقاء بخلاف ماوعد به من النعيم والرحمة والثواب فانه يوصف بالبقاء والدوام كما في القرآن اكلها

دائم وقوله ان هذا لرزقنا ماله من نفاد وفى الزبور اعترفوا للرب فانه صالح وانه الى الابد رحمته

(فصل) قالوا وقال السيد المسيح في الانجيل المقدس لتلاميذه الاطهار اذهبوا الى جميع الامم وعمدوهم باسم الاب والابن وروح القدس الاله الواحد وعلموهم ان يحفظوا جميع ما أوصيكم به فيقال لهم هذا حجتكم على ماتدعونه من الاقانيم الثلاثة وليس فيه شئ يدل على ذلك لانصاً ولا ظاهراً فان لفظ الابن لم يستعمل قط في الكتب الالهية فى معنى صفة من صفات الله ولم يسم أحد من الانبياء علم الله ابنه ولا سموا كلامه ابنه ولكن عندكم انهم سموا عبده أو عباده ابنه او بنيه واذا كان كذلك فدعواكم ان المسيح أراد بالعلم ابن الله وكلامه دعوى في غاية الكذب على المسيح وهو حمل للفظ على مالم يستعمله هو ولا غيره فيه لاحقيقة ولا مجازاً فاى كذب وتحريف لكلام الانبياء أعظم من هذا ولو كان لفظ الابن يستعمل فى صفة الله لسميت حياته ابناً وقدرته ابناً فتخصيص العلم بلفظ الابن دون الحياة خطأ ثاني لوكان لفظ الابن يستعمل في صفة الله فكيف اذا لم يكن كذلك وكذلك روح القدس لم يستعملوها في حياة الله ولا أرادوا بهذا اللفظ حياة الله التي هى صفته وانما أرادوا بذلك ماينزله على الصديقين والانبياء ويؤيدهم به كما في قول داود روحك القدس لاتنزع منى وعندهم ان روح القدس حلت في الحواريين وقد قدمنا ان روح القدس يراد به الملك ويراد به مايجعله فى القلوب من الهدى والقوة ومنه قوله فى بعض النبوات وفى تلك الايام اسكب من روحي على كل قديس وفى زبور داود روحك

الصالح يهديني فى أرض مستقيمة يوضح هذا انهم قالوا فى امانتهم الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومن مريم العذراء وذكروا ان ذلك فى الكتب المقدسة والذي فى الكتب المقدسة لا يكون الا حقاً ولا ريب ان فيها مثل مافى القرآن وفى القرآن ان الله أرسل روحه الى مريم فنفخ فيها فحملت بالمسيح عليه السلام قال تعالى (فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاماً زكيا قالت اني يكون لي ولد ولم يمسنى بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا فحملته فانتبذت به مكاناً قصيا) الى آخر القصة وقال تعالى (والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين وقال تعالى (ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) وهذا الروح هو الرسول كما قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا ونفخ فيها من هذا الروح فكان المسيح مخلوقاً من هذا الروح ومن أمه مريم كما قالوا فى الامانة انه تجسد من مريم ومن روح القدس لكن اعتقدوا ان روح القدس التى خلق المسيح منها ومن مريم هي حياة الله وهذا ليس فى الكتب ما يدل عليه بل الكتب كلها صريحة في نقيض هذا وهو أيضاً مناقض لقولهم ان المتحد بالمسيح هو اقنوم الكلمة وهو العلم فان كان قد تجسد من مريم واقنوم الكلمة لم يكن تجسد من روح القدس وان كان من روح القدس لم يكن من الكلمة

وان كان منهما جميعاً كان المسيح اقنومين اقنوم الكلمة واقنوم الروح والنصارى بفرقهم الثلاثة كلهم يقولون انما المتحد به اقنوم الكلمة لا اقنوم الحياة فتبين تناقضهم فى امانتهم وتبين خطأهم فيما فسروا به كلام الانبيآء وتبين ان ماثبت عن الانبياء فهو حق موافق لما اخبر به محمد خاتم النبيين لايناقض شيء من كلام الانبياء كما انه لايناقض شيء من كلامهم صريح المعقول وتبين انهم حملوا كلام الانبياء في لفظ الابن وروح القدس وغيره على مالم يوجد استعمال هذا اللفظ فيه وتركوا حمله على المعنى الموجود فى كلامهم فكيف يجوز أن يحمل لفظ روح القدس على معنى لم يستعمله فيه الانبياء ولا ارادوه به ويترك حمله على المعنى المعروف الذي يستعملونه فيه دائماً وهل هذا الامن فعل من يحرف كلام الانبياء ويفتري الكذب عليهم بل ظاهر هذا الكلام ان يعمدوهم باسم الاب الذى يريدون به في لغتهم الرب والابن الذى يريدون به في لغتهم المربى وهو هنا المسيح وروح القدس وهو روح القدس الذى أيد الله به المسيح من الملك والوحي وغير ذلك وبهذا فسر هذا الكلام من فسره من اكابر علمائهم

(فصل) فهذا ما ذكروه في كتابهم يحتجون بها على مايعتقدونه من الاقانيم الثلاثة قائلين ان تسمية الله انه أب وابن وروح القدس اسماء لم نسمه نحن النصارى بها من ذوات أنفسنا بل الله سمى لاهوته بها وقد تبين انه ليس فيما ذكروه عن الانبياء ما يدل لانصا ولا ظاهرا على ان احدا من الانبيآء سمى الله ولا شيئاً من صفاته ابنا ولا روح قدس وتبين ان تسميتهم لعلم الله وكلامه ابنا وتسميتهم لحياته روح

القدس اسماء ابتدعوها ما انزل الله بها من سلطان وانه ليس معهم على ما ادعوه من الاقانيم حجة أصلاً لا سمعية ولا عقلية وانه ليس لقولهم بالتثليث وحصرهم لصفات الله في ثلاثة مستند شرعى كما تبين انه ليس له مستند عقلي وان القوم ممن قيل فيهم لوكنا نسمع او نعقل ما كنا في أصحاب السعير وممن قيل فيهم أم تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالأنعام بل اضل سبيلا

(فصل) ثم أخذوا يزعمون ان فيما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم حجة لهم على الاقانيم التى ادعوها وهم ابتدعوا القول بالاقانيم والتثليث قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم وذلك معروف عندهم من حين ابتدعوا الامانة التى لهم التى وضعها الثلاث مائة وثمانية عشر منهم بحضرة قسطنطين الملك فاذا لم يكن لهم مستند عقلى ولا سمعى عن الانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم فكيف يكون لهم مستند فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بعد ابتداعهم الامانة لاسيما مع العلم الظاهر المتواتر ان محمدا صلى الله عليه وسلم كفرهم فى الكتاب الذى أنزل عليه وضللهم وجاهدهم بنفسه وأمر بجهادهم كقوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقوله تعالى (وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون وقال لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة (وقال ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم ونحو ذلك من الآيات وقالوا وقد قال فى هذا الكتاب أيضاً (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا الصالحين) فيقال لهم حرفتم لفظ الآية ومعناها فان لفظها (ولقد

سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) فالكلمة التي سبقت لعباده المرسلين قوله (انهم لهم المنصورون أخبر انه سبق منه كلمة لعباده المرسلين لينصرنهم كما قال تعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى) وقوله (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفي شك منه مريب) وقوله (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم أصحاب النار) وقوله (وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم) وقوله (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) والكلمة في لغة العرب هي الجملة المفيدة سواء كانت جملة اسمية أو فعلية وهي القول التام . وكذلك الكلام عندهم هو الجملة التامة . قال سيبويه واعلم انهم يحكون بالقول ما كان كلاما ولا يحكون به ما كان قولا ولكن النحاة اصطلحوا على ان يسموا ما تسميه العرب حرفا يسمونه كلمة مثل زيد وعمرو ومثل قعد وذهب وكل حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل مثل ان وثم وهل ولعل قال تعالى (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم) فسمى هذه الجملة كلمة وقال تعالى (مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة) وهو قول لا اله الا الله . وقال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال تعالى (يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) وقوله تعالى (وألزمهم

كلمة التقوى) وكانوا أحق بها وأهلها وقال النبي صلى الله عليه وسلم كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد الا كل شيء ماخلا الله باطل • وقال النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة ولما شاع عند المشتغلين بالنحو استعمال لفظ الكلمة في الاسم أو الفعل وحرف المعنى صاروا يظنون ان هذا هو كلام العرب ثم لما وجد بعضهم ماسمعه من كلام العرب انه يراد بالكلمة الجملة التامة صار يقول وكلمة بها كلام قد يؤم فيجعل ذلك من القليل ومنهم من يجعل ذلك مجازا وليس الأمر كذلك بل هذا اصطلاح هؤلاء النحاة فان العرب لم يعرفوا عنهم انهم استعملوا لفظ الكلمة والكلام الا فى الجملة التامة وهكذا نقل عنهم أئمة النحو كسيبويه وغيره فكيف يقال ان هذا هو المجاز وان هذا قليل وهذا كما ان لفظ القديم في لغة العرب هو المتقدم على غيره كما قال تعالى (حتى عاد كالعرجون القديم)وقوله تعالى(واذلم يهتدوا به فسيقولون هذا أفك قديم)وقوله تعالى(أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون) ثم ان من اهل الكلام من خص لفظ القديم بما لم يسبقه عدم اومالم يسبقه غيره وصار هذا عندهم هو حقيقة اللفظ حتي صار كثير منهم يظن ان استعمال القديم في المتقدم على غيره مطلقاً مجاز فتبين ان مراده تعالى بقوله (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) من جنس قوله (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما)فسبق منه كلمته بما سيكون من نصر المرسلين وملء جهنم من الجنة والناس اجمعين ونحو ذلك

تحرف هؤلاء الضلال لفظ الآية فقالوا العبادنا الصالحين وجعلوا الكلمة هى المسيح وليس فى اللفظ مايدل على ذلك بوجه من الوجوه ولا فى كون المسيح سبق لعبادنا المرسلين معنى صحيح وقد قال تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون)

(فصل) قالوا وقال أيضاً (ياعيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس) فيقال هذا مما لاريب فيه ولا حجة لكم فيه بل هو حجة عليكم فان الله ايد المسيح عليه السلام بروح القدس كما ذكر ذلك فى هذه الآية وقال تعالى في البقرة (ولقد آتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس) وقال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس) وهذا ليس مختصاً بالمسيح بل قد أيد غيره بذلك وقد ذكروا هم انه قال لداود روحك القدس لاتنزع منى وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت اللهم أيده بروح القدس وفى لفظ روح القدس معك مادمت تنافح عن نبيه وكلا اللفظين فى الصحيح وعند النصارى ان الحواريين حلت فيهم روح القدس وكذلك عندهم روح القدس حلت فى جميع الانبياء وقد قال تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل اكثرهم لايعلمون قل نزله روح القدس

من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمؤمنين) وقد قال تعالى في موضع آخر نزل به الروح الامين على قلبك (وقال من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) فقد تبين ان روح القدس هنا جبريل وقال تعالى (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) وقال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا) وقال تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا أنا فاتقون) وقال (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق) فهذه الروح التى أوحاها والتى تنزل بها الملائكة على من يشاء من عباده غير الروح الامين التي تنزل بالكتاب. وكلاهما يسمى روحا وهما متلازمان فالروح التي ينزل بها الملك مع الروح الامين التى ينزل بها روح القدس يراد بها هذا وهذا وبكلا القولين فسر المفسرون قوله في المسيح وأيدناه بروح القدس ولم يقل احد ان المراد بذلك حياة الله ولا اللفظ يدل على ذلك ولا استعمل فيه وهم اما ان يسلموا ان روح القدس في حق غيره ليس المراد بها حياة الله فاذا ثبت ان لها معنى غير الحياة فلو استعمل في حياة الله ايضاً لم يتعين ان يراد بها ذلك فى حق المسيح فكيف ولم يستعمل في حياة الله فى حق المسيح واما ان يدعوا ان المراد بها حياة الله في حق الانبياء والحواريين فان قالوا ذلك لزمهم ان يكون اللاهوت حالا في جميع الانبياء والحواريين

وحينئذ فلا فرق بين هؤلاء، وبين المسيح ويلزمهم أيضاً ان يكون فى المسيح لاهوتان لاهوت الكلمة ولاهوت الروح فيكون قد اتحد به اقنومان ثم فى قوله تعالى (وايدناه بروح القدس) يمتنع ان يراد بها حياة الله فان حياة الله صفة قائمة بذاته لاتقوم بغيره ولا تختص ببعض الموجودات غيره. واما عندهم فالمسيح هو الله الخالق فكيف يؤيد بغيره وأيضاً فالمتحد بالمسيح هو الكلمة دون الحياة فلا يصح تأييده بها فتبين انهم يريدون ان يحرفوا القرآن كما حرفوا غيره من الكتب المتقدمة وان كلامهم في تفسير المتشابه من الكتب الالهية من جنس واحد

(فصل)قالوا وقال أيضاً (وكلم الله موسى تكليما) فيقال لهم واى حجة لكم في هذا وانما هو حجة عليكم فانه قد ثبت ان الله كلم موسى تكليما وكلام الله الذى سمعه منه موسى عليه السلام ليس هو المسيح فعلم ان المسيح ليس هو كلام الله وعندهم هو كلمة الله وهو علم الله وهو الله ومعلوم ان كلام الله كثير كالتوراة والانجيل والقرآن وغير ذلك من كلامه وليس المسيح شيئاً من ذلك والمسيح عندهم خالق ولو كان المسيح نفس كلام لم يكن خالقاً ولا معبوداً فان كلام الله هو الاله المعبود بل كلامه كسائر صفاته مثل حياته وقدرته ولا يقول أحد ياعلم الله اغفر لى ولا يا كلام الله اغفر لى وانما يعبد ويدعى الاله الموصوف بالعلم والقدرة والكلام الذى كلم الله موسى تكليما

(فصل)قالوا وقال أيضاً في سورة التحريم (ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه

وكانت من القانتين) فيقال اما قوله تعالى (فنفخنا فيه من روحنا)
وقوله في سورة الانبياء (والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا
وجعلناها وابنها آية للعالمين) فهذا قد فسره قوله تعالى (فارسلنا اليها
روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا
قال انما أنا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا) وفي القراءة لاهب لك
غلاما زكيا فاخبر انه رسوله وروحه وانه تمثل لها بشرا وانه ذكر انه
رسول الله اليها فعلم ان روحه مخلوق مملوك له ليس المراد حياته التي
هي صفته سبحانه وتعالى وكذلك قوله (فنفخنا فيها من روحنا) وهو
مثل قوله في آدم عليه السلام فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وقد
شبه المسيح بآدم في قوله (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من
تراب ثم قال له كن فيكون) والشبهة في هذا نشأت عند بعض الجهال
من ان الانسان اذا قال روحي فروحه في هذا الباب هي الروح التي
في البدن وهي عين قائمة بنفسها وان كان من الناس من يعني بها الحياة
والانسان مؤلف من بدن وروح وهي عين قائمة بنفسها عند سلف
المسلمين وائمتهم وجماهير الامم والرب تعالى منزه عن هذا وانه ليس
مركباً من بدن وروح ولا يجوز ان يراد بروحه مايريد الانسان بقوله
روحي بل تضاف اليه ملائكته وما ينزله على انبيائه من الوحي والهدى
والتأييد ونحو ذلك

(فصل) قالوا وسائر المسلمين يقولون ان الكتاب كلام الله ولايكون
كلام الا لحي ناطق وهذه صفات جوهرية تجري مجرى الاسماء وكل
صفة منها غير الاخرى فالاله واحد خالق واحد ورب واحد لايجزى

فيقال لهم اما قول المسلمين ان الكتاب أى القرآن كلام الله فهذا حق والكلام لايكون الا لمتكلم. والمسلمون يقولون ان الله حي متكلم وانه تكلم بالتوراة والانجيل والقرآن وغير ذلك من كلامه والقرآن قد اخبر بكلام الله في مواضع كثيرة وهل يسمي الرب ناطقاً كلامه نطقاً • فيه نزاع فبعض المسلمين يجيزه و بعضهم يمنع منه لكونه لم يرد به الشرع وليس في التوراة والانجيل والزبور تسمية الله ناطقاً بخلاف لفظ القول والكلام وقد تنازع المسلمون بعد ظهور البدع فيهم كما تنازع أهل الكتاب في كلام الله هل هو قائم به او مخلوق منفصل عنه والذى عليه سلف الامة وائمتها وجمهورها ان كلام الله قائم به و كذلك سائر ما يوصف به من الحياة والقدرة وغير ذلك • وأحدث قوم منهم بعد انقراض الصحابة واكابر التابعين بعد اكثر من مائة سنة من موت النبي صلي الله عليه وسلم انه مخلوق خلقه فى غيره وشاركهم فى هذه البدعة كثير من اليهود والنصارى وظهرت هذه المقالة بعد المائة الثانية وانتصر لها قوم من الولاة وغيرهم ثم أطفاها الله بمن اقامه الله من ائمة الاسلام والسنة الذين بينوا فسادها وبينوا ما اتفق عليه السلف من ان كلام الله منزل منه غير مخلوق بل منه بدا لم يبتد من شيء من المخلوقات ومع هذا فلم يقل أحد من المسلمين ان كلام الله يكون إلهاً ولا رباً. وكذلك حياته لم يقل أحد منهم ان حياته تكون الهاً ولا ربا ولا انه مساو للرب تعالى في الجوهر

(فصل)واما قولهم هذه صفات جوهرية تجرى مجرى اسماء • فان ارادوا بقولهم جوهرية ان كل صفة جوهر فهذا كلام ظاهر الفساد

فان الصفة القائمة بغيرها لاتكون جوهراً قائماً بنفسه ومن ظن ان حرارة النار القائمة بها جوهر قائم بنفسه كالنار فهو اما مصاب في عقله واما مسفسط معاند . والاول يستحق علاج المجانين والثاني يستحق العقوبة التي تردعه عن العناد ثم ان جاز ان تكون الصفة جوهراً كانت القدرة أيضاً جوهراً وان ارادوا بقوله جوهرية انها صفات ذاتية وغيرها صفات فعلية كالخالق والرازق . فمعلوم ان صفاته الذاتية منها القدرة وغيرها لم تحصر في هذه وأيضاً فالكلام وان كان قائماً بذاته فقيل هو متعلق بمشيئته وقدرته وهو قول السلف والاكثرين وقيل ليس كذلك والمتكلم قيل هو من فعل الكلام ولو كان منفصلا عنه وقيل هو من قام به الكلام وان لم يكن بمشيئته وقدرته وقيل المتكلم من قام به الكلام بمشيئته وقدرته وهذا قول السلف والاكثرين فبطل قولهم على كل تقدير وان ارادوا بالجوهرية انها ذاتية مقومة وباقي الصفات عرضية على رأي أهل المنطق اليونان الذين يفرقون في الصفات اللازمة للموصوف بين هذا وهذا كان هذا فاسداً من وجوه منها ان تفريق هؤلاء في الصفات اللازمة للموصوف بين صفة وصفة وجعل بعضها ذاتياً مقوما داخلا في الماهية وبعضها عرضياً لاحقاً خارجا عن الماهية كلام باطل عند جماهير نظار الامم من أهل الملل وغيرهم كما قد بسط الكلام عليه في الرد على هؤلاء المتفلسفة وبين ان ما يدعونه من تركيب الانواع من الاجناس والفصول انما هو تركيب في الاذهان لاحقيقة له في الاعيان وان ما يقوم بالاذهان يختلف باختلاف تصور الاذهان . فتارة يتصور الشئ مجملا . وتارة يتصوره مفصلا . وما

سموه تمام الماهية والداخل فى الماهيــة والخارج عنها اللازم لها يعود
عند التحقيق الى مايدل عليــه اللفظ بالمطابقة والتضمن والالتزام
ومدلول اللفظ هو بحسب مايعنيه المتكلم ويقصده ويتصوره وهــذا
يختلف باختلاف ارادات الناس لايرجع ذلك الى حقيقة عقلية ولا صفة
ذاتية للموجودات ولهذا لما كان كلامهم باطلا لم يمكنهــم ذكرُ فرق
صحيح بين الذاتي والعرضى اللازم إذ كان كلاهما لازما للموصوف بل
ذكروا ثلاثة فروق والثلاثة باطلة واعترف حذاقهم ببطلانها كقولهم
ان الذاتي يثبت للموصوف بلا وسط والعرضى اللازم انما يثبت بوسط
ثم حذاقهم يفسرون الوسط بالدليل كما فسره ابن سينا. ومنهم من يفسر
الوسط بصفة قائمة بالموصوف كما يفسره الرازى وغيره وهؤلاء لم يفهموا
مراد اولئك فزاد غلطهم واولئك ارادوا بالوسط الدليل كما يريدون
بالحد الاوسط مايعرف باللام في قولك لانه فصار العرضى اللازم عندهم
مايعلم ثبوته للموصوف بدليل وهذا لايرجع الى حقيقة ثابتة في نفس
الامر بل هذا امر يتعلق بالعالم بالصفات فمنهم من يكون تام التصور
فيعلم لزوم الصفة للموصوف بلا دليل. ومنهم من لايكون تام التصور
فلا يعلم ذلك الا بدليل ثم كل ما كان مستلزما لشئ فانه يمكن الاستدلال
به عليه اذ كان الدليل هو الذى يلزم من تحققه تحقق المدلول فيكون
الوسط كل ما كان مستلزماً للعرض فيكون العرض لازم اللازم وهم
معترفون بان من العرضيات مايلزم بلا وسط وقد مثلوا ذلك بالزوجية
والفردية فى العــدد فان العلم بان الاربعة زوج والثلاثة فرد وان كان
ظاهرا لكن العلم بان خمسمائة وثلاثة واربعين نصف الف وستة وثمانين

قد يفتقر الى دليل وقد يفتقر الى تأمل وفكر وهم يقولون مايقول ابن سينا افضل متأخريهم وغيره من ان العرض المنقسم الى الكيف والكم وغير ذلك هو ذاتي لموصوفاته واللون المنقسم الى السواد والبياض هو ذاتي للمتلون . والسوادية والبياضية صفتان ذاتيتان بخلاف الزوجية والفردية . قالوا لان كون هذا اسود وأبيض وعرضاً قائماً بغيره لا يفتقر الى استدلال و نظر بخلاف كون هذا العدد زوجا أو فردا فان هذا قد يفتقر الى نظر واستدلال فانه ينقسم الى قسمين متساويين أو لا ينقسم . ومعلوم ان هذا فرق يعود الى علم العالم بهذه الصفات هل هو جلي أو خفي وهل يفتقر الى نظر واستدلال لا يفتقر او ليس هو فرقا يعود الى الصفة في نفسها ولا الى موصوفها فعلم انه ليس بين ما جعلوه ذاتياً مقوماً داخلا فى الماهية وما جعلوه عرضياً لازماً خارجا عن الماهية فرق يعود الى نفس الماهية التي هي الذات الموصوفة الموجودة فى الخارج ولا الى صفاتها بل جميع صفاتها اللازمة لها سواء فى ذلك ليست الماهية مركبة من هذا دون هذا ولا فيها شيء يتقدم على الماهية في الوجود الخارجي كما يقولون ان الذاتي يتقدم على الماهية فى الوجود والذهن ولا هي الصفات جواهر موجودة في الخارج أجزاء لها كاجزاء الاجسام المركبة وانما هي صفات قائمة بالموصوف يمتنع تقدم شيء منها على الموصوف ولكن اذا قيل في الانسان هو جسم حساس نام متحرك بالارادة ناطق فهنا قد يتصور الذهن هذه الامور ويعبر عنها فكل واحد منهما جزء من الجملة التي فى ذهنه ولسانه والجملة التي في ذهنه ولسانه مركبة من هذه الاجزاء لا ان الانسان الموجود في

الخارج مركب من هذه الاجزاء وانها متقدمة عليه أو انها جواهر فان هذا كله مما يعلم بصريح العقل انه باطل لكن هؤلاء المتفلسفة اليونان ومن اتبعهم كثيراً ما يشتبه عليهم مايتصورونه في الاذهان بما يوجد في الاعيان كما أثبت من أثبت من قدمائهم مثل فيثاغورس وأتباعه اعدادا مجردة موجودة في الخارج • وقد رد ذلك عليهم سائر العقلاء كما رده من بعده منهم وقالوا ان العدد المجرد والمقدار المجرد انما يوجد في الذهن لافي الخارج وانما يوجد فى الخارج المعدودات والمقدورات مثل الاجسام المتفرقة التي تعد كالكواكب أو المتصلة التى تقدر كالافلاك وذاك هو المتصف بالكم المتصل والكم المنفصل الموجود في الخارج واثبت اصحاب افلاطون الكليات العقلية في الخارج التى يسمونها المثل الافلاطونية وزعموا انها قديمة أزلية وأثبتوا بعداً موجودا مجردا جوهراً هو الخلاء وجوهرا قائما بنفسه هو الدهر وجوهرا مجرداً قائماً بنفسه هو المادة والهيولى الازلية . وهذه كلها انما تتصور في الاذهان لافي الاعيان بل وما أثبتوه من العقول المجردة العشرة هي أيضاً عند التحقيق ترجع الى مايجرده الذهن ويقدره فيه لا الى موجود فى الخارج. وأصل قولهم المجردات والمفارقات هو مأخوذ من مفارقة النفس الناطقة للبدن بالموت وهذا حق فان الذي عليه الانبياء واتباعهم وجمهور العقلاء ان الروح تفارق البدن وتبقى بعد فراق البدن ومن قال من متكلمة أهل الملل انه لايبقى بعد البدن روح تفارقه وان الروح جزء من البدن او عرض من اعراض البدن فقوله مع انه خطأ في العقل الصريح هو أيضاً مخالف لكتب الله المنزلة ولرسله

ولمن اتبعهم من جميع أهل الملل وهذه الامور مبسوطة في غير هذا الموضع والمقصود هنا التنبيه على ان تفريق هؤلاء اليونانين في الصفات اللازمة للموصوف بين الصفات الذاتية والعرضية اللازمة وجعلهم اللازمة منها ماهو لازم للماهية ومنها ماهو لازم لوجودها هو مبنى على أصلين فاسدين لهم خالفهم فيها جمهور عقلاء الامم من نظار أهل الملل وغيرهم ٠ أحد الاصلين هو ما تقدم من جعلهم الصفات اللازمة للموصوف هي في الخارج منقسمة الى ذاتي جزء من الماهية داخل فيها والى عرضي خارج عنها لازم لها والثانى زعمهم ان كل موجود ممكن وله فى الخارج ماهية هى ذاته وحقيقته غير الموجود المعلوم المعين الثابت في الخارج وهذا أيضا مما اشتبه عليهم فيه مافي الذهن بما فى الخارج فانه اذا أريد بالماهية مايتصور في الذهن وهو المقول في جواب ماهو وبالوجود ماهو ثابت متحقق فى الخارج فمعلوم ان هذا غير هذا كما يقولون انا نتصور المثلث قبل ان نعلم وجوده فى الخارج فعلم ان ماهية المثلث غير المثلث الموجود في الخارج فانه يقال لهم ان أردتم ان مايتصور فى الذهن من المثلث غير الوجود فى الخارج وهذا حق لكن ليس فى هذا مايدل على انه فى الخارج عن الذهن شيئين أحدهما ماهية المثلث التي هي حقيقته وذاته والثاني المثلث الموجود الذي هو زاوية الحائط وان أردتم ان فى الخارج شيئين فهذا غلط وهذا الموضع مما اشتبه على كثير من النظار حتى صار بعض اكابرهم حائراً متوقفاً وبعضهم يختلف قوله ويتناقض وسبب ذلك عدم تمييزهم بين مايتصور في الاذهان وبين مايوجد فى الاعيان ثم هذا الموضع نقلوه الى الكلام

في صفات الله اللازمة له كحياته وعلمه وقدرته هل هي ذاتية اوعرضية فان قيل ذاتية لزم ان تكون له اجزاء متقـدمة عليه تركب منها • وان كانت عرضية لازمة لزم ان يكون قابلاً وفاعلاً • فان كونه فاعلاً غير كونه قابلاً فلزم ان يكون فيه جهتان وهذا من التركيب الذي زعموه منتفياً وذلك يستلزم التركيب وهو التركيب من الذاتيات وقد بين فساد هـذا من وجوه متعددة • منها ان التركيب المعقول هو تركيب الحيوان والنبات والمعادن من ابعاضـه واخلاطه وتركب المبنيات والملبوسات والاطعمة والاشربة من بعاضها واختلاطها • واما تركب الاجسام من الجواهر المنفردة او من المادة والصورة فهـذا مما تنازع فيه جمهور العقلاء وكذلك تركب الشيء من الموجود والماهية سواء كان واجباً او ممكناً هو مما تنازع فيه جمهور العقلاء وكذلك تركبه من الصفات الذاتية المشـتركة والمميزة التي يسمونها الجنس والفصل واما اتصاف الذات بصفات تقوم بها فهـذا هو الذي يعرفه عامة العقلاء ولكن لايسمون هذا تركيباً فمن سماه تركيباً لم يكن نزاعه اللفظي قادحاً فيما علم بالادلة السمعية والعقلية • ثم هم يقولون المركب يفتقر الى اجزائه واجزاؤه غيره وواجب الوجود لايفتقر الى غيره وهـذه كلها الفاظ مجملة فان لفظ الافتقار هنا لم يعنوا به افتقار المفعول الى فاعله ولا المعـلول الى علته الفاعلية فان جزء الشيء لايكون فاعله ولا علته الموجبة له بل يريدون به التـلازم والاشتراط . فان وجود المجموع مستلزم لوجود اجزائه وهو مشروط بذلك • ومنها ان لفظ الجزء ليس مرادهم جزأ مبايناً للجملة فان جزء الجملة ليس مبايناً لهـا • ومنها لفظ الغير فانه يراد

بالغيرين مايجوز مباينة أحدهما لصاحبه او مفارقته له بزمان او مكان او وجود ويراد بهما مايجوز العلم باحدهما دون الآخر وبعض المجموع وصفة الموصوف لايجب ان تفارقه وتباينه بل قد يجوز ان تباينه ويجوز ان لاتباينه . فصفات الرب عزّ وجل اللازمة له لايجوز ان تفارقه وتباينه وحينئذ فمن الناس من لا يسميها غيراً له ومن سماها غيرا له فذاته مستلزمة لها ليست الصفات فاعلة للذات ولا علة موجبة لها ولفظ واجب الوجود يراد به الموجود بنفسه الذي لافاعل له ولا علة فاعلة . وذات الرب عزّ وجل وصفاته واجبة الوجود بهذا الاعتبار ويراد به مع ذلك المستغنى عن محل يقوم به والذات بهذا المعنى واجبة دون الصفات ويراد به مالا تعلق له بغيره وهذا لاحقيقة له فان الرب تعالى له تعلق بمخلوقاته لاسيما عند هؤلاء الفلاسفة الدهرية الذين يقولون انه موجب بذاته للافلاك مستلزم لها فيجعلونه ملزوماً لمفعولاته فكيف ينكرون ان تكون ذاته ملزومة لصفاته وهؤلاء المتفلسفة اليونانيون الذين يسمون المشائين اتباع ارسطو صاحب التعاليم المنطق والطبيعي والرياضى والالهي يقولون ان موضوع العلم الطبيعي متعلق بالمادة في الذهن والخارج وهو الجسم واحكامه والثاني الرياضى وهو متعلق بالمادة في الخارج لافي الذهن فانه لايوجد عدد ولا مقدار في الخارج الا فى جسم فى الخارج اوعرض معدود ومقدر منفصل بخلاف الذهن فانه يجرد اعدادا ومقادير مجردة عن المعدودات والمقدورات . والثالث الذى يسمونه علم مابعد الطبيعة باعتبار السلوك العلمى وهو علم ما قبلها باعتبار الوجود العينى ويسمونه أيضاً العلم الالهي وموضوعه عندهم

المجرد عن المادة فى الذهن والخارج وهو الموجود من حيث هو
موجود وانقسامه الى جوهر وعرض وانقسام الجوهر الى جسم وغير
جسم وانقسام غير الجسم الى المادة والصورة والعقول والنفوس والعلة
الاولى يسميها ارسطو واتباعه جوهراولا يسميها واجب الوجود. واما
متأخروهم كابن سينا واتباعه يسمونها واجب الوجود ولا يسمونها
جوهراً والكلام على هؤلاء مبسوط فى موضع آخر اذ المقصود هنا
ان هذه الامور التي يقولون هى موضوع العلم الالهي وهي المجردة
عندهم عن المادة في الذهن والخارج هى عند التحقيق وجودها في
الاذهان لافي الاعيان. فان الوجود العام الكلي لايوجد عاماً كلياً الا فى
الاذهان لافي الاعيان كما ان الانسان العام الكلي والحيوان العام الكلي
لايوجد عاماً كلياً الا في الذهن لا في الاعيان وقد بسط الكلام على
هؤلاء فى غير هذا الموضع وبين ان اليهود والنصارى بعد النسخ
والتبديل أقرب الى الحق في الامور الالهية منهم وهذه الامور مبسوطة
فى موضع آخر ولكن نبهنا عليها لتعلقها هنا بقول هؤلاء النصارى
ان صفات الرب الثلاث هى جوهرية دون غيرها وانهم ان عنوا بذلك
مايعنيه هؤلاء بالذاتية فقولهم باطل مبنى على أصل باطل. فان تفريق
هؤلاء اليونان في الصفات اللازمة بين الذاتى والعرضى اللازم للموجود
والعرضى اللازم للماهية والعرضى اللازم للموصوف فرق باطل وقد
ذكروا ثلاث فروق كلها باطلة كما تقدم. الاول الوسط والفرق الثاني
تقدم الذاتى ذهنا ووجودا بخلاف اللازم العرضى. والثالث توقف
الحقيقة على الذاتى وقد تبين بطلان هذا في غير هذا الموضع

والنصارى ليس مرادهم بالجوهرية مايريده هؤلاء بالذاتية فلهذا لم نبسط الكلام عليه بل يقولون ان الثلاثة جواهر وهؤلاء المنطقيون يفرقون بين اللازم للماهية واللازم لوجودها بناء على ان في الخارج شيئين .الوجود وماهية اخرى غير الوجود. والكلام على هذا كله مبسوط فى موضع آخر. ومنها انه لو قدر ان صفات الموصوفات اللازمة لها تنقسم الى ذاتى مقوم وعرضى لازم وان صفات الرب سبحانه كذلك لم يكن تخصيص العلم بانه ذاتى اولى من القدرة فليس ذكر القائم بنفسه الحي العالم باولى من ذكر القائم بنفسه الحي القادر .والنصاري لما كانت الاقانيم عندهم ثلاثة وزعموا ان الشرع المنزل دل على ذلك وكانوا في ذلك مخالفين للشرع المنزل اليهم كما قد بسط فى موضعه .صار طائفة منهم يقولون موجود حى عالم وطائفة يقولون موجود عالم قادر فيجعلون القادر مكان الحي ويجعلون روح القدس هو القدرة وهذا القول وان كان أحسن فى المعنى لكن تفسير روح القدس بالقدرة في غاية البعد الذى يظهر فساده لكل أحد ولا بد لهم من أثبات اقنوم الكلمة الذى يقولون تارة هي العلم وتارة هى الحكمة ويسمونها تارة النطق كما سموها فى كتابهم هذا لان الذى اتحد بالمسيح عندهم هى اقنوم الكلمة فصاروا تارة يضمون اليها الحياة وتارة يضمون اليها القدرة والاب تارة يقولون هو الوجود. وتارة يقولون القائم بنفسه وتارة يقولون الذات وتسمى القائم بنفسه بالسريانية الكيان وتارة يقولون الجود وكل هذا من الحيرة والضلال لانهم لا يجدون ثلاث معاني هي المستحقة لان تكون جوهرية دون غيرها من الصفات سواء فسرت الجوهرية بانها جواهر اوبانها

ذاتية مقومة او بغير ذلك. ومنها قولهم تجرى مجرى أسماء. فان ارادوا
بذلك أسماء اعلام او جامدة وسائرها صفات فاسم الحي والعالم اسم مشتق
يدل على معنى العلم والحياة كما يدل القدير على القدرة وان ارادوا انه
يسمى بها فالله تعالى اسماء كثيرة فانه سبحانه له الاسماء الحسنى ومن
اسمائه القدير والقدرة تستلزم من قدرته على المخلوقات ما لا يدل عليه
العلم . وخلقه للمخلوقات يدل على قدرته ابلغ من دلالته على علمه
واختصاصه بالقدرة اظهر من اختصاصه بالعلم حتى ان طائفة من
النظار كابي الحسن الاشعرى وغيره يقول أخص وصفه القدرة على
الاختراع فلا يوصف بذلك غيره. والجهم بن صفوان قبله يقول ليس
في الوجود قادر غيره ولا لغيره قدرة. والاشعرى وان أثبت للمخلوق
قدرة لكن يثبت قدرة لا تؤثر في المقدور ولم يقل أحد من العقلاء
ان اخص وصفه الحياة والعلم ولا ان غيره ليس بحي ولا عالم فكان
جعل القدير اسما وغيره صفة ان كان الفرق حقا اولى من العكس
فكيف اذا كان الفرق باطلا فان اسماءه تعالى التي يعرفها الناس هي اسماء
وهي صفات في اصطلاح أهل العربية تدل على معانى هي صفاته القائمة
به. فالحي يدل على الحياة والعليم يدل على العلم والقدير يدل على القدرة
هذا مذهب سلف الامة وجماهيرها وجماهير الامم. ومن الناس فرقة
شاذة تزعم ان هذه الاسماء لا تدل على معانى كاسماء الاعلام وقد تنازع
الناس فيما يسمى به سبحانه ويسمى به غيره كالحي والعليم والقدير. فالجمهور
على انه حقيقة فيهما. وقالت طائفة كابي العباس الناشى انها حقيقة في
الرب عز وجل مجاز في المخلوق. وقالت طائفة عكس هؤلاء من الجهمية

والملاحدة والمتفلسفة أنها مجاز في الرب عز وجل حقيقة فى المخلوق والاولون هي عندهم متواطئة وقد يسمونها مشككة لما فيها من التفاضل وبعضهم يقول هي مشتركة اشتراكا لفظيا

(فصل) واما قولهم كل صفة منها غير الاخرى فهذا ان ارادوا به ان صفات الرب سبحانه وتعالى قد تباينه وتنفصل عنه وهو حقيقة قولهم ويقولون مع ذلك أنها متصلة به فهو جمع بين النقيضين وتمثيلهم بشعاع الشمس تمثيل باطل وهو حجة عليهم لالهم . فان الشعاع القائم بالهوآء والارض والجبال والشجر والحيطان ليس هو قائم بذات الشمس . والقائم بذات الشمس ليس هو قائماً بالهوآء والارض . فان قالوا بل مايقوم به من العلم يفيض منه على قلوب الانبياء علوم كما يفيض الشعاع من الشمس . قيل لهم لااختصاص للمسيح بهذا بل هذا قدر مشترك بينه وبين غيره من الانبياء وليس فى هذا حلول ذات الرب ولا صفته القائمة به بشيء من مخلوقاته ولا ان العبد بما حل فيه من العلم والايمان يصير إلهاً معبوداً وان أرادوا أنها قائمة به وتسمى كل واحدة غير الاخرى . فهنا نزاع لفظي هل تسمى غيراً أولا تسمى غيراً . فان من الناس من يقول كل صفة للرب عزّ وجل فهى غير الاخرى ويقول الغيران ماجاز وجود أحدهما مع عدم الآخر . او ماجاز العلم باحدهما مع الجهل بالآخر . ومنهم من يقول ليست هى الاخرى ولا هى هي لان الغيرين ماجاز وجود أحدهما مع عدم الآخر . او ماجاز مفارقة أحدهما الآخر بزمان او مكان او وجود . والذي عليه سلف الامة وائمتها اذا قيل لهم علم الله وكلام الله هل هو غير الله أم لا ؟ لم يطلقوا النفى ولا الاثبات فانه اذا

قيل لهم غيره اوهم انه مباين له • واذا قال ليس غيره اوهم انه هو بل يستفصل السائل فان أراد بقوله غيره انه مباين له منفصل عنه فصفات الموصوف لا تكون مباينة له منفصلة عنه وان كان مخلوقاً فكيف بصفات الخالق • وان أراد بالغير انها ليست هي هو فليست الصفة هي الموصوف فهي غيره بهذا الاعتبار واسم الرب تعالى اذا أطلق يتناول الذات المقدسة بما يستحقه من صفات الكمال فيمتنع وجود الذات عرية عن صفات الكمال. فاسم الله يتداول الذات الموصوفة بصفات الكمال وهذه الصفات ليست زائدة على هذا المسمى بل هي داخلة في المسمى ولكنها زائدة على الذات المجردة التي تثبتها نفاة الصفات فاولئك لما زعموا انه ذات مجردة قال هؤلاء بل الصفات زائدة على ما اثبتموه من الذات • واما في نفس الامر فليس هناك ذات مجردة تكون الصفات زائدة عليها بل الرب تعالى هو الذات المقدسة الموصوفة بصفات الكمال. وصفاته داخلة في مسمى اسمائه سبحانه وتعالى

(فصل) وقولهم فالاله واحد خالق واحد رب واحد هو حق في نفسه لكن قد نقضوه بقولهم في عقيدة ايمانهم نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد إله حق من إله حق من جوهر أبيه مساوي الاب في الجوهر فاثبتوا هنا إلهين ثم اثبتوا روح القدس إلهاً ثالثاً وقالوا انه مسجود له فصاروا يثبتون ثلاثة آلهة ويقولون انما نثبت إلهاً واحداً وهو تناقض ظاهر وجمع بين النقيضين بين الاثبات والنفي • ولهذا قال طائفة من العقلاء ان عامة مقالات الناس يمكن تصورها الا مقالة النصارى وذلك ان الذين وضعوها لم يتصوروا ماقالوا بل تكلموا

بجهل وجمعوا فى كلامهم بين النقيضين ولهذا قال بعضهم لو اجتمع عشر نصارى لتفرقوا عن أحد عشر قولاً. وقال آخر لو سألت بعض النصارى وامرأته وابنه عن توحيدهم لقال الرجل قولاً وامرأته قولا آخر وابنه قولا ثالثاً

(فصل) وقولهم لايتبعض ولايتجزى مناقض لما ذكروه في امانتهم ولما يمثلونه به فانهم يمثلونه بشعاع الشمس والشعاع يتبعض ويتجزى فان مايقوم منه بهذا الموضع بعض وجزء منه ويمكن زوال بعضه مع بقاء بعض فانه اذا وضع على مطرح الشعاع شئ فصل مابين جانبيه وصار الشعاع الذي كان بينهما على ذلك الفوقاني فاصلا بين الشعاعين السافلين يبين ذلك ان الشعاع قائم بالارض والهواء وكل منهما متجزى متبعض وما قام بالمتبعض فهو متبعض فان الحال يتبع المحل وذلك يستلزم التبعيض والتجزي فيما قام به.ويقولون أيضاً انه اتحد بالمسيح وانه صعد الى السماء وجلس عن يمين الاب وعندهم ان اللاهوت منذ اتحد بالناسوت لم يفارقه بل لما صعد الى السماء وجلس عن يمين الاب كان الصاعد عندهم هو المسيح الذي هو ناسوت ولاهوت اله تام وانسان تام فهم لايقولون ان الجالس عن يمين الاب هو الناسوت فقط بل اللاهوت المتحد بالناسوت جلس عن يمين اللاهوت فاى تبعيض وتجزئة ابلغ من هذا وليس هذا من كلام الانبياء حتى يقال ان له معنى لانفهمه بل هو من كلام اكابرهم الذي وضعوه وجعلوه عقيدة ايمانهم فان كانوا تكلموا بما لايعقلونه .. فهم جهال لايجوز ان يتبعوا وان كانوا لايعقلون ما قالوه فلا يعقل احد من كون اللاهوت المتحد بالناسوت

جلس عن يمين اللاهوت المجرد عن الاتحاد. الا ان هـذا اللاهوت المجرد منفصل مباين للاهوت المتحد وليس هو متصلاً به بل غايته ان يكون مماساً له بل يجب ان يكون الذى يماس اللاهوت المجرد هو الناسوت مع اللاهوت المتحد به فهـذا حقيقـة التبعيض والتجزئة مع انفصال أحد البعضين عن الآخر. وأيضاً فيقال لهم المتحد بالمسيح اهو ذات رب العالمين ام صـفة من صفاته فان كان هو الذات فهو الاب نفسه ويكون المسيح هو الاب نفسه وهذا مما اتفق النصارى على بطلانه فانهم يقولون هو الله وهو ابن الله كما حكى الله عنهم ولا يقولون هو الأب. والابن والاب عندهم هو الله وهذا من تناقضهم. وان قالوا المتحد بالمسيح صـفة الرب فصفة الرب لاتفارقه ولا يمكن اتحادها ولا حلولها في شئ دون الذات وايضاً فالصفة نفسها ليست هي الاله الخالق رب العالمين بل هي صفة ولا يقول عاقل ان كلام الله او علم الله أو حياة الله هي رب العالمين الذى خلق السموات والارض فلو قدر ان المسيح هو صفة الله نفسها لم يكن هو الله ولم يكن هو رب العالمين ولا خالق السموات والارض. والنصارى يقولون ان المسيح رب العالمين خالق كل شي وهو خالق آدم ومريم وان كان ابن آدم ومريم فانه خالق ذلك بلاهوته وهو ابن آدم ومريم بناسوته فلو قدر ان المسيح هو صفة الرب لم تكن الصفة هي الخالق فكيف والمسيح ليس هو صفة الله نفسها بل هو مخلوق بكلمة الله وسمى كلمة الله لان الله كونه بكن وقال تعالى (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ماكان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضي

أمراً فانما يقول له كن فيكون) وسماه روحه لانه خالقه من نفخ روح القدس فى ابنه لم يخلقه كما خلق غيره من اب آدمى قال الله تعالى (ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون) وان قالوا المتحد به بعض ذلك دون بعض فقد قالوا بالتبعيض والتجزئة فهم بين أمرين . اما بطلان مذهبهم واما اعترافهم بالتبعيض والتجزئة مع بطلانه وأيضاً فقولهم اله حق من اله حق من جوهر ابيه مولود غير مخلوق مساو للاب في الجوهر ابن الله الوحيد المولود قبل كل الدهور يقال لهم هذا الابن المولود المساوى للاب في الجوهر الذى هو اله حق من اله حق هو صفة قائمة بغيرها او عين قائمة بنفسها فان كان الاول فالصفة ليست الهاً ولا هي خالقة ولا يقال لها مولودة من الله ولا انها مساوية لله في الجوهر ولم يسم قط احد من الانبياء ولا اتباع الانبياء صفات الله لا ابناً له ولا ولداً ولا قال ان صفة الله تولدت منه ولا قال عاقل ان الصفة القديمة تولدت من الذات القديمة وهم يقولون ان المسيح اله خلق السموات والارض لاتحاد ناسوته بهذا الابن المولود قبل كل الدهور المساوى الاب فى الجوهر وهذا كله نعت عين قائمة بنفسها كالجواهر القائمة بنفسها لا نعت صفات قائمة بغيرها واذا كان كذلك التبعيض والتجزئة لازمة لقولهم فان القول بالولادة الطبيعية مستلزم لان يكون خرج منه جزء قال تعالى (وجعلوا له من عباده جزأ ان الانسان لكفور مبين ام اتخذ مما يخلق

بنات واصفاكم بالبنين واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم اومن ينشا فى الحلية وهو في الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون) واما هذا المعنى الذي يثبته من يثبته من علماء النصارى ويسمونه ولادة وبنوة فيسمون الصفة القديمة الازلية القائمة بالموصوف ابنا ويسمونها تارة النطق وتارة الكلمة وتارة العلم وتارة الحكمة ويقولون هذا مولود من الله وابن الله فهذا لم يقله احد من الانبياء واتباعهم ولا من سائر العقلاء غير هؤلاء المبتدعة من النصارى ولايفهم أحد من العقلاء من اسم الولادة والبنوة هذا المعنى • والأنبياء لم يطلقوا لفظ الابن الا على مخلوق وهم يقولون هو اب للمسيح بالطبع ولغيره بالوضع فلا يعقل جمهور العقلاء وغيرهم من هذا الا البنوة المعقولة بانفصال جزء من الوالد وهذا ينكره من ينكره من علمائهم لكنهم لم يتبعوا الانبياء ولم يقولوا ما تعقله العقلاء فضلوا فيما نقلوه عن الانبياء واضلوا اتباعهم فيما قالوه وعوامهم وان كانوا لا يقولون ان ولادة الله مثل ولادة الحيوان بانفصال شئ يوجد فيقولون ولادة لاهوتية بانفصال جزء من اللاهوت حل في الناسوت لايعقل من الولادة غير هذا وأيضاً فقولهم ونؤمن بروح القدس الرب المحي المنبثق من الاب الذي هو مع الاب مسجود له وممجد ناطق في الانبياء فقولهم المنبثق من الاب الذي هو مسجود وممجد يمتنع ان يقال هذا في حياة الرب القائمة به فانها ليست منبثقة منه كسائر الصفات اذ لو كان القائم بنفسه منبثقا لكان علمه وقدرته وسائر صفاته منبثقة منه بل الانبثاق في

الـكلام اظهر منه في الحياة فان الـكلام يخرج من المتكلم واما الحياة فلا تخرج من الحي فلو كان في الصفات ما هو منبثق لكان الصفة التى يسمونها الابن ويقولون هي العلم والـكلام او النطق والحكمة اولى بان تكون منبثقة من الحياة التي هى ابعد عن ذلك من الـكلام وقد قالوا أيضاً انه مع الاب مسجود له وممجد والصفة القائمة بالرب ليست معه مسجودا لها وقالوا هو ناطق فى الانبياء وصفة الرب القائمة به لا تنطق في الانبياء بل هذا كله صفة روح القدس الذى يجعله الله في قلوب الانبياء أو صفة ملك من الملائكة كجبريل فاذا كان هذا منبثقا من الاب والانبثاق الخروج فاى تبعيض وتجزئة ابلغ من هذا واذا شبهوه بانبثاق الشعاع من الشمس كان هذا باطلا من وجوده منها ان الشعاع عرض قائم بالهوآء والارض وليس جوهراً قائماً بنفسه وهذا عندهم حي مسجود له وهو جوهر ومنها ان ذلك الشعاع القائم بالهوآء والارض ليس صفة للشمس ولا قائماً بها وحياة الرب صفة قائمة به ومنها ان الانبثاق خصوا به روح القدس ولم يقولوا فى الـكلمة انها منبثقة والانبثاق لو كان حقا لكان الـكلام اشبه منه بالحياة وكلما تدبر العاقل كلامهم فى الامانة وغيرها وجد فيه من التناقض والفساد ما لا يخفى الا على اجهل العباد ووجد فيه من مناقضة التوراة والانجيل وسائر كتب الله ما لا يخفي على من تدبر هذا وهذا ووجد فيه من مناقضة صريح المعقول مالا يخفى الا على معاند اوجهول فقولهم متناقض في نفسه مخالف لصريح المعقول وصحيح المنقول عن جميع الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم وسلامه اجمعين

(فصل) قالوا واما تجسم كلمة الله الخالقة بانسان مخلوق وولادتهما معاً أي الكلمة مع الناسوت فانه لم يخاطب الباري أحداً من الانبياء الا وحياً أو من وراء حجاب حسب ماجاء في هذا الكتاب بقوله (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء) واذا كانت اللطائف لاتظهر الا في الكثائف مثل روح القدس وغيرها فكلمة الله التي بها خلقت اللطائف والكثائف تظهر في غير كثيف كلا . ولذلك ظهر في عيسى بن مريم إذ الانسان أجل ماخلقه الله ولهذا خاطب الخلق وشاهدوا منه ماشاهدوا * والجواب من طرق . أحدها انه يقال هذا الذى ذكروه وادعوا انه تجسم كلمة الله الخالقه بانسان مخلوق وولادتهما معاً اى الكلمة مع الناسوت وهو الذى يعبر عنه باتحاد اللاهوت بالناسوت هو امر ممتنع في صريح العقل وما علم انه ممتنع في صريح العقل لم يجز ان يخبر به رسول فان الرسل انما تخبر عما لايعلم بالعقل انه ممتنع فاما ما يعلم بصريح العقل انه ممتنع فالرسل منزهون عن الاخبار عنه * الطريق الثاني ان الاخبار الالهية صريحة بان المسيح عبد الله ليس بخالق العالم . والنصارى يقولون هو اله تام وانسان تام * الطريق الثالث الكلام فيما ذكروه فاما الطريق الاول فمن وجوه أحدها ان يقال المتحد بالمسيح اما ان يكون هو الذات المتصفة بالكلام أو الكلام فقط وان شئت قلت المتحد به اما الكلام مع الذات واما الكلام بدون الذات فان كان المتحد به الكلام مع الذات كان المسيح هو الاب وهو الابن وهو روح القدس وكان المسيح هو الاقانيم الثلاثة وهذا باطل باتفاق النصارى وسائر أهل الملل وباتفاق الكتب الالهية وباطل

بصريح العقل كما سنذكره ان شاء الله . وان كان المتحد به هو الكلمة فقط فالكلمة صفة والصفة لاتقوم بغير موصوفها والصفة ليست إلهاً خالقاً والمسيح عندهم اله خالق فبطل قولهم على التقديرين وان قالوا المتحد الموصوف بالصفة فالموصوف هو الاب والمسيح عندهم ليس هو الاب . وان قالوا الصفة فقط فالصفة لاتفارق الموصوف ولاتقوم بغير الموصوف والصفة لاتخلق ولا ترزق وليست الاله . والصفة لا تقعد عن يمين الموصوف والمسيح عندهم صعد الى السماء وجلس عن يمين ابيه واما كونه هو الاب فقط وهو الذات المجردة عن الصفات فهذا أشد استحالة وليس فيهم من يقول بهذا الوجه . الثاني ان الذات المتحدة بناسوت المسيح مع ناسوت المسيح ان كانتا بعد الاتحاد ذاتين وهما جوهران كما كانا قبل الاتحاد فليس ذلك باتحاد . وان قيل صارا جوهرا واحدا كما يقول من يقول منهم انهما صارا كالنار مع الحديدة او اللبن مع الماء فهذا يستلزم استحالة كل منهما وانقلاب صفة كل منهما بل حقيقته كما استحال الماء واللبن اذا اختلطا والنار مع الحديدة وحينئذ فيلزم ان يكون اللاهوت استحال وتبدلت صفته وحقيقته . والاستحالة لاتكون الا بعدم شيء ووجود آخر فيلزم عدم شيء من القديم الواجب الوجود بنفسه . وما وجب قدمه استحال عدمه وما وجب وجوده امتنع عدمه فان القديم لايكون قديماً الا لوجوبه بنفسه او لكونه لازما للواجب بنفسه إذ لو لم يكن لازما له بل كان غير لازم له لم يكن قديماً بقدمه . والواجب بنفسه يمتنع عدمه ولازمه لايعدم الا بعدمه فانه يلزم من انتفاء اللازم انتفاء الملزوم . الوجه الثالث ان يقال الناس لهم فى كلام

الله عز وجل عدة اقوال وقول النصارى باطل على جميع الاقوال التى قالها الناس في كلام الله فثبت بطلانه على كل تقدير وذلك ان كلام الله سبحانه اما ان يكون صفة له قائماً به واما ان يكون مخلوقاً له بائناً عنه واما ان يكون لاهذا ولا هذا بل هو مايوجد فى النفوس وهذا الثالث هو ابعد الاقوال عن اقوال الانبياء وهو قول من يقول من الفلاسفة والصابئة ان الرب لاتقوم به الصفات وليس هو خالقاً باختياره ويقولون مع ذلك انه ليس عالماً بالجزئيات ولا قادراً على تغير الافلاك بل كلامه عندهم مايفيض على النفوس وربما سموه كلاما بلسان الحال وهؤلاء ينفون الكلام عن الله ويقولون ليس بمتكلم وقد يقولون متكلم مجازاً لكن لما نطقت به الانبياء عليهم الصلاة والسلام اطلقه من دخل في الملل منهم ثم فسره بمثل هذا وهذا أحد قولى الجهمية والقول الثانى انه متكلم حقيقة لكن كلامه مخلوق خلقه فى غيره وهو قول المعتزلة وغيرهم والقول الآخر للجهمية وعلى هذين القولين فليس لله كلام قائم به حتى يتحد بالمسيح او يحل به والمخلوق عرض من الاعراض ليس بالهخالق وكثير من أهل الكتاب اليهود والنصارى من يقول بهذا وهذا . واما القول الاول وهو قول سلف الامة وائمتها وجمهورها وقول كثير من سلف أهل الكتاب وجمورهم فاما ان يقال الكلام قديم النوع بمعنى انه لم يزل متكلما بمشيئة او قديم العين واما ان يقال ليس بقديم بل هو حادث والاول هو القول المعروف عن ائمة السنة والحديث . واما القائلون بقدم العين فهم يقولون الكلام لايتعلق بمشيئته وقدرته لاعتقادهم انه لاتحله الحوادث وما كان بمشيئته وقدرته لا يكون الا

حادثاً ولهم قولان . منهم من قال القديم معنى واحد او خمسة معان وذلك المعنى يكون أمراً ونهياً وخبراً وهذه صفات له لا أقسام له وان عبر عنه بالعربية كان قرآناً وان عبر عنه بالعبرية كان توراة . ومنهم من قال هو حروف او حروف واصوات قديمة الأعيان والقول الثالث انه متكلم بمشيئته وقدرته كلاماً قائماً بذاته قالوا وهو حادث ويمتنع أن يكون قديماً لامتناع كون المقدور المراد قديماً وهذه الطوائف بنوا أقوالهم على ان مالم يخل عن الحوادث فهو حادث لامتناع وجود مالانهاية له عندهم واذا امتنع ذلك تعين ان يكون لنوع الحوادث ابتداء كما للحادث المعين ابتداء ومالم يسبق الحوادث كان معه او بعده فيكون حادثاً فلهذا منع هؤلاء ان تكون كلمات الله لانهاية لها في الازل وان كان من هؤلاء من يقول بدوام وجودها في الابد . واما القول بان كلمات الله لانهاية لها مع انها قائمة بذاته فهو القول المأثور عن ائمة السلف وهو قول اكثر أهل الحديث وكثير من أهل الكلام ومن الفلاسفة وهذه الاقوال قد بسط الكلام عليها في غير موضع والمقصود هنا ان قول النصارى باطل في كل قول من هذه الاقوال الاربعة كما تقدم بيان بطلانه على ذينك القولين فانه على قول الجمهور الذين يجعلون لله كلمات كثيرة اما كلمات لانهاية لها ولم تزل واما كلمات لها ابتداء واذا كان له كلمات كثيرة فالمسيح ليس هو الكلمات التي لانهاية لها وليس هو كلمات كثيرة بل انما خلق بكلمة من كلمات الله كما في الكتب الالهية القرآن والتوراة انه يخلق الاشياء بكلماته قال تعالى في قصة بشارة مريم بالمسيح (قالت رب انى يكون لي ولد ولم

يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق مايشاء اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون) وقال أيضاً (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وقال (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون) وقد أخبر الله في القرآن بخلقه للاشياء بكلماته في غير موضع بقوله انما أمره اذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون وفي التوراة ليكن يوم الاحد ليكن كذا ليكن كذا وأيضا فعلى قول هؤلاء وعلى قول من يجعل كلامه اما معنى واحد واما خمسة معانى واما حروف واصوات هى شيء واحد فكلهم يقولون ان الكلام صفة قائمة بالموصوف لايتصور ان يكون جوهراً قائماً بنفسه ولا يتصور ان يكون خالقاً ولا للكلام مشيئة ولا هو جوهر آخر غير جوهر المتكلم ولا يتحد بغير المتكلم بل جمهورهم يقولون انه لايحل أيضاً بغير المتكلم ومن قال بالحلول منهم فلا يقول ان الحال جوهر ولا إله خالق • فتبين ان ماقاله النصارى باطل على جميع الاقوال التي قالها الناس فى كلام الله مع ان أكثر هذه الاقوال خطأ ولما كان قول النصارى فساده أظهر للعقلاء كان الخطأ الذي في أكثر هذه الاقوال قد خفى على العقلاء الذين قالوها ولم يخف عليهم فساد قول النصارى • وأيضاً فالذين قالوا بالحلول من الغلاة الذين يكفرهم المسلمون كالذين يقولون بحلوله فى بعض أهل البيت او بعض المشايخ هم وان كانوا كفاراً شاركوا النصارى في الحلول ولكن لم يقولوا ان الكلمة التى حلت هي الاله الخالق فيتناقضون تناقضاً ظاهراً مثل مافى قول النصارى • ومن التناقض

البين ماليس في قول هؤلاء ، وان كان في بعض الوجوه قولهم شر من قول النصارى • الوجه الرابع ان يقال لو كان المسيح نفس كلمة الله فكلمة الله ليست هي الاله الخالق للسموات والارض ولا هي تغفر الذنوب وتجزي الناس باعمالهم سواء كانت كلمته صفة له أم مخلوقة له كسائر صفاته ومخلوقاته فان علم الله وقدرته وحياته لم تخلق العالم ولا يقول أحد ياعلم الله اغفر لي ويا قدرة الله توبي علي ويا كلام الله ارحمني ولا يقول يا توراته او يا انجيله او يا قرآنه اغفر لي وارحمني وانما يدعو الله سبحانه وهو سبحانه متصف بصفات الكمال فكيف والمسيح ليس هو نفس الكلام فان المسيح جوهر قائم بنفسه • والكلام صفة قائمة بالمتكلم وليس هو نفس الرب المتكلم فان الرب المتكلم هو الذى يسمونه الاب والمسيح ليس هو الاب عندهم بل الابن فضلوا في قولهم من جهات منها جعل الاقانيم ثلاثة وصفات الله لاتختص بثلاثة • ومنها جعل الصفة خالقة والصفة لاتخلق • ومنها جعلهم المسيح نفس الكلمة والمسيح خلق بالكلمة فقيل له كن فكان كما سيأتى ان شاء الله تعالى تفسير ذلك وانما خص المسيح بتسميته كلمة الله دون سائر البشر لأن سائر البشر خلقوا على الوجه المعتاد في المخلوقات بخلق الواحد من ذرية آدم من نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم ينفخ فيه الروح وخلقوا من ماء الابوين الاب والام والمسيح عليه السلام لم يخلق من ماء رجل بل لما نفخ روح القدس في امه حبلت به وقال الله له كن فكان ولهذا شبهه الله بآدم في قوله (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) فان آدم عليه السلام خلق من تراب وماء فصار طينا ثم ايبس الطين ثم قال له كن

فكان وهو حين نفخ الروح فيه صار بشراً تاماً لم يحتج بعد ذلك الى ما احتاج اليه اولاده بعد نفخ الروح فان الجنين بعد نفخ الروح يكمل خلق جسده في بطن امه فيبقى في بطنها نحو خمسة اشهر ثم يخرج طفلا يرتضع ثم يكبر شيئاً بعد شيء • وآدم عليه السلام حين خلق جسده قيل له كن فكان بشراً تاماً بنفخ الروح فيه ولكن لم يسم كلمة الله لان جسده خلق من التراب والماء وبقى مدة طويلة يقال اربعين سنة فلم يكن خلق جسده ابداعياً في وقت واحد بل خلق شيئاً فشيئاً وخلق الحيوان من الطين معتاد في الجملة • واما المسيح عليه السلام فخلق جسده خلقاً ابداعياً بنفس نفخ روح القدس في امه قيل له كن فكان . فكان له من الاختصاص بكونه خلق بكلمة الله مالم يكن لغيره من البشر ومن الامر المعتاد في لغة العرب وغيرهم ان الاسم العام اذا كان له نوعان خصت أحد النوعين باسم وابقت الاسم العام مختصاً بالنوع كلفظ الدابة والحيوان فانه عام في كل مايدب وكل حيوان ثم لما كان للآدمي اسم يخصه بقى كلفظ الحيوان يختص به البهيم • ولفظ الدابة يختص به الخيل أو هي والبغال والحمير ونحو ذلك وكذلك لفظ الجائز والممكن وذوى الارحام وامثال ذلك فلما كان لغير المسيح مايختص به ابقى اسم الكلمة العامة مختصاً بالمسيح • الطريق الثاني ان ماذكروه حجة عليهم فان الله اذا لم يكلم أحداً من الانبياء الا وحياً أو من وراء حجاب فالمسيح عيسى بن مريم يجب ان لايكلمه الا وحياً أو من وراء حجاب او يرسل اليه رسولا وقوله تعالى (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب) يعم كل بشر المسيح وغيره واذا امتنع ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب

فامتناع ان يتحد به أو يحل فيه اولى واحرى فان ما اتحد به وحل فيه كلمة من غير حجاب بين اللاهوت والناسوت وهم قد سلموا ان الله لايكلم بشراً الا من وراء حجاب . الوجه الثالث ان قوله (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب) يقتضي ان يكون الحجاب حجاباً يحجب البشر كما حجب موسي فيقتضي ذلك انهم لايرونه في الدنيا وان كلمهم كما انه كلم موسى ولم يره موسى بل سأل الرؤية فقال (رب أرني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين) قيل انا اول من آمن انه لايراك أحد في الدنيا وعندهم في التوراة ان الانسان لايمكنه ان يرى الله في الدنيا فيعيش وكذلك قال عيسى لما سألوه عن رؤية الله فقال ان الله لم يره أحد قط وهذا معروف عندهم واذا كان كذلك فلا بد ان يكون الحجاب الحاجب للبشر ليس هو من البشر وهذا يبطل قول النصاري فانهم يقولون ان الرب احتجب بحجاب بشري وهو الجسد الذي ولدته مريم فاتخذه حجابا وكلم الناس من ورائه . والقرآن يدل على ان الحجاب ليس من البشر يبين هذا الوجه الرابع وهو ان ذلك الجسد الذي ولدته مريم هو من جنس أجسام بني آدم فان جاز ان يتحد به ويحل فيه ويطيق الجسد البشري ذلك في الدنيا بما يجعله الله فيه من القوة جاز ان يتحد بغيره من الاجسام بما يجعله فيه من القوة واذا جاز ان يتحد به جاز ان يكلمها بغير حجاب بينه وبينها بطريق الاولى والاحرى وهذا خلاف ما ذكروه وخلاف

القرآن فتبين ان نفي الانبياء لان يراه المرء في الدنيا هو نفي لمماسته بشر بطريق الاولى والاحرى . والناسوت المسيحي هو بشر فاذا لم يمكنه ان يرى الله فكيف يمكنه ان يتحد به ويماسه ويصير هو واياه كاللبن والماء والنار والحديد أو كالروح والبدن • الوجه الخامس انه من المعلوم ان رؤية الآدمي له أيسر من اتحاده به وحلوله فيه واولى بالامكان فاذا كانت الرؤية في الدنيا قد نفاها الله ومنعها على السن رسله موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه فكيف يجوز اتصاله بالبشر واتحاده به • الوجه السادس انه لو كان حلوله في البشر مما هو ممكن وواقع لم يكن لاختصاص واحد من البشر بذلك دون من قبله وبعده فان القدرة شاملة والمقتضي وهو وجود الله وحاجة الخلق موجود ولهذا لما كانت الرسالة ممكنة ارسل من البشر غير واحد ولما كان سماع كلامه للبشر ممكنا سمع كلامه غير واحد ورؤيته في الدنيا بالابصار لم تقع لاحد باتفاق علماء المسلمين لكن لهم في النبي صلى الله عليه وسلم قولان والذي عليه اكابر العلماء وجمهورهم انه لم يره بعينه كما دل على ذلك الكتاب والسنة. والخلة لما كانت ممكنة اتخذ ابراهيم خليلا واتخذ محمدا أيضاً خليلا كما في الصحيحين من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وقال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله يعني نفسه • الوجه السابع قولهم واذا كانت اللطائف لاتظهر الا في الكثائف مثل الروح وغيرها فكلمة الله التي بها خلقت الكثائف تظهر في غير كثيف كلا؟ • فيقال لهم ظهور اللطائف في الكثائف

كلام مجمل فان اردتم ان روح الانسان تظهر فى جسده او الجنى يتكلم على لسان المصروع ونحو ذلك فليس هذا مما نحن فيه . وان اردتم ان الله تعالى نفسه يحل فى البشر فهذا محل النزاع فاين الدليل عليه وانتم لم تذكروا الا مايدل على نقيض ذلك . الوجه الثامن ان هذا أمر لم يدل عليه عقل ولا نقل ولا نطق نبى من الانبياء بان الله يحل في بشر ولا ادعى صادق قط حلول الرب فيه وانما يدعى الكذابون كالمسيح الدجال الذى يظهر في آخر الزمان ويدعى الالهية فينزل الله تبارك وتعالى عيسى بن مريم مسيح الهدى فيقتل مسيحُ الهدى الذى ادعيت فيه الالهية بالباطل المسيح الدجال الذى ادعى الالهية بالباطل ويبين ان البشر لايحل فيه رب العالمين وهذا لما انذر النبى صلى الله عليه وسلم بالمسيح الدجال وقال مامن نبي الا وقد انذر أمته المسيح الدجال حتى نوح انذر قومه به وذكر النبى صلى الله عليه وسلم له ثلاث دلائل ظاهرة تظهر لكل مسلم تبين كذبه . أحدها قوله مكتوب بين عينيه كافر ك ف ر ويقرأه كل مؤمن قارى وغير قاري . الثانى قوله واعلموا ان أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت فبين ان الله لايراه أحد في الدنيا بعينه وكل بشر فانه يرى في الدنيا بالعين فعلم ان الله لايتجسد ببشر . الثالث قوله إنه اعور وان ربكم ليس باعور ودلائل نفي الربوبية عنه كثيرة لكن لما كان حلول اللاهوت في البشر واتحاده به مذهباً ضل به طوائف كثيرون من بنى آدم النصارى وغيرهم وكان المسيح الدجال يأتي بخوارق عظيمة والنصارى احتجوا على الهية المسيح بمثل ذلك ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من علامات كذبه اموراً ظاهرة لايحتاج فيها

الى بيان موارد النزاع التي ضل فيها خلق كثير من الآدميين فان كثيراً من الناس بل اكثرهم تدهشهم الخوارق حتي يصدقوا صاحبها قبل النظر في امكان دعواه واذا صدقوه صدقوا النصارى فى دعوى الهية المسيح وصدقوا أيضاً من ادعي الحلول والاتحاد في بعض المشائخ أو بعض أهل البيت أو غيرهم من أهل الافك والفجور وبهذا يظهر الجواب عما يورده بعض اهل الكلام كالرازى على هذا الحديث حيث قالوا دلائل كون الدجال ليس هو الله ظاهرة فكيف يحتج النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله انه اعور وان ربكم ليس باعور وهذا السؤال يدل على جهل قائله بما يقع فيه بنو آدم من الضلال وبالادلة البينة التى تبين فساد الاقوال الباطلة والا فاذا كان بنوا اسرائيل في عهد موسى ظنوا ان العجل هو إله موسى فقالوا هذا الهكم وإله موسى وظنوا ان موسى نسيه والنصارى مع كثرتهم يقولون ان المسيح هو الله وفي المنتسبين الى القبلة خلق كثير يقولون ذلك فى كثير من المشائخ او اهل البيت حتى ان كثيراً منا كابر شيوخ المعرفة والتصوف يجعلون هذا نهاية التحقيق والتوحيد وهو ان يكون الموحد هو الموحد وينشدون .

ماوحد الواحد من واحد * اذ كل من وحده جاحد

توحيد من يخبر عن نعته * عارية ابطلها الواحد

توحيده اياه توحيده * ونعت من ينعته لاحد

فكيف يستبعد مع اظهار الدجال هذه الخوارق العظيمة ان يعتقد فيه انه الله وهو يقول انا الله وقد اعتقد ذلك فيمن لم يظهر فيه مثل

خوارقه من الكذابين وفيمن لم يقل انا الله كالمسيح وسائر الأنبياء والصالحين • الوجه العاشر قولهم فكلمة الله التي بها خلقت اللطائف تظهر في غير كثيف كلا • فيقال لهم كلمة الله التي يدعون ظهورها في المسيح اهي كلام الله الذي هو صفته او ذات الله المتكلمة او مجموعهما • فان قلتم الظاهر فيه نفس الكلام فهذا يراد به شيئان ان اريد به ان الله انزل كلامه على المسيح كما انزله على غيره من الرسل فهذا حق اتفق عليه اهل الايمان ونطق به القرآن • وان أريد به ان كلام الله فارق ذاته وحل في المسيح او غيره فهو باطل مع ان هذا لاينفع النصارى فان المسيح عندهم إله خلق السموات والارض وهو عندهم ابن آدم وخالق آدم وابن مريم وخالق مريم ابنها بناسوته وخالقها بلاهوته • وان أرادوا بظهور الكلمة ظهور ذات الله او ظهور ذاته وكلامه في الكثيف الذي هو الانسان فهذا أيضا يراد به ظهور نوره في قلوب المؤمنين كما قال تعالى الله نور السموات والارض الى قوله كوكب دري الآيات وكما ظهر الله من طور سينا واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران وكما تجلى لابراهيم كما ذكره في التوراة فهذا لايختص بالمسيح بل هو كثيره كما هو له • وان أرادوا ان ذات الرب حلت في المسيح أو في غيره فهذا محل النزاع فاين دليلهم على امكان ذلك ثم وقوعه مع ان جماهير العقلاء من أهل الملل وغيرهم يقولون هذا غير واقع بل هو ممتنع • الوجه الحادى عشر قولهم فكلمة الله التي بها خلقت اللطائف تظهر في غير كثيف كلا كلام باطل • فان ظهور مايظهر من الامور الالهية اذا امكن ظهوره فظهوره في اللطيف اولى من ظهوره في الكثيف فان الملائكة تنزل

بالوحي على الانبياء عليهم السلام وتتلقى كلام الله من الله وتنزل به على الانبياء عليهم السلام فيكون وصول كلام الله الى الملائكة قبل وصوله الى البشر وهم الوسائط كما قال تعالى (أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء) والله تعالى ايد رسله من البشر حتى اطاقوا التلقي عن الملائكة وكانت الملائكة تاتيهم احيانا في غير الصورة البشرية واحيانا في الصورة البشرية فكان ظهور الامور الالهية باللطائف ووصولها اليهم أولى منه بالكثائف ولو جاز ان يتحد الرب سبحانه بحي من الاحياء ويحل فيه لكان حلوله في ملك من الملائكة واتحاده به أولى من حلوله واتحاده بواحد من البشر . الوجه الثاني عشر ان الناسوت المسيحي عندهم الذي اتحد به هو البدن والروح معا فان المسيح كان له بدن وروح كما لسائر البشر واتحد به عندهم اللاهوت فهو عندهم اسم يقع على بدن وروح آدميين وعلى اللاهوت وحينئذ فاللاهوت على رأيهم انما اتحد في لطيف وهو الروح وكثيف وهو البدن لم يظهر في كثيف فقط ولولا اللطيف الذى كان مع الكثيف وهو الروح لم يكن للكثيف فضيلة ولا شرف . الوجه الثالث عشر انهم يشبهون اتحاد اللاهوت بالناسوت باتحاد الروح بالبدن كما شبهوا هنا ظهوره فيه بظهور الروح في البدن وحينئذ فمن المعلوم ان مايصيب البدن من الآلام تتألم به الروح وماتتألم به الروح يتألم به البدن فيلزمهم ان يكون الناسوت لما صلب وتألم وتوجع الوجع الشديد كان اللاهوت ايضاً متألماً متوجعاً وقد خاطبتُ بهذا بعض النصارى فقال لى الروح بسيطة التي لايلحقها الم فقلت له فما تقول في أرواح الكفار بعد الموت امنعمة او معذبة . فقال هي في العذاب فقلت فعلم ان الروح المفارقة

تنعم وتعذب فاذا شبهتم اللاهوت في الناسوت بالروح في البدن لزم ان تتألم اذا تألم الناسوت كما تتألم الروح اذا تألم البدن فاعترف هو وغيره بلزوم ذلك الوجه الرابع عشر ان قولهم واذا كانت اللطائف لا تظهر الا في الكثائف فكلمة الله لا تظهر الا في كثيف كلام تركيب فاسد لا دلالة فيه وانما يدل اذا بينوا ان كل لطيف يظهر في كثيف ولا يظهر في غيره حتى يقال فلهذا ظهر الله في كثيف ولم يظهر في لطيف والا فاذا قيل انه لا يحل في لطيف ولا كثيف او قيل انه يحل فيهما بطل قولهم بوجوب حلوله في المسيح الكثيف دون اللطيف وهم لم يؤلفوا الحجة تاليفاً منتجاً ولا دلوا على مقدماتها بدليل فلا اتوا بصورة الدليل ولا مادته بل مغاليط لا تروج الا على جاهل يقلدهم • ولا يلزم من حلول الروح في البدن ان يحل كل شيء في البدن بل هذه دعوى مجردة وارواح بني آدم تظهر في ابدانهم ولا تظهر في ابدان البهائم بل ولا في الجن • والملائكة تتصور في صورة الآدميين وكذلك الجن والانسان لا يظهر في غير صورة الانسان فاي دليل من كلامهم على ان الرب يحل في الانسان الكثيف ولا يحل في اللطيف والقوم شرعوا يحتجون على تجسيم كلمة الله الخالقة فقالوا • واما تجسيم كلمة الله الخالقة بانسان مخلوق وولادتهما معا اي الكلمة مع الناسوت فان الله لم يكلم أحدا من الانبياء الا وحيا او من وراء حجاب • وليس فيما ذكروه قط دلالة لا قطعية ولا ظنية على تجسيم كلمة الله الخالقة وولادتها مع الناسوت • الوجه الخامس عشر انهم قالوا واما تجسم كلمة الله الخالقة ثم قالوا فكلمة الله التي بها خلقت اللطائف فتارة يجعلونها خالقة وتارة يجعلونها مخلوقا بها ومعلوم ان الخالق ليس هو المخلوق به والمخلوق به

ليس هو الخالق فان كانت الكلمة خالقة فهي خلقت الاشياء ولم تخلق الاشياء بها وان كانت الاشياء خلقت بها فلم تخلق الاشياء بل خلقت الاشياء بها ولو قالوا ان الاشياء خلقت بها بمعنى ان الله اذا اراد شيئاً فانما يقول له كن فيكون لكان هذا حقاً لكنهم يجعلونها خالقة • مع قولهم بما يناقض ذلك • الوجه السادس عشر ان يقال لهم اذا كان الله لم تخاطب بشرا إلا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء . فتكليمه للبشر بالوحي ومن وراء حجاب كما كلم موسى وبارسال ملك كما ارسل الملائكة اما ان يكون كافيا فى حصول مراد الرب من الرسالة الى عباده او ليس كافيا بل لابد من حلوله نفسه في بشر فان كان ذلك كافيا امكن ان يكون المسيح مثل غيره فيوحي الله اليه او يرسل اليه ملكا فيوحي باذن الله مايشاء او يكلمه من وراء حجاب كما كلم موسى وحينئذ فلا حاجة به الى اتحاده ببشر مخلوق • وان كان المتكلم ليس كافيا وجب ان يتحد بسائر الانبياء كما اتحد بالمسيح فيتحد بنوح وابراهيم وموسى وداود وغيرهم يبين هذا الوجه السابع عشر وهو انه من المعلوم ان الانبياء الذين كانوا قبل المسيح افضل من عوام النصاري الذين كانوا بعد المسيح وافضل من اليهود الذين كذبوا المسيح فاذا كان الرب قد يفضل باتحاده فى المسيح حتى كلم عباده بنفسه فيتحد بالمسيح محتجبا ببدنه الكثيف وكلم بنفسه اليهود المكذبين للمسيح وعوام النصارى وسائر من كلمه المسيح فكان ان يكلم من هم افضل من هؤلاء من الانبياء والصالحين بنفسه اولى واحرى مثل ان يتحد بابراهيم الخليل فيكلم اسحق ويعقوب ولوطا محتجبا ببدن الخليل او

يتحد بيعقوب فيكلم اولاده او غيرهم محتجبا ببدن يعقوب او يتحد بموسى ابن عمران فيكلم هارون ويوشع بن نون وغيرهما محتجبا ببدن موسى فاذا هو كان سبحانه لم يفعل ذلك اما لامتناع ذلك واما لان عزته وحكمته اعلى من ذلك مع عدم الحاجة الى ذلك علم انه لا يفعل ذلك فى المسيح بطريق الاولى والاحرى • الوجه الثامن عشر انه اذا امكنه ان يتحد ببشر فاتحاده بملك من الملائكة اولى واحرى وحينئذ فقد كان اتحاده بجبريل الذى ارسله الى الانبياء اولى من اتحاده ببشر يخاطب اليهود وعوام النصارى

(فصل) قالوا ولذلك ظهر في عيسى بن مريم اذ الانسان اجل ما خلقه الله ولهذا خاطب الخلق وشاهدوا منه ماشاهدوا *فيقال ان ادعيتم ظهوره في عيسى كما ظهر في ابراهيم وموسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه وكما يظهر فى بيوته التى اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وذلك بظهور نوره ومعرفته وذكر اسمائه وعبادته ونحو ذلك من غير حلول ذاته في البشر ولا اتحاده به فهذا امر مشترك بين المسيح وغيره فلا اختصاص للمسيح بهذا وهذا أيضاً قد يسمى حلولا وعندهم ان الله يحل فى الصالحين وهذا مذكور عندهم فى بعض الكتب الالهية كما في كتبهم في المزمور الرابع من الزبور يقول داود عليه السلام فى مناجاته لربه وليفرح المتوكلون عليك الى الابد ويبتهجون وتحل فيهم ويفتخرون فاخبر انه يحل فى الصالحين المذكورين فعلم ان هذا لا اختصاص للمسيح به وليس المراد بهذا باتفاقهم واتفاق المسلمين ان ذات الله نفسه تتحد بالبشر ويصير اللاهوت والناسوت كالنار والحديد

والماء واللبن ونحو ذلك مما يمثلون به الاتحاد بل هذا يراد به حلول الايمان به ومعرفته ومحبته وذكره وعبادته ونوره وهداه وقد يعبر عن ذلك بحلول المثال العلمي كما قال تعالى (وهو الله في السموات وفي الارض وله المثل الاعلى في السموات والارض) فهو سبحانه له المثل الاعلى في قلوب اهل السموات واهل الارض ومن هذا الباب ما يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه قال يقول الله انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت اني شفتاه فاخبر ان شفتيه تتحرك به اى باسمه وكذلك قوله في الحديث الصحيح عبدي مرضت فلم تعدني فيقول العبد رب كيف اعودك وانت رب العالمين فيقول اما علمت ان عبدي فلانا مرض فلو عدته لوجدتني عنده فقال لوجدتني عنده ولم يقل لوجدتني اياه وهو عنده أي في قلبه والذي في قلبه المثال العلمي وقال تعالى عبدي جعت فلم تطعمني فيقول كيف اطعمك وانت رب العالمين فيقول اما علمت ان عبدي فلاناً جاع فلو اطعمته لوجدت ذلك عندي ولم يقل لوجدتني قد اكلته وكذلك قوله في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها وفي رواية في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشى ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته وهذا

الحديث قد يحتج به القائلون بالحلول العام او الاتحاد العام او وحدة الوجود وقد يحتج به من يقول بالخاص من ذلك كاشباه النصارى والحديث حجة على الفريقين فانه قال من عادى لى وليا فقد اذنته بالحرب فاثبت ثلاثة. وليا له وعدوا يعادي وليا له وميز بين نفسه وبين وليه وعدو وليه فقال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ولكن دل ذلك على ان وليه الذي والاه فصار يحب ما يحب ويبغض مايبغض ويوالى من يوالى ويعادى من يعادى فيكون الرب مؤذناً بالحرب لمن عاداه بانه معادلله ثم قال تعالى وما تقرب الى عبدى بمثل اداء ما افترضت عليه ففرق بين العبد المتقرب والرب المتقرب اليه ثم قال ولا يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فبين انه يحبه بعد تقربه بالنوافل والفرائض ثم قال فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها وعند أهل الحلول والاتحاد العام أو الوحدة هو صدره وبطنه وظهره ورأسه وشعره وهو كل شيء او في كل شيء قبل التقرب وبعده وعند الخاص صار هو وهو كالنار والحديد والماء واللبن لايختص بذلك آلة الادراك والفعل ثم قال تعالى فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي وعلى قول هؤلاء الرب هو الذى يسمع ويبصر ويبطش ويمشى والرسول انما قال فبي ثم قال وائن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه فجعل العبد سائلا مستعيذا والرب مسؤلا مستعاذا به وهذا يناقض الاتحاد وقوله فبي يسمع مثل قوله ماتحركت به شفتاه يريد به المثال العلمي. وقول الله فيكون الله في قلبه أي معرفته ومحبته وهداه وموالاته وهو المثال العلمي فبذاك الذى في قلبه يسمع ويبصر ويبطش

ويعني . والمخلوق اذا احب المخلوق او عظمه اواطاعه يعبر عنه بمثل هذا فيقول انت في قلبي وفي فؤادي وما زلت بين عيني ومنه قول القائل

مثالك في عيني وذكراك في فمي ومثواك في قلبي فأين تغيب

وقول الآخر

ومن عجبي اني احن اليهم واسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويطلبهم قلبي وهم بين اضلعي

ومثل هذا كثير مع علم العقلاء ان نفس المحبوب المعظم هو في نفسه ليست ذاته في عين محبه ولا في قلبه ولكن قد يشتبه هذا بهذا حتى يظن الغالطون ان نفس المحبوب المعبود في ذات المحب العابد ولذلك غلط بعض الفلاسفة حتى ظنوا ان ذات المعلوم المعقول تتحد بالعالم العاقل فجعلوا المعقول والعقل والعاقل شيئا واحدا ولم يميزوا بين حلول مثال المعلول وبين حلول ذاته وهذا يكون لضعف العقل وقوة سلطان المحبة والمعرفة فيغيب الانسان بمعبوده عن عبادته وبمحبوبه عن محبته وبمشهوده عن شهادته وبمعروفه عن معرفته فيفنى من لم يكن عن شهود العبد لا انه نفسه يعدم ويفنى من لم يزل في شهوده ومن هذا المقام اذا غلط قد يقول مسلما مثل ما يحكى عن ابي يزيد البسطامي سبحاني سبحاني او ما في الجبة الا الله وفي هذا يذكر حكاية وهو ان شخصاً كان يحب آخر فالقى المحبوب نفسه في ماء فالقى المحب نفسه خلفه فقال انا وقعت فلم وقعت انت؟ فقال غبت بك عني فظننت انك اني فهذا العبد المحب لما استولى على قلبه سلطان المحبة صار قلبه مستغرقا في محبوبه لا يشهد قلبه غير ما في قلبه وغاب عن شهود نفسه وافعاله فظن انه هو نفس المحبوب وهذا اهون

من ان يظن ان ذات المحبوب نفسه • فهذا الظن لاتحاد الذات او لحلولها ظن غالط وقع فيه كثير من الناس فالذين قالوا ان المسيح او غيره من البشر هو الله او ان الله حال فيه قد يكون غلطهم من هذا الجنس لما سمعوا كلاما يقتضي ان الله في ذات الشخص وجعلوا فعل هذا فعل هذا ظنوا ذاك اتحاد الذات وحلولها وانما المراد ان معرفة الله فيه واتحاد المامور به والمنهي عنه والموالى والمعادى كقوله تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وليس ذلك لان الرسول هو الله ولا لان الله نفسه حال فى الرسول بل لان الرسول يأمر بما يامر الله به وينهى عما ينهى الله عنه ويحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه الله ويوالى أولياء الله ويعادى أعداء الله فمن بايعه على السمع والطاعة فانما بايع الله على السمع والطاعة ومن اطاعه فانما اطاع الله وكذلك المسيح وسائر الرسل انما يامرون بما يأمر الله به وينهون عما نهى الله عنه ويوالون اولياء الله ويعادون اعداء الله فمن اطاعهم فقد اطاع الله ومن صدقهم فقبل منهم ما اخبروا به فقد قبل عن الله ومن والاهم فقد والى الله ومن عاداهم وحاربهم فقد عادى الله وحارب الله ومن تصور هذه الامور تبين له ان لفظ الحلول قد يعبر بها عن معنى صحيح وقد يعبر بها عن معنى فاسد وكذلك حلول كلامه في القلوب ولذلك كره احمد ابن حنبل الكلام فى لفظ حلول القرآن فى القلوب كما قد ذكر فى غير هذا الموضع • ومما يوضح هذا ان الشيء له وجود فى نفسه هو وله وجود فى المعلوم والاذهان ووجود فى اللفظ واللسان ووجود فى الخط والبيان وجود عيني شخصي وعلمي ولفظي ورسمي • وذلك كالشمس مثلا

فلها تحقق فى نفسها وهى الشمس التى فى السماء ثم يتصور بالقلب الشمس
ثم ينطق اللسان بلفظ الشمس ويكتب بالقلم الشمس والمقصود بالكتابة
مطابقة اللفظ وباللفظ مطابقة العلم وبالعلم مطابقة المعلوم فاذا رآى الانسان فى
كتاب خط الشمس او سمع قائلا يذكر قال هذه الشمس قد جعلها
الله سراجا وهاجا وهذه الشمس تطلع من المشرق وتغرب فى المغرب
فهو يشير الى ماسمعه من اللفظ ورآه من الخط وليس مراده نفس
اللفظ والخط فان ذلك ليس هو الشمس التى تطلع وتغرب وانما مراده
مايقصد بالخط واللفظ ويراد بهما وهو المدلول المطابق لهما وكذلك
قد يرى اسم الله مكتوبا فى كتاب ومعه اسم صنم فيقول آمنت بهذا
وكفرت بهذا ومراده انه مؤمن بالله كافر بالصنم فيشير الى اسمه المكتوب
ومراده المسمي بهذا الاسم وكذلك اذا سمع من يذكر اسماء الله الحسنى
قال هذا رب العالمين ومراده المسمى بتلك الاسماء ومن هذا قول انس
بن مالك كان نقش خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة اسطر محمد
رسول الله محمد سطر ورسول سطر والله سطر ومراده بهذه الاسماء
الخط لهذا وهذا وهذا لا اللفظ ولا المسمى ومما يشبه هذا مايرى فى المرآة او
الماء مثل ان يرى الشمس او غيرها فى ماء او مرآة فيشار الى المرئى
فيقال هذا الشمس وهذا وجهى او وجه فلان وليس مراده ان نفس
الشمس او وجهه او وجه فلان حل في الماء او المرآة ولكن لما كان
المقصود بتلك الرؤية هو الشمس وهو الوجه ذكره ثم قد يقال رآه
رؤية مقيدة فى الماء أو المرآة وقد يقال رآه بواسطة الماء والمرآة وقد
يقال رآى مثاله وخياله المحاكي له ولكن المقصود بالرؤية هو نفسه ومثل

هذا كثير ومعلوم أن ما في القلوب من المثال العلمي المطابق للمعلوم أقرب اليه من اللفظ واللفظ اقرب من الخط فاذا كان قد يشار الى اللفظ والخط والمراد هو نفسه وان لم يكن الخط واللفظ هو ذاته بل به ظهر وعرف فلان يشار الى ما في القلب ويراد به المعروف الذي ظهر للقلب وتجلي للقلب وصار نوره في القلب بطريق الاولى . والعقلاء انما تتوجه قلوبهم الى المقصود المراد دون الوسائل ويعبرون بعبارات تدل على ذلك لظهور مرادهم بها كما يقولون لمن يعرف علم غيره او لمن يأمر بأمره ويخبر بخبره هذا فلان فاذا كان مطلوبهم علم عالم او طاعة أمير فجاء نائبه القائم مقامه في ذلك قالوا هذا فلان اي المطلوب منه هو مع هذا فلاتحاد المقصود بهما يعبرون عن أحدهما بلفظ الآخر كما يقال عكرمة هو ابن عباس وابو يوسف هو ابو حنيفة ومن هذا الباب ما يذكر عن المسيح عليه السلام انه قال انا وابي واحد من رآني فقد رأى أبي وقوله تعالى فيما حكاه عنه رسوله عبدي مرضت فلم تعدني عبدي جعت فلم تطعمني ويشبهه قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله فينبغي أن يعرف هذا النوع من الكلام فانه تحل به اشكالات كثيرة فان هذا موجود في كلام الله ورسله وكلام المخلوقين في عامة الطوائف مع ظهور المعنى ومعرفة المتكلم والمخاطب انه ليس المراد ان ذات احدهما اتحدت بذات الآخر بل ابلغ من ذلك يطلق لفظ الحلول والاتحاد ويراد به معنى صحيح كما يقال فلان وفلان بينهما اتحاد اذا كانا متفقين فيما يحبان ويبغضان ويواليان ويعاديان فلما اتحد مرادهما ومقصودهما صار يقال هما متحدان وبينهما اتحاد ولا يعني بذلك ان ذات هذا اتحدت بذات الآخر كاتحاد النار والحديد

والماء واللبن او النفس والبدن وكذلك لفظ الحلول والسكنى والتخلل وغير ذلك كما قيل

قد تخللت مسلك الروح مني * وبذا سمي الخليـل خليلا

والمتخلل مسلك الروح منـه هو محبته له وشعوره به ونحو ذلك لانفس ذاته وكذلك قول الآخر

ساكن في القلب يعمره * لست انساه فاذكره

والساكن في القلب هو مثاله العلمي ومحبته ومعرفته فتسكن في القلب معرفته ومحبته لاعين ذاته وكذلك قول الآخر

اذا سكن الغدير على صفاً * وجنب ان يحركه النسيم
بدت فيه السماء بلا امتراء * كذاك الشمس تبدو والنجوم
كذاك قلوب ارباب التجلي * يرى في صفوها الله العظيم

وقد يقال فلان مافي قلبه الا الله وما عنده الا الله يراد بذلك الا ذكره ومعرفته ومحبته وخشيته وطاعته وما يشبه ذلك اي ليس في قلبه مافي قلب غيره من المخلوقين بل مافي قلبه الا الله وحده ويقال فلان ماعنده الا فلان اذا كان يلهج بذكره ويفضله على غيره وهذا باب واسع مع علم المتكلم والمستمع ان ذات فلان لم تحل في هذا فضلا عن ان تتحد به وهذا كما يقال عن المرآة اذا لم تقابل الا الشمس مافيها الا الشمس أي لم يظهر فيها غير الشمس وأيضاً فلفظ الحلول يراد به حلول ذات الشيء تارة وحلول معرفته ومحبته ومثاله العلمي تارة كما تقدم ذكره وعندهم في النبوات ان الله حل في غير المسيح من الصالحين وليس المراد به ان ذات الرب حلت فيه بل يقال فلان ساكن في قلبي وحال في قلبي وهو

في سري وسويدا قلبي ونحو ذلك وانما حل فيه مثاله العلمي واذا كان كذلك فمعلوم ان المكان اذا خلا ممن يعرف الله ويعبده لم يكن هناك ذكر الله ولا حلت فيه عبادته ومعرفته فاذا صار في المكان من يعرف الله ويعبده ويذكره ظهر فيه ذكره والايمان به وحل فيه الايمان بالله وعبادته وذكره وهو بيت الله عزّ وجل فيقال ان الله فيه وهو حال فيه كما يقال ان الله في قلوب العارفين وحال فيهم والمراد به حلول معرفته والايمان به ومحبته ونحو ذلك وقد تقدم شواهد ذلك فاذا كان الرب في قلوب عباده المؤمنين أي نوره ومعرفته وعبر عن هذا بانه حال فيهم وهم حالون في المسجد قيل ان الله في المسجد وحال فيه بهذا المعنى كما يقال الله في قلب فلان وفلان ما عنده الا الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح اما علمت ان عبدي فلانا مرض فلو عدته لوجدتني عنده ومما يزيد ذلك ايضاحا ما يراه النائم من بعض الاشخاص في منامه فيخاطبه ويأمره وينهاه ويخبره بامور كثيرة وهو يقول رأيت فلاناً في منامي فقال لي كذا وقلت له كذا وفعل كذا وفعلت كذا ويذكر أنواعا من الاقوال والافعال وقد يكون فيها علوم وحكم وآداب ينتفع بها غاية المنفعة وقد يكون ذلك الشخص الذي رأى في المنام حيا وهو لايشعر بان ذاك رآه في منامه فضلاً عن أن يكون شاعرا بانه قال او فعل وقد يقص الرآئي عليه رؤياه ويقول له الرآى ياسيدي رأيتك في المنام فقلت لي كذا وأمرتني بكذا ونهيتني عن كذا والمرئ لايعرف ذلك ولا يشعر به لان المرئ الذي حل في قلب الرائي هو المثال العلمي المطابق للعيني كما يرى الرائي في المرآة او الماء الشخص الموجود في الخارج فهو

المقصود وبعض المرئين فى المنام قد يدري بانه رؤى في المنام ويكاشف بذلك الرآى كما قد يكاشفه بامور أخرى لا لانه نفسه حل فيه والرؤيا اذا كانت صادقة كان ذلك القول والعمل مناسباً لحال المرئي مما هو عادته بقوله وبفعله بنفسه فمثل للرائى مثاله قائلا له وفاعلا ليعلم انه نفسه بقوله وبفعله فينتفع بذلك الرائى كما يحكي للانسان قول غيره وعمله ليعرف بذلك نفس القول والعمل المحكى فان كثيراً من الاشياء لاتعرفه الناس او اكثرهم الا بالمثل المضروب له اما في اليقظة واما في المنام مع العلم بان عين هذا ليس عين هذا ومن توهم انه اذا رأى شخصاً في منامه بان ذاته نفسها حلت فيه دل على جهله فان المرئى كثيراً مايكون حياً وهو لايشعر بما رآه ذلك لاروحه تشعر ولا جسمه فلا يتوهم ان ذات روحه تمثلت فى صورته الجسمية للنائم بل المدثل فى نفس الرائى مثال مطابق له وجسمه وروحه حيث هما ثم الرؤيا قد تكون من الله فتكون حقاً وقد تكون من الشيطان كما ثبت تقسيمها الى هذين في الاحاديث الصحيحة والشيطان كما قد يتمثل في المنام بصورة شخص يراه كثير من الناس يضل بذلك من لم يكن من أهل العلم والايمان كما يجري لكثير من مشركي الهند وغيرهم اذا مات ميتهم يرونه قد جاء بعد ذلك وقضى ديوناً ورد ودايع وأخبرهم بامور عن موتاهم وانما هو شيطان تصور فى صورته وقد يأتيهم فى صورة من يعظمونه من الصالحين ويقول أنا فلان وانما هو شيطان وقد يقوم شيخ من الشيوخ ويخلف موضعه شخصاً فى صورته يسمونه روحانية الشيخ ورفيقه وهو جنى تصور في صورته وهذا يقع لكثير

من الرهبان وغير الرهبان من المنتسبين الى الاسلام وقد يرى أحدهم في اليقظة من يقول له أنا الخليل أو أنا موسى أو أنا المسيح او محمد أو أنا فلان لبعض الصحابة او الحواريين ويراه طائراً في الهواء وانما يكون ذلك من الشياطين ولا تكون تلك الصورة مثل صورة ذلك الشخص وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني حقاً فان الشيطان لايتمثل في صورتي فرؤيته في المنام حق واما في اليقظة فلا يرى بالعين هو ولا أحد من الموتى مع ان كثيراً من الناس قد يرى في اليقظة من يظنه نبياً من الانبياء اما عند قبره واما عند غير قبره وقد يرى القبر انشق وخرج منه صورة انسان فيظن ان الميت نفسه خرج من قبره أو ان روحه تجسدت وخرجت من القبر وانما ذلك جني تصور في صورته ليضل ذلك الرائي فان الروح ليست مما تكون تحت التراب وينشق عنها التراب فانها وان كانت قد تتصل بالبدن فلا يحتاج في ذلك الى شق التراب والبدن لم ينشق عنه التراب وانما ذلك تخييل من الشيطان وقد جرى مثل هذا لكثير من المنتسبين الى المسلمين وأهل الكتاب والمشركين ويظن كثير من الناس ان هذا من كرامات عباد الله الصالحين ويكون من اضلال الشياطين كما قد بسط الكلام في هذا الباب في غير هذا الكتاب مثل الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وغير ذلك

(فصل) وان أردتم بقولكم ظهر في عيسى حلول ذاته واتحاده بالمسيح اوغيره فهذه دعوى مجردة من غير دليل متقدم ولامتأخر وكون الانسان أجل ماخلقه الله لوكان مناسباً لحلوله فيه أمر لايختص به المسيح بل

قد قام الدليل على ان غير عيسى عليه السلام أفضل منه مثل ابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم وهذان اتخذهما الله خليلين وليس فوق الخلة مرتبة فلو كان يحل في أجل ماخلقه الله من الانسان لكونه أجل مخلوقاته لحل في أجل هذا النوع وهو الخليل ومحمد صلى الله عليهما وسلم وليس معهم قط حجة على ان الجسد المأخوذ من مريم اذا لم يتحد باللاهوت على أصلهم انه أفضل من الخليل وموسى واذا قالوا انه لم يعمل خطيئة فيحيي بن زكريا لم يعمل خطيئة ومن عمل خطيئة وتاب منها فقد يصير بالتوبة أفضل مما كان قبل الخطيئة وافضل ممن لم يعمل تلك الخطيئة والخليل وموسى أفضل من يحيي الذى يسمونه يوحنا المعمدانى • واما قولهم ولهذا خاطب الخلق فالذي خاطب الخلق هو عيسى بن مريم وانما سمع الناس صوته لم يسمعوا غير صوته والجنى اذا حل في الانسان وتكلم على لسانه يظهر للسامعين ان هذا الصوت ليس هو صوت الآدمي ويتكلم بكلام يعلم الحاضرون انه ليس كلام الآدمي • والمسيح عليه السلام لم يكن يسمع منه إلا ما يسمع من مثله من الرسل ولو كان المتكلم على لسان الناسوت هو جنياً أو ملكاً لظهر ذلك وعرف انه ليس هو البشر فكيف اذا كان المتكلم هو رب العالمين فان هذا لو كان حقاً لظهر ظهوراً أعظم من ظهور كلام الملك والجنى على لسان البشر بكثير • وأما ماشاهدوه من معجزات المسيح عليه الصلاة والسلام فقد شاهدوا من غيره ماهو مثلها وأعظم منها وقد أحيي غيره الميت وأخبر بالغيوب اكثر منه ومعجزاتُ موسى أعظم من معجزاته واكثر وظهور المعجزات على يديه يدل على نبوته ورسالته كما دلت المعجزات

على نبوة غيره ورسالتهم لاتدل على الالهية والدجال لما ادعى الالهية لم يكن مايظهر على يديه من الخوارق دليلا عليها لان دعوى الالهية ممتنعة فلا يكون في ظهور العجائب مايدل على الامر الممتنع

(فصل) قالوا وقد قال الله على أفواه الانبياء المرسلين الذين تنبوا على ولادته من العذراء الطاهرة مريم وعلى جميع أفعاله التي فعلها في الارض وصعوده الى السماء وهذه النبوات جميعها عند اليهود مقرين ومعترفين بها ويقرونها في كنايسهم ولم ينكروا منها كلمة واحدة* فيقال هذا كله مما لاينازع فيه المسلمون فانه لاريب انه ولد من مريم العذرا البتول التى لم يمسها بشر قط وان الله أظهر على يديه الآيات وانه صعد الى السماء كما أخبر الله بذلك في كتابه كما تقدم ذكره فاذا كان هذا مما أخبرت به الانبياء في النبوات التي عند اليهود لم ينكروا ذلك وان كان اليهود يتاولون ذلك على غير المسيح كما في النبوات من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو حق وان كان الكافرون به من أهل الكتاب يتأولون ذلك على غيره

(فصل) قالوا وسئلنا ان نذكر من بعض قول الانبياء الذين تنبوا على السيد المسيح ونزوله الى الارض قال عزرا الكاهن حيث سباهم بختنصر الفريدي الى أرض بابل إلي اربع مائة واثنين وثمانين سنة يأتي المسيح ويخلص الشعوب والامم وفي كمال هذه المدة اتى السيد المسيح فيقال اما قول عزرا الكاهن فليس فيه إلا إخباره بانه يأتى المسيح ويخلص الشعوب والأمم وهذا مما لاينازع فيه المسلمون فانهم يقرون بما أخبر الله به في كتابه من اتيان المسيح عليه السلام

وتخليص الله به كل من آمن به من الشعوب والامم الى ان بعث محمد صلي الله عليه وسلم فكل من كان مؤمناً بالمسيح متبعا لما انزل عليه من غير تحريف ولا تبديل فان الله خلصه بالمسيح من شر الدنيا والآخرة كما خلص الله تعالى بموسى من اتبعه من بني اسرائيل ومن حرف وبدل فلم يتبع المسيح ومن كذب محمدا صلي الله عليه وسلم فهو كمن كذب المسيح بعد ان كان مقرا بموسى عليه السلام ولكن هذا النص وأمثاله حجة على اليهود الذين يتاولون ذلك على ان هذا ليس هو المسيح ابن مريم وانما هو مسيح ينتظروا وانما ينتظرون المسيح الدجال مسيح الضلالة فان اليهود يتبعونه ويقتلهم المسلمون معه حتى يقول الشجر والحجر يامسلم هذا يهودى ورائي تعال فاقتله وهكذا قال في النبوة الثانية التي ذكروها عن ارميا النبي عليه السلام

(فصل)قالوا وقال ارميا النبي عن ولادته في ذلك الزمان يقوم لداود ابن وهو ضوء النور يملك الملك ويعلم ويفهم ويقيم الحق والعدل في الارض ويخلص من آمن به من اليهود ومن بنى اسرائيل وغيرهم ويبقى بيت المقدس بغير مقاتل ويسمى الاله وأما قوله ابن لداود لان مريم كانت من نسل داود ولاجل ذلك قال ويقوم لداود ابن * والجواب ان يقال قد قال فيه ويخلص من آمن به من اليهود ومن بني اسرائيل وهو كما فسرنا به التخليص الذى نقلوه عن عذرا الكاهن وأما قوله واسمه الاله فهذا يدل على أنه ليس هو الله رب العالمين وانما لفظ الاله اسم سمى به كما يسمى موسى الها لفرعون عندهم فى التوراة اذ لو كان هو الله رب العالمين لكان اجل من ان يقال ويسمي الاله فان الله تبارك وتعالى

لايعرف بمثل هذا ولا يقال فيه ان الله يسمى الاله ولقال يأتي الله بنفسه فيظهر ويقال يملك الملك ورب العالمين مازال ولا يزال مالكا الملك سبحانه وايضا فانه قال يقوم لداود ابن هو ضوء النور ومعلوم ان الابن الذي من نسل داود الذي اسم امه مريم هو الناسوت فقط فان اللاهوت ليس من نسل بشر وقد تبين ان هذا الناسوت الذى هو ابن داود ويسمى الاله فعلم ان هذا اسم للناسوت المخلوق لا للاله الخالق وايضا فانه قال وهو ضوء النور لم يجعله النور نفسه بل جعله ضوء النور والله تعالى منور كل نور فكيف يكون هو ضوء النور والله تعالى قد سمى محمدا صلى الله عليه وسلم سراجا منيرا ولم يكن بذلك خالقا فكيف اذا سمي ضوء النور وأيضا فانه لم يجعل القائم الا ابن داود وابن داود مخلوق وأضاف الفعل الى هذا المخلوق ولو كان هذا هو الله رب العالمين قد اتحد بالناسوت البشري لبين ارميا وغيره من الانبياء ذلك بيانا قاطعاً للعذر ولم يكتفوا بمثل هذه الالفاظ التى هى إما صريحة أو ظاهرة في نقيض ذلك أو مجملة لاتدل على ذلك فانه من المعلوم ان أخبارهم باتيان نبى من الانبياء امر معتاد ممكن ومع هذا يذكرون فيه من البشارات والدلائل الواضحة ما يزيل الشبهة وأما الاخبار بمجيء الرب نفسه وحلوله او اتحاده بناسوت بشرى فهو اما ممتنع غير ممكن كما يقوله اكثر العقلاء من بنى آدم ويقولون يعلم بصريح العقل ان هذا ممتنع واما ممكن كما يقوله بعض الناس وحينئذ فامكانه خفى على اكثر العقلاء وهو امر غير معتاد واتيان الرب بنفسه اعظم من اتيان كل رسول ونبى لاسيما اذا كان اتيانه باتحاده ببشر لم يظهر على يديه من الآيات مايختص بالالهية بل لم يظهر على يديه الا ماظهر على يد غيره

من الانبياء ماهو مثله أو أعظم منه والله تعالى لما كان يكلم موسى ولم يكن موسى يراه ولا يحد لابموسى ولا بغيره ومع هذا فقد اظهر من الايات على ذلك وعلى نبوة موسى مالم يظهر مثله ولا قريب منه على يد المسيح فلو كان هو بذاته متحدا بناسوت بشري لكان الانبياء يخبرون بذلك اخبارا صريحا بينا لايحتمل التأويلات ولكان الرب يظهر على ذلك من الآيات مالم يظهر على يد رسول ولا نبي فكيف والانبياء لم ينطقوا في ذلك بلفظ صريح بل النصوص الصريحة تدل على ان المسيح مخلوق ولم تأت آية على خلاف ذلك بل انما تدل الآيات على نبوة المسيح

(فصل) قالوا وقال اشعيا النبي قل لصهيون هنا تفرح وتهلل فان الله يأتي ويخاص الشعوب ويخاص من آمن به وبشعبه ويخلص مدينة بيت المقدس ويظهر الله ذراعه الطاهر فيها لجميع الامم المبددين ويجعلهم أمة واحدة ويبصرون جميع أهل الارض من خلاص الله لانه يمشي معهم وبين يديهم ويجمعهم اله اسرائيل * فيقال هذا يحتاج اولا ان يعلم ان في هذه النبوة ان هذا الكلام نقل بلا تحريف للفظه ولا غلط فى الترجمة ولم يثبت ذلك واذا ثبت ذلك فحينئذ هو نظير مافى التوراة من قوله جاء الله من طور سينا واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران ومعلوم انه ليس فى هذا مايدل على ان الله حال في موسى بن عمران ولا متحد به ولا انه حال فى جبال فاران ولا انه متحد بشيء من طور سينا ولا ساعير وكذلك هذا اللفظ لايدل على انه حال في المسيح ومتحد به اذ كلاهما سواء واذا قيل المراد بذلك قربه ودنوه كتكليم موسى وظهور نوره وهداه وكتابه ودينه ونحو ذلك من الامور التى وقعت • قيل وهكذا فى المسيح

عليه السلام وقوله ويظهر الله ذراعه الطاهر لجميع الامم المبددين قد
قال في التوراة مثل هذا في غير موضع ولم يدل ذلك على اتحاده
بموسى عليه السلام كقوله وأما قوله عن الامم المبددين فيجعلهم
أمة واحدة فهم الذين اتبعوا المسيح فانهم كانوا متفرقين
مبددين فجعلهم أمة واحدة وأما قوله ويبصرون جميع أهل الارض
خلاص الله لانه يمشى معهم وبين يديهم ويجمعهم الله اسرائيل فمثل
هذا في التوراة فى غير موضع ولم يدل ذلك على اتحاده بموسى ولا
حلوله فيه كقوله فى السفر الخامس من التوراة يقول موسى لبنى
اسرائيل لاتهابوهم ولا تخافوهم لان الله ربكم السائر بين أيديكم هو
محارب عنكم وفى موضع قال موسى ان الشعب هو شعبك فقال انا
امضى أمامك فارتحل فقال ان لم تمض أنت امامنا وإلا فلا تصعدنا من
ههنا وكيف أعلم انا وهذا الشعب انى وجدت أمامك نعمة كذا بعلمك
إلا بسيرك معنا وفى السفر الرابع من الفصل الثالث عشر ربى اصعدن
هؤلاء من بينهم بقدرتك فيقولون لاهل هذه الارض الذين سمعوا
انك الله فيما بين هؤلاء القوم يرونه عيناً بعين وغمامك يقيم عليهم
وبعمود غمام يسير بين أيديهم نهاراً وبعمود نار ليلا وفي التوراة أيضاً
يقول الله لموسى انى آت اليك فى غلظ الغمام لكى يسمع القوم مخاطبتي
لك ثم قوله اجمع سبعين رجلاً من شيوخ بنى اسرائيل وخذهم الى
خبأ العرب يقفون معك حتى أخاطبهم

(فصل) قالوا وقال زكريا النبي افرحي يابنت صهيون لانى آتيك
واحل فيك واتراايا قال الله ويؤمن بالله فى ذلك اليوم الامم الكثيرة

ويكونون له شعباً واحداً ويحل هو وهم فيك وتعرفين اني انا الله القوى الساكن فيك ويأخذ الله فى ذلك اليوم الملك من يهودا ويملك عليهم الى الابد * فيقال مثل هذا قد ذكر عندهم عن ابراهيم وغيره من الانبياء ان الله تجلى له واستعلن له وتراياله ونحو هذه العبارات ولم يدل ذلك على حلوله فيه واتحاده به وكذلك اتيانه وهو لم يقل انى احل فى المسيح واتحد به وانما قال عن بيت صهيون آتيك وأحل فيك كما قال مثل ذلك عندهم في غير هذا ولم يدل على حلوله فى بشر وكذلك قوله وتعرفين انى انا الله القوى الساكن فيك ولم يرد بهذا اللفظ حلوله في المسيح فان المسيح لم يسكن بيت المقدس وهو قوي بل كان يدخلها وهو مغلوب مقهور حتى أخذ وصلب أوشبهه والله سبحانه اذا حصلت معرفته والايمان به فى القلوب اطمأنت وسكنت وكان بيت المقدس لما ظهر فيه دين المسيح عليه السلام بعد رفعه حصل فيه من الايمان بالله ومعرفته مالم يكن قبل ذلك وجماع هذا ان النبوات المتقدمة والكتب الالهية كالتوراة والانجيل والزبور وسائر نبوات الانبياء لم تخص المسيح بشيء يقتضي اختصاصه باتحاد اللاهوت به وحلوله فيه كما يقوله النصارى بل لم تخصه الا بما خصه به محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه) فكتب الانبياء المتقدمة وسائر النبوات موافقة لما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم يصدق بعضها بعضاً وسائر ما تستدل به النصارى على الهيته من كلام الانبياء قد يوجد مثل تلك الكلمات فى حق غير المسيح فتخصيص المسيح بالالهية دون غيره باطل وذلك مثل اسم الابن والمسيح ومثل

حلول روح القدس فيه ومثل تسميته الهاً ومثل ظهور الرب أو حلوله فيه أو سكونه فيه أو فى مكانه فهذه الكلمات وما أشبهها موجودة في حق غير المسيح عندهم ولم يكونوا بذلك آلهة ولكن القائلون بالحلول والاتحاد في حق جميع الانبياء والصالحين قد يحتجون بهذه الكلمات . وهذا المذهب باطل باتفاق المسلمين واليهود والنصارى وهو باطل فى نفسه عقلا ونقلا وان كان طوائف من أهل الالحاد والبدع المنتسبين الى المسلمين واليهود والنصارى تقول به فهؤلاء اشتبه عليهم مايحل في قلوب العارفين به من أهل الايمان به ومعرفته ونوره وهداه والروح منه وما يعبر عنه بالمثل الاعلى والمثال العلمي وظنوا ان ذلك ذات الرب كمن يظن ان نفس اللفظ بالاسم هو المعنى الذي فى القلب أو نفس الخط هو نفس اللفظ ومن يظن ان ذات المحبوب حلت فى ذات المحب واتحدت به أو نفس المعروف المعلوم حل فى ذات العالم العارف به واتحد به مع العلم اليقيني ان نفس المحبوب المعلوم باين عن ذات المحب روحه وبدنه لم يحل واحد منهما في ذات المحب وقد قال الله تعالى وله المثل الاعلى في السموات والارض وقال تعالى وهو الذى في السماء اله وفى الارض اله وقال تعالى وهو الله فى السموات وفى الارض فالمؤمنون يعرفون الله ويحبونه ويعبدونه ويذكرونه ويقال هو فى قلوبهم والمراد معرفته ومحبته وعبادته وهو المثل العلمي ليس المراد نفس ذاته كما يقول الانسان لغيره انت فى قلبي وما زلت فى قلبي وبين عيني ويقال

ساكن في القلب يعمره * لست انساه فاذكره

وقال

ان بيتا انت ساكنه * غير محتاج الى السرج

ومن قول القائل

ومن عجبي اني احن اليهم * واسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها * ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي

وقال

مثالك في عيني وذكرك في فمي * ومثواك في قلبي فاين تغيب

والمساجد هي بيوت الله التي فيها يظهر ذلك ولهذا قال تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال ابي بن كعب مثل نوره في قلوب المؤمنين ثم قال نور على نور ثم قال في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه فذكر سبحانه نوره في قلوب المؤمنين ثم ذكر ذلك في بيوته كذلك ماذكر في الكتب الاولى . وأما الاتيان والمجيء والتجلي فعندهم في التوراة يقول الله لموسى اني آتي اليك في غلظ الغمام لكي يسمع القوم مخاطبتي لك ثم قوله اجمع سبعين رجلا من شيوخ بني اسرائيل وخذهم الى خباء العرب يقفون معك حتى اخاطبهم وفي السفر الرابع لما تكلم مريم وهارون في موسى حينئذ تجلى الله بعمود الغمام قائماً على باب الخبأ ونادى ياهارون ويامريم فخرجا كلاهما فقال اسمعا كلامي اني انا الله فيما بينكم وفي الفصل الثالث عشر ان اصعدت هؤلاء من بينهم بقدرتك فيقولون لاهل هذه الارض الذين سمعوا انك الله فيما بين هؤلاء القوم يرونه عينا بعين وغمامك يقيم عليهم وبعمود غمام يسير بين ايديهم نهارا وبعمود نار ليلا وفي السفر الخامس قول موسى لبني اسرائيل لاتهابوهم ولا تخافوهم لان الله ربكم السائر بين

ايديكم وهو يحارب عنكم وفي موضع آخر قال موسي ان الشعب هو
شعبك فقال ياموسي انا امضي امامك فارتحل فقــال ان لم تمض انت
معنا والافلا تصعدنا من ههنا وكيف اعلم انا وهذا الشعب انى وجدت امامك
نعمة كذا بعلمك الابسيرك معنا وفى المزمور الرابع من الزبور عندهم
يقول وليفرح المتكلون عليـك الى الابد ويبتهجون ويحل فيهـم
ويفتخرون فاخبر انه يحل في جميع الصديقين أي معرفته ومحبته فانهم
متفقون على ان ذات الله لم تحل في الصـديقين وكذلك في رسائل
يوحنا الانجيلي اذا أخفى بعضنا بعضاً نعـلم ان الله يلبث فينا اي محبته
ونظائره كثيرة

(فصل) قالوا وقال عاموص النبي ستشرق الشمس على الارض
ويهتـدي بها الضالون ويضل عنها بنوا اسرائيـل قالوا فالشمس هو
السـيد المسيح والضالون الذين اهتدوا به هم النصارى المختلفة ألسنتهم
الذين كانوا من قبله عابدين الاصنام وضالين عن معرفة الله فلما أتوهم
التلاميذ وانذروهم بمـا اوصاهم السيد المسيح فتركوا عبادة الاصنام
واهتدوا باتباعهم السيد المسيح • فيقال هذا ممـا لاينازع فيه المسلمون
وانما ينازع فى مثل هذا وأمثاله اليهود المكذبون للمسيح عليه السلام
كما ينازع كفار أهل الكتاب في محمد صلى الله عليه وسلم واما المسلمون
فيؤمنون بجميع كتب الله ورسـله وان المسيح عليه الصلاة والسـلام
أشرق نوره على الارض كما أشرق قبله نور موسى عليه الصلاة والسلام
وأشرق بعده نور محمد صـلى الله عليه وسـلم وقد قال الله تعالى لمحمد
صلى الله عليه وسلم (انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعيا الى

الله باذنه وسراجا منيرا) فسماه الله سراجا منيرا وسمى الشمس سراجا وهاجا والسراج المنير اكمل من السراج الوهاج فان الوهاج له حرارة تؤذى والمنير يهتدى بنوره من غير اذى يوجبه وقال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) وقال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الارض الا الى الله تصير الامور) والمسلمون مقرون بان كل من كان متبعاً لدين المسيح عليه السلام الذي لم يغير ولم يبدل فانه اهتدى بالمسيح من الضلالة ومن كفر به من بنى اسرائيل فانه ضال بل كافر كما قال تعالى (واذ قال الله ياعيسى اني متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذاباً شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لايحب الظالمين) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) وقوله ستشرق الشمس على الارض ويهتدى بها الضالون ويضل عنها بنوا اسرائيل يناسب قوله في التوراة جاء الله من طور سينا واشرق من ساعير واستعلن من جبال

فاران فان اشراقه من ساعير هو ظهور نوره بالمسيح كما ان مجيئه من طور سينا هو ظهور نوره بموسى واستعلانه من جبال فاران هو ظهور نوره بمحمد صلى الله عليه وسلم وبهذه الاماكن الثلاثة اقسم الله فى القرآن بقوله والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين) فبلد التين والزيتون هى الارض المقدسة التي بعث منها المسيح وكان بها انبياء بنى اسرائيل واسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم اليها وظهرت بها نبوته وطور سينين المكان الذى كلم الله فيه موسى بن عمران وهذا البلد الامين هو بلد مكة التى بعث الله منه محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل عليه القرآن

(فصل) قالوا وقال في السفر الثالث من اسفار الملوك والان يارب اله إسرائيل لتحقق كلامك لداود لانه حق ان يكون انه سيسكن الله مع الناس على الارض اسمعوا أيتها الشعوب كلكم ولتنصت الارض وكل من فيها فيكون الرب عليها شاهدا من بيته القدوس ويخرج من موضعه وينزل ويطأ على مشاريق الارض في شأن خطيئة بنى يعقوب هذا كله * فيقال هذا السفر يحتاج الى ان يثبت ان الذى تكلم به نبي وان الفاظه ضبطت وترجمت الى العربية ترجمة مطابقة ثم بعد ذلك يقال فيه مايقال في امثاله من الالفاظ الموجودة عندهم وليس فيها مايدل على اتحاده بالمسيح فان قوله ان الله سيسكن مع الناس في الارض لايدل على المسيح اذ كان المسيح لم يسكن مع الناس في الارض بل لما اظهر الدعوة لم يبق في الارض الا مدة قليلة ولم يكن ساكنا في موضع معين وقبل ذلك لم يظهر عنه شيء من دعوى النبوة فضلا عن الالهية ثم انه بعد ذلك رفع الى السماء فلم يسكن مع الناس فى الارض وايضا فاذا قالوا سكونه هو ظهوره في المسيح عليه السلام قيل

لهم . أما الظهور الممكن المعقول كظهور معرفته ومحبته ونوره وذكره وعبادته فهذا لافرق فيه بين المسيح وغيره وحينئذ فليس في هذا اللفظ مايدل على ان هذا السكون كان بالمسيح دون غيره وان كان بالمسيح فليس هذا من خصائصه عليه السلام وليس فى ظهوره فيه أو حلوله معرفته ومحبته ومثاله العلمي مايوجب اتحاد ذاته به وأما قوله فيكون الرب عليها شاهداً فيقال أولاً شهود الله على عباده لايستلزم حلوله أو اتحاده ببعض مخلوقاته بل هو شهيد على العباد باعمالهم كما قال ثم الله شهيد على ما يفعلون) ولفظ النص ولتنصت الارض وكل من فيها فيكون الرب عليها شاهداً وهذا كما فى التوراة ان موسى لما خاطب بنى اسرائيل اشهد عليهم وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم كان يقول لامته لما بلغ الناس يقول الاهل بلغت فيقولون نعم فيقول اللهم اشهد وحينئذ فليس في هذا تعرض لكون المسيح هو الله وقد يقال أيضاً ليس فيه ان المراد بلفظ الرب هنا هو الله ولفظ الرب يراد به السيد المطاع وقد غاير بين اللفظين فقال هناك انه سيسكن الله مع الناس فقال فيكون الرب عليها شاهداً والانبياء يشهدون على امهم كما قال المسيح عليه السلام وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم) وقال تعالى (انا أرسلنا اليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولاً) وقال تعالى (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقال تعالى ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء) وحينئذ فيكون الرب الشهيد هو المسيح الذى هو الناسوت وهو الذي جاء من بيت المقدس

وخرج من موضعه ونزل ووطئ على الارض من اجل خطيئة بنى يعقوب فانهم لما اخطأوا وبدلوا ارسل الله اليهم المسيح عليه السلام يدعوهم الى عبادة الله وحده وطاعته فمن آمن به كان سعيداً مستحقاً للثواب ومن كفر به كان شقياً مستحقاً للعذاب

(فصل) قالوا وقال ميخا النبي وانت يابيت لحم قرية يهودا بيت افراتا منك يخرج لي رئيس الذي يرعى شعبي اسرائيل وهو من قبل ان تكون الدنيا لكنه لايظهر الآ في الايام التى تلده فيها الوالدة وسلطانه من أقاصى الارض الى أقاصيها * والجواب ان عامة مايذكرونه عن عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام حجة عليهم لالهم كما ذكروه عن المسيح عليه السلام فى أمر التثليث فانه حجة عليهم لالهم وهكذا تأملنا عامة مايحتج به أهل البدع والضلالة من كلام الانبياء فانه اذا تدبر حق التدبر وجد حجة عليهم لالهم فان كلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام هدى وبيان وهم معصومون لايتكلمون بباطل فمن احتج بكلامهم على باطل فلا بد ان يكون في كلامهم مايبين به انهم أرادوا الحق لا الباطل وهذا مثل قوله فى هذه النبوة منك يخرج لي رئيس فهذا صريح فى ان هذا الذى يخرج هو رئيس لله ليس هو الله بل هو رئيس له كسائر الرؤساء الذين لله وهم الرسل والانبياء المطاعون مثل داود وموسى وغيرهما ولهذا قال الذي يرعى شعبي اسرائيل ولو كان هو لكان هو راعي شعب نفسه وأما قوله وهو من قبل ان تكون الدنيا فهذا مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ميسرة الفجر وقد قيل له يارسول الله متى كنت نبياً قال وآدم بين الروح والجسد

وفي لفظ متى كتبت نبياً قال وآدم بين الروح والجسد وفى مسند الامام
أحمد عن العرباض بن سارية عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال اني
عند الله لمكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وسأنبئكم
بأول امري دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسي ورؤيا امى رأت حين
ولدتنى انه خرج منها نور اضاء له قصور الشام فقد أخبر صلى الله
عليه وسلم انه كان نبياً وكتب نبياً وآدم بين الروح والجسد وانه مكتوب
عند الله خاتم النبيين وآدم منجدل فى طينته ومراده صلى الله عليه
وسلم ان الله كتب نبوته وأظهرها وذكر اسمه ولهذا جعل ذلك في
ذلك الوقت بعد خلق جسد آدم وقبل نفخ الروح فيه كما يكتب رزق
المولود واجله وعمله وشقي هو او سعيد بعد خلق جسده وقبل نفخ
الروح فيه وكذلك قول القائل فى المسيح عليه السلام وهو من قبل
ان تكون الدنيا فانه مكتوب مذكور من قبل ان تكون الدنيا فانه
قد ثبت فى الصحيح عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال قدر الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض
بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء وفى صحيح البخاري عن عمران
ابن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان الله ولم يكن شيء
قبله وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شيء ثم خلق السموات
والارض وهو قد قال قبل ان تكون الدنيا ولم يقل انه كان قديماً أزلياً
مع الله لم يزل كما يقول النصارى انه صفة الله الازلية بل وقت ذلك
بقوله قبل ان تكون الدنيا ولا يحسن ان يقال في رب العالمين كان قبل
ان تكون الدنيا فانه سبحانه قديم أزلي ولا ابتداء لوجوده فلا يوقت

بهذا المبدأ لاسيما ان اريد بكون الدنيا عمارتها بآدم وذريته فان الدنيا
قد لاتدخل فيها السموات والارض بل يجعل من الآخرة وأرواح
المؤمنين فى الجنة في السموات ويراد بالدنيا الحيوة الدنيا او الدار الدنيا
ولهذا قال لكنه لايظهر الا فى الايام التى تلده فيها الوالدة كما يظهر
غيره من الانبياء بعد ان تلده أمه . والوالدة انما ولدت الناسوت وأما
اللاهوت فهو عندهم مولود من الله القديم الازلي واذا قالوا فهى
ولدت اللاهوت مع الناسوت كان هذا معلوم الفساد من وجوه كثيرة
واذا قيل لم خص عيسى المسيح عليه السلام بالذكر ؟ قيل كما خص محمد
صلى الله عليه وسلم بالذكر لان أمر المسيح كان أظهر وأعظم ممن قبله
من الانبياء بعد موسى وكذلك أمر محمد صلى الله عليه وسلم كان أظهر
واعظم من أمر جميع الانبياء قبله واذا عظم الشيء كان ظهوره فى الكتاب
أعظم وظن بعض النصارى ان المراد بذلك وجود ذات المسيح يضاهي
ظن طائفة من غلاة المنتسبين الى الاسلام وغيرهم الذين يقولون ان
ذات النبي صلى الله عليه وسلم كانت موجودة قبل خلق آدم ويقولون
انه خلق من نور رب العالمين ووجد قبل خلق آدم وان الاشياء
خلقت منه حتى قد يقولون فى محمد صلى الله عليه وسلم من جنس قول
النصارى في المسيح حتى قد يجعلون مدد العالم منه ويروون فى ذلك
أحاديث وكلها كذب مع ان هؤلاء لايقولون ان المتقدم هو اللاهوت
بل يدعون تقدم حقيقته وذاته ويشيرون الى شيء لاحقيقة له كما تشير
النصارى الى تقدم لاهوت اتحد به لاحقيقة له ومن هؤلاء الغلاة من
يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال اني كلي بشر فقد

كفر ومن قال لست ببشر فقد كفر ويحتجون بقوله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم فيجعلون فيه شيئاً من اللاهوت مضاهاة للنصارى وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم بالحديث وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى في الصحيحين انه قال لاتطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وقد قال تعالى قل سبحان ربي هل كنت الا بشراً رسولا) وهذا من جنس الغلاة الذين يقولون ان الرب يحل في الصالحين ويتكلم على السنتهم وان الناطق فى أحدهم هو الله لانفسه وقول هؤلاء من جنس قول النصارى فى المسيح ويقول أحدهم ان الموحد هو الموحد وينشدون

ما وحد الواحد من واحد | اذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته | عارية أبطلها الواحد
توحيده اياه توحيده | ونعت من ينعته لاحد

وهو من جنس قول الذين يجعلون روح الانسان قديمة أزلية ويقولون هى صفة لله فيجعلون نصف الانسان لاهوتاً ونصفه ناسوتاً لكن اللاهوت عندهم هو روحه لا لاهوت واحد كما يقوله النصارى وعلى قول هؤلاء مع قول النصارى يكون في المسيح وأمثاله ممن ادعى فيه اتحاد اللاهوت به لاهوتان روحه لاهوت والكلمة لاهوت ثان ٠ ومن جنس هؤلاء من ينشد مايحكي عن الحلاج انه انشد

سبحان من أظهر ناسوته | سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا فى خلقه ظاهراً | فى صورة الآكل والشارب

حتى لقد عاينه خالقه كلحظة الحاجب للحاجب

ولو قدر ان نفسه هي التي كانت قبل ان تكون الدنيا فهذا لايدل على انه الله او صفة لله بل اذا قال من يدعى ان روحه كانت موجودة حينئذ المراد روحه كان هذا أقرب من قول النصارى وفى الجملة مايخبر عن المسيح انه كان قبل ان تكون الدنيا بمنزلة ما عند أهل الكتاب عن سليمان انه قال كنت قبل ان تكون الدنيا ثم قد ثبت باتفاق الخلائق ان سليمان لم يكن اللاهوت متحداً به فعلم ان مثل هذا الكلام لايوجب اتحاد اللاهوت به بل المسلمون يعدلون في القول ويفسرون كلام الله فى كتبه بعضه ببعض ويجعلون كلامه يصدق بعضه بعضاً لايناقض بعضه بعضاً • واما أهل الضلال من النصارى وغيرهم فيفضلون المفضول على من هو أفضل منه وينقصون الفاضل حقه ويغلون فى المفضول ويبخسون الانبياء حقوقهم مثل تنقصهم لسليمان فان كثيراً من اليهود والنصارى يطعنون فيه • منهم من يقول كان ساحراً وانه سحر الجن بسحره ومنهم من يقول سقط عن درجة النبوة فيجعلونه حكيماً لانبياً ولهذا ذكر الله في القرآن تبرئة سليمان عن ذلك • وذلك ان سليمان سأل الله ملكا لاينبغي لاحد من بعده فسخر لسليمان الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد فسخرله الريح غدوها شهر ورواحها شهر ولما طلب من الملأ أن يأتوه بعرش بلقيس ملكة اليمن وكان هو بالشام قال يأيها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي آمين قال الذي عنده علم

من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غنى كريم) فلما مات عمدت الشياطين الى أنواع من الشرك فكتبوها ووضعوها تحت كرسيه وقالوا كان سليمان يسخر الجن بهذا فصار هذا فتنة لمن صدق بذلك وصاروا طائفتين طائفة علمت ان هذا من الشرك والسحر وانه لايجوز فطعنت في سليمان كما فعل ذلك كثير من أهل الكتاب اليهود والنصارى وطائفة قالت سليمان نبي واذا كان قد سخر الجن بهذا دل على ان هذا جائز فصاروا يقولون ويكتبون من الاقوال التي فيها الشرك والتعزيم والاقسام بالشرك والشياطين ماتحبه الشياطين وتختاره ويساعدونهم لاجل ذلك على بعض مطالب الانس اما اخبار بامور غائبة يخلطون فيها كذباً كثيراً واما تصرف في بعض الناس كما يقتل الرجل او يمرض بالسحر او تسرق الشياطين له بعض الاموال ونحو ذلك مما فيه اعانة الشياطين للانس على أمور تريدها الانس لاجل مطاوعة الانس وموافقتهم للشياطين على ماتريده الشياطين من الكفر والفسوق والعصيان وكثير منهم يضيف ذلك الى سليمان والى آصف ابن برخيا ويصورون خاتم سليمان وقد يأخذون الرجل الذي صار من اخوانهم الى مواضع فيرونه شخصاً ويقولون هذا سليمان بن داود كما قد جرى مثل ذلك لمن نعرفه من المشايخ الذين كانت تقترن بهم الشياطين وكان لهم خوارق شيطانية من جنس خوارق السحرة والكهان فنزه الله تعالى سليمان من كذب هؤلاء، وهؤلاء الذين جعلوه

يسخر الشياطين بنوع من الشرك والسحر هؤلاء جربوه وهؤلاء زعموا انهم يتبعونه فقال تعالى (واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به أنفسهم لوكانوا يعلمون ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لوكانوا يعلمون) ومثل هذا كثير يحكي عن بعض الانبياء او بعض أهل العلم والدين من أمور ليست من شرع الله فيصدق بها بعض الناس وتصير فتنة لطائفتين مصدقتين بها طائفة تقدح في ذلك النبي والرجل الصالح بما هو منه بريء وطائفة تقول انها تتبعه فيما يقول وهذا موجود فى كثير مما يحكيه أهل الكتاب عن الانبياء فان اليهود يذكر عنهم ما يقدح في نبوتهم • والنصارى تجعل ذلك قدوة لهم فيما يبتدعونه وهذا مبسوط في موضع آخر فالمقصود هنا ان الكلام الذى وصف به المسيح أما وصفه به الانبياء قبله أو أخبر به عن نفسه موجود مثله فى حق غيره ولم يكن احدهم بذلك لاهوتا وناسوتا ولا اتحد اللاهوت بالناسوت ولا استحق احدهم بذلك ان يعبد ويصلي له ويسجد ويدعا كما يدعا الله ويضاف اليه مايضاف الى الله من الخلق والبعث والثواب والعقاب وليس للمسيح صلوات الله عليه آية خارقة الا ولغيره مثلها وأعظم منها ولا قيل فيه كلمة الاقيل فى غيره مثلها وأعظم منها الا

ماخصه فيه القرآن

(فصل) قالوا وقال حبقوق النبي ان الله في الارض يتراءى ويختلط مع الناس ويمشي معهم وقال ارميا النبي الله بعد هذا في الارض يظهر ويتقلب مع البشر فيقول انا الله رب الارباب * والجواب ان هذا يحتاج الى تثبيت نبوة هذين والى ثبوت النقل عنهما وثبوت الترجمة الصحيحة المطابقة وبعد هذا يكون حكم هذا الكلام حكم نظائره في التوراة ماهو من هذا الجنس ولم يدل ذلك باتفاق المسلمين واليهود والنصارى على ان الله حل في موسى ولا في غيره من انبياء بني اسرائيل بل قوله يتراءى هو بمنزلة يتجلى ويظهر وقد ذكر في التوراة انه تجلى وتراءى لابراهيم وغيره من الانبياء عليهم السلام من غير ان تكون ذاته حلت باحد منهم وما في القلوب من المثال العلمي وبمعرفته ومحبته وذكره يطلق عليه ما يطلق على المعروف بنفسه لعلم الناس ان المراد به المثال العلمي . وما في القلوب من معرفة المعروف ومحبته ليس المراد به نفس المعروف المحبوب فاذا قال القائل انت والله في قلبي او في سويدا قلبي او قال له والله مازلت في قلبي وما زلت في عيني ونحو ذلك علم جميع الناس انه لم يرد ذاته فاذا رأوا من يذكر عالماً مشهوراً أو شيخاً مشهورا فيذكر علمه وعمله ويحيي ذلك بين الناس . قالوا قد صار فلان يعني المعروف المذكور عندنا وبين أظهرنا لعلم المخاطبين بالمراد . ويقول أحدهم لمن مات والده انا والدك اى قائم مقامه ويقولون للولد القائم مقام أبيه من خلف مثلك ما مات واذا رأوا عكرمة مولى ابن عباس الذي معه علمه يقولون جاء ابن عباس وابن

عباس بين الناس لان مولاه نائب عنه وقام مقامه واذا بعث الملك نائباً
قائماً مقامه يقولون جاء الملك الفلانى لان هذا النائب قائم مقامه مظهر
لأمره ونهيه وأحواله • وفى الحديث الصحيح عن النبى صلي الله عليه وسلم
يقول الله عبدى مرضت فلم تعدنى فيقول العبد يارب كيف اعودك وانت رب
العالمين فيقول أما علمت ان عبدى فلانا مرض فلم تعده أما لو عدته
لوجدتنى عنده • عبدى جعت فلم تطعمنى فيقول يارب كيف أطعمك وأنت
رب العالمين فيقول أما علمت ان عبدى فلانا جاع فلو اطعمته لوجدت
ذلك عندى • عبدى عطشت فلم تسقني فيقول رب كيف أسقيك وأنت
رب العالمين فيقول أما علمت ان عبدى استسقاك فلم تسقه أما لو سقيته
لوجدت ذلك عندى فجعل جوع عبده جوعه ومرضه مرضه لان العبد
موافق لله فيما يحبه ويرضاه ويأمر به وينهى عنه وقد عرف ان الرب نفسه
لايجوع ولا يمرض ومعلوم ان وصفه بالجوع والمرض ابعد من وصفه
بالمشي بين الناس والاختلاط بهم ولهذا نظائر كثيرة موجودة فى كلام
الانبياء وغير الانبياء من الخاصة والعامة ولا يفهم عاقل من ذلك ان ذات
المذكور اتحدت بالآخر أو حلت فيه الا من هو جاهل كالنصارى • والناس
يرون الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك في الماء الصافي وفى المرآة
المجلوة ونحو ذلك ويقول أحدهم رأيت وجه فلان في هذه المرآة ورأيت
الشمس والقمر في المرآة أو فى الماء مع علم كل عاقل ان نفس الشمس
والقمر وغيرهما لم تحلا لافي المرآة ولا في الماء ولكن هذه رؤية مقيدة
رآها بواسطة المثال الذي تمثل فى المرآة أو الماء سواء كان ذلك شعاعا منعكسا
أو غير ذلك ومن هذا الباب قول القائل

اذا ظهر الغدير على صفاء وجنب ان يحركه النسيم
ترى فيه السماء بلا امتراء كذاك الشمس تبدو والنجوم
كذاك قلوب أرباب التجلي يرى في صفوها الله العظيم

فقد أخبر ان الله يرى في قلوب العارفين كما ترى الشمس والنجوم في الماء الصافي بل يتصور لاحدهم صورة من يعرفه بحمرة أو خضرة أو سواد فيقول والله هذا هو فلان بعينه مع عامه وعلم كل من سمعه انه مثاله المطابق لصورته لاعينه وذلك لمماثلة تلك الصورة لصورته يريد ان هذا تمثيل مطابق له لايخالف . ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم من رآني فى المنام فقد رآني حقا فان الشيطان لايتمثل فى صورتي لم يرد انه رآى جسدي الذى في القبر وروحي التى فى الجنة حالة في ذاته فان هذا ممتنع لوجوه كثيرة فلهذا قال فان الشيطان لايتمثل فى صورتي ولما دخل جماعة من الصحابة على المقوقس ملك النصارى بمصر واستخبرهم عن دينهم فاخبروه بذلك فاذا عنده شبه الربعة العظيمة مذهبة واذا فيها أبواب صغار ففتح منها بابا فاستخرج منه خرقة حرير سوداء فيها صورة بيضاء فاذا رجل طوال اكثر الناس شعراً فقال اتعرفون هذا ؛ قالوا قلنا لا فقال هذا آدم ثم أعاد وفتح بابا آخر فاستخرج حريرة سوداء فيها صورة بيضاء فاذا رجل ضخم الرأس عظيم له شعر كشعر القبط أحمر العين فقال اتعرفون هذا ؛ فقلنا لا فقال هذا نوح ثم أعاد وفتح بابا آخر فاستخرج حريرة سوداء فيها صورة بيضاء فاذا رجل ابيض الرأس واللحية كانه يتبسم فقال اتعرفون هذا ؛ قلنا لا فقال هذا ابراهيم ثم أعاده وفتح بابا آخر فاستخرج حريرة سوداء فيها صورة بيضاء قال اتعرفون

هذا . قلنا النبي محمد صلى الله عليه وسلم قال هذا والله محمد رسول الله قال والله يعلم انه قام ثم قعد ثم قال الله بدينكم انه نبيكم قلنا الله بدينا انه نبينا كانما ننظر اليه ثم قال أما انه كان آخر الابواب ولكني عجلته لكم لانظر ماعندكم ثم أعاد وفتح باباباباً وهو يقول هذا موسى هذا هارون هذا داود هذا سليمان هذا عيسى وهذا كله لظهور المراد به ومعرفة الناس بمقصود المتكلم كما يقال لمن كتب اسمه في كتاب هذا فلان ومعلوم ان الموجود في الكتاب اسمه المكتوب لاذاته الموجودة في الخارج ومن هذا الباب قوله تعالى (وكل شيء فعلوه في الزبر) وانما في الزبر ذكر اعمالهم وكتابة ذلك ويقال في كتابة الوثائق هذا ما أصدق فلان وهذا ما يقاضى عليه فلان وفلان ويقال هذا ذكر ما أصدق فلان أو يقاضى عليه فلان وفلان فيشار الى الموجود تارة والى ذكره تارة . ومعلوم ان الموجود في الكتاب ذكره لاعينه بل ذلك وجود الخط في الاذهان المطابق لذكره باللفظ . والشيء له وجود في الاعيان ووجود في الاذهان ووجود في اللسان ووجود في البنان ووجود عيني وعلمي ورسمي ولفظي وفي كل من الاربعة يذكر ويشار اليه مع القرائن والضمائر التي تبين تارة ان المشار اليه هو الخط المطابق للفظ وتارة تكون الاشارة الى اللفظ المطابق للمعنى ومعلوم ان المعنى الذي في القلب اقرب الى الموجود في الخارج من اللفظ والخط فاذا أشير الى ما في قلب العارف بعين المحب له الذاكر له فانه المعروف المحبوب كان أقرب لاسيما وقد يغلب الذكر والمعرفة والمحبة على القلب حتى يغيب بموجوده عن وجوده وبمعروفه عن معروفه وبمذكوره عن ذكره حتى يقول احدهم في

هـذه الحال سبحانى او ما فى هـذه الجبة الا الله • ومعلوم ان ذات الله تبارك وتعالى ليست الذى في قلبـه بل في قلبه مثاله العلمي ومعرفته ومحبته فناب بذلك عن نفسه هذا وان كان يقوله الغالط فيقول من ليس بغالط الله فى قلب فلان • وفلان ما عنـده الا الله ومن أراد الله فليذهب الى فلان وليس مرادهم ان ذات الله فى قلبـه بل مثاله العلمي ومعرفته وذكره ومحبته وانه لايعبد إلا الله ولا يرجو الا اياه ولا يخاف الا اياه ولا يعمل الا لله ولا يأمر الا بطاعته فيفنى بعبادته عن عبادة ما سواه وبطاعته عن طاعة ماسواه ومحبته عن محبة ماسواه فما قيل فى المسيح عليـه السلام وأمثاله من هذا فهو حق لكن لا اختصاص للمسيح بهذا. واذا كان مثل هذا الكلام كثيراً موجوداً في كلام الانبياء وغيرهم بل هو المعروف في كلامهم ولا يوجد قط عن أحد من الانبياء انه جعـل ذات الله في قلب أحد من البشر علم ان النصارى تركوا المحكم من كلام الانبياء عليهم السلام وتمسكوا بالمتشابه كامثالهم من الضلال فاشتبه عليهم المعلوم بالقلوب المذكور بالالسن بالموجود في نفسه فظنوا ان نفس المثال العلمي هو الوجود العيني كما يظن ذلك كثير من الغالطين وهؤلاء يقولون بالحلول تارة وبالاتحاد أخرى ولا يفرقون بين حلول الايمان والمعرفة والمحبة والمثال العلمي فى القلب وبين حلول الذات المعلومة المحبوبة ولهـذا يعتقد كثير من هؤلاء انهم يكلمون الله ويكلمهم ويقول أحدهم أوقفنى وقال لي وقلت له وتكون مخاطبته ومناجاته مع هذا المثال العلمي بحسب ماعندهم من الاعتقاد في الله تعالى وكثير منهم يتمثـل له الشيطان ويقول أنا ربك

فيخاطبه بظنه ربه وانما هو الشيطان • ومنهم من يرى عرشاً عليه نور أو يرى مايظنه الملائكة وهم شياطين وذلك شيطان وكثير من هؤلاء يظن انه أفضل من الانبياء وانه يدخل الى الله بلا اذن خلاف الانبياء ويكون ذلك الاله الذي يعتقده هو الشيطان والذين لايتمثل لهم الشيطان يخاطب احدهم من في قلبه فتخاطبه تلك الصورة العامية ويقدر انها تخاطبه ويظن ذلك مخاطبة الحق له وهذا كالرجل يذكر بعض اصحابه فيمثله في قلبه ويخاطبه مخاطبة من يعاتبه او يعتذر اليه ويقدر خطاب تلك الصورة ويقول قلت لك كذا وقلت لي كذا • ونفس الشخص لايكلمه ولا يسمع كلامه وانما هو المثال كما قد يصور صورة الانسان ويخاطبها الانسان ويقدر ذلك مخاطبة لصاحب الصورة والنصارى ادخل في هذا من غيرهم فانهم يخاطبون الصور الممثلة في الكنائس كصورة مريم والمسيح والقديسين ويقولون انما نقصد خطاب اصحاب تلك الصورة نستشفع بهم وهذا مما حرمه الله على السن جميع النبيين ولم يشرع لاحد ان يدعو الملائكة ولا الانبياء والصالحين الاموات فكيف بالصور الممثلة لهم كما قد بسط في موضع آخر • والمقصود هنا ان كثيراً ما يوجد في كلام الناس الانبياء وغيرهم من ذكر ظهور الله عز وجل والمراد به ظهوره في قلوب عباده بالمعرفة والمحبة والذكر ولهذا لما كان يقصد بذكر اسمه ذكر المسمى صار يقول من يقول ان الاسم هو المسمى اي ان المراد المقصود من الاسم هو المسمى لا ان نفس اللفظ هو المسمى فان هذا لايقوله عاقل وتنزيه الاسم وتسبيحه تنزيه للمسمى وتسبيح له كما قال تعالى (سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق

فسوي) وقال (فسبح باسم ربك العظيم وقال تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام) وجاء في حديث لا تقوم القيامة حتى لا يعبد لله اسم أى لا يعبد الله باسم من اسمائه فانه اذا قيل دعوت الله وعبدته فانما في اللفظ الاسم والمقصود هو المسمى وهذا الذى ذكرناه من تفسير ظهور اللاهوت في المسيح وغيره بان المراد ظهور ما في القلوب من توحيد الله ومعرفته ومحبته وذكره ونوره وهداه وروحه هو مما يفسر به ذلك كثير من علماء النصارى فانهم يفسرون اتحاد اللاهوت بالناسوت بظهور اللاهوت فيه كظهور نقش الخاتم في الشمع والطين • ومعلوم ان الحال في الشمع والطين هو مثال نقش الخاتم لا ان في الشمع والطين شيئاً من الخاتم بل ظهر فيه نقش الخاتم وكذلك يظهر نور الله وروحه فى الانبياء والصالحين وهذا المعنى لا يختص به المسيح عليه السلام بل يشترك فيه هو وسائر الرسل بل وكل مؤمن له من هذا نصيب بحسب ايمانه

(فصل) قالوا وقال اشعيا النبي ها هى العذرا تحبل وتلد ابناً ويدعى اسمه عمانويل وعمانويل كلمة عبرانية تفسيرها بالعربي إلهنا معنا فقد شهد النبي أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت كلاهما * فيقال ليس في هذا الكلام ان مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت وانها ولدت خالق السموات والارض بل هذا الكلام يدل على ان المولود ليس هو خالق السموات والارض فانه قال تلد ابناً وهذا نكرة في الاثبات كما يقال فى سائر النساء ان فلانة ولدت ابناً وهذا دليل على انه ابن من البنين ليس هو خالق السموات والارضين • ثم قال ويدعى اسمه عمانويل فدل بذلك على ان هذا اسم يوضع له ويسمى به كما يسمي

الناس ابناءهم باسماء الاعلام أو الصفات التي يسمونهم بها • ومن تلك الاسماء مايكون مرتجلاً ارتجلوه • ومنها مايكون جملة يحكونها ولهذا كثير من أهل الكتاب يسمى ابنه عمانويل ثم منهم من يقول العذراء المراد بها غير مريم ويذكرون فى ذلك قصة جرت • ومنهم من يقول بل المراد بها مريم وعلى هذا التقدير فيكون المراد أحد معنيين اما انه يريد ان إلهنا معنا بالنصر والاعانة فان بنى اسرائيل كانوا قد خذلوا بسبب تبديلهم فلما بعث المسيح عليه السلام بالحق كان الله مع من اتبع المسيح والمسيح نفسه لم يبق معهم بل رفع الى السماء ولكن الله كان مع من اتبعه بالنصر والاعانة كما قال تعالى(فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) وقال تعالى (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) وهذا اظهر وإما ان يكون يسمى المسيح إلها كما يقولون انه يسمى موسى اله فرعون أى هو الآمر الناهي له المسلط عليه وقد حرف بعضهم معنى هذه الكلمة فقال معناها الله معنا فقال من رد عليهم من علمائهم يقال لهم أهذا هو القائل أنا الرب ولا اله غيرى انا اميت وانا احيي أم هو القائل لله انك انت الاله الحق وحدك الذي أرسلت يسوع المسيح واذا كان الاول باطلا والثاني هو الذي شهد به الانجيل وجب تصديق الانجيل وتكذيب من كتب فى الانجيل ان عمانويل تاويله الله معنا بل تاويل عمانويل معنا اله وليس المسيح مخصوصا بهذا الاسم بل عمانويل اسم يسمى به النصارى واليهود من قبل النصارى وهذا موجود فى عصرنا هذا في أهل الكتاب من سماه أبوه عمانويل يعنى شريف القدر قال وكذلك السريان اكثرهم

يسمون أولادهم عمانويل قلت ومعلوم ان الله مع المتقين والمحسنين والمقسطين بالهداية والنصر والاعانة ويقال للرجل في الدعاء الله معك فاذا سمي الرجل بقوله الله معك كان هذا تبركاً بمعنى هذا الاسم واذا قيل أن المسيح سمى الله معنا أو إلهنا معنا ونحو ذلك كان ذلك دليلاً على ان الله مع من اتبع المسيح وآمن به فيكون الله هاديه وناصره ومعينه

(فصل) قالوا وقال اشعيا ايضاً ان غلاماً ولد لنا وانا اعطيناه الذي رياسته على عاتقيه وبين منكبيه ويدعي اسمه ملكا عظيم المشية مسيرا عجيبا الها قويا مسلطاً رئيس السلامة في كل الدهور وسلطانه كامل ليس له فناء فيقال ليس في هذه البشارة دلالة بينة ان المراد به المسيح عليه السلام ولو كان المراد به المسيح لم يدل على مطلوبهم بل قد يقال المراد بها محمد صلى الله عليه وسلم فانه الذي رياسته على عاتقيه وبين منكبيه من جهتين • من جهة ان خاتم النبوة على بعض كتفيه وهو علامة من اعلام النبوة الذي اخبرت به الانبياء وعلامة ختمهم • ومن جهة انه بعث بالسيف الذي يتقلد به على عاتقه ويرفعه اذا ضرب به على عاتقه ويدل على ذلك قوله مسلط رئيس قوي السلامة وهذه صفة محمد صلى الله عليه وسلم المؤيد المنصور المسلط رئيس السلامة فان دينه الاسلام ومن اتبعه سلم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ومن استيلاء عدوه عليه • والمسيح عليه السلام لم يسلط على اعدائه كما سلط محمد صلى الله عليه وسلم بل كان اعداؤه بحيث يقدرون على صلبه وعند النصارى قد صلبوه وعند المسلمين القى الله شبهه على غيره فصلب ذلك المشبه فبهذه الطريق دفع الله الصلب عنه لا بقهر اعدائه واهلاكهم وذلهم له كما نصر

الله محمدا صلى الله عليه وسلم على اعدائه وقال في كل الدهور سلطانه كامل ليس له فناء وهذا صفة خاتم الرسل الذى لايأتى بعده نبي ينسخ شرعه • وسلطانه بالحجة واليد كامل لايحتاج فيه الى الاستعانة بشرع آخر وشرعه ثابت باق الى آخر الدهر

(فصل) قالوا وقال اشعيا ايضاً يخرج عصاه من بيت سى وينبث نور منها ويحل فيه روح القدس روح الله روح الحكمة والفهم روح الحيل والقوة روح العلم وخوف الله وفي تلك الايام يكون أصل يسبى آية للامم وبه يؤمنون وعليه يتوكلون ويكون لهم النتاج والكرامة الى دهر الداهرين * والجواب ان هذا الكلام بعد المطالبة بصحة نقله عن النبي وصحة الترجمة له باللسان العربي هو حجة على انصارى لالهم فانه لايدل على ان المسيح هو خالق السموات والارض بل يدل على مثل مادل عليه القرآن من ان المسيح عليه السلام ايد بروح القدس فانه قال ويحل فيه روح القدس روح الله روح الحكمة والفهم روح الحيل والقوة روح العلم وخوف الله ولم يقل نحل فيه حياة الله فضلا عن ان يقول حل فيه الله او اتحد به ولكن جعل روح القدس هى روح الله وهى روح الحكمة والفهم والعلم وهى روح الحيل والقوة كما عندهم في التوراة ان الذين كانوا يعملون في قبة الزمان حلت فيهم روح الحكمة روح الفهم وروح العلم فهى مايحصل به الهدى والنصر كما قال تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولى الايدي والابصار) فقال هى روح الله وهذا كقوله تعالى (اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) وقوله تعالى وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب

ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشآء من عبادنا)وقال تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره) فما أنزله يسمى هدى الله وروح الله ووحي الله ونور الله ونحو ذلك وقال تعالى لما ذكر انبياءه من ذرية ابراهيم فقال(ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون (وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحي وعيسى والياس وكل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده) وقال تعالى(فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) وسماه نور الله كقوله تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم) فهذا هدى الله ونور الله هو روح الله كما قال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا) وقال تعالى اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه

(فصل) قالوا وقال اشعيا أيضاً من أعجب الاعاجيب ان رب الملائكة سيولد من البشر *فيقال مثل هذا الكلام لابد أن يكون قبله كلام وبعده كلام وهو منقول من لغة الى لغة ونحن نعلم قطعاً انه لم يرد ان رب العالمين يولد من البشر ولو أراد ذلك لم يقل رب الملائكة فقط فان الله

رب كل شيء لكن قد يريد انه يولد من البشر من يكون سيد الملائكة تخدمه وتكرمه كما سجدت الملائكة لابي البشر آدم. والنصارى يسلمون ان اللاهوت ماهو متولد من البشر وانما المتولد من البشر هو الناسوت وليس هو رب العالمين بالاتفاق . فعلم انه لاحجة لهم في ظاهر اللفظ ان قدر سلامته من التغيير ونظير هذا ماعندهم في انجيل متى ان ابن الانسان يرسل ملائكته ويجمعون كل الملوك رباً على الامم فيلقونهم في أتون النار قال بعض علماء اهل الكتاب لم يرد بذلك ان المسيح هو رب الارباب ولا انه خالق الملائكة بل رب الملائكة اوصى الملائكة بحفظ المسيح بشهادة النبي القائل ان الله يوصى ملائكته بك ليحفظوك ثم شهادة لوقا ان الله ارسل له ملكاً من السماء ليقويه قال واذا شهد الانجيل باتفاق الانبياء والرسل بان الله يوصى ملائكته بالمسيح فيحفظونه علم ان الملائكة تطيعه للمسيح بالامر وهو والملائكة في خدمة رب العالمين وقال المسيح لتلاميذه من قبلكم فقد قبلنى ومن قبلنى فقد قبل من ارسلنى وقال المسيح من انكرنى قدام الناس انكرته قدام ملائكة الله وقال للذى ضرب عبد رئيس الكهنة اغمد سيفك ولا تظن ان لا أستطيع ان ادعو الله الاب فيقم لى اكثر من اثنى عشر جوقا من الملائكة

(فصل) قالوا ومثل هذا القول في كتب الله المنزلة على أفواه الانبياء والرسل شيء كثير عند النصارى جميعهم المختلفة السنتهم المفرقين في سبعة اقاليم العالم المتمسكين بدين النصرانية قول واحد ونص واحد على ماتسلموه من الحواريين حين انذروهم وردوهم عن عبادة الاصنام الي معرفة الله تعالى سلموها اليهم كل أمة بلسانها وهي على هيئتها الى

يومنا هذا* والجواب عن هذا من وجوه. أحدها ان القول في سائر مايذكرونه من النصوص كما تقدم وقد تكلم على هذا من تكلم عليه من علماء النصارى الذين هداهم الله وبينوا ماوقع فى ذلك من تحريفهم لمعاني الكتب التي عندهم وذكروا مما عندهم من النصوص الصريحة بان المسيح عبد الله ليس هو الله مايتبين به بطلان قولهم وانهم ممن تركوا المحكم من الآيات واتبعوا المتشابه ولهذا انزل الله فيهم (فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الالباب) وهذا كقول المسيح عليه السلام لما سئل عن علم الساعة فقال لايعلمها انسان ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن الا الاب فقط فنفى عن نفسه علم الساعة وهذا يدل على شيئين على ان اسم الابن انما يقع على الناسوت دون اللاهوت فان اللاهوت لايجوز ان ينفى عنه علم الساعة ويدل على ان الابن لم يكن يعلم ما يعلمه الله وهذا يبطل قولهم بالاتحاد فانه لو كان الاتحاد حقا كما يزعمون لكان الابن يعلم مايعلمه الله ويقدر على مايقدر عليه فانه هو الله عندهم والناسوت لايتميز عندهم عن اللاهوت فيما يوصف به المسيح من كونه عالما قادرا يحيي ويميت وقال المسيح لتلاميذه آمنوا بالله وآمنوا بي وقال أيضاً من يؤمن بي فليس يؤمن بي فقط بل وبالذي أرسلني وهم يذكرون ان المسيح عليه السلام استصرخ لله قائلاً الهي الهي انظر لماذا تركتني وتباعدت عن خلاصي . الوجه الثاني قولهم ان هذه الكتب التي بايديهم من التوراة والانجيل وسائر النبوات تسلموها من الحواريين كل أمة بلسانها وهي

على هيئتها قول لم يقيموا على صحته دليلا بل ادعوا ذلك دعوى مجردة ومثل هذا النقل ان لم يثبت بالتواتر لم يحتج به في المسائل العلمية لاسيما اذا قيل في الوجه الثالث ان هــذا كذب ظاهر فان كثيراً من الالسنة ليس عند أهله انجيل قديم ومن ذلك لسان العرب فان العرب النصارى كثيرون قبل الاسلام ولا تعرف توراة ولا انجيل ولا نبوات عربية إلا ماعرب من النسخ العبرية والرومية والسريانية ونحن نطالبهم بهذه الكتب التي هي بالعربية التي في زمن الحواريين اين هي ومن رآها ولو قدر انها كانت بالعربية فهذه النسخ اليوم العربيه الموجودة بايدي الناس هي مما عرب مما بايديهم وحينئذ فلا تعرف صحتها ان لم تعرف صحة الترجمة ويثبت نقل تلك عن المسيح عليه السلام وهكذا القول في سائر الالسن .الوجه الرابع ان التوراة والنبوات نقلت من نسخ اليهود والاناجيل هي أربعة كتبت بعد المسيح عليه السلام واثنان ممن كتبها لم يريا المسيح وهما لوقا ومرقس واثنان رأياه وهما يوحنا ومتى والنسخ انما كثرت عن الاربعة وما ينقله الاربعة لايجب ان يكون متواتراً معلوماً واذا كثرت الالسن بها فمن بعد الاربعة؛ لا ان الذين سمعوها من المسيح عليه السلام تكلموا باثنين وسبعين لساناً فان هذا لم يقله أحد ولا يقوله عاقل اذ الحواريون كانوا اثنى عشر لم يكونوا اثنين وسبعين فاذا قيل انه نقلها اثنان وسبعون فهم نقلوها عمن نقلها اليهم من الحواريين وهم انما يسندون نقلها الى الاربعة.الوجه الخامس ان الحواريين ليسوا معصومين بل يجوز على أحدهم الغلط في بعض ماينقله وما ينقل من خوارقهم للعادات فمن الناس من يكذبه ومنهم من

يصدقه ولا دلالة فيه على عصمتهم إلا ان يثبت انهم ادعوا النبوة وأقاموا المعجزات الدالة على نبوتهم ولم يكن الامر كذلك وإلا فالصالحون اذا كانت لهم كرامات لم تدل كراماتهم على انهم معصومون كالانبياء بل يجوز عليهم الغلط مع ثبوت كراماتهم . والحواريون عندهم ليسوا بأنبياء وان سموهم رسلاً فهم رسل المسيح لارسل الله تبارك وتعالى . الوجه السادس ان في هذه الكتب التي بأيديهم ما يناقض قولهم من الاقوال الصريحة الكثيرة ماهو اكثر واصرح مما احتجوا به على قولهم . والواجب حينئذ التمسك بالصريح المحكم ورد المتشابه اليه لايجوز التمسك بالمتشابه ورد المحكم اليه . الوجه السابع انه بتقدير ان يكون فى الارض هذه الكتب باثنين وسبعين لساناً سواء كانت منقولة عن الحواريين نقلا صحيحاً أو كان نقل اكثرها أو كثير منها مترجمة من لغة الى لغة فمعلوم انه بكل لسان عدة نسخ ولو لم يكن بها إلا لسان واحد مع كثرة النسخ بها في مشارق الارض ومغاربها لم يمكن أحداً ان يقطع بان جميع النسخ على لفظ واحد ونص واحد كما ادعاه هؤلاء في الاثنين وسبعين لسانا حيث قالوا مثل هذا القول في كتب الله المنزلة على أفواه الانبياء والرسل كثيره عند النصارى جميعهم المختلفة السنتهم المتفرقين فى سبعة أقاليم العالم المتمسكين بدين النصرانية قول واحد ونص على ماتسلموه من الحواريين وردوهم عن عبادة الاصنام فسلموها اليهم كل أمة بلسانها وهى على هيئتها الى يومنا هذا فان هذا الكلام يتضمن عدة دعاوي ليس فيها ما يمكن قائله ان يكون عالما به فعلم ان هؤلآء تكلموا بهذا الكلام بلا علم بل بالجهل والضلال كما هو عادتهم

فانه يقال لهم من الذي جمع كل نسخة في العالم من جميع التوراة والانجيل والزبور وسائر النبوات الاربعة والعشرين باسان واحد كالعربى مثلا وهل ميز جميع النسخ فلم يجد نسخة تزيد على نسخة ولا تنقص عنها ومعلوم ان كان هذا ممكناً أمكن ان يقال جمعها جامع وغير بعض الفاظها فلا يمكنهم دعوى بقائها بلا تغير وان لم يمكن ذلك لم يمكن أحداً ان يقول أنا أعلم موافقة كل نسخة من نسخ هذه الكتب لكل نسخة توجد فى سبعة أقاليم العالم بذلك الناسان فضلا عن أثنين وسبعين لسانا فضلا عن ان يقال انا اعلم ان هذه الالسن كلها تكلمت بها الحواريون وهى باقية على لفظهم الى اليوم . ومعلوم ان الانسان اذا أمكنه جمع نسخ كتاب واحد من جميع الفنون من كتب الطب والحساب والهندسة والنحو والفقه والحديث كان امكان تغيير بعض الفاظ تلك النسخ ايسر عليهم من مقابلة الفاظ كل نسخة بالفاظ تلك النسخ مثلها فان هذا لايقدر عليه فى العادة بل هو متعذر أو متعسر ولا سيما المقابلة ان كانت بين أثنين فكل منهما ينقل للآخر لفظ نسخته فيكون مدار المقابلة على خبر واحد لم يقترن بخبره مايعلم به صدقه فقد يغلطان أو يكذبان جميعاً . وان كانت بين عدد يحصل بهم العلم احتاجت كل نسخة بكل لسان الى ان يشهد بلفظها جمع يحصل بهم العلم وأولئك بأعيانهم يشهدون بلفظ كل نسخة بكل لسان وشهدوا بلفظ كل نسخة ويشهد لهم من هو مثلهم بلفظ النسخة الاخرى وموافقتها لها وهؤلاء أومثلهم بموافقة النسخة الثانية ومعلوم ان هذا لم يفعله احد ولا يقدر عليه أحد بل لو اجتمع جميع ملوك النصارى على ذلك وعلماء بلادهم على ذلك لم يقدروا عليه فانه

من النسخ ماهو عند المسلمين ومنها ماهو في بلاد لا حكم لهم عليها وايضاً
فقد يكون في بلادهم من النسخ مالم يظهرها اصحابها فكل من شهد من
النصارى وغيرهم بان كل نسخة في العالم بهذه الكتب توافق جميع
النسخ فهو شاهد زور شهد بما لا يعلم بل شهد بما يعلم انه كاذب فيه
وكذلك لو شهد بمثل هذا النسخ اي كتاب كان فان العادة المعروفة ان
نسخ الكتب تختلف ويزيد بعضها وينقص بعضها والقرآن المنقول
بالتواتر لم يكن الاعتماد في نقله على نسخ المصاحف بل الاعتماد على
حفظ اهل التواتر له في صدورهم ولهذا اذا وجد مصحف يخالف
حفظ الناس اصلحوه وقد يكون في بعض نسخ المصاحف غلط فلا
يلتفت اليه مع ان المصاحف التي كتبها الصحابة قد قيد الناس صورة
الخط ورسمه وصار ذلك ايضاً منقولا بالتواتر فنقلوا بالتواتر لفظ
القرآن حفظاً ونقلوا رسم المصاحف ايضاً بالتواتر ايضاً ونحن لا ندعي
اتفاق جميع نسخ المصاحف كما لا ندعي ان كل من يحفظ القرآن لا يغلط
بل الفاظه منقولة بالتواتر حفظاً ورسماً فمن خرج عن ذلك علم الناس
انه غالط لمخالفته النقل المتواتر بخلاف هذه الكتب فان النصارى
لم يحفظوها كلها في قلوبهم تلقيا لها عن الحواريين حفظاً منقولا بالتواتر
بل لم يكن أحد منهم يحفظها كلها فضلا عن ان يحفظها كلها اهل التواتر
فضلا عن ان يحفظ كل لسان منها من تواتر بهم ذلك اللسان وهذا أمر
معلوم لجميع النصارى وغيرهم انه لم يحفظها كلها بكل لسان من زمن
الحواريين عدد التواتر بل ولا في زمن من الازمان بل بعد انتشار
النصارى وكثرتهم وتفرقهم في الاقاليم السبعة لا يكاد يوجد فيهم من

يحفظها كلها عن قلبه كما يحفظ صبيان مكاتب المسلمين القرآن فكيف يحفظها في كل زمان اهل التواتر فكيف يحفظ كل لسان من الاثنين وسبعين أهل التواتر واذا كان اعتمادهم انما هو على الكتب وهم لا يمكنهم معرفة اتفاق جميع النسخ باسان واحد فضلا عن جميع الالسنة على ان دعواهم انها لم تزل متفقة على نص واحد ولفظ واحد وان جميع نسخها متفقة في هذا الزمان وفيما قبله كلام مجازف يتكلم بلا علم بل يتكلم بما يعلم انه باطل · الوجه الثامن ان هذا لو قدر امكانه فانما يكون منقولا لو لم يعلم انه كذب فكيف مع العلم بانه كذب فانه يوجد في هذا الزمان نسخ التوراة والانجيل والزبور والنبوات مختلفة متناقضة والنسخ التي عند النصارى مختلفة وهي ايضاً تخالف نسخ اليهود والسامرة في مواضع وحينئذ فاذا قالت النصارى نسخنا هي الصحيحة لم يكن هذا أولى من قول اليهود نسخنا هي الصحيحة بل معلوم ان اعتناء اليهود بالتوراة أعظم من اعتناء النصارى ثم بعد هذا ما ذكروه لا يكفي ان لم يعلم ان نسخهم توافق النسخ التي عند اليهود حتى السامرة وهذا غير معلوم وان قالوا اذا خالف نقل اليهود لنقل الحواريين لم يلتفت اليه لانهم معصومون كان هذا مبنياً على دعوى عصمتهم وقد عرف فساده واذا قالت النصارى نحن ننقلها عن الحواريين المعصومين قالت اليهود نحن ننقلها عن موسى المعصوم باتفاق أهل الملل أو عن العارف المعصوم باتفاق اليهود والنصارى وكثير من المسلمين فالتوراة باتفاق الخلق ماخوذة عن موسى ابن عمران وهو معصوم وانما يطعن من يطعن في نقل بعضها لانقطاع التواتر في أثناء المدة لما خرب البيت المقدس

ولم يبق فيه ساكن أكثر من سبعين سنة فيقول بعض الناس ان بعض الفاظها غير حينئذ ويقول بعضهم لم تغير الفاظ جميع النسخ وانما غير الفاظ بعض النسخ وانتشرت النسخ المغيرة عند كثير من الناس حتى لايعرفون غيرها ثم بنوا اسرائيل لم يزل فيهم نبي بعد نبي حتى جاء المسيح وبعد المسيح فلم يزالوا خلقاً كثيراً لايمكن تواطئهم في مشارق الارض ومغاربها على تغيير جميع نسخ التوراة بخلاف الانجيل فانه انما نقلها اربعة ومن كتب التوراة والزبور والنبوات من اتباع المسيح فانما كتبوها من النسخ التي كانت بايدي اليهود واذا قالوا كانوا معصومين فهذا ممنوع عند المسلمين واليهود وعلى تقدير تسليمه • فاليهود ينقلونها أيضاً عن المعصوم قبل هؤلاء . فلا يمكن مع هذا ان يدعى مدعي ان النبوات التي عند النصارى تواترت عن المعصوم اعظم من تواتر ماعند اليهود بل لايشك العقلاء العادلون ان نقل حروف التوراة اصح من نقل حروف الانجيل وهذا أمر يعرف من وجوه متعددة فان التوراة أخذت عن المعصوم باتفاق أهل الملل وكانت منقولة قبل المسيح بين الانبياء وبين بني اسرائيل أعظم من نقل الانجيل وبعد المسيح نقلها اليهود والنصارى واذا كان كذلك فاذا وجد ماعند اليهود والسامرة من نسخ النبوات يخالف ما عند النصارى في بعض الألفاظ كان هذا دليلا على ان هذه الكتب ليست الفاظها منقولة عن نص واحد وانه ليس كل لفظ من الفاظها متواترا والله اعلم • الوجه التاسع ان جميع ماعندهم من النصوص الصحيحة لايدل على مذهبهم البتة نصا بل غاية مايدعون فيها الظهور وهم منازعون في ذلك حتى يقال بل الظاهر فيما يحتجون به خلاف

قولهم ومعلوم ان أصول الايمان التي يؤمن أهل الايمان بها ويكفرون من خالفها لابد ان تكون معلومة عندهم عن الانبياء والعلم لا يحصل بلفظ علم محتمل فعلم أنه لاعلم عندهم عن الانبياء عليهم السلام وهو محل النزاع الوجه العاشر ان أصرح ماعندهم من التثليث هو قوله عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس وعلى هذا القول بنوا قولهم بالتثليث واثبتوا لله ثلاثة اقانيم ولفظ الاقانيم لم ينطق به احد من الانبياء ولا أحد من الحواريين باتفاقهم بل هو مما ابتدعوه • قيل انه لفظ رومى معناه الاصل ثم اقنوم الابن تارة يقولون هو علم الله وتارة يقولون هو حكمة الله وتارة يقولون هو كلمة الله وتارة يقولون هو نطق الله وروح القدس تارة يقولون هو حياة الله وتارة يقولون هو قدرة الله • والكتب المنقولة عن الانبياء عندهم ليس فيها تسمية شيء من صفات الله لا باسم ابن ولا باسم روح القدس فلا يوجدان أحدا من الانبياء يسمى علم الله وحكمته وكلامه ابناً ولا سمي حياة الله أو قدرته روح القدس بل روح القدس في كلام الانبياء يراد بها معنى ليس هو حياة الله كما يراد بها ملك الله أو ماينزله في قلوب الانبياء والصالحين من هداه ونوره وتأييده ونحو ذلك واذا كان كذلك علم ان مافسروا به قول المسيح عليه السلام عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس كذب صريح عليه وكذلك مافسروا به كلام الانبياء من اثبات الاقانيم الثلاثة كذب صريح عليهم كقولهم اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب أرادوا به اثبات ثلاثة آلهة فان هذا مما يعلم بالضرورة ضلالهم فيه وافتراءهم على الانبياء ويعلم ان اله الثلاثة هو اله واحد ليس اله ابراهيم الهاً آخر غير اله اسحاق حتى لو قيل بالاقانيم

فلا يقول عاقل ان أحد الاقانيم اله هذا والاقنوم الآخر إله الآخر فان هذا لم يقله أحد من العقلاء لا النصارى ولاغيرهم يقولون ان الاب اله ابراهيم مثلا والابن اله اسحاق وروح القدس اله يعقوب بل هم متفقون مع قولهم بالتثليث ان الجميع اله واحد لجميع المرسلين ليس الله هذا اقنوما واله الآخر اقنوماً آخر فعلم ان مايفسرون به كلام الانبياء كذب لايصح لاعلى تثليثهم الذي ابتدعوه ولا قول أهل التوحيد لرسل الله تعالى

(فصل) قال الحاكي عنهم فقلت لهم اذا كانت هذه النبوات عند اليهود وهم مقرون معترفون بها انها حق وانها عتيدة ان تكمل عند مجيء المسيح فاي حجة لهم يحتجون بها عن الايمان به ؟ أجابوا قائلين ان الله اختار بني إسرائيل واصطفاهم على الناس له شعبا في ذلك الزمان وحيث كانوا في أرض مصر في عبودية فرعون أرسل اليهم موسى النبي دلهم على معرفة الله ووعدهم ان الله يخلصهم من عبودية فرعون ويخرجهم من مصر ويريهم ارض الميعاد التي هي أرض بيت المقدس فطلب موسى من الله وعمل العجائب قدام عيونهم وضرب اهل مصر العشر ضربات وهم يرون ذلك جميعه ويعلمون ان الله يصنعه لاجلهم وأخرجهم من مصر بيد قوية وشق لهم البحر وأدخلهم فيه وصار لهم الماء حائطاً عن يمينهم وحائطاً عن شمالهم ودخل فرعون وجميع جنوده في البحر وبنوا اسرائيل ينظرون ذلك فلما برز موسى وبنوا اسرائيل من البحر وخلفهم فرعون بجنوده فيه أمر الله لموسى ان يرد عصاه الى الماء فعاد الماء كما كان وغرق فرعون وجميع جنوده في البحر وبنوا اسرائيل

يشهدون ذلك فلما غاب عنهم موسى أتى الجبل ليناجي ربه وأخذ لهم التوراة من يد الله تركوا عبادة الله ونسوا جميع أفعاله وكفروا به وعبدوا رأس العجل من بعد ذلك ثم عبدوا الاصنام مراراً كثيرة ليس مرة واحدة وذبحوا لها الذبائح ليست حيوانات بل بنيهم مع البنات حسبما ذكر فيما قبل ذلك وجميع أفعالهم مكتوبة في أخبار بني اسرائيل فلما رأى الله قساوة قلوبهم وغلظ رقابهم وكفرهم به ورأى أفعالهم النجسة الخبيثة غضب عليهم وجعلهم مرذولين وطبع على قلوبهم فلا يؤمنون وجعلهم مهانين في جميع الامم وليس لهم ملك ولا بلاد ولا نبي ولا كاهن الى الابد حسبما تنبأت عليهم الانبياء على ماذكرناه قبل وتشهد به كتبهم التي في أيديهم الى يومنا هذا وكذا قال الله لأشعيا اذهب الى هذا الشعب فقل لهم تسمعون سماعا ولا تفهمون وتنظرون نظراً ولا تبصرون لان قلب هذا الشعب قد غلظ وقد سمعوا بآذانهم سمعاً ثقيلا وقد غمضوا أعينهم لئلا يبصروا بها ويسمعوا باذانهم ولا يفهمون بقلوبهم ويرجعون اليّ فارحمهم وقال اشعيا قال الله هكذا مقت نفسي سبوتكم ورؤس شهوركم صارت عندي مرذولة وقال وفي ذلك اليوم يقول الله سأبطل السبوت والاعياد كلها واعطيكم سنة جديدة مختارة لا كالسنة التي أعطيتها لموسى عبدي يوم حوريب يوم الجمع الكثير بل سنة جديدة مختارة آمر بها وأخرجها من صهيون فصهيون هي أورشليم والسنة الجديدة المختارة هي السنة التي تسلمناها نحن معشر النصارى من يدي الرسل الحواريين الاطهار الذين خرجوا من أورشليم وداروا في سبعة أقاليم العالم وانذروا بهذه السنة الجديدة فاي بيان يكون اوضح وأصح من هذا البيان اذ قد أوردناه من

قول الله ولاسيما واعداؤنا اليهود المخالفون لديننا شهدوا لنا بصحة ذلك جميعه • وأما حجة اليهود في هذه النبوات يقولون ويعتقدون انها حق وانها قول الله لكن يقولون انها عتيدة ان تكمل وتتم عند مجيء المسيح لكن المسيح ينكرون مجيئه ويقولون بعدما جاء وان الذي جاء ليس هو المسيح هذا قولهم وكفاهم انهم يكفرون ويفتخرون مع الكفر ويقولون ان المسيح كان ضالا مضلا واما المسيح الحق فعتيد انه يأتي ويكمل نبوات الانبياء اذا جاء واذا جاء اتبعناه وكنا انصاره وهذا رأيهم واعتقادهم في السيد المسيح فماذا يكون أعظم من هذا الكفر الذي هم عليه ولاجل ذلك في هذا الكتاب سماهم المغضوب عليهم لاجل خلافهم لقول الله الذي نطقه على أفواه الانبياء ولما كنا نحن النصارى متمسكين بما أمرنا به الرسل الاطهار سمانا في هذا الكتاب المنعم عليهم وأما قولنا في الله ثلاثة اقانيم اله واحد فهو ان الله نطق به وأوضحه في التوراة وفي كتب الانبياء ومن ذلك ماجاء في السفر الاول من التوراة يقول حيث شاء الله ان يخلق آدم قال لنخلق خلقاً على شبهنا ومثالنا فمن هو شبهه ومثاله سوى كلمته وروح قدسه وحين خالف آدم وعصى ربه ها آدم قد صار كواحد منا وهذا واضح ان الله قال هذا القول لابنه اي كلمته وروح قدسه وقال هذا القول يستهزئ بآدم أي طلب ان يصير كواحد منا صار عرياناً مفتضحاً وقال الله عند ما أخسف بسدوم وعامورة قال في التوراة وأمطر الرب من عند الرب من السماء على سدوم وعامورة نارا وكبريتاً أوضح بهذا ربوبية الاب والابن بذكر ثالث * والجواب ان يقال أما كفر اليهود كلهم لما أرسل المسيح عليه السلام اليهم فلم يؤمنوا به وكفر

من كفر منهم قبل ذلك اما بقتل النبيين واما بتكذيبهم واما بالشرك واما بغير ذلك مما كفروا فيه بما انزل الله فهذا حق وهذا هو نظير كفر النصارى كلهم الذين بلغتهم دعوة محمد صلى الله عليه وسلم واقام الله عليهم الحجة به فلم يؤمنوا به وكفر من كفر منهم قبل ذلك بما انزل الله اما بتكذيب بعض ما انزله واما بتبديله واما بجعل ما لم ينزله الله منزلاً منه واما بغير ذلك مما فيه كفر بما انزل الله عز وجل وكذلك ما ذكر من ان الله أقام سنة جديدة وعهداً جديداً وهو مابعث به المسيح عليه السلام من الشريعة التى بعث بها وفيها تحليل بعض ماحرمه الله في التوراة كما فى القراءة عن المسيح ولا حل لكم بعض الذى حرم عليكم فهذا أيضاً حق

(فصل) واما قولكم السنة الجديدة المختارة هى السنة التي تسلمناها من يدي الرسل الاطهار على ما تسلموها هم من المسيح عليه السلام فيقال لو كنتم على تلك السنة لم تغيروها لم ينفعكم المقام عليها اذا كذبتم الرسول النبي الامي الذى بعث اليكم والى سائر الخلق بسنة أخرى أكمل من السنن التي كانت قبله كما لم ينفع اليهود ولو تمسكوا بسنة التوراة ولم يتبعوا سنة المسيح الذى أرسل اليهم بل من كذب برسول واحد فهو كافر كما قال تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا فانه وان كانت السنة التى جاء بها المسيح عليه السلام حقا وكل من كان متبعاً له فهو مؤمن مسلم من أولياء الله من أهل الجنة الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون كما قال

تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) وقال تعالى (كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) فمن اتبع المسيح كان مؤمنا ومن كفر به كان كافرا وقال تعالى (ياعيسى اني متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لايحب الظالمين) لكن غيرتموها وبدلتموها قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فصرتم كفارا بتبديل شريعة المسيح وتكذيب شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كما كفرت اليهود بتبديل شريعة التوراة وتكذيب شريعة الانجيل ثم كفروا بتكذيب شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى سائر رسل الله أجمعين فان المسيح لم يسن لكم التثليث والقول بالاقانيم ولا القول بانه رب العالمين ولا سن لكم استحلال الخنزير وغيره من المحرمات ولا ترك الختان ولا الصلاة الى المشرق ولا اتخاذ أحبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله ولا الشرك واتخاذ التماثيل والصليب ودعاء الموتى والغائبين من الانبياء والصالحين وغيرهم وسؤالهم الحوائج ولا الرهبانية وغير ذلك من المنكرات التي أحدثتموها ولم يسنها لكم المسيح ولا ما أنتم عليه هي

السنة التي سلمتموها من رسل المسيح بل عامة ما أنتم عليه من السنن امور محدثة مبتدعة بعد الحواريين كصومكم خمسين يوماً زمن الربيع واتخاذكم عيدا يوم الخميس والجمعة والسبت فانهذا لم يسنه المسيح ولا أحد من الحواريين وكذلك عيد الحواريين الميلاد والغطاس وغير ذلك من أعيادكم بل عيد الصليب انما ابتدعته هيلانة الحرانية القندقانية أم قسطنطين فانتم تقولون انها هي التي أظهرت الصليب وصنعت لوقت ظهوره عيدا وذلك بعد المسيح والحواريين بمدة طويلة فى زمن ملك قسطنطين بعد المسيح باكثر من ثلثمائة سنة وفي ذلك الزمان احدثتم الامانة المخالفة لنصوص الانبياء فى غير موضع وأظهرتم استحلال الخنزير وعقوبة من يأكله وابتدعتم ذلك الزمان تعظيم الصليب وغير ذلك من بدعكم وكذلك كتب القوانين التي عندكم التى جعلتموها سنة وشريعة فيها شيء عن الانبياء والحواريين وكثير مما فيها ابتدعه من بعدهم لاينقلونه لاعن المسيح ولا عن الحواريين فكيف تدعون انكم على السنة والشريعة التى كان عليها المسيح عليه السلام وهذا مما يعلم بالاضطرار والتواتر انه كذب بين

(فصل) قالوا وأما قولنا فى الله ثلاثة اقانيم اله واحد فهو ان الله نطق به وأوضحه في التوراة وفي كتب الانبياء ومن ذلك ماجاء في السفر الاول من التوراة يقول حيث شاء الله أن يخلق آدم قال الله لنخلق خلقا على شبهنا ومثالنا فمن هو شبهه ومثاله سوى كلمته وروحه وحين خالف آدم وعصى ربه قال الله تعالى ها آدم قد صار كواحد منا وهو قول واضح ان الله قال هذا القول لابنه وروح قدسه والجواب ان

استدلالهم بهذا على قولهم فى المسيح هو فى غاية الفساد والضلال فان لفظ التوراة نصنع آدم كصورتنا وشبهنا وبعضهم يترجمه نخلق بشرا على صورتنا شبهنا والمعنى واحد وهو كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته وفي رواية على صورة الرحمن فقولهم من هو شبهه ومثاله سوى كلمته وروحه من ابطل الأباطيل من وجوه احدها ان الله ليس كمثله شيء وليس لفظ النص على مثالنا • الثانى انه لا اختصاص للمسيح بما ذكر على كل تقدير حق وباطل باى تفسير فسر قوله سنخلق بشرا على صورتنا شبهنا لم يخص ذلك المسيح • الثالث انهم ان أرادوا بالكلمة التي هى شبهه ومثاله صفته التى هى العلم القائم به والحياة القائمة به مثلا فالصفة لا تكون مثالا للموصوف اذ الموصوف هو الذات القائمة بنفسها والصفة قائمة بها والقائم بغيره لا يكون مثل القائم بنفسه وان أرادوا به شيئاً غير صفاته مثل بدن المسيح وروحه فذلك مخلوق له والمخلوق لا يكون مثل الخالق وكذلك روح القدس سواء اريد به ملك أو هدى وتأييد ليس مثالا لله عز وجل الرابع انه قال لنخلق خلقا أو قال نخلق آدم أو نخلق بشراً على صورتنا وشبهنا وعلى ماقالوه نخلق خلقاً على شبهنا ومثالنا وبكل حال فهذا مخلوق وكلمة الله وروحه عندهم غير مخلوق فامتنع ان يكون المراد بذلك كلمته وروحه وان قالوا أراد بذلك الناسوت المسيحي فلا فرق بين ذلك الناسوت وسائر النواسيت مع ان المراد بذلك النص آدم أبو البشر باتفاق الامم والناسوت نفسه ليس هو كلمة الله وروحه الخامس انه لو قدر انه أريد بذلك ان كلام الله يشبه ذاته من بعض الوجوه مثل كونه

قديماً بقدمه لم يكن فى ذلك مايدل على الاقانيم الثلاثة وكذلك اللفظ المعروف وهو قوله سنخلق بشراً على صورتنا شبهنا فهذا لايدل على التثليث بوجه من الوجوه وشبه الشيء بالشيء يكون لمشابهته له من بعض الوجوه وذلك لايقتضى التماثل الذي يوجب ان يشتركا فيما يجب ويجوز ويمتنع واذا قيل هذا حي عليم قدير وهذا حي عليم قدير فتشابها في مسمى الحي والعليم والقدير لم يوجب ذلك ان يكون هذا المسمي مماثلا لهذا المسمى فيما يجب ويجوز ويمتنع بل هنا ثلثة أشياء أحدها القدر المشترك الذي تشابها فيه وهو معنى كلي لايختص به أحدهما ولا يوجد كلياً عاما مشتركا الافي علم العالم. والثاني ما يختص به هذا كما يختص الرب به من الحياة والعلم والقدرة والثالث مايختص به العبد من الحياة والعلم والقدرة فما اختص به الرب عز وجل لايشركه فيه العبد ولا يجوز عليه شيء من النقائص التى تجوز على صفات العبد وما يختص به العبد لايشركه فيه الرب ولا يستحق شيئاً من صفات الكمال التى يختص به الرب عز وجل وأما القدر المشترك كالمعنى الكلى الثابت في ذهن الانسان فهذا لايستلزم خصائص الخالق ولا خصائص المخلوق فالاشتراك فيه لامحذور فيه ولفظ التوراة فيه سنخلق بشراً على صورتنا يشبهنا لم يقل على مثالنا وهو كقول النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لايقولن أحدكم قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فان الله تعالى خاق آدم على صورته فلم تذكر الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم كموسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم الا لفظة شبه دون لفظ مثل وقد تنازع الناس هل لفظ الشبه والمثل بمعنى واحد أو معنيين على قولين أحدهما انهما بمعنى واحد

وانما دل عليه لفظ المثل مطلقاً ومقيداً يدل عليه لفظ الشبه وهذا قول
طائفة من النظار . والثاني ان معناهما مختلف عند الاطلاق لغة وشرعا
وعقلا وان كان مع التقييد والقرينة يراد بأحدهما مايراد بالآخر وهذا
قول أكثر الناس وهذا الاختلاف مبنى على مسئلة عقلية وهو انه هل
يجوز ان يشبه الشيء الشيء من وجه دون وجه؟ وللناس في ذلك قولان
فمن منع ان يشبهه من وجه دون وجه قال المثل والشبه واحد ومن قال
انه قد يشبه الشيء الشيء من وجه دون وجه فرق بينهما عند الاطلاق
وهذا قول جمهور الناس فان العقل يعلم ان الاعراض مثل الألوان تشتبه
في كونها الوانا مع ان السواد ليس مثل البياض وكذلك الأجسام والجواهر
عند جمهور العقلاء تشتبه في مسمى الجسم والجوهر وان كانت حقائقها
ليست متماثلة فليست حقيقة الماء مماثلة لحقيقة التراب ولا حقيقة النبات
مماثلة لحقيقة الحيوان ولا حقيقة النار مماثلة لحقيقة الماء وان اشتركا
فى ان كلا منهما جوهر وجسم وقائم بنفسه وأيضاً فمعلوم فى اللغة ان
يقال هذا يشبه هذا وفيه شبه من هذا اذا أشبهه من بعض الوجوه وان
كان مخالفاً له فى الحقيقة قال الله تعالى (وأتوا به متشابها) وقوله منه آيات
محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ
فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . وقال الذين لا يعلمون
لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم
تشابهت قلوبهم) فوصف القولين بالتماثل والقلوب بالتشابه لا بالتماثل فان
القلوب وان اشتركت فى هذا القول فهى مختلفة لامتماثلة وقال النبي صلى
الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور متشابهات لايعلمهن

كثير من الناس فدل على انه يعلمها بعض الناس وهي في نفس الامر ليست متماثلة بل بعضها حرام وبعضها حلال الوجه السادس ان قوله سنخلق خلقاً على شبهنا لايتناول صفته مثل كلامه وحياته القائمة به فان ذلك ليس بمخلوق وحينئذ فهذا لايتناول اللاهوت الذي يزعمون انه تدرع الناسوت فان اللاهوت ليس بمخلوق وأما الناسوت فهو كسائر نواسيت الناس لا اختصاص له بأن يكون شبيهاً لله دون سائر النواسيت فقوله فمن هو الشبه المخلوق سوى كلمته وروحه باطل على كل تقدير وأما قوله هاادم قد صار كواحد منا وقولهم ان هذا قول واضح ان الله قال هذا القول لابنه وروح قدسه فان أرادوا انه يجعل الذي صار كواحد منا لابنه كان هذا من أبطل الكلام فان هذا الابن ان كان المراد به الكلمة التي هي صفة لله فتلك لم يخلق لها أمر يصير كواحد منهم وتلك لاتسمى آدم ولا سماها الله ابناً وان أريد به ناسوت المسيح فذاك مخلوق مبتدع يمتنع ان يكون كالقديم الازلي وأيضاً فان الله قال هذا عن آدم وآدم ليس هو المسيح ولا يجوز إن يقال آدم ويراد به المسيح كما لايجوز ان يقال عصى آدم ويراد به المسيح وايضاً فانه قال هاآدم صار كواحد منا وهذا اشارة الي أمر قد كان في الزمن الماضي ليس هو اشارة الى ما سيكون بعد ذلك بالوف السنين وان أرادوا ان الله قال لابنه الذي هو كلمته وروحه وهذا هو مرادهم كقولهم انه قال هذا القول يستهزئ بآدم اي انه طلب ان يصير كواحد صار هكذا عرياناً مفتضحا ويكون شبهتهم قوله منا لانه عبر بصيغة الجمع وكذلك ان أرادوا هذا بقوله نخلق بشراً على صورتنا وشبهنا فاحتجوا على التثليث بصيغة الجمع وهذا مما احتج به نصارى

نجران على النبي صلى الله عليه وسلم فاحتجوا بقوله تعالى انا ونحن قالوا وهذا يدل على انهم ثلاثه وكان هـذا من المتشابه الذى اتبعوه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وتركوا المحكم المبين الذى لا يحتمل إلا واحداً فان الله في جميع كتبه الالهية قد بين انه اله واحد وانه لاشريك له ولا مثل له وقوله انا ونحن لفظ يقع فى جميع اللغات على من كان له شركاء وامثال وعلى الواحد المطاع العظيم الذى له أعوان يطيعونه وان لم يكونوا شركاء ولا نظراء والله تعالى خلق كل ماسواه فيمتنع ان يكون له شريك أو مثل والملائكة وسائر العالمين جنوده قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وقال تعالى(ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزاً حكيما) فاذا كان الواحد من الملوك يقول انا ونحن ولا يريدون انهم ثلاثة ملوك فالك الملك رب العالمين ورب كل شيء ، ومليكه هو احق بان يقول انا ونحن مع انه ليس له شريك ولا مثل بل له جنود السموات والارض وأيضا فن المعلوم ان آدم لم يطلب ان يصير مثل الله ولا مثل صفاته كعلمه وصفاته وأيضا فليس فى ظاهر اللفظ ان الله خاطب صفاته بذلك وأيضاً فالصفة القائمة بالموصوف لا تخاطب ولا تخاطب وانما يخاطب الموصوف ولم يكن قد خلق آدم ناسوت المسيح ولا غيره من البشر حتى يخاطب فعلم ان دعواهم ان الله خاطب صفته التي سموها هم ابنا وروح قدس كلام باطل بل قد يخاطب ملائكته وآدم عليه السلام أراد ما أطمعه الشيطان من الخلد والملك كما قال تعالى فوسوس لهما الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى

(فصل) قالوا وقال الله عند ما أخسف بسدوم وعامورة قال في التوراة وامطر الرب من عند الرب من السماء على سدوم وعامورة ناراً وكبريتا أوضح بهذا ربوبية الاب والابن والجواب ان احتجاجهم بهذا من ابطل الأباطيل لوجوه أحدها ان تسمية الله عامه وحياته ابنا وربا تسمية باطلة لم يسم موسى فى التوراة شيئا من صفات الله باسم الابن ولا باسم الرب فدعوى المدعى ان موسى عليه السلام اراد بالرب شيئاً من صفات الله او ان له صفة تسمى ابنه كلام باطل. الثاني انه لو قدر ان صفة الله تسمى بذلك معلوم ان الذي أمطر كان هو الذي كان المطر عنده لم يكن المطر عند أحدهما والآخر هو الممطر كما لايجوز ان يقال خلق احدهما من شئ عند الآخر ولا أنزل احدهما المطر من سحاب الآخر الثالث ان الصفة لاتفعل شيئاً ولا عندها شيء بل هى قائمة بالموصوف والذات المتصفة بالصفة هى التى تفعل وعندها يكون ما يكون. الرابع ان هذا بمنزلة قوله أمطر الرب من عنده لكن جعل الاسم الظاهر موضع المضمر اظهاراً لان الامر له وحده في هذا وهذا ومثل هذا فى القرآن كقوله الحاقة ما الحاقة القارعة ماالقارعة وقال تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم تنزيل من الرحمن الرحيم) والله هو المنزل ولم يقل منى

(فصل) قالوا نذكر ثالثا وقال داود في الزبور فى المزمور المائة والتسعة قائلا قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى اضع اعداءك تحت موطأ قدميك والجواب من وجوه. احدها انه لايجوز ان يراد بربي شيئاً من صفات الله فانه لم يسم داود ولا احد من الانبياء شيئاً

من صفات الله رباً ولا ابناً ولا قال احد لشيء من صفات الله يارب ارحمني ولا قال لعلم الله او كلامه او قدرته يارب واذا لم يكونوا يسمون صفات الله رباً فلو كان المسيح صفة من صفاته لم يجز ان يكون هو الله المراد بلفظ الرب فكيف وناسوته ابعد عن اللاهوت ان يراد بذلك فعلم انهم لم يريدوا بذلك لا اللاهوت ولا الناسوت. الثاني انه قال قال الرب لربي فاضاف اليه الثاني دون الاول وانه هو ربه الذي خلقه وعامة ماعند النصارى من الغلو ان يقولوا إله حق من اله حق ويجعلونه خالقاً بأن يجعلوه احق من الاب بكونه رب داود فهذا لم يقولوه وهو ظاهر البطلان. الثالث انه ليس في هذا ذكر الاقانيم الثلاثة غايته لو كان كما تأولوه ان يكون فيه ذكر الابن واما الاقانيم الثلاثة فلم ينطق بها شيء من كتب الله التي بأيديهم فضلاً عن القرآن لا بلفظها ولا معناها بل ابتدعوا لفظ الاقنوم وعبروا به عن ماجعلوه مدلول كتب الله وهي لاتدل على ذلك فكانوا فى ذلك مترجمين لكلام الله وهم لم يفهموا معناه ولا عبروا عنه بعبارة تدل على المراد. الرابع انه قال لربي وهذا يراد به السيد كما قال يوسف انه ربي أحسن مثواي وقال لغلام الملك اذكرني عند ربك وقال تعالى فانساه الشيطان ذكر ربه ولهذا ذكر الاول مطلقاً والثاني مقيداً فيكون المعنى وقال الله لسيدى قال رب العالمين لسيدى وسماه سيداً تواضعاً من داود وتعظيماً له لاعتقاده انه افضل منه

(فصل) قالوا نذكر رابعاً وقال فى الزبور الثاني الذي قال لي أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك والجواب من وجوه احدها ان هذا ليس فيه

تسمية صفات الله علمه وحياته ابناً ولا فيه ذكر الاقانيم الثلاثه فليس فيه حجة لشيء مما تدعونه • والثاني ان هذا حجة عليهم فانه سمى داود ابنه فعلم ان اسم الابن ليس مختصاً بالمسيح عليه السلام بل سمى غيره من عباده ابناً فعلم ان اسم الابن ليس اسما لصفاته بل هو اسم لمن رباه من عبيده وحينئذ فلا يكون تسميته ابناً لكون الرب او صفته اتحدت به بل كما سمى داود ابناً وكما سمى اسرائيل ابناً فقال أنت ابني بكرى وهذا في كتبهم كما ذاك في كتبهم فلا حجة فيه لان قول غير المعصوم ليس بحجة الثالث ان قوله وانا اليوم ولدتك يدل على حدوث هــذا الفعل وعندهم تولد الكلمة التي سموها الابن من الاب قديم أزلي كما قالوا في امانتهــم وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبــل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق من جوهر أبيه مولود غير مخلوق مساوى الاب في الجوهر الذي به كان كل شيء فهذا الابن عندهم مولود من الأب قبل كل الدهور وذاك ولده في يوم خاطبه بعد خلق داود فلم يكن في هذا المحدث دليل على وجود ذلك القديم . الوجه الرابع انه اذا كان الاب في لغتهم هو الرب الذى يربى عبده اعظم مما يربى الاب ابنه كان معنى لفظ الولادة مما يناسب معنى هذه الابوة فيكون المعنى اليوم جعلتك مرحوماً مصطفى مختاراً والنصارى قد يجعلون الخطاب الذى هو ضمير لغــير المسيح يراد به المسيح فقد يقولون المراد بهذا المسيح وهذا باطل لايدل اللفظ عليه وبتقدير صحته فهو يدل على ان المسيح هو الناسوت المخلوق وهو المسمى بالابن كقوله وانا اليوم ولدتك واللاهوت عندهم مولود من

قبل الدهور وحينئذ فان كان المراد به يوم ولادته فالمعنى خلقتك وان كان يوم اصطفاه فالمراد اليوم اصطفيتك واحببتك كأنه قال اليوم جعلتك والداً وابناً على لغتهم

(فصل) قالوا نذكر خامسا وفي السفر الثاني من التوراة وكلم الله موسى من العليقة قائلاً انا اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب ولم يقل انا اله اسحق بل كرر اسم الاله ثلاث دفوع قائلا انا اله واله واله لتحقق مسئلة الثلاث اقانيم في لاهوته والجواب ان الاحتجاج بهذا على الاقانيم الثلاثة من افسد الاشياء وذلك يظهر من وجوه احدها انه لو أريد بلفظ الاله اقنوم الوجود وبلفظ الاله مرة ثانية اقنوم الكلمة وبالثالث اقنوم الحياة لكان الاقنوم الواحد اله ابراهيم والاقنوم الثاني اله اسحق والاقنوم الثالث اله يعقوب فيكون كل من الاقانيم الثلاثة اله احد الانبياء الثلاثة والاقنومين ليسا بالهين له وهذا كفر عندهم وعند جميع اهل الملل وأيضاً فيلزم من ذلك ان يكون الآلهة الثلاثة ثلاثة وهم يقولون اله واحد ثم هم اذا قالوا كل من الاقانيم اله واحد فيجعلون الجميع اله كل نبي فاذا احتجوا بهذا النص على قولهم لزم ان يكون اله كل نبي ليس هو اله النبي الآخر مع كون الآلهة ثلاثة . الوجه الثاني انه يقال ان الله رب العالمين ورب السموات ورب الارض ورب العرش ورب كل شئ فيلزم ان يكون رب كل شيء ويقال اله موسى واله محمد مع قولنا اله ابراهيم واسحق افتراه أثبت الهين احدهما اله والآخر اله الثلاثة ؟ الوجه الثالث ان العطف يكون تارة لتغاير الذوات وتارة لتغاير الصفات كقوله تعالى

﴿ سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى ﴾ والذى خلق هو الذى قدر واخرج وكذلك قوله الهك واله آبائك وهو هو سبحانه وقال ابراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه لقوله (أفرأيتم ماتعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدولى الارب العالمين الذي خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى اطمع ان يغفر لي خطيئتى يوم الدين) والذى خلقه هو الذى يطعمه ويسقيه وهو الذى يميته ثم يحييه فقوله في التوراة اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب هو من هذا الباب ولايختص هذا بثلاثة بل يقال في الاثنين والاربعة والخمسة بحسب مايقصد المتكلم ذكره من الصفات وفى هذا من الفائدة ماليس في قوله اله ابراهيم واسحق ويعقوب فانه لوقيل ذلك لم يفد الا انه معبود الثلاثة لا يدل على انهم عبدوه مستقلين كل منهم عبده عبادة اختص بها لم تكن هي نفس عبادة الاول وأيضاً فانه اذا قيل اله ابراهيم واسحق ويعقوب دل على عبادة كل منهم باللزوم واذا قال واله دل على معبود كل من الثلاثة فاعاده باسم الاله الذى يدل على العبادة دلالة باللفظ المتضمن لها وفي ذلك من ظهور المعنى للسامع وتقرعه بصورة له من غير فكر ماليس فى دلالة الملزوم

(فصل) قالوا وكذلك شهد اشعيا بتحقق الثالوث بوحدانية جوهره وذلك بقوله رب القوات وبقوله رب السموات والارض ومثل هذا القول في التوراة والمزامير شيء كثير حتى اليهود يقرؤن هذه النبوات ولا يعرفون لها تأويلا وهم مقرون بذلك ولاينكرون منه كلمة واحدة

وانما قلوبهم مغلوقةعن فهمه لقساوتها على ما ذكرنا قبل ذلك وانهم اذا
اجتمعوا في كنيستهم كل سبت يقف الحزان أمامهم ويقول كلاما عبرانياً
هذا تفسيره ولا يجحدونه نقدسك ونعظمك ونثلث لك تقديساً مثلثاً
كالمكتوب على لسان نبيك فيصرخ الجميع مجاوبين قدوس قدوس قدوس
رب القوات ورب السموات والارض فما أوضح اقرارهم بالثالوث
وأشد كفرهم بمعناه فنحن لاجل هذا البيان الواضح الذي قاله الله في
التوراة وفى كتب الانبياء نجعلوه ثلثةأقانيم جوهراً واحداً طبعه واحدة
الهاً واحداً أباً واحداً خالقاً واحداً وهو الذي نقوله أب وابن وروح
قدس والجواب اماما في كتب الانبياءعليهم السلام من تسميته اسم الرب
عند اضافته الى مخلوق آخر فهو من نمط تسميته اسم الاله وهذالايقتضي
تعدد الارباب والآلهة ولهذا يقتضي جعلهم اثنين واربعة اذا ذكر
اللفظ مرتين وأربعة فكذلك اذا كان ثلاث مرات لايقتضي ان الارباب
ثلاثة وهم أيضاً لايقولون بثلاثة ارباب وثلاثة الهة يدل على نقيض قولهم
بل هم يزعمون انهم انما يثبتون الهاً واحداً ولكنهم يتناقضون
فيصرحون بثلاثة الهة ويقولون هم اله واحد والكتب لاتدل على قولهم
المتناقض بوجه من الوجوه وأما ماذكروه من اعتراف اليهود بألفاظ
هذه النبوات ودعواه انهم لايعرفون لها تأويلاً فان أراد بالتأويل تفسيرها
وما يدل عليه لفظها فهذا ظاهر لايخفى على الصبيان من اليهود وغيرهم
ولكن النصارى ادعوا مايدل عليه اللفظ فهذا انما يحتاج اليه ان أرادوا
بالتأويل معنى يخالف ظاهر اللفظ فهذا انما يحتاج اليه ان كان يحتاج اليه
اذا كان ظاهره معنى باطلا لايجوز ارادته وليس ماذكر هنا من هذا

الباب بل الكتب الالهية يكثر فيها مثل هذا الكلام عند أهل الكتاب وعند المسلمين ولا يفهم منها ثلاثة أرباب أو ثلاثة آلهة الا من اتبع هواه بغير هدى من الله وقال قولا مختلفاً يؤفك عنه من أفك ومثل هذا موجود في سائر الكلام فقال هذا أمير البلد الفلاني وأمير البلد الفلاني وأمير البلد الفلاني وهو أمير واحد ويقال هذا رسول الى الاميين ورسول الى أهل الكتاب ورسول الى الجن والانس وهو رسول واحد (فصل) وأما قولهم نقدسك ونعظمك ونثلث لك تقديساً مثلثاً كالمكتوب على لسان نبيك أشعيا وقولهم قدوس قدوس قدوس رب القوات ورب السموات والارض فيقال هذا الكلام صريح في ان المثلث هو نفس التقديس لانفس الاله المقدس وكذلك قولهم قدوس قدوس قدوس قدسوه ثلاث مرات فانه قال نقدسك ونثلث لك تقديساً مثلثاً فنصب التثليث على المصدر الذي ينصب بفعل التقديس فقال نقدسك تقديساً مثلثاً فنصب التقديس على المصدر كما تقول سبحتك تسبيحاً مثلثاً أي سبحتك ثلاث مرات وقال نثلث لك أي نثلث تقديساً لك لم يقل أنت ثلاثة بل جعلوا أنفسهم هم الذين يقدسون التقديس المثلث وهم يثلثون له وهذا صريح في أنهم يسبحونه ثلاث مرات لا يسبحون ثلاثة المقولا ثلاثة أقانيم وهذا كما في السنن عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قال العبد في ركوعه سبحان ربي العظيم ثلاثاً فقد تم ركوعه وذلك أدناه واذا قال في سجوده سبحان ربي الاعلى ثلاثاً فقد تم سجوده وذلك ادناه والتسبيح هو تقديس الرب وأدناه ان يقدسه ثلاث مرات فمعنى قدسوه ثلاث مرات لا تقتصروا على مرة واحدة

ولهذا قالوا بمجاوبين قدوس قدوس قدوس فيقدسونه ثلاث مرات فعلم ان المراد تثليث مادل على لفظه وما يفعلونه ممتثلين لهذا الامر وما يفعل فى نظير ذلك تثليث تقديسه وان يقدس ثلاث مرات لاان يكون المقدس ثلاث أقانيم فان هذا أمر لم ينطق نبي من الأنبياء به لالفظاً ولا معنى بل جميع الانبياء عليهم السلام اثبتوا الهاً واحداً له الأسماء الحسنى واسماؤه متعددة تدل على صفاته المتعددة ولا يختص ذلك بثلاثة اسماء ولا بثلاثة صفات وليست الصفات أقنوما هو ذات وصفة بل ليس الا ذات واحدة لها صفات متعددة فالتعدد فى الصفات لافي الذات التي سموها الجوهر ولافى الذات والصفة التي يسمونها الاقنوم

(فصل) قالوا فما أعظم اقرارهم في الثالوث وأشد كفرهم بمعناه * فيقال هذا من الافتراء الظاهر على اليهود (وجعلهم) كفارا فلم يكن كفرهم لاجل انكار الثالوث بل لو أقروا به كان زيادة في كفرهم يزيد به عذابهم كما ان النصارى لما كفروا لم يكن كفرهم باقرارهم بان المسيح المبشر به قد ظهر ليس هو المسيح الدجال الذي تنتظره اليهود واذا خرج كانوا شيعته ويقتلهم المسلمون معه شر قتلة حتى ان الشجر والحجر يقول يامسلم هذا يهودى ورائى تعال فاقتله بل لو كفروا بالمسيح كما كفرت اليهود لكان ذلك زيادة فى كفرهم وعند اليهود وعندهم في التوراة من التوحيد المحض مما يبطل تثليثكم مالا يخفى إلا عمن اعرض عن ذكر الله الذى انزله وهداه الذي يهدى به عباده

(فصل) قالوا فلاجل هذا البيان الواضح الذي قاله الله فى التوراة

وفي كتب الانبياء نجعل ثلاثة اقانيم جوهراً واحداً الهاً واحداً رباً واحداً خالقاً واحـداً وهو الذى نقول اب وابن وروح قـدس *

والجواب من وجوه أحدها ان في التوراة والكتب الالهية من اثبات وحدانية الله ونفى تعدد الآلهة ونفى إلهية ماسواه ماهو صريح في ابطال قول النصارى ونحوهم وليس فيها ذكر الاقانيم لالفظاً ولا معنى حيث يجعـلون الاقنوم اسما للذات مع الصفة والذات واحدة والتعدد فى الصفات لافي الذات ولا يمكن ان تحد صفة دون الاخرى ولا دون الذات فيمتنع اتحاد اقنوم أو حلوله بشيء من المخلوقات دون الاقنوم الآخر ولا اثبات ثلاثة اقانيم ولا اثبات ثلاث صفات دون ما سواها فى شيء من الكتب الالهية ولا كلام الحواريين ولا اثبات اله حق من اله حق ولا تسمية صفات الله مثل كلامه وحياته لا ابنا ولا إلهاً ولا ربا ولا اثبات اتحاد الرب خالق السموات والارض بشيء من الآدميين ولا حلول ذات وصفة دون ذات مع الصفات الاخرى ولا حلول نفس الصفة ببدنه فى غيره ولا علمه ولا كلامه ولا حياته ولا غير ذلك بل جميع ما اثبتوه من التثليث والحلول والاتحاد ليس فى كتب الانبياء التي بايديهم ما يدل عليه بل فيها أقوال كثيرة صريحـة بنقيض ذلك مع القرآن والعقل فهم مخالفون للمعقول وكتب الله المنزلة • الثاني انهم يقولون إنما نثبت إلها واحدا ثم يقولون في امانتهم وأدلتهم وغير ذلك من كلامهم ماهو صريح باثبات ثلاثة الهة فينقضون كلام بعضهم ببعض ويقولون من الاقوال المتناقضـة مايعلم بطلانه كل عاقل تصوره وهذا لاينضبط لهم قول مطرد كما يقول من يقول من عقلاء الناس

ان النصارى ليس لهم قول يعقله عاقل وليست أقوالهم منصوصة عن الانبياء فليس معهم لاسمع ولا عقل كما قال الله تعالى عن اصحاب النار (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) وهم ايضا يبطنون خلاف مايظهرون ويفهم جمهور الناس مقالاتهم خلاف مايزعم بعضهم انه مرادهم فانه قد تقدم آنفاً من استدلالهم بالتوراة وقوله وكلم الله موسى من العليقة قائلاً انا اله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب قالوا ولم يقل انا اله ابراهيم واسحاق ويعقوب بل كرر اسم الاله ثلاث دفوع قائلاً انا اله واله واله لتحقق مسئلة الثلاث اقانيم في لاهوته فيقال لهم وان كان هذا التكرير لايقتضي الا اثبات اله واحد فلا حجة لكم فيه كما لو قال انا اله ابراهيم واسحق ويعقوب وان كان يقتضي اثبات ثلاثة آلهة فقد اثبتم ثلاثة آلهة وانتم تقولون لانثبت الا الهاً واحداً وان كان المعنى انه اله واحـد موصوف بانه معبود ابراهيم ومعبود اسحاق ومعبود يعقوب فلا حجة لكم فيه على التثليث والاقانيم حيث تجعلون الاقنوم اسماً للذات مع صفة والذات واحدة فالتعدد في الصفات لافي الذات ولا يمكن ان تتحد صـفة دون أخرى ولا دون الذات فيمتنع اتحاد اقنوم وحـلوله بشيء من المخلوقات دون الاقنوم الآخر. الوجه الثالث قولهم وهو الذي نقوله أب وابن وروح القدس قد تقدم ان هـذا القول هم معترفون بانهم لم يقولوه ابتدأ ولا علموا بالعقل التثليث الذي قالوه في امانتهم ثم عبروا عنه بهذه العبارة بل هذه العبارة منقولة عندهم في بعض الاناجيل ان المسيح عليه الصلاة والسلام امر ان يعمدوا الناس بها وحينئذ فالواجب اذا كان المسيح قالها ان

ينظر ما أراد بها وبنظر سائر الفاظه ومعانيها فيفسر كلامه بلغته التي تكلم بها تفسيراً يناسب سائر كلامه . وهؤلاء حملوا كلام المسيح والانبياء عليهم السلام على شئ لايدل عليه كلامهم بل يدل على نقيضه فسموا كلام الله او علمه او حكمته او نطقه ابناً وهذه تسمية ابتدعوها لم يسم أحد من الانبياء شيئاً من صفات الله باسم الابن ولا باسم الرب ولا اله ثم لما احدثوا هذه التسمية قالوا مراد المسيح بالابن هو الكلمة وهذا افتراء على المسيح عليه السلام وحمل لكلامه على معنى لايدل عليه لفظه ولفظ الابن عندهم فى كتبهم يراد به من رباه الله تبارك وتعالى فلا يطلق عندهم في كلام الانبياء لفظ الابن قط الا على مخلوق محدث ولا يطلق الا على الناسوت دون اللاهوت فلا يسمى عندهم اسرائيل ابناً وداود ابناً لله والحواريون كذلك بل عندهم في انجيل يوحنا في ذكر المسيح الى خاصته أى وخاصته لم يقبلوه والذين قبلوه أعطاهم ليكونوا ابناء الله الذى ليس من دم ولا مشبه لحم ولا من مشبه رجل بل من الله ولد فهذا أخبار بانهم يكونون جميعاً ابناء الله وهم معترفون بانه ليس فيهم لاهوت يتحد بناسوت بل كل منهم ناسوت محض فعلم ان الكتب ناطقة بان لفظ ابن الله يتناول الناسوت فقط وليس معهم لفظ ابن الله والمراد به صفة من صفات الله فقولهم ان المسيح أراد بلفظ الابن اللاهوت كذب بين عليه والمسيح يسمى ابناً بهذه الاعتبار وروح القدس لم يعبر بها أحد من الانبياء عن حياة الله التي هى صفته بل روح القدس في كتب الله يراد بها الملك ويراد بها الهدى والوحي والتأييد فيقال روح الله كما يقال نور الله وهدى

الله ووحي الله وملك الله ورسول الله لم يرد به أحـد من الانبياء
بقوله روح الله وروح القـدس ما يريده الانسان بقوله روحى فان
الانسان مركب من روح وبدن وفي بدنه بخار يخرج من القلب
ويسرى في بدنه وله جوف يخرج منه هواء ويدخل فيـه فاذا قيل
روح الانسان فقد يراد بها الروح التي مع البدن وقد يراد بهاء البخار
اللطيف الذى فى البدن وقد يراد بها الريح الذي يخرج من جوف
البدن ويدخل فيه والله تبارك وتعالى باجماع المسلمين واليهود والنصارى
ليس هو روحاً وبدناً كالانسان وهو سبحانه أحد صمد لا جوف له
ولا يدخل فيه شيء ولا يخرج منه شيء لا بخار ولا هواء متردد وقد
يعبر بعض الناس بلفظ الروح عن الحياة والله تعالى حى له حياة ولكن
لم ترد الانبياء عليهم السلام بقولهم روح القدس حياة الله بل أرادوا به
مايجعله الله في قلوب الانبياء وايدهم به كما يراد بنور الله ذلك قال الله
تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح
في زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة
لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى
الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم)
فضرب الله مثلاً للمؤمن الذى جعل صدره كالمشكاة وقلبه كالزجاجة
في المشكاة ونور الايمان الذى فى قلبه وهو نور الله كالمصباح الذي في
الزجاجة وذلك النور الذي فى قلبه ليس هو نفس صفة الله القائمة به
فتبين ان العارف كلما تدبر ما قالته الانبياء وما قاله أهل البـدع من
النصاري وغيرهم لم يجد لهم في كلام الانبياء الا مايدل على نقيض ضلالهم

لا مايدل على ضلالهم

(فصل) قالوا وقد علمنا انه لايلزمنا اذا قلناهذا عبادة ثلاثة الهة بل اله واحد كما لايلزمنا اذا قلنا الانسان ونطقه وروحه ثلاثة اناس بل انسان واحد ولا اذا قلنا لهيب النار وضوء النار وحرارة النار ثلاثة نيران ولا اذا قلنا قرص الشمس وضوء الشمس وشعاع الشمس ثلاثة شموس واذا كان هذا رأينا في الله تقدست اسماؤه وجلت آلاؤه فلا لوم علينا ولا ذنب لنا اذ لم نهمل ما تسلمناه ولا نرفض ما تقلدناه ونتبع ماسواه * والجواب من وجوه أحدها انكم صرحتم بتعدد الآلهة الارباب فى عقيدة ايمانكم وفي استدلالكم وغير ذلك من كلامكم فليس ذلكم شيئاً الزمكم الناس به بل انتم تصرحون بذلك كما تقدم من قولكم نؤمن باله واحد ضابط الكل خالق مايرى ومالا يري وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق من جوهر أبيه مولود غير مخلوق مساو الاب فى الجوهر وبروح القدس الرب المحي المنبثق من الاب الذي معه الآب مسجود له وممجد، فهذا تصريح بالثلاثة أرباب وان الابن اله حق من اله حق مع تصريحكم بثلاثة أرباب وتصريحكم بان هذا اله حق من اله حق تقولون ان ذلك اله واحد وهذا تصريح بتعدد الآلهة مع القول باله واحد ولولم تذكروا مايقتضي انه جوهر آخر لامكن ان يحمل كلامكم على عطف الصفة لكن كان يكون كلامكم أعظم كفراً فتكونون قد جعلتم المسيح هو نفس الله الواحد الاب خالق مايرى ومالايرى وهذا من أعظم كفركم مع ان هذا

حقيقة قولكم فانكم تقولون المسيح هو الله وتقولون هو ابن الله كما
ذكر الله القولين عنكم في كلامه وكفركم بذلك وليس هذا قول طائفة
كما يقوله بعض الناس بل القولان جميعا يقولهما فرق النصارى
كالنسطورية واليعقوبية والملكية ونحوهم وهذا أيضاً من تناقضكم فانه
ان كان هو الله لم يكن هو ابن الله سواء عبر بالابن عن الصفة أوغيرها
فان الاب هو الذات والذات ليست هي الصفة وان عنى بالابن الذات
مع صفة الكلام كما تفسرون الاقنوم بذلك فهذه الذات متصفة مع
ذلك بالحياة والكلامُ سواء عنوا به العلم أو البيان مع العلم هو مع الحياة
قائم بالاب والصفة ليست غير الموصوف بل ولا يعبر عنها بانها ابن
الموصوف ولا عبر بذلك أحد من الانبياء عليهم السلام والمقصود انهم
لم يريدوا بقولهم ورب واحد يسوع المسيح عطف الصفة وان هذا
هو الاب كما قال إله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب فهذا اله واحد
والعطف لتغاير الصفة فلو كان المراد بالابن نفس الاب لكان هذا
خلاف مذهبهم ويكونون قد جعلوه إلهاً من نفسه فقالوا آلهان بل ثلاثة
وهو واحد فهذا لو أرادوه لكان أعظم من الكفر بل قالوا ورب
واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور
نور من نور اله حق من اله حق من جوهر ابيه مولود غير مخلوق
فصرحوا بانه رب وانه اله حق من اله حق وصرحوا بانه ثانٍ مع
الاله الاول وقالوا مع ذلك انه مولود من الاب قبل كل الدهور وانه
مولود غير مخلوق فامتنع ان يريدوا بذلك الناسوت فان الناسوت مخلوق
وهم يقولون ان الكلمة هى المتولدة من الاب والكلمةُ صفة المتكلم

وقائمة به والكلام ليس برب ولا باله بل هو كلام الرب الاله كما ان سائر كلام الله كالتوراة والانجيل والقرآن ليس هو الرب والاله ثم قلتم مساو الاب في الجوهر فاقتضى هذا ان يكون المولود الذي هو الكلمة جوهرا وانه مساوي الاب فى الجوهر والمساوي ليس هو المساوى وهذا يقتضى أثبات جوهر ثانٍ مساوى الجوهر الاول وهو صريح بأثبات الهين وتقولون مع ذلك انه اله واحد جوهر واحد ولا يقال الجوهر مع العلم الذي تعبرون عنه بالاقنوم مساوي الجوهر الذي هو الذات فان الجوهر هو الذات وليس هنا جوهران أحدهما مجرد عن العلم والآخر متصف به حتى يقال ان أحدهما مساو للآخر بل الرب تعالى هو الذات المتصفة بالعلم فان كان الاب هو الذات المجردة فالابن اكمل من الاب وهو الذات مع العلم والاب بعض الابن وكذلك يلزمهم ان يكون الابن هو بعض روح القدس فانهم فى أمانتهم جعلوا روح القدس هو الرب المحيي والرب المحيي هو الذات المتصفة بالحياة والذات المجردة بعض ذلك فان كان الاب هو الذات المجردة فالاب بعض روح القدس ثم قلتم في اقنوم روح القدس الذى جعلتموه الرب المحيي انه منبثق من الاب مسجود له ممجد ناطق في الانبياء فان كان المنبثق رباحيا فهذا أثبات اله ثالث وقد جعلتم الذات الحية منبثقة من الذات المجردة وفى كل منهما من الكفر والتناقض مالا يخفى ثم جعلتم هذا الثالث مسجوداً له والمسجود له هو الاله المعبود وهذا تصريح بالسجود لاله ثالث مع مافيه من التناقض ثم جعلتموه ناطقاً بالانبياء وهذا تصريح بحلول هذا الاقنوم الثالث بجميع الانبياء فيلزمكم ان تجعلوا كل

نبي مركبا من لاهوت وناسوت وانه اله تام وانسان تام كما قلتم في المسيح اذ لافرق بين حلول الكلمة وحلول روح القدس كلاهما اقنوم وأيضاً فيمتنع حلول احدى الصفتين دون الاخرى وحلول الصفةدون الذات فيلزم ان يكون الاله الحي الناطق باقانيمه الثلاثة حالاً في كل نبي ويكون كل نبي هو رب العالمين ويقال مع ذلك هو ابنه وفي هذا من الكفر الكبير والتناقض العظيم مالا يخفى وهذا لازم للنصارى لزوماً لامحيد عنه فان ماثبت لشيء ثبت لنظيره ولا يجوز التفريق بين المتماثلين وليس لهم ان يقولوا الحلول أو الاتحاد في المسيح ثبت بالنص ولا نص في غيره لوجوه أحدها ان النصوص لم تدل على شيء من ذلك كما قد بين • الثاني ان في غير المسيح من النصوص ما شابه النصوص الواردة فيه كلفظ الابن ولفظ حلول روح القدس فيه ونحو ذلك • الثالث ان الدليل لاينعكس فلايلزم من عدم الدليل المعين عدم المدلول وليس كل ما علمه الله وأكرم به انبياءه اعلم به الخلق بنص صريح بل من جملة الدلالات دلالة الالتزام واذا ثبت الحلول والاتحاد في احد النبيين لمعنى مشترك بينه وبين النبي الآخر وجب التسوية بين المتماثلين كما اذا ثبت ان النبي يجب تصديقه لانه نبي ويكفر من كذبه لانه نبي فيلزم من ذلك انه يجب تصديق كل نبي وتكفير من كذبه • الرابع هب انه لادليل على ثبوت ذلك في الغير فيلزم تجويز ذلك في الغير اذ لادليل على انتفائه كما يقولون ان ذلك كان ثابتاً في المسيح قبل اظهاره الآيات على قولهم وحينئذ فيلزمهم ان يجوزوا في كل نبي ان يكون الله قد جعله الهاً تاماً وانساناً تاماً كالمسيح وان لم يعلم ذلك • الخامس انه لو لم يقع ذلك لكنه جائز عندهم اذ لافرق

فى قدرة الله بين اتحاده بالمسيح واتحاده بسائر الادميين فيلزمهم تجويز ان يجعل الله كل انسان إلهاً تاما وانساناً تاماً ويكون كل انسان مركباً من لاهوت وناسوت وقد تقرب الى هذا اللازم الباطل من قال بأن أرواح بنى آدم من ذات الله وانها لاهوت قديم أزلى فيجعلون نصف كل آدمي لاهوتاً ونصفه ناسوتاً وهؤلاء يلزمهم من المحالات أكثر مما يلزم النصارى من بعض الوجوه والمحالات التى تلزم النصارى أكثر من بعض الوجوه ٠ الوجه الثاني قولهم ولا يلزمنا اذا قلنا هذا عبادة ثلاثة الهة بل اله واحد كما لا يلزمنا اذا قلنا الانسان وروحه ونطقه ثلاث أناسى ولا اذا قلنا النار وحرها وضوءها ثلاث نيران ولا اذا قلنا الشمس وضوءها وشعاعها ثلاث شموس * فيقال هذا تمثيل باطل لوجوه أحدها ان حرّ النار وضوءها القائم بها ليس ناراً من نار ولا جوهراً من جوهر ولا هو مساوى النار والشمس في الجوهر وكذلك نطق الانسان ليس هو انساناً من انسان ولا هو مساوى الانسان في الجوهر وكذلك الشمس وضوءها القائم بها وشعاعها القائم بها ليس شمساً ولا جوهراً قائما بنفسه وانتم قلتم اله حق من اله حق فقلتم في الامانة نؤمن بالله واحد أب ضابط الكل وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق من جوهر أبيه مساوى الاب في الجوهر وقلتم فى روح القدس انه رب ممجد مسجود له فاثبتم ثلاثة أرباب ٠ الثانى ان الضوء فى الشمس والنار يراد به نفس الضوء القائم بها ويراد به الشعاع القائم بالارض والجدران وهذا مباين لها ليس قائما بها ولفظ النور يعبر به عن هذا وهذا وكلاهما

صفة قائمة بغيرها وعرض وقد يراد بلفظ النور نفس النار ونفس الشمس والقمر فيكون النور جوهرا قائما بنفسه واذا كان كذلك فهم جعلوا الاب ربا جوهرا قائما بنفسه والابن أيضا ربا جوهرا قائما بنفسه وروح القدس ربا جوهرا قائما بنفسه ومعلوم ان ضوء النار والشمس وحرارتها ليس كل منهما شمسا ونارا قائمة بنفسها ولا جوهرا قائما بنفسه فلو ابتوا حياة الله وعلمه أو كلامه صفتين قائمتين به ولم يجعلوا هذا ربا جوهرا قائما بنفسه وهـذا ربا جوهرا قائما بنفسه لكان قولهـم حقا وتمثيلهم مطابقاً ولكنهم لم يقتصروا على مجرد جعلهما صفتين لله حتى جعلوا كلا منهما ربا وجوهرا وخالقا بل صرحوا بأن المسيح الذي يزعمون اتحاد أحدهما به الها واحدا وخالقا فلو كان نفس كلمة الله وعلمه لم تكن الها خالقا فان كلام الله وعلمه ليس إلها خالقا فكيف والمسيح مخلوق بكلمة الله ليس هو نفس كلمة الله؟ الوجه الثالث ان قولهم الشمس وشعاعها وضوءها إن أرادوا بالضوء مايقوم بها وبالشعاع ما ينفصل عنها فليس هذا مثال النار وحرها ولهيبها اذ كلاهما يقوم بها وعلى هذا فالشمس لم تقم بها الا صفة واحـدة لا صفتين فلا يكون التمثيل بها مطابقا وان أرادوا بالضوء والشعاع كلاهما مايقوم بها أو كلاهما ماينفصل عنها فكلاهما صفة واحدة ليس هما صفتان كالحياة والعـلم فعلم ان تمثيلهم بالشمس خطأ وبعضهم يقول الشمس وحرها وضوءها كما يقولون مثل ذلك في النار وهذا التمثيل اصح لو ثبت ان في جرم الشمس حرارة تقوم فان هذا لم يقم عليه دليل وكثير من العقلاء ينكره ويزعم ان جرم الشمس والقمر والكواكب لاتوصف بحرارة ولا برودة وهو قول ارسطو واتباعه

وأما تمثيلهم بروح الانسان ونطقه فان أرادوا بالروح حياته فليس هذا هو مفهوم الروح وان أرادوا الروح التى تفارق بدنه بالموت وتسمى النفس الناطقة فهذه جوهر قائم بنفسه ليس عرضا من أعراضه وحينئذ فيلزم ان تكون روح الله جوهراً قائما بنفسه مع جوهر آخر نظير بدن الانسان ويكون الرب سبحانه وتعالى مركبا من بدن وروح كالانسان وليس هذا قول أهل الملل لا المسلمين ولا اليهود ولا النصارى فتبين ان تمثيلهم بالثلاثة باطل. الوجه الرابع ان التمثيل إما ان يقع بصفات الشمس والنار والانسان أو النفس القائمة بهذه الجواهر او بما هو مباين لذلك كالضوء الذي يقع على الارض والحيطان والهواء وغير ذلك من الاجسام اذا قابلت الشمس أو النار أو الانسان أو النفس القائمة بهذه الجواهر فان أريد بهذا فهذا شعاع منعكس وضوء منقلب وليس هو صفة قائمة بالشمس والنار واذا أريد بما حل فى المسيح فهذا وهذا يسمى نورا وروحا ويسمى نور الله كما قال تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء) وقال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا) فاخبر انه جعل الروح الذى أوحاه نورا يهدى به من يشاء وقال تعالى (أولئك الذين كتب الله في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) وقال تعالى (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه) وقال تعالى (ويجعل لكم نوراً

تمشون به) وقال تعالى (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) فاذا أريد ماحل فى المسيح من الروح والكلمة بهـذا المعنى فلا اختصاص للمسيح بذلك فان هذا يحل فى جميع الانبياء والمؤمنين وان كانوا متفاضلين فيه بحسب درجاتهم وليس هذا الحال فيهم نفس صفة الله القائمة به وان كان ذلك حاصلا عنها ومسببا عنها لكن ليس هو نفس صفة الله وان كان من الناس من يقول بل صفة الله التي اتصف بها حلت في العبد فهذا القول خطأ فان صفة الموصوف القائمة به يمتنع قيامها بعينها بغيره ولكن الانسان اذا تعلم علم غيره وبلغ كلام غيره يقال هـذا علم فلان وكلامه لان هذا الثانى بلغه عنه والمقصود هو علم الاول وكلامه مع العلم بأن نفس ماقام بذات الاول ليس هو عين ماقام بذات الثاني وان كان قد يكون مثله وقد يكون الاول هو المقصود بالثاني مثل من بلغ كلام غيره فكلام المبلغ هو المقصود بالتبليغ وصفات المبلغ كحركته وصوته بها يحصل التبليغ ليس هو نفس المقصود واذا قيل هذا كلام المبلغ عنه فالاشارة الى حقيقة الكلام المقصود بالتبليغ لا الى مايختص به المبلغ من أفعاله وصفاته ولهذا شبه الناس من قال بحلول صفة الرب فى عبده بالنصارى القائلين بالحلول وهو شبيه بهم من بعض الوجوه لكن النصارى لايقولون بحلول صفة مجردة بل بحلول الاقنوم الذى هو ذات متصفة بالصفة ويقولون ان المسيح خالق ورازق وهو خالق آدم ومريم وهو ولد آدم ومريم وهو خالق لهما بلاهوته ابن لهما بناسوته ويقولون هو ابن الله وهو الله بلاهوته ويقولون أيضاً باللاهوت والناسوت لاجل الاتحاد والله كفرهم بقولهم ان الله هو المسيح بن مريم ونحو ذلك وان أرادوا

تمثيلهم بصفات الشمس والنار والنفس التمثيل بنفس مايقوم بالشمس والنار والنفس من الضوء والحياة والنطق وجعلوا مايثبتونه من الاب والابن وروح القدس صفات لله كما ان هذه صفات لهذه المخلوقات . قيل لهم أولا لم يعبر أحد من الانبياء عليهم السلام عن صفات الله باسم الاب والابن وروح القدس فليس لكم اذا وجدتم فى كلام المسيح عليه السلام او غيره من الانبياء ذكر الايمان بالاب والابن وروح القدس أن تقولوا مرادهم بذلك صفة الله التي هى الكلمة والعلم ولا حياة الله اذ كانوا لم يريدوا هذا المعنى بهذا اللفظ وانما أرادوا باسم الابن وروح القدس ماهو بائن عن الله عز وجل والبائن عن الله ليس صفة لله فضلاً عن أن يكون هو الخالق فضلا عن أن يكون البشر المتحد به خالقاً فقد ضللتم ضلالا بعد ضلال ضلالا حيث جعلتم مراد المسيح وغيره بالابن وروح القدس صفة الرب ثم ضلالا ثانياً حيث جعلتم الصفة خالقاً ورباً ثم ضلالا ثالثاً حيث جعلتم الصفة تتحد ببشر هو عيسى ويسمى المسيح ويكون هو الخالق رب العالمين فضللتم فى الحلول ضلالا مثلثاً بعد ضلالكم فى التثليث أيضا ضلالات أخر حيث أثبتم ثلاث صفات دون غيرها وجعلتموها جواهر أرباباً ثم قلتم اله واحد فضللتم ضلالا مثلثا في التثليث وضلالا مثلثا في الاتحاد وقيل لكم ثانيا اذا جعلتم ذلك صفات الله كما ان الضوء والنطق والحرارة صفات لما تقوم بها امتنع ان تحل بغيرها وامتنع مع الحلول ان تكون فاعلة فعل النار والشمس والنفس وأنتم جعلتم الكلمة والحياة حالة بغير الله وجعلتم مايحل به الهاً خالقاً بل هو الاله الخالق ومعلوم ان احداً من العقلاء

لايجعل مايحصل فيه ضوء النار ناراً ولا ما يحصل فيه شعاع الشمس شمساً ولا مايحصل فيه نطق زيد وعلمه هو نفس زيد فكان جعلكم المسيح هو الخالق للعالم مخالفا لتمثيلكم وتبين بذلك ان ماذكرتموه لايطابقه شيء من الامثلة اذ كان كلاما باطلاً متناقضا يمتنع تحققه فلا تمثيل بشيء من الموجودات الثابتة المعلومة الا كان تمثيلا غير مطابق ولهذا يشبهون الحلول والاتحاد تارة بحلول الماء في الظرف وتارة بحلول النار في الحديد وتارة بالنفس والبدن وتارة يقولون بانهما جوهر واحد اختلطا كاختلاط الماء واللبن وكل هذه الامثال التي ضربوها لله أمثال باطلة فان الماء فى الظرف وغيره من الاوعية محتاج الى وعائه لو انخرق وعاؤه انبدد وهو محيط ولا يتصف الظرف بشيء من صفات الماء والرب تعالى يمتنع ان يحتاج الى شيء من مخلوقاته لاالى العرش ولا غيره او يحيط به شيء من الموجودات اذ هو الظاهر فليس فوقه شيء كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أنت الاول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء فهو غنى عن كل ماسواه وكل ما سواه فقير اليه ولهذا لم يكن ماوصف به نفسه مماثلا لصفات المخلوقين كما لم تكن ذاته كذوات المخلوقين فهو مستو على عرشه كما أخبر عنه نفسه مع غناه عن العرش والمخلوق المستوي على السرير او الفلك او الدابة لو ذهب ماتحته لسقط لحاجته اليه والله غنى عن كل ماسواه وهو الحامل للعرش ولحملة العرش وفرقُ النصارى الثلاثة يقولون بالاتحاد فلا ينفعهم التمثيل بحلول الماء في الظرف ولوقدر

انهم قالوا بالحلول المجرد مع ان الرب لايحتاج الى الناسوت لايحويه ولا يمسه بل كما خاطب موسى من الشجرة فهذا يوجب ان الناسوت لايتصف بشيء من الالهية كالشجرة ثم انه معلوم بالضرورة ان الصوت الذي كان يسمع هو صوت الناسوت فالتمثيل بالشجرة ايضا باطل كما بسط فى موضعه واما الحديد والخشب وغيرهما اذا القى فى النار فانه يستحيل ناراً لاتصاله بالنار لا ان النار الذي استحال اليها كانت موجودة تحلت به فهنا استحالة بلا حلول والنار الذي صارت في الحديدة حادثة عن تلك النار ليست اياها ثم تلك الحديدة اذا طرقت وقع التطريق على النار وكذلك اذا القيت في الماء فلو كان هذا تمثيلا مطابقا لكان الضرب والصلب والاهانة وقع على اللاهوت وكان اللاهوت هو الذي يغتسل بالماء وهو الذى يأكل ويشرب وهذا من أعظم الكفر ويحكى عن بعض طائفة منهم كاليعقوبية انه يقول بهذا الكفر وان كان كثير منهم كالملكية والنسطورية ينكره فهو لازم لهم وكذلك اذا شبهوه بالنفس والبدن فان النفس تتألم تألم البدن وتستحيل صفاتها بكونها في البدن وتكتسب عن البدن اخلاقا وصفات فلو كان هذا تمثيلا مطابقا لزم تألم اللاهوت بآلام البدن وان يكون متألماً بجوع البدن وعطشه وضربه وصلبه وان يكون مستحيلاً لما اكتسبه من صفات الناسوت الذى هو عندهم بمنزلة البدن للنفس وأما قولهم اذ لم نهمل ما تسلمناه ولم نرفض ماتقلدناه فقولهم في ذلك بمنزلة قول اليهود للمسيح انا لانهمل ماتسلمناه ولا نرفض ماتقلدناه من موسى عليه السلام * وجواب الطائفتين من وجهين أحدهما انكم بدلتم وحرفتم

الكتاب الذى أنزل اليكم والشرع الذى شرع لكم وتبديل المعاني والاحكام لاريب فيه عند جميع عقلاء الانام وما كان عليه اليهود بعد التبديل لم يكن هو الشرع الذى شرعه موسى عليه السلام وما كان عليه النصارى بعد التبديل لم يكن هو الشرع الذي شرعه المسيح عليه السلام . والثانى انكم كذبتم بالكتاب الآخر والرسول الآخر الذى أرسل اليكم ومن كذب ما أنزل اليه من ربه والرسول الذى أرسل اليه كان كافراً مستحقاً لعذاب الدنيا والآخرة وان كان قبل ذلك متبعاً لشرع رسول وكتاب غير مبدل فكيف اذا كان قد بدل مابدل من أحكامه ومعانيه؟

(فصل) واما قولهم ولنا هذه الشهادات والدلائل من الكتاب الذى في أيدى هؤلاء القوم . فيقال لايصح استشهادهم بهذا الكتاب واستدلالهم به بوجه من الوجوه فانه الذى قد جاء به وقد تواتر عنه انه أخبر انه مرسل اليهم وانهم كفار اذا لم يؤمنوا به مستحقون للجهاد ومن لم يستحل جهادهم فهو كافر والقرآن مملوء بكفرهم فان كان هذا رسولا من الله وقد أخبر بكفرهم ثبت انهم كفار فان الرسول لايقول على الله الا حقاً لا يكذب على الله فى شئ ومن كذب على الله ولو في كلمة واحدة فهو من الكذابين المفترين على الله الكذب مستحق لعقوبة الكذابين كما قال تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين) وقال تعالى (أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشاء الله يختم على قلبك ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته) وقال تعالى واذا بدلنا آية مكان

آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لايعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) وقال تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل مايكون لي ان أبدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا مايوحى الي اني اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل لوشاء الله ماتلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون) فمتى كانت كلمة من كلمات هذا الكتاب كذبا على الله لم يكن كتاب الله ولم يكن الذي جاء به رسول الله فان الكاذب قد يصدق فى أكثر مايقوله لكن اذا كذب في بعض مايقوله كان كاذباً والله تعالى لا يرسل من يكذب عليه فان المخلوق لايرضى ان يرسل من يعلم انه يكذب عليه ولو فعل ذلك دل على جهله أو عجزه فكيف يرسل رب العالمين من يعلم انه يكذب عليه وحينئذ فمتى كذبوا بكلمة واحدة مما في الكتاب لم يصح استشهادهم واستدلالهم بشيء مما في الكتاب وان صدقوا بالكتاب كله لزمهم الايمان بما جاء به واتباع شريعته والاعتراف بكفر الذين كذبوه وكفر الذين يقولون ان الله هو المسيح بن مريم وان الله ثالث ثلاثة وهذا بخلاف من آمن بالرسول ولم يثبت عنده بعض ما نقل عنه أو لم يعرف معناه فان هذا لا يقدح في أصل ايمانه بالرسول • فالمسلمون اذا كذبوا ببعض مانقل عن موسى والمسيح فهو لطعنهم فى الناقل لا فى النبي المنقول عنه • وأما النصارى فيعلمون ان محمداً جاء بالقرآن فطعنهم في بعضه طعن في الرسول نفسه وكفر به وليس هذا بمنزلة ما مثلوا به من الوثيقة التى كتب وفاها فى ظهرها فان الذي له الدين اقر

بالاستيفاء المسقط له فلم يبق هناك حق له يدعيه بخلاف مايخبر به الذى
يقول انه رسول الله فانه يقول ان الله انزل على هـذا الكتاب كله
وأرسلنى بكذا وكذا الى كذا وكذا فان كذب فى شيء مما أخبر به
عن الله لم يكن الله أرسله فان الذى أرسله هو الذى جعله يبلغ عنه
ما يقوله بلا زيادة ولا نقص وارسال الله للرسول يتضمن شيئين
انشاء الله للرسالة والله حكيم وهو أعلم حيث يجعل رسالته لا يجعلها
إلا في من هو اكمل الخلق وأصدقهم ويتضمن إخبار الله عنه بانه
صادق عليه فيما يبلغه عنه مما يقول ان الله أرسله به فكما صدقه بالآيات
المعجزات في قوله انه أرسلنى فقد صدقه بما يقول انه أرسلنى به اذ
التصديق بكونه أرسله من غير معرفة بصدقه فيما يخبر به لا فائدة فيه ولا
يحصل به مقصود الارسال والله عليم بما يشهد به لمن أرسله بخلاف
المخلوق الذى يبعث من يظنه يصدق فيما يبلغه عنه فيظهر انه كذب عليه
والله يعلم عواقب الامور والرسالةُ صادرة من علمه وحكمته وهو عليم
حكيم ومن يكذب على الله ولو فى كلمة لم يبلغ عنه ما يقوله على هـذا
الوجه فلا يكون رسوله ولهذا اتفق أهل الملل على ان الرسل معصومون
فيما يبلغونه عن الله لا يكذبون عليه عمدا ولا خطأ فان هذا مقصود
الرسالة فكان تمثيل هذا بالوثيقة تمثيلاً باطلاً فان المدعى للاسقاط لم
يدع كلاماً متناقضاً بل قال اقررت الدين ثم وفيتك اياه وانت تقر
بوفائه واقرارك مكتوب فى ظهرها فليس لك ان تحتج باقرارى بالدين دون
اقرارك بالوفاء بل اما ان تعتبر مافي الوثيقة من اقراري واقرارك واما
ان تبطل الامرين وهذا كلام عدل كالشريكين المتفاوضين مثل شريكي

العنان اذا قال لصاحبه ان حصل ربح فهو لي ولك وان لم يحصل ربح فلا لي ولا لك وكذلك البايع والموآجر الذي يقول ان كان بيننا معاوضة فعليك تسليم مابذلته وعليّ تسليم مابذلته لايستحق هـذا الا بهذا فهذا كله كلام عدل وانصاف بخلاف الشخص الذي يقال فيه انه رسول الله والكتاب الذي يقال انه كلام الله وان الله أنزله فان هـذا ان كان رسولا صادقا فجميع مابلغه عن الله حق وان كان كاذبا لم يكن الله أرسله فجميع مابلغــه عن الله كذب على الله فلا يجوز بمجرد خبره ان ينسب الى الله شئ ولا يحتج بمـا يخبر به عن الله على شي ألا ترى ان من ادعى الرسالة وعلم انه كاذب كالاسود العنسى ومسيلمة الكذاب وطليحة الاسدى والحارث الدمشقي وبابا الرومي وغـير هؤلاء لايجوز لاحد ان يحتج بشئ مما ذكروا ان الله أرسلهم به وان كان ذلك القول قد علم انه حق من جهة أخرى فانه قد علم بكذبهم ان الله لم يرسلهم فاى شئ قالوا ان الله أنزله عليهم كانوا كاذبين فيه ومتى علم انه كاذب في نفس الخبر المعين لم يجز ان يحتج بجنس الذى عـلم انه كاذب فيه وكذلك لوقال رجل عندى ان موسى او داود او المسيح لم يرسلهم الله بشئ لكن كذبوا في قولهم ان الله أرسلهم فاذا أراد مع هذا ان يحتج بما ينقل من التوراة والزبور والانجيل عن الله كان متناقضاً وكان احتجاجه باطلا غير مقبول بل لو قال انا اشك في بعض ما أخبروا به عن الله هل كذبوا فيه أم لا كان ذلك شكا في ان الله أرسلهم فان من أرسله لايكذب في شئ لاخطأ ولا عمدا ومع شكه فى ذلك لايجوز ان يحتج بشئ مما ينقلونه عن الله لتجويز ان يكونوا كاذبين في نفس ذلك

الذي نقلوه عن الله وليس هذا مثل رسول الواحد من الآدميين فانه
قد يكون أرسله ثم ان الرسول صدق في بعض مابلغه من مرسله وكذب
في البعض ويجوز على الآدمي ان يرسل من يكذب عليه لعدم علمه
بكذبه او عدم حكمته في ارساله واما الرب تعالى فلا يجوز ان يرسل
من يكذب عليه لاعمداً ولا خطأ وكذلك الشاهد والمخبر الذي قد علم
انه تارة يصدق وتارة يكذب يمكن ان يستدل ببعض أخباره الذي يظهر
فيها صدقه لدلالات تقترن بذلك بخلاف الرسول فانه اذا كذب كذبة
واحدة امتنع ان يكون الله أرسله فصار جميع مايبلغه عن الله هو كاذب
في ان الله ارسله به فكذبه في كلمة واحدة يوجب انه كاذب في جميع
ما بلغه عن الله وان جميع ماحكاه ورواه عن الله قد كذب فيه وان قدر
ان ذلك الكلام في نفسه حق لكن تبليغه عن الله ونقله وروايته
وحكايته عن الله كذب على الله وقد أخبر الله انه ينسخ مايلقيه الشيطان
مما يناقض مقصود التبليغ بقوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله مايلقي الشيطان
ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل مايلقي الشيطان فتنة للذين في
قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين
أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله
لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية
منه حتى تأتيهم الساعة بغتة او يأتيهم عذاب يوم عقيم) وان قالوا خبره
يناقض بعضه بعضاً كان الجواب من وجهين أحدهما ان هذا أيضاً ان
كان حقاً فانه يقدح في رسالته فان الرسول لايناقض بعض خبره بعضاً

ومن كان كذلك لم يصح لكم ان تحتجوا بشئ مما جاء به وان كان باطلا لم يرد عليه فعلم ان استدلالهم بما فى هذا الكتاب على صحة دينهم الذى خالفوا به هذا الكتاب في غاية الفساد وهو جمع بين النقيضين واستدلال بما في الكتاب على مايوجب بطلان الاستدلال بشىء مما فى الكتاب واذا كانت النتيجة تستلزم فساد بعض مقدمات الدليل بطل الاستدلال بذلك الدليل الذى لايصح الا بصحة مقدماته فاذا كانت مقدمته لاتصح الا مع فساد نتيجته ونتيجته مستلزمة لفساد مقدمته كان الجمع بين صحة المقدمة والنتيجة جمعاً بين النقيضين وكذلك من استدل بشىء من الكتاب على مايناقض مافى الكتاب كاستدلال النصارى بآيات فيه على صحة دينهم كان تناقضاً فانه ان صح ذلك الدليل بان مدح دينهم مع ذمه كان متناقضاً والكتاب المتناقض لايكون كتاب الله وان فسد احدهما اما فساد دينهم واما فساد مدحه فالكتاب الذى فيه فساد لايكون كتاب الله فيلزم ان لايكون كتاب الله على التقديرين فلا يصح الاستدلال به من جهة كونه خبرالله واما الاستدلال به من جهة كون المتكلم به رجلا عالماً حكيما وهذا لايفيد العلم اذليس معصوما الا الانبياء عليهم السلام. والنصارى يجوزون ان يكون معصوما غير الانبياء فبتقدير ان يكون كذلك فهو حجة عليهم وان قالوا هو رجل عالم ليس برسول من الله . قيل لهم فهذا قوله ليس بحجة لجواز ان يخطىء ولكن يعتضد بقوله واما اذا ادعى ان الله ارسله وهو لم يرسله بهذا الكتاب كله فهذا كذاب لايحتج بشيء من كلامه ولايكون مثل هذا عدلا فضلا عن ان يكون حكيما بل هو من الذين افتروا

على الله كذباً ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا اوقال اوحي اليّ ولم يوح اليه شيء) *والجواب الثاني انا قد بينا ماذكروه انه لايناقض شيئاً مما أخبر به وانه ليس في هذا الكتاب تناقض يحتجون به بوجه من الوجوه واما قولهم واعظم حجتنا ماوجدناه فيه من الشهادة لنا بان الله جعلنا فوق الذين كفروا الى يوم القيامة • فيقال بل ما ذكروه حجة عليهم لا لهم فان الله أخبر المسيح انه جاعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا الى يوم القيامة وخبر الله حق ووعد الله صدق والله لايخلف الميعاد فلما اتبع المسيح من آمن به جعلهم الله فوق الذين كفروا به من اليهود وغيرهم ثم لما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالدين الذى بعث به المسيح وسائر الأنبياء قبله وكان محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لما جاء به المسيح وكان المسيح مبشراً برسول يأتى من بعده اسمه احمد صارت أمة محمد صلى الله عليه وسلم اتبع للمسيح عليه السلام من النصارى الذين غيروا شريعته وكذبوه فيما بشر به فجعل الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم فوق النصارى الى يوم القيامة كما جعلهم أيضاً فوق اليهود الى يوم القيامة والنصارى بعد النسخ والتبديل ليسوا متبعين المسيح لكنهم اتبع له من اليهود الذين بالغوا في تكذيبه وسبه فانهم كذبوه اولا وكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم ثانياً فصاروا ابعد عن متابعة المسيح من اليهود فكانوا مجعولين فوق اليهود • والمؤمنون أمة محمد صلى الله عليه وسلم هم المتبعون للمسيح عليه السلام ومن سواهم كافر به فامة محمد صلى الله عليه وسلم فوق اليهود والنصارى الى يوم القيامة ولهذا لما جاء المسلمون يقاتلون النصارى غلبوهم وأخذوا منهم

خيار الارض الارض المقدسة وما حولها من مصر والجزيرة وأرض العرب ولم تزل المسلمون منتصرين على النصارى ولا يزالون الى يوم القيامة لم تنتصر النصارى قط على جميع المسلمين وانما تنتصر على طائفة من المسلمين بسبب ذنوبهم ثم يؤيدالله المؤمنين عليهم ولو كان النصارى هم المتبعين للمسيح عليه السلام والمسلمون كفاراً به لوجب ان ينتصروا على جميع المسلمين لان جميع المسلمين ينكرون آلهية المسيح ويكفرون النصارى فعلم ان المتبعين للمسيح هم المسلمون دون النصارى

(فصل) قالوا وأما تجسم كلمة الله الخالقة التي بها خلق كل شيء وتجسدها بانسان مخلوق وهو الذي أخذ من مريم العذرا المصطفاة التي فضلت على نساء العالمين واتحدت الكلمة به اتحاداً بريا من اختلاط أو تغير أو استحالة وخاطب الناس كما خاطب الله لموسى النبي من العوسجة ففعل المعجز بلاهوته وأظهر العجز بناسوته والفعلان هما من المسيح الواحد * والجواب ان فى هذا الكلام من أنواع الكذب والكفر والتناقض اموراً كثيرة وذلك يظهر بوجوه الاول ان قولهم كلمة الله الخالقة التى بها خلق كل شيء كلام متناقض فان الخالق هو الاله الخالق وهو خلق الاشياء بكلامه وهو قوله كن فالخالق لم يخلق به الاشياء بل هو خلقها والكلام الذي به خلقت الاشياء ليس هو الخالق لها بل به خلق الخالق الاشياء والفرق بين الخالق والمخلوق وبين مابه خلق الخالق معقول وهؤلاء جعلوا الخالق هو الذى به خلقت المخلوقات فجعلوا الكلمة هى الخالق وجعلوا المخلوقات خلقت بها وايضاح هذا ان الكلمة ان كانت مجردة الصفة فالصفة ليست خالقة

وان كانت الصفة مع الموصوف فهذا هو الخالق ليس هذا هو المخلوق به. والثاني قولهم تجسدها بانسان مخلوق وقولهم تجسم كلمة الله فان قولهم تجسمت وتجسدت يقتضى ان الكلمة صارت جسداً وجسما بالانسان المخلوق وذلك يقتضى انقلابها جسداً وجسما وهذا يقتضي استحالتها وتغيرها وهم قالوا اتحاداً بريا من تغير واستحالة* الثالث قولهم اتحدت الكلمة به اتحاداً بريا من اختلاط أو تغير أو استحالة كلام متناقض ايضاً فان الاتحاد ان يصير الاثنان واحداً فيقال قبل الاتحاد كان اللاهوت جوهراً والناسوت جوهراً آخر وان شئت قلت كان هذا شيئاً وهذا شيئاً أو هذا عينا قائمة بنفسها وهذا عيناً قائمة بنفسها فبعد الاتحاد اما ان يكونا اثنين كما كانا أو صار الاثنان واحداً فان كانا اثنين كما كانا فلا اتحاد بل هما متعددان كما كانا متعددين وان كانا قد صارا شيئاً واحداً فان كان هذا الواحد هو أحدهما فالآخر قد عدم وهذا عدم لاحدهما لا اتحاده وان كان هذا الذى صار واحداً ليس هو احدهما فلا بد من تغيرهما واستحالتهما والا فلو كانا بعد الاتحاد اثنين باقيين بصفاتهما لم يكن هناك اتحاد فاذا قيل اتحدا اتحادا بريا من اختلاط أو تغير أو استحالة كان هذا كلاماً متناقضا ينقض بعضه بعضا فان هذا انما يكون مع التعدد والمباينة لا مع الاتحاد يوضح ذلك انه اذا اتحد الماء واللبن أو الماء والخمر ونحو ذلك كان الحاصل من اتحادهما شيئا ثالثاً ليس ماء محضا ولا لبنا محضا بل هو نوع ثالث وكل من الماء واللبن قد استحال وتغير واختلط وأما اتحاد بدون ذلك فغير معقول ولهذا عظم اضطراب النصارى في هذا الموضع وكثر اختلافهم وصار

كل منهم يرد على الآخر ما يقوله ويقول هو قولاً يكون مردودا؟ فكانت أقوالهم كلها باطلة مردودة اذ كانوا اشتركوا فى أصل فاسد يستلزم احد امور كلها باطلة فاى شيء اخذ من تلك اللوازم كان باطلا ولا بد له منها فيأخذ هذا بعض اللوازم فيرده الآخر ويأخذ الآخر لازما آخر فيرده الآخر وهذا شأن جميع المقالات الباطلة اذا اشترك فيها طائفة لزمها لوازم باطلة وفساد اللازم يدل على فساد الملزوم فانه اذا تحقق الملزوم تحقق اللازم واذا انتفى اللازم انتفى الملزوم وهذا يتبين بالوجه الرابع وهو ان يقال كثير من النصارى يقول انهما بعد الاتحاد جوهر واحد وطبيعة واحدة ومشيئة واحدة وهذا القول يضاف الى اليعقوبية ويقولون ان اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا كما يختلط الماء واللبن والماء والخمر وهذا القول هو حقيقة الاتحاد لا يعقل الاتحاد الا هكذا لكن فساده ظاهر لعقول الناس واذا كان هذا لازما لقول النصارى وفساده ظاهر كان فساد اللازم يدل على فساد الملزوم فان حقيقة هذا القول ان الذى كان يأكل ويشرب ويبول ويتغوط والذي ضرب وبصق في وجهه ووضع الشوك على رأسه هو رب العالمين ونفس تصور هذا القول مما يوجب العلم ببطلانه وتنزيه الله عن ذلك وان قائله من أعظم المفترين على الله قال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادًّا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من فى السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) الوجه الخامس قولهم وخاطب الناس كما

خاطب الله موسى من العوسجة يوجب ان يكون الذين كلمهم المسيح ممن
آمن به وكفر به هو بمنزلة موسى بن عمران الذي كلمه الله تكليما ومعلوم
ان تكليم الله لموسى عليه الصلاة والسلام مما فضله به على غيره من النبيين
فان كان آحاد الناس بمنزلة موسى بن عمران لزم ان يكون كل من آحاد
الناس فى ذلك بمنزلة موسى بن عمران وهذا مما يعلم فساده بالاضطرار
من دين الرسل • الوجه السادس انه من المعلوم ان خطاب الله لانبيائه
ورسله أفضل من خطابه لمن ليس بنبي ولا رسول والمسيح عليه السلام
لم يكلم عامة النبيين والمرسلين بل لم يكلم الا ناساً منهم من آمن به ومنهم من
كفر والتحقيق انه لم يكلم أحداً من رسل الله ولكن النصارى يزعمون
ان الحواريين رسل الله وهذا باطل ولو سلم فلم يكلم الا اثنى عشر رسولا
وقد بعث الله قبله رسلا كثيرين قد روى في حديث أبي ذر ان عدتهم
ثلاثماية وثلاثة عشر وقد قال الله فى القرآن (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا
ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت
عليه الضلالة) وقال تعالى (وان من أمة الا خلا فيها نذير) وفي الحديث
الذي فى المسند عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال انتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله
عز وجل وهذه السبعون سواء كانت هي التي هداها أو هى الجميع
فانه يدل على أكثرية الرسل ولم يكلم الله أحداً من هؤلاء من بشر
حل فيه فلو كان المكلم للناس في عيسى هو الله لكان تكليم الله للذين
كلمهم عيسى من الكفار . والمؤمنون أكمل من يكلمه رسل الله الذين
أرسلهم. الوجه السابع ان الناسوت ناسوت المسيح هو من جنس سائر

النواسيت والانسان لايستطيع ان يرى الله في الدنيا كما أخبر بذلك
موسى وعيسى ومحمد فاذا لم يستطع ان يراه كان ان لايستطيع الاتصال
به ومماسته فضلا عن الاتحاد به أولى وأحرى . الوجه الثامن ان الله لما
كلم موسى عليه السلام من الشجرة كان الكلام المسموع مخالفاً لما
يسمع من كلام الناس ولهذا لم تطق بنوا اسرائيل سماع ذلك الصوت
بل قالوا لموسى صف لنا ذلك وهذا عندهم فى التوراة كما روى الخلال
في كتاب السنة عن أحمد بن حنبل فيما رواه من حديث الزهري
قال لما سمع موسى كلام الله قال يارب هذا الكلام الذي أسمع هو
كلامك قال نعم ياموسى هو كلامى وانما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان
ولى قوة الالسن كلها وأنا أقوى من ذلك وانما كلمتك على قدر مايطيق
بدنك ولو كلمتك بأكثر من هذا لمت فلما رجع موسى الى قومه قالوا
له صف لنا كلام ربك فقال سبحان الله وهل استطيع ان أصفه لكم
قالوا فشبهه لنا قال هل سمعتم أصوات الصواعق التى تقبل فى أحلى حلاوة
وسمعتموها فكأنه مثله . وأما المسيح عليه السلام فكان كل أحد يسمع
صوته كصوت سائر الناس لم يتميز عنهم بما يوجب ان يكونوا سمعوا كلام
الله كما سمعه موسى بن عمران . الوجه التاسع ان الجنى اذا حل فى الانسى
كما يحل في المصروع ويتكلم على لسانه فانه يتغير الكلام ويعرف
الحاضرون انه ليس هو كلام الانسى مع انه يتكلم بلسان الانسى
وحركة أعضائه فيعلم ان الصوت حصل بحركة بدن الأنسى مع العلم بانه
قد تغير تغيرا خالف به المعهود من كلام الانسى والانسان الذى حل
فيه الجنى يغيب عنه عقله ولا يشعر بما تكلم الجنى على لسانه فرب العالمين

سبحانه وتعالى لو حل فى بشر واتحد به وتكلم بكلامه وكان الكلام المسموع كلام الله المسموع منه لكان يظهر من الفرق بين ذلك وبين المعهود من كلام الانسى ماهو في غاية الظهور وكان يتغير حال الانسى غاية التغير فان الرب عز وجل لما تجلى للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فاذا كان البدن الانسى لايثبت لتجليه للجبل فكيف يثبت لحلوله فيه ويكلمه على لسانه من غير تغير في البدن وقد كان الوحي والملائكة اذا نزلت على الانبياء في باطنهم يظهر التغير فى أبدانهم فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي ثقل حتى يبرك به البعير وان كان فخذه على فخذ أحد ثقل حتى كاد يرضه وفى الصحيحين عن عائشة ان الحارث بن هشام قال يارسول الله كيف يأتيك الوحي قال أحياناً يأتينى فى مثل صلصلة الجرس وهو اشده على فيفصم عنى وقد وعيت ماقال واحيانا يتمثل لى الملك يكلمنى فاعى مايقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا وموسى عليه السلام لما سمع كلام الله مقت الآدميين لما وقر في سمعه من كلام الله وكان النور يظهر على وجهه حتى كان يتبرقع والمسيح عند النصارى قد اتحد به اللاهوت من حين علقت به مريم ولم يزل متحداً به وهو حمل فى بطنها يعظم اتحاده به كما كبر ثم كذلك كان متحدا به وهو صبي الى ان رفع الى السماء وقعد عن يمين أبيه وهو متحد به عندهم واللاهوت والناسوت جميعاً ومع هذا لم يتغير بدن المسيح تغيرا يناسب ذلك ولاظهر من الانوار مايناسب ذلك بل عندهم ان المسيح قبل ان يعمده يوحنا ويرى شبه الحمامة نازلا عليه لم يظهر الآيات بل كان كآحاد الناس واوله

ما ظهر من الآيات قلب الماء خمراً وموسى عليه السلام بمجرد ما سمع
الكلام وكلمه الله من الشجرة ظهر عليه النور واين سمع الكلام من
الاتحاد به وموسى لما سمع الكلام وكلمه الله من الشجرة نزلت الملائكة
وظهر له من آيات الله وعظمته ما يناسب تكليم الله عز وجل والرب دائماً
عند النصارى متحد ببدن المسيح ولم يظهر من آيات الربوبية والعظمة
الا ما يظهر اكثر منه لبعض الانبياء • الوجه العاشر ان المخاطب للناس
ان كان هو مجموع اللاهوت والناسوت فكلامه صريح في انه مخلوق مربوب
يدعو ويسأل والمجموع ليس بمخلوق يسأل الله ويعبده وان كان هو اللاهوت
وحده كما يقتضيه كلامهم هذا فهو ابعد وابعد وان كان هو الناسوت
وحده فلم يكن اللاهوت مخاطبا للناس ولم يكلم الله الناس من الناسوت
كما كلم الله موسى من الشجرة وايضاً فلم يكن فرق بين حقيقة كلام
الناسوت وكلام اللاهوت وكلام المسيح الصريح في انه مخلوق كثير وهم
يقرون به ولكن يقولون ذلك كلام عن الناسوت فيقال لهم حينئذ
فالمخاطب للناس هو الناسوت دون اللاهوت وانتم قلتم ان الله
خاطب الخلق من بدن المسيح كما خاطب موسي من الشجرة والخطاب
الذي سمعه موسى من الشجرة هو كله كلام اللاهوت والكلام الذي
كان يسمع من المسيح ليس فيه شيء يختص باللاهوت بل عامته صريح
في انه كلام الناسوت • الوجه الحادي عشر ان الله لما كلم موسى من الشجرة
كان الكلام كلام الله وحده لم يكن للشجرة كلام اصلا بوجه من
الوجوه فان كان هذا المثل مطابقاً كان الذي يكلم الناس من ناسوت
المسيح هو اللاهوت وحده ومعلوم ان في الانجيل وغيره من النصوص

الصريحة ما يدل على ان الناسوت كان هو المتكلم مما يبين الفرق الواضح بين هذا وهذا . الوجه الثاني عشر ان الذى نادى موسى من الشجرة لم يتكلم الا بكلام الربوبيـة فقال (اني انا الله رب العالمين اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكرى ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) وسائر ما تكلم به كله يقتضى انه كلام رب العالمين وأما المتكلم على لسان المسيح فلم يقل كلمة من هذا اصلا بل كان في كلامه من الاقرار بانه رسول وانه مخلوق محتاج وانه ابن البشر وغير ذلك ما يناقض من كل وجـه كلام المنادي لموسى من الشجرة فمن سوى بين هذا وهذا كان قد سوى بين رب العالمـين و بين انسان من الآدميين وهو أضـل من الذين قال الله فيهـم (تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين) فان أولئك جعلوهم أنداداً لله في بعض الامور مع اعترافهم بانهم مخلوقون وهؤلاء الضـلال جعلوا هذا الانسان الذى يتكلم هو رب العالمين الذي كلم موسى من الشجرة وقالوا ان هذا الذى كلم العباد هو ذاك الذي نادى موسى من الشجرة الوجه الثالث عشر ان يقال معلوم ان الله اجل وأعظم واكبر من رسله بما لا يقدر المخلوق قدره فلو كان هو الذي كلم الخلق على لسان المسيح وكان الحواريون رسله الذين سمعوا كلامه منه بلا واسطة لكان الحواريون اما مثل موسى وإما أعظم ومعلوم ان المسيح نفسه لم تكن له آيات مثل آيات موسى فضلا عن الحواريين فان أعظم آيات المسيح عليه السلام احياء الموتى وهذه الآية قد شاركه فيها غيره من الانبياء

كالياس وغيره وأهل الكتاب عندهم في كتبهم ان غير المسيح احيي الله على يديه الموتى وموسى بن عمران من جملة آياته العصا التي انقلبت فصارت ثعبانا مبينا حتى بلعت الحبال والعصى التي للسحرة وكان غير مرة يلقيها فتصير ثعبانا ثم يمسكها فتعود عصا ومعلوم ان هذه آية لم تكن لغيره وهي أعظم من احياء الموتى فان الانسان اذا كانت فيه الحياة فاذا مات فقد عاد الى مثل حاله الاول والله تعالى يحيي الموتى باقامتهم من قبورهم وقد أحيي غير واحد من الموتى فى الدنيا واما انقلاب خشبة تصير حيوانا ثم تعود خشبة مرة بعد مرة وتبتلع الحبال والعصى فهذا أعجب من حياة الميت وايضاً فالله قد أخبر انه احيي من الموتى على يد موسى وغيره من انبياء بنى اسرائيل اعظم ممن احياهم على يد المسيح قال تعالى (واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وقال تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى) وقال تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم) وأيضاً فموسى عليه الصلاة والسلام كان يخرج يده بيضاء من غير سوء وهذا أعظم من ابراء البرص الذى فعله المسيح عليه السلام فان البرص مرض معتاد وانما العجب الابراء منه وأما بياض اليد من غير برص ثم عودها الى حالها الاول ففيه أمران عجيبان لا يعرف لهما نظير وايضاً فموسى فلق الله له البحر حتى عبر فيه بنوا اسرائيل وغرق فيه فرعون وجنوده وهذا امر باهر فيه من عظمة هذه الآية ومن اهلاك الله لعدو موسى مالم يكن مثله للمسيح وايضا فموسى كان الله

يطعمهم على يده المن والسلوى مع كثرة بنى اسرائيل ويفجر لهم بضربه للحجر كل يوم اثنى اعشر عينا يكفيهم وهذا أعظم من انزال المسيح عليه السلام للمائدة ومن قلب الماء خمرا ونحو ذلك مما يحكى عنه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكان لموسى في عدوه من القمل والضفادع والدم وسائر الآيات مالم يكن مثله للمسيح فلو كان الحواريون رسلا قد كلمهم الله مثل ما كلم موسى من الشجرة كانوا مثل موسى فكيف والمسيح نفسه لم يكن له آيات مثل آيات موسى ولو كان المسيح هو اللاهوت الذي كلم موسى لكان يظهر من قدرته أعظم مما أظهره على يد موسى فانه لم يحل فى بدن موسى ولا كان اللاهوت يكلم الخلق من موسى كما يزعمه هؤلاء فى المسيح ومع هذا فالآيات التي أيد بها عبده موسى تلك الآيات العظيمة فكيف تكون آياته اذا كان هو نفسه الذي قد حل في بدن المسيح وهو الذى يخاطب الناس على لسان المسيح • الوجه الرابع عشر ان يقال ان قولهم ان الله خاطب الناس في المسيح كما خاطب موسى النبي من العوسجة من ابطل الباطل فان الله باتفاق الامم كلها لم يحل في الشجرة ولم يتحد بها كما يزعمون هم انه حل بالمسيح واتحد به فانه عندهم حل بباطن المسيح بل وبظاهره واتحد به باطنا وظاهراً والرب تعالى لم يكن في باطن الشجرة ولا حل فيها ولا اتحد بها وقول الله انه كلمه منها وناداه منها كقوله انه نودى من شاطئ الوادى الايمن وذلك مثل قوله (وهل أتيك حديث موسى اذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى) وفي البقعة المباركة ونحو ذلك وليس في شئ من ذلك ان الرب حل فى باطن الوادي المقدس او

البقعة المباركة او الجانب الايمن ولا انه اتحد بشيء من ذلك ولا صار هو وشيء من ذلك جوهراً واحداً ولا شخصاً واحداً كما يقول بعض النصارى ان اللاهوت والناسوت صارا جوهراً واحداً وبعضهم يقول صارا شخصاً واحداً بل ولا قال احد انه حل في شيء من ذلك كحلول الماء في اللبن او النار في الحديد كما يقول بعضهم ان اللاهوت حل في الناسوت كذلك لو قدر ان بعض الناس قال شيئاً من المقالات التي لاتدل عليها الكتب الآلهية ولاتعلم بالعقل لم يكن قوله حجة اذ لايحتج الا بنقل ثابت عن الانبياء او بما يعلم بالعقل • الوجه الخامس عشر ان الذي كلم موسى وناداه هو الله رب العالمين وتكليمه له من الشجرة من جنس ما أخبر بنزوله الى السماء الدنيا ونزوله يوم القيامة لحساب الخلق والكلامُ على ذلك مبسوط في غير هذا الموضع • واما حلوله في البشر او اتحاده به فيمتنع من وجوه كثيرة عقلا وسمعاً مع انه لم يخبر به نبي • وما تقوله النصارى في غاية التناقض فانهم يزعمون ان المسيح هو الكلمة وهو الخالق لان الكلمة والذات شيء واحد فلا يفرقون بين الصفة والموصوف ثم يقولون المتحد بالمسيح هو الكلمة دون الذات التي يسمونها الاب ويقولون مع ذلك انه لم يتبعض ولم يتجزأ ومعلوم بصريح العقل ان الكلمة التي هي الصفة لايمكن مفارقتها للموصوف فلا تتحد وتحل دون الموصوف لاسيما والمتحد الحال عندهم هو الخالق فيجب ان يكون هو الاب وهم لايقولون المتحد الحال هو الاب بل هو الابن واذا قالوا ان الابن هو المتحد الحال دون الاب فالمتحد ليس هو الذي ما اتحد والابن اتحد والاب ما اتحد ويقولون ان المتحد اتخذ

عيسى حجاباً احتجب به ومسكنا يسكن فيه خاطب الناس فيه ويقولون مع ذلك انه اتحد به والاب لم يحتجب به ولم يسكن فيه ولم يتحد به فلزم قطعاً ان يكون منه شيء اتحد ومنه شيء لم يتحد فالاب لم يتحد والابن اتحد وهذا يناقض قولهم لم يتبعض ويبطل تمثيلهم بالمخاطب من الشجرة فان ذلك هو الله رب العالمين ليس هو الابن دون الاب مع ماذكر من الفروق الكثيرة البينة التي تبين بطلان تمثيل هذا بهذا • الوجه السادس عشر ان الرب عز وجل اذا تكلم تكلم بكلام الربوبية فلو كان في المسيح اللاهوت الذى ارسل موسى وغيره لم يخضع لموسى ولتوراته ويذكر انه انما جاء ليكملها لا لينقصها ولا كان يقوم بشرائعها فان رب العالمين أعظم وأجل من ذلك بل لوكان ملكا من الملائكة لم يفعل مثل ذلك فكيف برب العالمين واذا قالت النصارى فعل ذلك خوفاً من بني اسرائيل او خوفاً ان يكذبوه كان عذرهم اقبح من ذنبهم فرب العالمين ممن يخاف ؟ سبحانه وتعالى • وموسى لما كان فرعون يكذبه كان يظهر من الآيات ما يذل بها فرعون وقومه مع عتوه وعتو قومه ولم تكن بنوا اسرائيل اعتى من فرعون وقومه فلوكان هو رب العالمين كان ما يؤيد به نفسه من الآيات أعظم مما يؤيد به عبده موسى ومن عجائب النصارى انهم يدعون فيه الالهيـة مع ادعائهم فيه غاية العجز حتى صلب واما المسلمون فيقولون هو رسول مؤيد لم يصلب وهـذه سنته سبحانه في رسله فانه يؤيدهم وينصرهم على عدوهم كما نصر نوحا وابراهيم ومحمدا صلوات الله عليهم وسلامه فاذا كان لا يجوز ان يكون رسولا مغلوباً فكيف يكون رباً مصلوباً • الوجه السابع عشر قولهم فعل المعجز

بلاهوته وأظهر العجز بناسوته * فيقال لهم ان الله فعل من المعجزات ماهو أعظم من المعجزات التي ظهرت على يد المسيح عليه السلام ولم يكن متحداً بشيء من البشر فاي ضرورة به الى ان يتحد بالبشر اذا فعل معجزات دون ذلك • الوجه الثامن عشر ان المسيح ظهرت على يديه معجزات كما ظهر لسائر المرسلين ومعجزاتُ بعضهم اعظم من معجزاته ومع هذا فلم تكن المعجزات دليلا على اتحاد اللاهوت بالنبي الذى ظهرت على يديه فعلم ان الاستدلال بظهور المعجزات على يديه في غاية الفساد • الوجه التاسع عشر ان اللاهوت ان كان متحداً بالناسوت لم يتميز فعله عن فعل الناسوت فانهما اذا صارا شيئاً واحداً كان كل مافعله من عجز ومعجز هو ذلك الواحد كالامثال التى يضربونها لله سبحانه فانهم يمثلون ذلك بالنار مع الحديد والماء مع اللبن والخمر ومعلوم ان الحديدة اذا أدخلت النار حتى صارت بيضاء كالنار البيضاء ففعلها فعل واحد ليس لها فعلان متميزان احدهما بالحديد والآخر بالنار بل فيها قوة الحديد وقوة النار بل فيها قوة ثالثة ليست قوة الحديد ولا قوة النار اذ ليست حديداً محضاً ولا ناراً محضاً وكذلك الماء اذا اختلط باللبن والخمر فالمتحد منهما شيء واحد فعله فعل واحد منه ليس ماء محضاً ولا لبناً محضاً لايقول عاقل ان له فعلين يتميز أحدهما عن الآخر فعلا بكونه لبناً محضاً وفعلا بكونه ماء محضاً فقولهم بالاتحاد يوجب استحالة اللاهوت بالناسوت وان يصير فعل المتحد شيئاً واحداً وان كان اللاهوت لم يتحد به فهما اثنان شخصان جوهران وطبيعتان ومشيئتان وليس هذا دين النصارى مع ان حلول الرب عز وجل

في البشر ممتنع وكذلك اذا مثلوه بالنفس مع البـدن فان النفس تتغير صفاتها بمفارقة البـدن وكذلك البدن تتغير صفاته بمفارقة الروح له والانسان الذي نفخت فيـه الروح هو نوع ثالث ليس فيه بدن محض وروح محض حتى يقال انه يفعل كذا ببـدنه وكذا بنفسه بل افعاله تشترك فيها الروح فهو اذا أكل وشرب فالروح تتلذذ بالاكل والشرب وبها صار آكلاً شارباً والا فالبـدن الميت لا يأكل ولا يشرب واذا نظر واستدل وسمع ورأى وتعـلم فالنفس فعلت ذلك بالبدن والبدن يظهر فيه ذلك والروح وحدها لاتفعل ذلك وعندهم ان فعل هو فعل اللاهوت بعد الاتحاد والقولُ بهذا مع الاتحاد في غاية التناقض والفساد ولا يعقل نظير هذا في شيء من الموجودات ونفس المتكلم بهـذا من النصارى لايتصور مايقول ولا يمكنه ان يمثله بشيء معقول

(فصل) قالوا وقد جاء في هذا الكتاب الذي جاء به هـذا الانسان يقول (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه) وهذا يوافق قولنا اذ قد شهد انه انسان مثلنا أي بالناسوت الذي أخذ من مريم وكلمة الله وروحه المتحدة فيـه وحاشا ان تكون كلمة الله وروحه الخالقة مثلنا نحن المخلوقين وأيضاً قال في سورة النساء (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) فاشار بهذا القول الى اللاهوت الذي هو كلمة الله التي لم يدخل عليها ألم ولاعرض وقال أيضاً (ياعيسى اني متوفيـك ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) وقال في سورة المـائدة عن عيسى انه قال (وكنت عليهـم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني

كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد)فاعنى بموته عن موت الناسوت الذي أخذ من مريم العذراء وقال أيضاً في سورة النساء (وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه)فاشار بهذا الى اللاهوت الذى هو كلمة الله الخالقة وعلى هذا القياس نقول ان المسيح صلب وتألم بناسوته ولم يصلب ولا تألم بلاهوته*والجواب من وجوه أحدها ان يقال دعواهم على محمد صلى الله عليه وسلم انه أثبت فى المسيح اللاهوت والناسوت كما يزعمه هؤلاء النصارى فيه هو من الكذب الواضح المعلوم على محمد صلى الله عليه وسلم الذى يعلم من دينه بالاضطرار كما يعلم من دينه تصديق المسيح عليه السلام واثبات رسالته فلوادعى اليهودي على محمد صلى الله عليه وسلم انه كان يكذب المسيح ويجحد رسالته كان كدعوى النصارى عليه انه كان يقول انه رب العالمين وان اللاهوت اتحد بالناسوت ومحمد صلى الله عليه وسلم قد أخبر فيما بلغه عن الله عز وجل بكفر من قال ذلك وبما يناقض ذلك فى غير موضع كقوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق مايشاء والله على كل شيء قدير) وقوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم أفلا يتوبون الى الله

ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم قل يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولاتتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) وقال تعالى(وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولوكره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا ان كثيراً من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) وقال تعالى(ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون وانه لعلم للساعة فلاتمترن بها واتبعونى هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولا بين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب

من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم) وقال تعالى (واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك مايكون لي ان أقول ماليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك انك أنت علام الغيوب ماقلت لهم الا ما أمرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد) فاخبر عن المسيح انه لم يقل لهم الا ما أمره الله به بقوله ان اعبدوا الله ربي وربكم وكان عليهم شهيدا مادام فيهم وبعد وفاته كان الله الرقيب عليهم فاذا كان بعضهم قد غلط في النقل عنه او فى تفسير كلامه او تعمد تغير دينه لم يكن على المسيح عليه السلام من ذلك درك وانما هو رسول عليه البلاغ المبين وقد أخبر الله سبحانه ان أول ماتكلم به المسيح ان قال انى عبد الله آتاني الكتاب وجعلنى نبياً وجعلنى مباركا أينما كنت واوصاني بالصلاة والزكوة مادمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلني جباراً شقيا (ثم طلب لنفسه السلام فقال) والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم ابعث حيا ، والنصارى يقولون علينا منه السلام كما يقوله الغالية فيمن يدعون فيه الالهية كالنصيرية فى على والحاكمية في الحاكم الوجه الثانى ان يقال ان الله لم يذكر ان المسيح مات ولا قتل وانما قال ياعيسى انى متوفيك ورافعك اليَّ ومطهرك من الذين كفروا وقال المسيح فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد وقال تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون

الا قايلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيما وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم أموال الناس بالباطل) فذم الله اليهود باشياء منها قولهم على مريم بهتاناً عظيما حيث زعموا انها بغي ومنها قولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله قال تعالى (وما قتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم) واضاف هذا القول اليهم وذمهم عليه ولم يذكر النصارى لان الذين تولوا صلب المصلوب المشبه به هم اليهود ولم يكن أحد من النصارى شاهداً معهم بل كان الحواريون خائفين غائبين فلم يشهد أحد منهم الصلب وانما شهده اليهود وهم الذين أخبروا الناس انهم صلبوا المسيح والذين نقلوا ان المسيح صلب من النصارى وغيرهم انما نقلوه عن أولئك اليهود وهم شرط من أعوان الظلمة لم يكونوا خلقا كثيرا يمتنع تواطؤهم على الكذب قال تعالى (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) فنفى عنه القتل ثم قال (وان من أهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته) وهذا عند أكثر العلماء معناه قبل موت المسيح وقد قيل قبل موت اليهودي وهو ضعيف كما قيل انه قبل موت محمد صلي الله عليه وسلم وهو أضعف فانه لو آمن به قبل الموت لنفعه ايمانه به فان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر وان قيل المراد به الايمان الذي يكون بعد الغرغرة لم

يكن فى هذا فائدة فان كل أحد بعد موته يؤمن بالغيب الذي كان يجحده فلا اختصاص للمسيح به ولانه قال قبل موته ولم يقل بعد موته ولانه لافرق بين ايمانه بالمسيح وبمحمد صلوات الله عليهما وسلامه واليهودي الذي يموت على اليهودية فيموت كافراً بمحمد والمسيح عليهما الصلاة والسلام ولانه قال وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وقوله ليؤمنن به فعل مقسم عليه وهذا انما يكون في المستقبل فدل ذلك على ان هذا الايمان بعد إخبار الله بهذا ولوأريد قبل موت الكتابي لقال وان من أهل الكتاب الامن يؤمن به لم يقل ليؤمنن به وأيضا فانه قال وان من أهل الكتاب وهذا يعم اليهود والنصارى فدل ذلك على ان جميع أهل الكتاب اليهود والنصارى يؤمنون بالمسيح قبل موت المسيح وذلك اذا نزل آمنت اليهود والنصارى بأنه رسول الله ليس كاذبا كما يقول اليهودى ولا هو الله كما تقوله النصارى والمحافظة على هذا العموم أولى من ان يدعى ان كل كتابي ليؤمنن به قبل ان يموت الكتابي فان هذا يستلزم إيمان كل يهودي ونصراني وهذا خلاف الواقع وهو لما قال وان منهم الا ليؤمنن به قبل موته ودل على ان المراد بايمانهم قبل ان يموت هو علم انه أريد بالعموم عموم من كان موجوداً حين نزوله أي لايتخلف منهم أحد عن الايمان به لاايمان من كان منهم ميتاً وهذا كما يقال انه لايبقى بلد الا دخله الدجال الامكة والمدينة أي في المدائن الموجودة حينئذ وسبب ايمان أهل الكتاب به حينئذ ظاهر فانه يظهر لكل احد انه رسول مؤيد ليس بكذاب ولا هو رب العالمين فالله تعالى ذكر ايمانهم به اذا نزل الى الارض فانه تعالى لما

ذكر رفعه الى الله بقوله اني متوفيك ورافعك الي وهو ينزل الى الارض قبل يوم القيامة ويموت حينئذ اخبر بايمانهم به قبل موته كما قال تعالى في الآية الاخرى (ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعوني هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولا بين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا واماما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية . وقوله تعالى (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيما) بيان ان الله رفعه حيا وسلمه من القتل وبين انهم يؤمنون به قبل ان يموت وكذلك قوله (ومطهرك من الذين كفروا) ولو مات لم يكن فرق بينه وبين غيره ولفظ التوفي في لغة العرب معناه الاستيفاء والقبض وذلك ثلاثة أنواع احدها توفي النوم والثاني توفي الموت والثالث توفي الروح والبدن جميعاً فانه بذلك خرج عن حال أهل الارض الذين يحتاجون الى الاكل والشرب واللباس ويخرج منهم الغائط والبول والمسيح عليه السلام توفاه الله وهو في السماء الثانية الى ان ينزل الى الارض ليست حاله كحالة اهل الارض في الاكل

والشرب واللباس والنوم والغائط والبول ونحو ذلك . الوجه الثالث قولهم انه عنى بموته عن موت الناسوت كان ينبغى لهم ان يقولوا على أصلهم عنى بتوفيته عن توفى الناسوت وسواء قبل موته أو توفيته فليس هو شيئا غير الناسوت فليس هناك شيء غيره لم يتوف والله تعالى قال (انى متوفيك ورافعك الى) فالمتوفي هو المرفوع الى الله وقولهم ان المرفوع هو اللاهوت مخالف لنص القرآن ولو كان هناك موت فكيف اذا لم يكن فانهم جعلوا المرفوع غير المتوفي والقرآن اخبر ان المرفوع هو المتوفي وكذلك قوله فى الآية الأخرى (وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه هو تكذيب لليهود فى قولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله واليهود لم يدعوا قتل لاهوت ولا أثبتوا لله لاهوتاً في المسيح والله تعالى لم يذكر دعوى قتله عن النصارى حتى يقال ان مقصودهم قتل الناسوت دون اللاهوت بل عن اليهود الذين لايثبتون الا الناسوت وقد زعموا انهم قتلوه فقال تعالى (وماقتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه) فأثبت رفع الذي قالوا انهم قتلوه وانما هو الناسوت فعلم انه هو الذى نفى عنه القتل وهو الذي رفع والنصارى معترفون برفع الناسوت لكن يزعمون انه صلب واقام في القبر اما يوماً واما ثلاثة أيام ثم صعد الى السماء وقعد عن يمين الاب الناسوت مع اللاهوت وقوله تعالى (وما قتلوه يقيناً) معناه ان نفي قتله هو يقين لاريب فيه بخلاف الذين اختلفوا بانهم فى شك منه من قتله وغير قتله فليسوا مستيقنين انه قتل اذ لاحجة معهم بذلك ولذلك كانت طائفة من النصارى يقولون انه لم يصلب فان الذين صلبوا المصلوب هم اليهود وكان قد اشتبه عليهم المسيح بغيره كما دل عليه

القرآن وكذلك عند أهل الكتاب انه اشتبه بغيره فلم يعرفوا من هو المسيح من أولئك حتى قال لهم بعض الناس انا أعرفه فعرفوه وقول من قال معنى الكلام ماقتلوه علماً بل ظنا قول ضعيف . الوجه الرابع انه قال تعالى (اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا) فلوكان المرفوع هواللاهوت لكان رب العالمين قال لنفسه اولكلمته انى ارفعك اليّ وكذلك قوله (بل رفعه الله اليه) فالمسيح عندهم هو الله ومن المعلوم انه يمتنع رفع نفسه الى نفسه واذا قالوا هو الكلمة فهم يقولون مع ذلك انه الاله الخالق لايجعلونه بمنزلة التوراة والقرآن ونحوهما مما هو من كلام الله الذى قال فيه اليه يصعد الكلم الطيب بل عندهم هوالله الخالق الرازق رب العالمين ورفعُ رب العالمين الى رب العالمين ممتنع . الوجه الخامس قوله (وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم) دليل على انه بعد توفيته لم يكن الرقيب عليهم الا الله دون المسيح فان قوله كنت أنت يدل على الحصر كقوله ان كان هذا هو الحق ونحو ذلك فعلم ان المسيح بعد توفيته ليس رقيباً على اتباعه بل الله هو الرقيب المطلع عليهم المحصى أعمالهم المجازي عليها والمسيح ليس برقيب فلا يطلع على أعمالهم ولا يحصيها ولا يجازيهم بها

(فصل) قالوا وقد سماه الله أيضاً فى هذا الكتاب خالقاً حيث قال (واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً باذني) فاشار بالخالق الى كلمة الله المتحدة فى الناسوت المأخوذ من مريم لانه كذا قال على لسان داود النبى بكلمة الله خلقت السموات والارض ليس

خالق الا الله وكلمته وروحه وهذا مما يوافق رأينا واعتقادنا في السيد المسيح لذكره لانه حيث قال وتخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله أى باذن اللاهوت الكلمة المتحدة في الناسوت

والجواب ان جميع ما يحتجون به من هذه الآيات وغيرها فهو حجة عليهم لالهم وهكذا شأن جميع أهل الضلال اذا احتجوا بشيء من كتب الله وكلام انبيائه كان فى نفس ما احتجوا به مايدل على فساد قولهم وذلك لعظمة كتب الله المنزلة وما انطق به انبياءه فانه جعل ذلك هدى وبياناً للخلق وشفاء لما فى الصدور فلا بد أن يكون في كلام الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين من الهدى والبيان مما يفرق الله به بين الحق والباطل والصدق والكذب لكن الناس يؤتون من قبل أنفسهم لامن قبل أنبياء الله تعالى إما من كونهم لم يتدبروا القول الذى قاله الانبياء حق التدبر حتى يفقهوه ويفهموه واما من جهة أخذهم ببعض الحق دون بعض مثل ان يؤمنوا ببعض ما أنزله الله دون بعض فيضلون من جهة مالم يؤمنوا به كما قال تعالى عن النصارى (ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) واما من جهة نسبتهم الى الانبياء مالم يقولوه من أقوال كذبت عليهم ومن جهة ترجمة أقوالهم بغير ماتستحقه من الترجمة وتفسيرها بغير ماتستحقه من التفسير الذى دل عليه كلام الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فانه يجب ان يفسر كلام المتكلم بعضه ببعض ويؤخذ كلامه ههنا وههنا وتعرف ماعادته يعنيه ويريده بذلك اللفظ اذا تكلم به وتعرف

المعاني التي عرف انه ارادها في موضع آخر فاذا عرف عرفه وعادته في معانيه والفاظه كان هذا مما يستعان به على معرفة مراده واما اذا استعمل لفظه في معنى لم تجر عادته باستعماله فيه وترك استعماله في المعنى الذي جرت عادته باستعماله فيه وحمل كلامه على خلاف المعنى الذي قد عرف انه يريده بذلك اللفظ بجعل كلامه متناقضاً ويترك كلامه على ما يناسب سائر كلامه

كان ذلك تحريفاً لكلامه عن موضعه وتبديلا لمقاصده وكذبا عليه

فهذا أصل من ضل في تأويل كلام الانبياء على غير مرادهم فاذا عرف هذا فنقول الجواب عما ذكروه هنا من وجوه أحدها ان الله لم يذكر عن المسيح خلقاً مطلقاً ولا خلقاً عاما كما ذكر عن نفسه تبارك وتعالى فاول ما أنزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (اقرأ باسم ربك الاعلى الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) وقال تعالى (هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى) فذكر نفسه بانه الخالق البارىء المصور ولم يصف قط شيئاً من المخلوقات بهذا لا ملكا ولا نبياً وكذلك قال تعالى (الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والارض) وقال تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض اني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) ووصف نفسه بانه رب العالمين وبانه مالك يوم

الدين وانه له الملك وله الحمد وانه الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم وانه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم ونحو ذلك من خصائص الربوبية ولم يصف شيئاً من مخلوقاته لا ملكا مقربا ولا نبياً مرسلا بشيء من الخصائص التي يختص بها التي وصف بها نفسه سبحانه وتعالى. وأما المسيح عليه السلام فقال فيه (واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيراً باذني وتبرىء الاكمه والابرص باذني) وقال المسيح عن نفسه وأخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وابرىء الاكمه والابرص واحي الموتى باذن الله فلم يذكر الا خلق شيء معين خاص باذن الله فكيف يكون هذا الخالق هو ذاك الوجه الثاني انه خلق من الطين كهيئة الطير والمراد به تصويره بصورة الطير وهذا الخلق يقدر عليه عامة الناس فانه يمكن أحدهم ان يصور من الطين كهيئة الطير وغير الطير من الحيوانات ولكن هذا التصوير محرم بخلاف تصوير المسيح فان الله أذن له فيه والمعجزة انه ينفخ فيه الروح فيصير طيراً باذن الله عز وجل ليس المعجزة مجرد خلقه من الطين فان هذا مشترك وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم المصورين وقال ان أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون الوجه الثالث ان الله اخبر ان المسيح انما فعل التصوير والنفخ باذنه تعالى وأخبر المسيح عليه السلام انه فعله باذن الله واخبر الله ان هذا من نعمته التي أنعم بها على المسيح عليه السلام كما قال تعالى (ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل) وقال تعالى له ياعيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ

علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فيكون طيراً باذني وتبرىء الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات وهذا كله صريح في انه ليس هو الله وانما هو عبد لله فعل ذلك باذن الله كما فعل مثل ذلك غيره من الانبياء وصرح بان الاذن غير المأذون له والمعلم ليس هو المعلم والمنعم عليه وعلى والدته ليس هو اياه كما ليس هو والدته. الوجه الرابع انهم قالوا اشار بالخالق الى كلمة الله المتحدة في الناسوت ثم قالوا في قوله باذن الله أي باذن الكلمة المتحدة في الناسوت وهذا يبين تناقضهم وافتراءهم على القرآن لان الله أخبر في القرآن ان المسيح خلق من الطين كهيئة الطير باذن الله ففرق بين المسيح وبين الله وبيّن ان الله هو الآذن للمسيح وهؤلاء زعموا ان مراده بذلك ان اللاهوت المتحد بناسوت المسيح هو الخالق وهو الآذن فجعلوا الخالق هو الآذن وهو تفسير للقرآن بما يخالف صريح القرآن. الوجه الخامس ان اللاهوت اذا كان هو الخالق لم يحتج الى ان يأذن لنفسه فانهم يقولون هو اله واحد وهو الخالق فكيف يحتاج ان يأذن لنفسه وينعم على نفسه. الوجه السادس ان الخالق اما أن يكون هو الذات الموصوفة بالكلام او الكلام الذي هو صفة للذات فان كان هو الكلام فالكلام صفة لا تكون ذاتاً قائمة بنفسها خالقة ولو لم تتحد بالناسوت واتحادها بالناسوت دون الموصوف ممتنع لو كان الاتحاد ممكناً فكيف وهو ممتنع فقد تبين امتناع كون الكلمة تكون خالقة من وجوه. وان كان الخالق هو الذات المتصفة بالكلام فذاك هو الله الخالق لكل شيء

رب العالمين وعنـدهم هو الاب والمسيح عنـدهم ليس هو الاب فلا يكون هو الخالق لكل شئ والقرآن بين ان الله هو الذى اذن للمسيح حتى خلق من الطين كهيئة الطير فتبين ان الذى خلق من الطين كهيئة الطير ليس هو الله ولا صفة من صفاته فليس المسيح هو الله ولا ابن قديم ازلي لله ولكن عبده فعل باذنه • الوجه السابع قولهم فاشار بالخالق الى كلمة الله المتحدة في الناسوت المأخوذ من مريم لانه كذا قال على لسان داود النبي بكلمة الله خلقت السموات والارض * فيقال لهم هذا النص عن داود حجة عليكم كما ان التوراة والقرآن وسائر ماثبت عن الانبياء حجة عليكم فان داود عليـه السلام قال بكلمة الله خلقت السموات والارض ولم يقل ان كلمة الله هى الخالقة كما قلتم أنتم انه اشار بالخالق الى كلمة الله والفرق بين الخالق للسموات والارض وبين الكلمة التي بها خلقت السموات والارض امر ظاهر معروف كالفرق بين القادر والقدرة فان القادر هو الخالق وقد خلق الاشياء بقدرته وليست القدرة هى الخالقـة وكذلك الفرق بين المريد والارادة فان الله خالق الاشياء بمشيئته وليست مشيئته هى الخالقـة وكذلك الدعاء والعبادة هو للاله الخالق لالشئ من صفاته فالناس كلهم يقولون يا الله يا ربنا ياخالقنا ارحمنا واغفر لنا ولا يقول احد ياكلام الله اغفر لنا وارحمنا ولا ياقدرة الله ويامشيئة الله ويا علم الله اغفر لنا وارحمنا والله تعالى يخلق بقـدرته ومشيئته وكلامه وليست صفاته هي الخالقة • الوجه الثامن ان قول داود عليـه السلام بكلمة الله خلقت السموات والارض يوافق ماجاء في القرآن والتوراة وغير ذلك من كتب الانبياء ان الله يقول للشئ كن

فيكون وهذا في القرآن في غير موضع وفي التوراة قال الله ليكن كذا ليكن كذا • الوجه التاسع قولهم لانه ليس خالق الا الله وكلمته وروحه • ان أرادوا بكلمته كلامه وبروحه حياته فهذه من صفات الله كعلمه وقدرته فلم يعبر أحد من الانبياء عن حياة الله بانها روح الله فمن حمل كلام أحد من الانبياء بلفظ الروح انه يراد به حياة الله فقد كذب عليه ثم يقال هذه كلامه وحياته من صفات الله كعلمه وقدرته وحينئذ فالخالق هو الله وحده وصفاته داخلة في مسمى اسمه لايحتاج ان تجعل معطوفة على اسمه بواو التشريك التي تؤذن ان الله له شريك في خلقه فان الله لاشريك له ولهذا لما قال الله تعالى الله خالق كل شيء دخل كل ماسواه في مخلوقاته ولم تدخل صفاته كعلمه وقدرته ومشيئته وكلامه لان هذه داخلة في مسمى اسمه ليست اشياء مباينة له بل اسماؤه الحسنى متناولة لذاته المقدسة المتصفة بهذه الصفات لايجوز ان يراد باسمائه ذاتاً مجردة عن صفات الكمال فان تلك لاحقيقة لها ويمتنع وجود ذات مجردة عن صفة فضلا عن وجود ذاته تعالى مجردة عن صفات كماله التي هي لازمة لذاته يمتنع تحقق ذاته دونها ولهذا لايقال الله وعلمه خلق والله وقدرته خلق وان أرادوا بكلمته وروحه المسيح او شيئاً اتحد بناسوت المسيح فالمسيح عليه السلام كله مخلوق كسائر الرسل والله وحده هو الخالق وان شئت قلت ان أريد بالروح والكلمة ماهو صفة لله فتلك داخلة في مسمى اسمه وان اريد ماليس بصفة فذلك مخلوق له كالناسوت • الوجه العاشر ان داود عليه السلام لايجوز ان يريد بكلمة الله المسيح لان المسيح عند جميع الناس هو اسم

للناسوت وهو عندهم اسم للاهوت والناسوت لما اتحد والاتحادُ فعل حادث عندهم فقبل الاتحاد لم يكن هناك ناسوت ولا مايسمى مسيحاً فعلم ان داود لم يرد بكلمة الله المسيح ولكن غايتهم ان يقولوا أراد الكلمة التي اتحدت فيما بعد بالمسيح لكن الذى خلق باذن الله هو المسيح كما نطق به القرآن بقوله (يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً فى الدنيا والاخرة ومن المقربين) فالكلمة التي ذكرها وانها هى التى بها خلقت السموات والارض ليست هى المسيح الذي خلق من الطين كهيئة الطير باذن الله فاحتجاجهم بهذا على هذا احتجاج باطل بل تلك الكلمة التي بها خلقت السموات والارض لم يكن معها ناسوت حين خلقت باتفاق الامم والمسيحُ لابد ان يدخل فيه الناسوت فعلم انه لم يرد بالكلمة المسيح

(فصل) قالوا وقال أيضاً في موضع آخر ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب) فاعنى بقوله مثل عيسى اشارة الى البشرية المأخوذة من مريم الطاهرة لانه لم يذكرهنا اسم المسيح الاذكر عيسى فقط (وفي نسخة أخرى (١)) وكما ان آدم خلق من غير جماع ومباضعة فكذلك جسدالسيد المسيح خلق من غير جماع ولا مباضعة وكما ان جسد آدم ذاق الموت فكذلك جسدالمسيح ذاق الموت وقد يبرهن بقوله رأينا أيضاً قائلاان الله القى كلمته الى مريم وذلك حسب قولنا معشر النصارى ان كلمةالله الازلية الخالقة حلت في مريم وتجسدت بانسان كامل وعلى هذا المثال نقول في السيد المسيح طبيعتان طبيعة لاهوتية التي هى طبيعة كلمة

(١) فاعنى بقوله مثل آدم اشارة الى الناسوت المأخوذ من مريم الطاهرة

الله وروحه وطبيعة ناسوتية التى أخذت من مريم العذراء واتحدت به
ولما تقدم به القول من الله تعالى على لسان موسى النبى اذ يقول اليس
هـذا الاب الذى خلقك وبراك واقتناك قيل وعلى لسان داود النبى
روحك القـدس لاتنزع منى وأيضاً على لسان داود النبي بكلمة الله
تشددت السموات وبروح فاه جميع قواهن وليس يدل هذا القول
على ثلاثة خالقين بل خالق واحد الاب ونطقه أى كلمته وروحه أى
حياته *والجواب من وجوه أحدها ان قوله تعالى ان مثل عيسى عند
الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) كلام حق فانه
سبحانه خلق هذا النوع البشرى على الاقسام الممكنة ليبين عموم قدرته
فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى. وخلق زوجته حوّاء من ذكر بلا
أنثى كما قال وخلق منها زوجها وخلق المسيح من أنثى بلا ذكر وخلق
سائر الخلق من ذكر وأنثى وكان خلق آدم وحوّاء أعجب من خلق
المسيح فان حوّاء خلقت من ضلع آدم وهـذا أعجب من خلق المسيح
في بطن مريم وخلق آدم أعجب من هذا وهذا وهو أصل خلق حواء
فلهـذا شبهه الله بخلق آدم الذى هو أعجب من خلق المسيح فاذا كان
سبحانه قادرا ان يخلقه من تراب والتراب ليس من جنس بدن
الانسان أفلا يقدر ان يخلقـه من امرأة هي من جنس بدن الانسان
وهو سبحانه خلق آدم من تراب ثم قال له كن فيكون لما نفخ فيه من
روحه فكذلك المسيح نفخ فيه من روحه وقال له كن فيكون ولم يكن
آدم بما نفخ فيه من روحه لاهوتاً وناسوتاً بل كله ناسوت فكذلك
المسيح كله ناسوت والله تبارك وتعالى ذكر هذه الآية فى ضمن الآيات

التي أنزلها فى شأن النصارى لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم نصارى نجران وناظروه في المسيح وأنزل الله فيه ما أنزل فبين فيه قول الحق الذى اختلفت فيه اليهود والنصارى فكذب الله الطائفتين هؤلاء في غلوهم فيه وهؤلاء فى ذمهم له وقال عقب هذه الآية (فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ان هـذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) وقد امتثل النبي صلى الله عليه وسلم قول الله فدعاهم الى المباهلة فعرفوا انهم إن باهلوه انزل الله عليهم لعنته فاقروا بالجزية وهم صاغرون ثم كتب النبى صلى الله عليه وسلم الى هرقل ملك الروم بقوله تعالى (ياأهل الكتاب تعالوا الى آخرها وكان أحياناً يقرأ بها فى الركعة الثانية من ركعتى الفجر ويقرأ فى الاولى بقوله (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) وهذا كله يبين به ان المسيح عبد ليس باله وانه مخلوق كما خلق آدم وقد أمر ان يباهل من قال انه اله فيدعو كل من المتباهلين ابناءه ونساءه وقريبه المختص به ثم يبتهل هؤلاء وهؤلاء ويدعون الله ان يجعل لعنتـه على الكاذبين فان كان النصارى كاذبين فى قولهم هو الله حقت اللعنة عليهم وان كان من قال

ليس هو الله بل عبد الله كاذبا حقت اللعنة عليه وهذا انصاف من صاحب يقين يعلم انه على الحق • والنصارى لما لم يعلموا انهم على الحق نكلوا عن المباهلة وقد قال عقب ذلك (ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله) تكذيبا للنصارى الذين يقولون هو إله حق من إله حق فكيف يقال انه أراد ان المسيح فيه لاهوت وناسوت وان هذا هو الناسوت فقط دون اللاهوت وبهذا ظهر الجواب عن قولهم قال في موضع آخر ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم فاعنى بقوله عيسى أشار الي البشرية المأخوذة من مريم الطاهرة لانه لم يذكر الناسوت ههنا اسم المسيح الا ذكر عيسى فقط فانه يقال عيسى هو المسيح بدليل انه قال (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل) فاخبر انه ليس المسيح الا رسولا ليس هو باله وانه ابن مريم والذى هو ابن مريم هو الناسوت وقال (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له مافي السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً) وقال تعالى (وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون) وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً ان أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الارض جميعاً * الوجه الثانى ان ماذكروه من موته قدينا

ان الله لم يذكر ذلك وان المسيح لم يمت بعد وما ذكروه من انه صلب ناسوته دون لاهوته باطل من وجهين فان ناسوته لم يصلب وليس فيه لاهوت وهم ذكروا ذلك دعوى مجردة فيكفي في مقابلتها المنع لكن نقول في الوجه الثالث انهم في اتحاد اللاهوت بالناسوت يشبهونه تارة باتحاد الماء باللبن وهذا تشبيه اليعقوبية وتارة باتحاد النار بالحديد أو النفس بالجسم وهذا تشبيه الملكانية وغيرهم ومعلوم انه لا يصل الى الماء شيء الا وصل الى اللبن فانه لا يتميز أحدهما عن الآخر وكذلك النار التي في الحديد متى طرق الحديد أو بصق عليه لحق ذلك بالنار التي فيه والبدن اذا ضرب وعذب لحق الم الضرب والعذاب للنفس فكان حقيقة تمثيلهم يقتضي ان اللاهوت أصابه ما أصاب الناسوت من اهانة اليهود وتعذيبهم واتلافهم له والصلب الذي ادعوه وهذا لازم على القول بالاتحاد فان الاتحاد لو كان ما يصيب احدهما لا يشركه الآخر فيه لم يكن هنا اتحاد بل تعدد . الرابع ان هؤلاء الضلال لم يكفهم ان جعلوا إله السموات والارض متحدا ببشر في جوف امرأة وجعلوه له مسكناً ثم جعلوا اخابث خلق الله امسكوه وبصقوا في وجهه ووضعوا الشوك على رأسه وصلبوه بين لصين وهو في ذلك يستغيث بالله ويقول إلهي إلهي لما تركتني وهم يقولون الذي كان يسمع الناس كلامه هو اللاهوت كما سمع موسى كلام الله من الشجرة ويقولون هما شخص واحد ويقول بعضهم لهما مشيئة واحدة وطبيعة واحدة والكلام انما يكون بمشيئة المتكلم فيلزم ان يكون المتكلم الداعي المستغيث المصلوب هو اللاهوت هو المستغيث المتضرع

وهو المستغاث به وايضاً فهم يقولون ان اللاهوت والناسوت شخص
واحد فمع القول بانهما شخص واحد اما ان يكون مستغيثا واما ان
يكون مستغاثا به واما ان يكون داعيا واما يكون مدعوا فاذا قالوا ان
الداعي هو غير المدعو لزم ان يكونا اثنين لا واحدا واذا قالوا هما واحد
فالداعي هو المدعو • الوجه الخامس ان يقال لايخلو اما ان يقولوا ان
اللاهوت كان قادرا على دفعهم عن ناسوته واما ان يقولوا لم يكن قادرا
فان قالوا لم يكن قادرا لزم ان يكون أولئك اليهود أقدر من رب العالمين
وان يكون رب العالمين مقهورا مأسورا مع قوم من شرار اليهود وهذا
من أعظم الكفر والتنقص برب العالمين وهذا أعظم من قولهم ان لله
ولدا وانه بخيل وانه فقير ونحو ذلك مما سبَّ به الكفارُ رب العالمين
وإن قالوا كان قادرا فان كان ذلك من عدوان الكفار على ناسوته وهو
كاره لذلك فسنة الله في مثل ذلك نصرُ رسله المستغيثين به فكيف لم
يغث ناسوته المستصرخ به وهذا بخلاف من قتل من النبيين وهو
صابر فان أولئك صبروا حتى قتلوا شهداء والناسوتُ عندهم استغاث
وقال إلهي إلهي لماذا تركتني. وان كان هو قد فعل ذلك مكرا كما
يزعمون انه مكر بالشيطان وأخفى نفسه حتى يأخذه بوجه حق فناسوته
اعلم بذلك من جميع الخلق فكان الواجب ان لايجزع ولايهرب لما في
ذلك من الحكمة وهم يذكرون من جزع الناسوت وهربه ودعائه
مايقتضي ان كل ما جرى عليه كان بغير اختياره ويقول بعضهم مشيئتهما
واحدة فكيف شاء ذلك وهرب مما يكرهه الناسوت بل لو يشاء
اللاهوت مايكرهه كانا متباينين وقد اتفقا على المكر بالعدو لم يجزع

الناسوت كما جرى ليوسف مع أخيه لما وافقه على انه يجعل الصواع
في رحله ويظهر انه سارق لم يجزع أخوه لما ظهر الصواع فى رحله
كما جزع اخوته حيث لم يعلموا وكثيرٌ من الشطار العيارين يمسكون
ويصابون وهم ثابتون صابرون فما بال هذا يجزع الجزع المظيم الذي
يصفون به المسيح وهو يقتضى غاية النقص العظيم مع دعواهم فيه
الالهية • الوجه السادس قولهم انه كلمته وروحه تناقضٌ منهم لانه عندهم
اقنوم الكلمة فقط لا اقنوم الحياة • الوجه السابع قولهم وقد برهن
بقوله رأينا ايضا فى موضع آخر قائلا ان الله ألقى كلمته الى مريم وذلك
حسب قولنا معشر النصارى ان كلمة الله الخالقة الازلية حلت في مريم
واتحدت بانسان كامل * فيقال لهم اما قول الله فى القرآن فهو حق ولكن
ضللتم في تاويله كما ضللتم في تأويل غيره من كلام الانبياء وما بلغوه
عن الله وذلك ان الله تعالى قال (اذ قالت الملائكة يامريم ان الله
يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة
ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب انى
يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق مايشاء اذا قضى
أمرا فانما يقول له كن فيكون) فى هذا الكلام وجوه تبين انه مخلوق
ليس هو مايقوله النصارى • منها انه قال بكلمة منه وقوله بكلمة منه نكرة
فى الاثبات يقتضى انه كلمة من كلمات الله ليس هو كلامه كله كما يقوله
النصارى . ومنها انه بين مراده بقوله بكلمة منه وانه مخلوق حيث قال
كذلك الله يخلق مايشاء اذا قضى امرا فانما يقول له فيكون) كما قال فى
الآية الأخرى (ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له

كن فيكون) ن وقال تعالى في سورة كهيعص (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) فهذه ثلاث آيات فى القرآن بين انه قال له كن فيكون وهذا تفسير كونه كلمة منه وقال أسمه المسيح عيسى بن مريم أخبر انه ابن مريم وأخبر انه وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين وهذه كلها صفة مخلوق والله تعالى وكلامه الذي هو صفته لايقال فيه شيء من ذلك وقالت مريم انى يكون لى ولد فبين ان المسيح الذى هو الكلمة هو ولد مريم لاولد الله سبحانه وتعالى وقال في سورة النساء (ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له مافى السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) فقد نهى النصارى عن الغلو فى دينهم وان يقولوا على الله غير الحق وبين ان المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وأمرهم ان يؤمنوا بالله ورسله فبين انه رسوله ونهاهم ان يقولوا ثلاثة وقال انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد وهذا تكذيب لقولهم في المسيح انه اله حق من اله حق من جوهر أبيه

ثم قال سبحانه ان يكون له ولد فنزه نفسه وعظمها ان يكون له ولد كما تقوله النصارى ثم قال له مافى السموات وما في الارض فاخبر ان ذلك ملك له ليس فيه شيء من ذاته ثم قال لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون أي لن يستنكفوا ان يكونوا عبيداً لله تبارك وتعالى فمع هذا البيان الواضح الجلي هل يظن ظان ان مراده بقوله وكلمته انه اله خالق أو انه صفة لله قائمة به وان قوله وروح منه المراد به انه حياته أو روح منفصلة من ذاته ثم نقول ايضاً أما قوله وكلمته فقد بين مراده انه خلقه بكن وفى لغة العرب التى نزل بها القرآن ان يسمى المفعول باسم المصدر فيسمى المخلوق خلقا لقوله هذا خلق الله ويقال درهم ضرب الامير أي مضروب الامير ولهذا يسمى المأمور به أمرا والمقدور قدرة وقدرا والمعلوم علما والمرحوم به رحمة كقوله تعالى (وكان أمر الله قدرا مقدورا) وقوله (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) وقال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله للجنة انت رحمتى ارحم بك من اشاء من عبادي ويقول للنار أنت عذابي أعذب بك من اشاء من عبادي وقال ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة فيها تتراحم الخلق ويتعاطفون وأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة فاذا كان يوم القيامة جمع هذه الى تلك فرحم بها الخلق ويقال للمطر والآيات هذه قدرة عظيمة ويقال غفر الله لك علمه فيك اى معلومه فتسمية المخلوق بالكلمة كلمة من هذا الباب وقد ذكر الامام أحمد في كتاب الرد على الجهمية وذكره غيره ان النصارى الحلولية والجهمية المعطلة اعترضوا على أهل السنة فقالت النصارى القرآن كلام الله غير

مخلوق والمسيح كلمة الله فهو غير مخلوق وقالت الجهمية المسيح كلمة الله وهو مخلوق والقرآن كلام الله فيكون مخلوقا وأجاب احمد وغيره بان المسيح نفسه ليس هو كلاما فان المسيح انسان وبشر مولود من امرأة وكلامُ الله ليس بانسان ولا بشر ولا مولود من امرأة ولكن المسيح خلق بالكلام وأما القرآن فهو نفسه كلام الله فأين هذا من هذا وقد قيل أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الاسماء وما من عاقل اذا سمع قوله تعالى في المسيح عليه السلام انه كلمته القاها الى مريم الا يعلم انه ليس المراد ان المسيح نفسه كلام الله ولا انه صفة لله ولا خالق ثم يقال للنصارى فلو قدر ان المسيح نفس الكلام فالكلام ليس بخالق فان القرآن كلام الله وليس بخالق والتوراة كلام الله وليست بخالقة وكلماتُ الله كثيرة وليس منها شيء خالق فلو كان المسيح نفس الكلام لم يجز ان يكون خالقا فكيف وليس هو الكلام وانما خلق بالكلمة وخص باسم الكلمة فانه لم يخلق على الوجه المعتاد الذى خلق عليه غيره بل خرج عن العادة فخلق بالكلمة من غير السنة المعروفة في البشر وقوله بروح منه لايوجب ان يكون منفصلا من ذات الله كقوله تعالى (وسخر لكم مافى السموات وما في الارض جميعا منه) وقوله تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) وقال تعالى (ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وقال تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسولٌ من الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة) فهذه الاشياء كلها من الله وهي مخلوقة وأبلغ من ذلك روح الله التي أرسلها الى مريم وهي مخلوقة

فالمسيح الذي هو روح من تلك الروح أولى ان يكون مخلوقا قال تعالى (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا) وقد قال تعالى ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) وقال (والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) فاخبر انه نفخ فى مريم من روحه كما اخبر انه نفخ في آدم من روحه وقد بين انه ارسل اليها روحه فتمثل لها بشرا سويا قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا فحملته) فهذا الروح الذى أرسله الله اليها ليهب لها غلاما زكيا مخلوق وهو روح القدس الذى خلق المسيح منه ومن مريم فاذا كان الاصل مخلوقا فكيف الفرع الذى حصل به وهو روح القدس وقوله عن المسيح وروح منه خص المسيح بذلك لانه نفخ في أمه من الروح فحبلت به من ذلك النفخ وذلك غير روحه التى يشاركه فيها سائر البشر فامتاز بأن حبلت به من نفخ الروح فلهذا سمى روحا منه ولهذا قال طائفة من المفسرين روح منه أى رسول منه فسماه باسم الروح الرسول الذى نفخ فيها فكما يسمى كلمة يسمى روحا لانه كون بالكلمة لا كما يخلق الآدميون غيره ويسمى روحا لانه حبلت به امه بنفخ الروح الذى نفخ فيها لم تحبل به من ذكر كغيره من الآدميين وعلى هذا فيقال لما خلق من نفخ الروح ومن مريم سمى روحاً بخلاف سائر الآدميين فانه يخلق من ذكر

وانثى ثم ينفخ فيه الروح بعد مضى اربع اشهر والنصارى يقولون فى امانتهم تجسد من مريم ومن روح القدس ولو اقتصروا على هذا وفسروا روح القدس بالملك الذى نفخ فيها وهو روح الله لكان هذا موافقا لما اخبر الله به لكنهم جعلوا روح القدس حياة الله وجعلوه ربا وتناقضوا فى ذلك فانه على هذا كان ينبغي فيه اقنومان اقنوم الكلمة واقنوم الروح وهم يقولون ليس فيه الا اقنوم الكلمة وكما يسمى المسيح كلمة لانه خلق بالكلمة يسمى روحا لانه حل به من الروح فان قيل فقد قال فى القرآن والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك) وقال(تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) وقد قال ائمة المسلمين وجمهورهم القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدا وقال في المسيح وروح منه قيل هذا بمنزلة سائر المضاف الى الله ان كان عينا قائمة بنفسها او صفة فيها كان مخلوقا وان كان صفة مضافة الى الله كعلمه وكلامه ونحو ذلك كان اضافة صفة وكذلك مامنه ان كان عينا قائمة أو صفة قائمة تعين بغيرها كما فى السموات والارض والنعم والروح الذى ارسلها الى مريم وقال انما أنا رسول ربك كان مخلوقا وان كان صفة لاتقوم بنفسها ولا يتصف بها المخلوق كالقرآن لم يكن مخلوقا فان ذلك قائم بالله وما يقوم بالله لا يكون مخلوقا والمقصود هنا بيان بطلان احتجاج النصارى وانه ليس لهم فى ظاهر القرآن ولا باطنه حجة كما ليس لهم حجة في سائر كتب الله وانما تمسكوا بآيات متشابهات وتركوا المحكم كما أخبر الله عنهم بقوله (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ

فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) والآية نزلت في النصارى فهم مرادون من الآية قطعاً ثم قال (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) وفيها قولان وقراءتان منهم من يقف عند قوله الا الله ويقول الراسخون فى العلم لا يعلمون تأويل المتشابه لا يعلمه الا الله ومنهم من لا يقف بل يصل بذلك قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ويقول الراسخون فى العلم يعلمون تأويل المتشابه وكلا القولين مأثور عن طائفة من السلف وهؤلاء يقولون قد يكون الحال من المعطوف دون المعطوف عليه كما في قوله تعالى (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا) أى قائلين وكلا القولين حق باعتبار فان لفظ التأويل يراد به التفسير ومعرفة معانيه والراسخون فى العلم يعلمون تفسير القرآن قال الحسن البصرى لم ينزل الله آية الا وهو يحب ان تعلم فيماذا نزلت وماذا عنى بها وقد يعنى بالتأويل ما استأثر الله بعلمه من كيفية ما أخبر به عن نفسه وعن اليوم الآخر ووقت الساعة ونزول عيسى ونحو ذلك فهذا التأويل لا يعلمه الا الله واما لفظ التأويل اذا أريد به صرف اللفظ عن ظاهره الى ما يخالف ذلك لدليل يقترن به فلم يكن السلف يريدون بلفظ التأويل هذا ولا هو معنى التأويل فى كتاب الله عز وجل ولكن طائفة من المتأخرين خصوا لفظ التأويل بهذا بل لفظ التأويل في كتاب الله يراد به ما يؤول اليه الكلام وان وافق ظاهره كقوله تعالى (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل) ومنه تأويل الرؤيا كقول يوسف الصديق

(هذا تأويل رؤياي من قبل) وكقوله (الا نبأتكما بتأويله) وقوله (ذلك خير وأحسن تأويلا) وهذا مبسوط في موضع آخر والمقصود هنا انه ليس للنصارى حجة لا في ظاهر النصوص ولا باطنها كما قال تعالى (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه) والكلمة عندهم هي جوهر وهي رب لا يخلق بها الخالق بل هي الخالقة لكل شيء كما قالوا في كتابهم ان كلمة الله الخالقة الازلية حلت في مريم والله تعالى قد أخبر انه سبحانه القاها الى مريم والرب سبحانه هو الخالق والكلمة التي القاها ليست خالقة إذ الخالق لا يلقيه شيء بل هو يلقي غيره وكلمات الله نوعان كونية ودينية فالكونية كقوله للشيء كن فيكون والدينية أمره وشرعه التي جاءت به الرسل وكذلك أمره وارادته واذنه وارساله وبعثه ينقسم الى هذين القسمين وقد ذكر الله تعالى القاء القول في غير هذا وقد قال تعالى ولا تقولوا لمن القي اليكم السلام لست مؤمنا وقال تعالى واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون والقوا الى الله يومئذ السلام وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة (واما لقيته القول فتلقاه فذلك اذا أردت ان تحفظه بخلاف ما اذا ألقيته اليه فان هذا يقوله فيما يخاطبه به وان لم يحفظه كمن القيت اليه القول بخلاف القول انكم لكاذبون والقوا اليهم السلام وليس هنا الا خطاب سمعوه لم يحصل نفس صفة المتكلم في المخاطب فكذلك مريم اذا القى الله كلمته

الها وهي قول كن لم يلزم ان تكون نفس صفته القائمة به حلت فى مريم كما لم يلزم ان تكون صفته القائمة به حلت في سائر من التي اليه كلامه كما لا تحصل صفة كل متكلم فيمن يلقى اليه كلامه

(فصل)وأما قولهم وعلى هذا المثال نقول فى السيد المسيح طبيعتان طبيعة لاهوتية التى هى طبيعة كلمة الله وروحه وطبيعة ناسوتية التى أخذ من مريم العذراء،واتحدت به فيقال لهم كلام النصارى فى هذا الباب مضطرب مختلف متناقض وليس لهم في ذلك قول اتفقوا عليه ولا قول معقول ولا قول دل عليه كتاب بل هم فيه فرق وطوائف كل فرقة تكفر الاخرى كاليعقوبية والملكانية والنسطورية ونقل الاقوال عنهم فى ذلك مضطربة كثيرة الاختلاف ولهذا يقال لو اجتمع عشرة نصارى لتفرقوا على أحد عشر قولا وذلك ان ماهم عليه من اعتقادهم من التثليث والاتحاد كما هو مذكور في أمانتهم لم ينطق به شيء من كتب الانبياء ولا يوجد لا في كلام المسيح ولا الحواريين ولا أحد من الانبياء ولكن عندهم في الكتب الفاظ متشابهة والفاظ محكمة يتنازعون فى فهمها ثم القائلون منهم بالامانة وهم عامة النصارى اليوم من الملكية والنسطورية واليعقوبية مختلفون فى تفسيرها ونفس قولهم متناقض يمتنع تصوره على الوجه الصحيح فلهذا صار كل منهم يقول مايظن انه اقرب من غيره فمنهم من يراعى لفظ امانتهم وان صرح بالكفر الذي يظهر فساده لكل أحد كاليعقوبية ومنهم من يستر بعض ذلك كالنسطورية وكثير منهم وهم الملكية بين هؤلاء وهؤلاء، ولما ابتدعوا ماابتدعوا من التثليث والحلول كان فيهم

من يخالفهم في ذلك وقد يوجد نقل الناس لمقالاتهم مختلفا وذلك بحسب
قول الطائفة التي ينقل ذلك الناقل قولها والقول الذي يحكيه كثير من
نظار المسلمين يوجد كثير منهم على خلافه كما نقلوا عنهم ماذكره أبو
المعالى وصاحبه أبو القاسم الانصارى وغيرهما ان القديم واحد بالجوهر ثلاثة
بالاقنوم وانهم يعنون بالاقنوم الوجود والحياة والعلم ونقلوا عنهم ان الحياة
والعلم ليسا بوصفين زائدين على الذات موجودين بل هما صفتان نفسيتان
للجوهر قالوا ولو مثل مذهبهم بمثال لقيل ان الاقانيم عندهم تنزل منزلة
الاحوال والصفات النفسية عند مثبتيها من المسلمين فان سوادية اللون
ولونيته صفتان نفسيتان للعرض قال وربما يعبرون عن الاقانيم بالاب
والابن وروح القدس فيعنون بالاب الوجود وبالابن المسيح والكلمة وربما
سموا العلم كلمة والكلمة علماً ويعبرون عن الحياة بالروح قال ولا يريدون
بالكلمة الكلام فان الكلام عندهم من صفات الفعل ولا يسمون العلم
قبل تدرعه بالمسيح واتحاده به ابناً بل المسيح عندهم مع ماتدرع به ابن
قالوا ومن مذهبهم ان الكلمة اتحدت بالمسيح وتدرعت بالناسوت ثم
اختلفوا فى معنى الاتحاد فمنهم من فسره بالاختلاط والامتزاج وهذا
مذهب طوائف من اليعقوبية والنسطورية والملكية قالوا ان الكلمة
خالطت جسد المسيح ومازجته كما مازج الخمر الماء أو اللبن قالوا وهذا
مذهب الروم ومعظمهم الملكية قالوا فمازجت الكلمة جسد المسيح
فصارت شيئاً واحداً وصارت الكثرة قلة وذهبت طائفة من اليعاقبة
الى ان الكلمة انقلبت لحماً ودماً قالوا وصارت شرذمة من كل صنف
الى ان المراد بالاتحاد ظهور اللاهوت على الناسوت كظهور الصورة فى

المرآة والنقش فى الخاتم ومنهم من قال ظهور اللاهوت على الناسوت كاستواء الاله على العرش عند المسلمين وذهب كثير من هذه الطوائف الى ان المراد بالاتحاد الحلول قالوا وقد اختلفوا أيضاً في الجوهر والاقانيم فذهبت اليعقوبية والنسطورية الى ان الجوهر ليس بغير الاقانيم ولا يقال انه هى وصرحت الملكية بانه غير الاقانيم وآخرون قالوا هو الاقانيم قالوا وافترقت النصارى من وجه آخر فذهبت الروم الى التصريح باثبات ثلثه الهة وامتنعت اليعقوبية والنسطورية من ذلك فى وجه والتزموه من وجه وذلك انهم قالوا الكلمة اله والروح اله والاب اله والثلاثة الاقانيم التى كل أقنوم اله اله واحد قالوا وذهبت شرذمة من النصارى الى ان عيسى كان ابناً لله على جهة الكرامة فكما اتخذ ابراهيم خليلا كذلك اتخذ عيسى ابناً قالوا وهؤلاء يقال لهم الاريوسية فهذا نقل طائفة من نظار المسلمين وهذا قول لمن قاله من النصارى وفيه ما هو مخالف لصريح أمانتهم وما عليه جمهورهم مثل قوله انهم لايسمون العلم قبل تدرعه بالمسيح ابناً بل المسيح مع ماتدرع به ابن فان هذا خلاف ما عليه فرق النصاري من الملكية واليعقوبية والنسطورية وخلاف ما تضمنته أمانتهم إذ صرحوا فيها بان الكلمة ابن قديم أزلي مولود قبل الدهور وهذا صفة اللاهوت عندهم وفيها أشياء يقولها بعض النصاري لا كلهم وكذلك نقلهم عنهم انهم لايريدون بالكلمه الكلام فان الكلام عندهم صفة فعل وهذا قول طائفة منهم ومن اليهود وكثير منهم أو أكثرهم يقولون ان كلام الله غير مخلوق وينكرون على من يقول انه مخلوق ونقلت طائفة أخري منهم أبو الحسن ابن الزاغوني عنهم مايوافق هذا

من وجه دون وجه فقالوا اتفقت طوائف النصارى على ان الله ليس بجسم واتفقوا على انه جوهر واحد ثلاثة أقانيم وان كل واحد من الاقانيم جوهر خاص يجمعها الجوهر العام ثم اختلفوا فقال بعضهم ان الاقانيم مختلفة في الاقنومية متفقة في الجوهرية وقال آخرون ليست مختلفة فى الاقنومية بل متغايرة وقال فريق منهم ان كل واحد منها لاهو الآخر ولا هو غيره وليست متغايرة ولا مختلفة وزعموا ان الجوهر ليس هو غيرها الا ما ذكر عن طائفة من الملكية فانهم قالوا ان الاقانيم هى الجوهر وان الجوهر غير الاقانيم وزعموا ان الجوهر هو الاب والاقانيم الحياة وهى روح القدس والقدرة والعلم وان الله اتحد بأحد الاقانيم الذى هو الابن بعيسى بن مريم وكان مسيحاً عند الاتحاد لاهوتاً وناسوتاً حمل وولد ونشأ وقتل وصلب ودفن واختلفوا ايضاً فقالت النسطورية ان المسيح جوهران أقنومان قديم ومحدث وان اتحاده انما هو بالمشيئة وان مشيئتهما واحدة وان كانا جوهرين. وقالت اليعقوبية لما اتحدا صار الجوهران الجوهر القديم والجوهر المحدث جوهراً واحداً. واختلفوا ههنا فقال بعضهم الجوهر المحدث صار قديماً وزعم آخرون انهما لما اتحدا صارا جوهراً واحداً قديماً من وجه محدثاً من وجه. وقالت الملكية ان المسيح جوهران اقنوم واحد وحكي عن بعضهم انه اقنومان جوهر واحد وقال الاريوسية ان الله ليس بجسم ولا أقانيم له وان المسيح لم يصلب ولم يقتل وانه نبي وحكي عن بعضهم انه قال المسيح ليس بابن لله وحكي عن بعضهم انه ابن لله على التسمية والتقريب واختلفوا في الكلمة الملقاة الى مريم فقالت طائفة منهم ان الكلمة حلت في مريم حلول الممازجة كما يحل الماء في اللبن فيمازجه ويخالطه فقالت طائفة

منهم أنها حلت في مريم من غير ممازجة كما ان شخص الانسان يحل
فى المرآة وفى الاجسام الصقيلة من غير ممازجة.وزعمت طائفة من
النصارى ان الناسوت مع اللاهوت كمثل الخاتم مع الشمع يؤثر فيه
بالنقش ثم لايبقى منه شيء الا أثره قالت هذه الطائفة . وأبو الحسن ابن
الزاغوني ومن معه واختلفت النصارى في الاقانيم فقال قوم منهم هى
جواهر وقال قوم هى خواص وقال قوم هى صفات وقال قوم هى
أشخاص والاب عندهم الجوهر الجامع للاقانيم والابن هو الكلمة التى
اتحدت عند مبدأ المسيح والروح هى الحياة واجمعوا على ان الاتحاد
صفة فعل وليس بصفة ذات قالوا واختلف قولهم فى الاتحاد اختلافاً
متبايناً فزعم قوم منهم ان الاتحاد هو ان الكلمة التى هى الابن حلت
جسد المسيح وقيل هذا قول الاكثرين منهم .وزعم قوم منهم ان
الاتحاد هو الاختلاط والامتزاج وقال قوم من اليعقوبية هو ان كلمة الله
انقلبت لحماً ودماً بالاختلاط وقال كثير من اليعقوبية والنسطورية
الاتحاد هوان الكلمة والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط الماء بالخمر
وامتزاجهما وكذلك الخمر باللبن.وقال قوم منهم الاتحاد هو ان الكلمة
والناسوت اتحدا فصارا هيكلا واحداً وقال قوم منهم الاتحاد مثل ظهور
صورة الانسان في المرآة وكظهور الطابع في المطبوع مثل الخاتم في
الشمع وقال قوم منهم الكلمة اتحدت بجسد المسيح على معنى انها حلته
من غير مماسة ولا ممازجة كما نقول الله في السماء على العرش من غير
مماسة ولا ممازجة وكما نقول ان العقل جوهر حال في النفس من غير
مخالطة للنفس ولا مماسة لها . وقالت الملكية الاتحاد ان الاثنين

صارا واحداً وصارت الكثرة قلة وهذا الذى نقله عنهم أبو
الحسن الزاغونى هو نحو ما نقله عنهم القاضى أبو بكر ابن الطيب
والقاضي أبو يعلى وغيرهما وقال أبو محمد بن حزم النصارى فرق
منهم أصحاب اريوس وكان قسيساً بالاسكندرية ومن قوله التوحيد
المجرد وان عيسى عبد مخلوق وانه كلمة الله التي بها خلق السموات
والارض وكان في زمن قسطنطين الاول باني القسطنطينية وأول من
تنصر من ملوك الروم وكان على مذهب اريوس هذا قال ومنهم أصحاب
بولس الشمشاطي وكان بطريازكا بانطاكية قبل ظهور النصرانية وكان
قوله بالتوحيد المجرد الصحيح وان عيسى عبد الله ورسوله كاحد
الانبياء عليهم السلام خلقه الله في بطن مريم من غير ذكر وانه انسان
لا الهية فيه البتة وكان يقول لا أدرى ما الكلمة ولا روح القدس قال
وكان منهم أصحاب مقدنيوس كان بطريازكا بالقسطنطينية بعد ظهور
النصرانية أيام قسطنطين ابن قسطنطين باني القسطنطينية وكان هذا
الملك اريوسيا كابيه وكان من قول مقدنيوس هذا التوحيد المجرد وان عيسى
عليه السلام عبد مخلوق انسان نبى رسول كسائر الانبياء عليهم السلام وان عيسي
هو روح القدس وكلمة الله وان روح القدس والكلمة مخلوقان خلق الله كل
ذلك قال وكان منهم البربرانية وهم يقولون ان عيسى وامه الهان من دون
الله تعالى قال وهذه الفرق قد بادت وعمدتهم اليوم ثلاث فرق
وأعظمها فرق الملكانية وهى مذهب جميع ملوك النصارى حيث كانوا
حاشا الحبشة والنوبة ومذهب عامة أهل مملكة النصارى حاشا النوبة
والحبشة ومذهب جميع نصارى افريقية وصقلية والاندلس وجمهور

الشام وقولهم ان الله (تعالى الله عن قولهم) ثلاثة اشياء اب وابن وروح القدس كلها لم تزل وان عيسى اله تام كله وانسان تام كله ليس أحدهما غير الآخر وان الانسان منه هو الذى صلب وقتل وان الاله منه لم ينله شيء من ذلك وان مريم ولدت الاله والانسان وانهما معا شيء واحد ابن الله تعالى الله عن كفرهم. وقالت النسطورية مثل ذلك سواء بسواء الا انهم قالوا ان مريم لم تلد الاله وانما ولدت الانسان وان الله لم يلد الانسان وانما ولد الاله تعالى الله عن كفرهم وهذه الفرقة غالبة على الموصل والعراق وفارس وخراسان وهم منسوبون الى نسطور وكان بطريازكا بالقسطنطينية وقالت اليعقوبية ان المسيح هو الله نفسه وان الله تعالى عن عظيم كفرهم مات وصلب وقتل وان العالم بقى ثلاثة أيام بلا مدبر والفلك بلا مدبر ثم قام ورجع كما كان والله عاد محدثاً والمحدث عاد قديما وانه تعالى هو كان فى بطن مريم محمولا به وهم في اعمال مصر وجميع النوبة وجميع الحبشة وملوك الامتين المذكورتين ومن أعلم الناس بمقالاتهم من كان من علمائهم واسلم على بصيرة بعد الخبرة بكتبهم ومقالاتهم كالحسن بن أيوب الذى كتب رسالة الى أخيه على بن أيوب يذكر فيها سبب اسلامه ويذكر الادلة على بطلان دين النصارى وصحة دين الاسلام قال في رسالته الى أخيه لما كتب اليه يسأله عن سبب اسلامه بعد ان ذكر خطبته (ثم اعلمك ان ابتداء أمرى في الشك الذى دخلنى فيما كنت عليه والاستبشاع للقول به من اكثر من عشرين سنة لما كنت اقف عليه فى المقالة من فساد التوحيد لله عز وجل بما ادخل فيه من القول بالثلاثة الاقانيم وغيرها

مما تضمنته شريعة النصارى ووضع الاحتجاجات التى لا تزكو ولا تثبت في تنوير ذلك وكنت اذا تجرته وأجلت الفكر فيه بان لى عواره ونفرت نفسى من قبوله واذا فكرت في دين الاسلام الذى من الله علي به وجدت أصوله ثابتة وفروعه مستقيمة وشرائعه جميلة وأصل ذلك مالا يختلف فيه احد ممن عرف الله عز وجل منكم ومن غيركم وهو الايمان بالله الحى القيوم السميع البصير الواحد الفرد الملك القدوس الجواد العدل اله ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط واله عيسى وموسى وسائر النبيين والخلق اجمعين الذي لا ابتداء له ولا انتهاء ولا ضد ولا ند ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا الذى خلق الاشياء كلها لامن شيء ولاعلى مثال بل كيف شاء وبان قال لها كوني فكانت على ما قدر واراد وهو العليم القدير الرؤف الرحيم الذى لا يشبهه شيء وهو الغالب فلا يغلب والجواد فلا يبخل لا يفوته مطلوب ولا تخفى عليه خافية يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها فكل مذكور اوموهوم هومنه وكل ذلك به وكل له قانتون ثم نؤمن بان محمداً عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ونؤمن بموسى وعيسى وسائر الانبياء عليهم السلام لانفرق بين احد منهم ونؤمن بالتوراة والانجيل والزبور والقرآن وسائر الكتب التى انزلها الله تعالى على انبيائه وان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من فى القبور وان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين ذلك بما كسبت أيديهم وان الله ليس بظلام للعبيد) قال وكان

يحملني إلف ديني وطول المدة والعهد عليه والاجتماع مع الآباء والامهات والاخوة والاخوات والاقارب والاخوان والجيران واهل المودات على التسويف بالعزم والتلبث عن ابرام الامر ويعرض مع ذلك الفكر في امعان النظر والازدياد في البصيرة فلم ادع كتاباً من كتب انبياء التوراة والانجيل والزبور وكتب الانبياء والقرآن إلا نظرت فيه وتصفحته ولا شيئاً من مقالات النصرانية الا تاملته فلم أجد للحق مدفعاً ولا للشك فيه موضعاً ولا للاناة والتلبث وجهاً خرجت مهاجراً الى الله عز وجل بنفسي هاربا بديني عن نعمة وأهل ومستقر ومحل وعز ومتصرف في عمل فاظهرت ما أظهرته عن نية صحيحة وسريرة صادقة ويقين ثابت فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا اذ هدانا الله واياه نسال ان لايزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا وان يهب لنا منه رحمة انه هو الوهاب قال ولما نظرت في مقالات النصارى وجدت صنفاً منهم يعرفون بالاريوسية يجردون توحيد الله ويعترفون بعبودية المسيح عليه السلام ولايقولون فيه شيئاً مما يقوله النصارى من ربوبية ولا بنوة خاصة ولا غيرها وهم متمسكون بانجيل المسيح مقرون بما جاء به تلاميذه والحاملون عنه فكانت هذه الطبقة قريبة من الحق مخالفة لبعضه في جحود نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودفع ماجاء به من الكتاب والسنة قال ثم وجدت منهم صنفاً يعرفون باليعقوبية يقولون ان المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين إحداهما طبيعة الناسوت والاخرى طبيعه اللاهوت وان هاتين الطبيعتين تركبتا كما تركبت النفس مع البدن فصارتا انسانا واحداً وجوهراً واحداً وشخصاً واحداً وان هذه الطبيعة الواحدة والشخص الواحد

هو المسيح وهو اله كله وانسان كله وهو شخص واحد وطبيعة واحدة من طبيعتين وقالوا ان مريم ولدت الله تعالى الله عما يقولون وان الله مات والم وصلب متجسداً ودفن وقام من بين الاموات وصعد الى السماء تجاوزوا من القول بما لو عرض على السماء لانفطرت أو على الأرض لانشقت أو على الجبال لانهدت فلم يكن لمحاجة. هؤلاء وجه اذ كان كفرهم بما صرحوا به أوضح من ان يقع فيه الشك وكان غيرهم من النصارى كالملكية والنسطورية يشهدون بذلك عليهم قال ثم نظرت فى قول الملكية وهم الروم وهم أكثر النصارى فوجدتهم قالوا ان الابن الازلي الذي هو الله الكلمة تجسد من مريم تجسدا كاملا كسائر اجساد الناس وركب في ذلك الجسد نفساً كاملة بالعقل والمعرفة والعلم كسائر انفس الناس وانه صار انساناً بالنفس والجسد اللذين هما من جوهر الناس والهاً بجوهر اللاهوت كمثل أبيه لم يزل وهو انسان بجوهر الناسوت مثل ابراهيم وداود وهو شخص واحد لم يزد عدده وثبت له جوهر اللاهوت كما لم يزل وصح له جوهر الناسوت الذي ابسه من مريم وهو شخص واحد لم يزد عدده وطبيعتان ولكل واحد من الطبيعتين مشيئة كاملة فله بلاهوته مشيئة مثل الاب والروح وله بناسوته مشيئة مثل مشيئة ابراهيم وداود وقالوا ان مريم ولدت الها وان المسيح وهو اسم يجمع اللاهوت والناسوت مات وقالوا ان الله لم يمت والذي ولدت مريم قد مات بجوهر ناسوته فهو اله تام بجوهر لاهوته وانسان تام بجوهر ناسوته وله مشيئة اللاهوت ومشيئة الناسوت وهو شخص واحد لانقول شخصان لئلا يلزمنا القول باربعة أقانيم قال فهؤلاء اتوا من ذلك بمثل ما أتت اليعقوبية

فى ولادة مريم تعالى الله عما يقول الظالمون وقالوا ان المسيح وهو اسم لا تشك جماعة النصارى انه واقع على اللاهوت والناسوت مات وان الله لم يمت فكيف يكون ميت لم يمت وقائم قاعد فى حال واحدة . وهل بين المقالتين فرق الا مااختلفوا فيه من الطبائع قال ثم نظرت في قول النسطورية فوجدتهم قالوا ان المسيح شخصان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة وان طبيعة اللاهوت التي للمسيح غير طبيعة ناسوته وان طبيعة اللاهوت لما توحدت بالناسوت بشخصها الكلمة صارت الطبيعتان بجهة واحدة وارادة واحدة واللاهوت لايقبل زيادة ولانقصانا ولا يمتزج بشيء والناسوت يقبل الزيادة والنقصان فكان المسيح بتلك الها وانسانا فهو اله بجوهر اللاهوت الذى لايزيد ولاينتقص وهو انسان بجوهر الناسوت القابل للزيادة والنقصان وقالوا ان مريم ولدت المسيح بناسوته وان اللاهوت لم يفارقه قط منذ توحدت بناسوته قال فوجدنا اليعقوبية قد صرحوا بان مريم ولدت الله تعالى عما يصفه المبطلون ويقوله العادلون وانه الم وصلب ومات وقام بعد ثلاثة أيام من بين الموتى وهذا الكفر الذي تشهد به عليهم سائر ملل النصارى وغيرهم ووجدنا الملكية قد حادوا عن هذا التصريح الى ماهو دونه فى الظاهر فقالوا ان المسيح شخص واحد وطبيعتان فلكل واحد من الطبيعتين مشيئة فله بلاهوته مشيئة مثل الاب والروح وله بناسوته مشيئة كمشيئة ابراهيم وداود وأوهموا الواقف على قولهم انهم بما اخترعوه من هذا الاختيار قد فرقوا بين اللاهوت والناسوت ثم عادوا الى قول اليعقوبية فقالوا ان مريم ولدت الهاً وان المسيح وهو اسم يجمع اللاهوت والناسوت عند

جماعتهم لايشكون في ذلك مات بالجسد وان الله لم يمت والذي قد ولدته مريم قد مات بجوهر ناسوته فكيف يكون ميت لم يمت وهل بين المقالتين الا ما اختلفوا فيه من الطبايع فرق . او اذا كانوا قد اعترفوا بان مريم ولدت الله وان الذي ولدته مريم وهو المسيح الاسم الجامع للجوهرين للاهوت والناسوت قد مات فهل وقعت الولادة والموت وسائر الافعال التي تحكي النصارى انها فعلت بالمسيح الا عليهما فكيف يصح لذي عقل عبادة مولود من امرأة بشرية قد مات ونالته العلل والآفات . قلت ومما يوضح تناقضهم انهم يقولون ان المسيح وهو اللاهوت والناسوت شخص واحد واقنوم واحد مع قولهم انهما جوهران بطبيعتين ومشيئتين فيثبتون للجوهرين اقنوماً واحداً ويقولون هو شخص واحد ثم يقولون ان رب العالمين اله واحد وجوهر واحد وهو ثلاثة اقانيم فيثبتون للجوهر الواحد ثلاثة اقانيم وللجوهرين المتحدين اقنوماً واحداً مع ان مشيئة الاقانيم الثلاثة عندهم واحدة والناسوت واللاهوت يثبتون لهما مشيئتين وطبيعتين ومع هذا هما عندهم شخص واحد واقنوم واحد وهذا يقتضي غاية التناقض فسواء فسروا الاقنوم بالصفة أو الشخص أو الذات مع الصفة أو أي شيء قالوه وهو يبين ان الذين تكلموا بهذا الكلام ماتصوروا ما قالوه بل كانوا ضلالا جهالا بخلاف مايقوله الانبياء فانه حق فلهذا لايوجد عن المسيح ولا غيره من الانبياء مايوافق قولهم في التثليث والاقانيم والاتحاد ونحو ذلك مما ابتدعوه بغير سمع وعقل بل القوا أقوالاً مخالفة للشرع والعقل ثم قال الحسن بن أيوب ثم وجدنا النصارى المعروفين بالنسطورية قد خالفوا اليعقوبية

والملكية في قولهم بشخصين لهما مشيئة واحدة وان الطبيعتين اتحدتا فصارتا بجهة واحدة ثم عادوا الى شبيه قولهم في ان مريم ولدت المسيح فاذا كانت ولدت المسيح فقد لزمهم ووجب عليهم الاقرار بانها ولدت هذا اللاهوت والناسوت المتحدين وقد رجع المعنى الى قول اليعقوبية إلا انهم اختاروا لذلك الفاظاً زوقوها وقدروا بها التمويه على السامع ولم يصرحوا بالقول كتصريح اليعقوبية لان المتحد بالشيء هو الممازج له والمجتمع معـه حتى صار الذي مازجه وهو شيئاً واحداً ثم اكدوا القول باقرارهم ان الناسوت منذ اتحد باللاهوت لم يفارقه فالم يفارق الشيء هل هو الان يجري مجراه في سائر متفرقاته من ضر ونفع وخير وشر وحاجة وغنى . قال وأما قولهم ان مريم ولدت المسيح بناسوته فهذه اغلوطة والا فكيف يولد ولد متحد بشيء آخر مجامع له دون ذلك الشيء وكيف يكون ذاك وهم يقولون انه لم يفارقه قط وهل يصح هذا عند أهل النظر أو ليس الحكم عند كل ناظر ومن كل ذي عقل يوجب ان تكون الولادة واقعة على اللاهوت والناسوت معاً بمعنى الاتحاد وبمعنى الاسم الجامع للاهوت والناسوت وهو المسيح وكذلك الحمل بهما جميعاً وان يكون البطن قد حواهما قال فان لجوا في الباطل ودفعوا عن قبح هـذه المقالة ومالوا الى تحسينها بالتمويهات المشككة لمن قصرت معرفته فنحن نقيم عليهم شاهداً من أنفسهم لا يمكنهم دفعه وذلك ان شريعة ايمانهم التي الفها لهم رؤساؤهم من البطاركة والمطارنة والاساقفة والأحبار في دينهم وذوى العلم منهم بحضرة الملك عند اجتماعهم من آفاق الأرض بمدينة قسطنطينية

وكانوا ثلثمائة وثمانية عشر رجلا يصفون انهم أنطقوا بها بروح القدس وهى التى لم تختلف جماعتهم عند اختلافهم في المقالات فيها ولا يتم لهم قربان الا بها على هذا النسق الذي نبينه (نؤمن بالله الاب مالك كل شيء صانع مايرى وما لا يرى وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق كلها وليس بمصنوع اله حق من اله حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء الذي من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار انسانا وحبل به وولد من مريم البتول والم وصلب أيام فيطوس بن بيلاطوس ودفن وقام فى اليوم الثالث كما هو مكتوب وصعد الى السماء وجلس عن يمين أبيه وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الاموات والاحياء ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذى يخرج من أبيه روح محيئه وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قديسية سليحية جاثليقية وبقيامة أبداننا وبالحياة الدائمة الى أبد الآبدين) قال فهذه الشريعة مجتمع على الايمان بها وتبذل المهج فيها واخراج الانفس دونها جماهيرهم من الملكية واليعقوبية والنسطورية وقد اعترفوا فيها جميعاً بان الرب المسيح الذى هذه صفته على ماقصصناه منها الاله الحق من الاله الحق نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار انسانا وحبل به وولد من مريم البتول والم وصلب قال فهل فى هذا الاقرار شبهة أو علقة يتعلق بها المعنت المدافع عن الحجة فتدبروا هذا القول يامعشر النصارى فانه لايمكن أحداً منكم ان يخرج عنه ولا ان يدفع ما صرح به فانكم ان قلتم ان المقتول المصلوب هو الله

فمريم على قولكم ولدت الله سبحانه وتعالى عما يقولون وان قلتم انه انسان فمريم ولدت انسانا وفي ذلك أجمع بطلان شريعة إيمانكم فاختاروا أى القولين شئتم فان فيه نقض الدين • قال وقد يجب على ذوي العقول ان تزجرهم عقولهم عن عبادة اله ولدته مريم وهي امرأة آدمية ثم مكث علي الارض ثلاثين سنة تجرى عليه أحكام الآدميين من غذاء وتربية وصحة وسقم وخوف وامن وتعلم وتعليم لايتهيأ لكم ان تدعوا انه كان منه فى تلك المدة من أسباب اللاهوتية شيء ولاله من أحوال الآدميين كلها من حاجاتهم وضروراتهم وهمومهم ومحنهم وتصرفاتهم مخرج ثم أحدث بعد هذه المدة الطويلة ماأحدثه من اظهار أمر الله تعالى والنبوات والآيات الباهرة المعجزة بقوة الله تعالى وقد كان فى غيره من الانبياء مثلها وما هو أعلا منها فكانت مدته في ذلك أقل من ثلاث سنين ثم انقضى أمره بما يصفون انه انقضى به وينسبونه اليه من حبس وضرب وقذف وصلب وقتل فهل تقبل العقول مايقولون من ان الهاً نال عباده منه مثل ماتذكرون انه نيل منه .فان تأولتم ان ذلك حل بالجسم وليس بالقياس يحتمل ذلك لما شرحناه من معنى اتحاد اللاهوت به اقليس قد وقع بجسم توحدت اللاهوتية به وحلت الروح فيه وقد انخبه الله على ماتزعمون وتصفون لخلاص الخلق وفوض اليه القضاء بين العباد فى اليوم الذى تجتمع فيه الاولون والآخرون للحساب وقد وجدناكم تأثرون أخباراً فى قوم عرضوا التوابيت فيها شهداء لكم بان الايدى التى بسطت اليها جفت أوهل نال أحداً من الجزع والهلع والغم والقلق والتضرع الى الله في ازالة ماحل به مثل

ما يحكى في الانجيل انه ناله ووجدنا الكتب تنبئ بانه نيل من جورجيس أحد من كان على دين المسيح صلى الله عليه وسلم من العذاب الشديد بالقتل والحرق والنشر بالمناشير مالم يسمع بمثله في أحد من الخلق ونال خلقاً كثيراً من تلامذته أيضاً عذاب شديد وقيل لما كان الملوك يحاربون لهم يسومونهم اياه من الرجوع عن أديانهم الى الكفر الذى كان أولئك الملوك عليه فصبروا على ذلك واحتسبوا أنفسهم فلم يهربوا من الموت وقد كان يمكنهم الهرب من بلد الى بلد والاستتار واخفاء أشخاصهم وما أظهروا في حال من تلك الاحوال جزعا ولا هلعاً وهم بعض الآدميين التابعين له لانه خفف عنهم ما كانوا ينالون به بتأييد الله عز وجل اياهم . قال ثم نقول قولا آخر قد نستدل على صحة هذه الشريعة من سقمها باربعة أوجه لا يقع في شيء منها شك ولا طعن ولا زيادة ولا نقصان وهي أصل أمر المسيح عندكم فاولها البشرى التي أتى بها جبريل عليه السلام . والثانية قول يحيى بن زكريا الذى شهد له المسيح بانه لم تقم النساء عن مثله . والثالثة النداء المسموع من السماء . والرابعة قول المسيح عن نفسه حين سأله يحيى عن شأنه والذى قال جبريل على ما ثبت في انجيلكم لمريم حين بشرها السلام عليك أيتها الممتلئة نعما ربنا معك أيتها المباركة في النساء فلما رأته مريم ذعرت منه فقال لا ترهبي يا مريم فقد فزت بنعمة من ربك فها أنت تحبلين وتلدين ابنا وتسميه يسوع ويكون كبيراً ويسمى ابن الله العلي ويعطيه الله الرب كرسي أبيه داود ويكون ملكا على آل يعقوب الى الابد . فقالت مريم انى يكون لى ذلك ولم يمسسني رجل قال لها الملك ان روح القدس يأتيك أو قال

يحل فيك وقوة العلى تجالك من أجل ذلك يكون الذى يلد منك قديساً
ويسمى ابن الله العلى • قال فلم تر الملك قال لها ان الذى تلدين وهو
خالقك هو الرب كما سميتموه بل أزال الشك في ذلك بان قال ان الله الرب
يعطيه كرسى أبيه داود ويصطفيه ويكرمه وان داود النبى أبوه وانه
يسمى ابن الله وما قال أيضاً انه يكون ملكا على الارض وانما جعل
له الملك على بنى اسرائيل فقط وقد علمتم ان من يسمى بابن الله كثير
لايحصون فمن ذلك اقراركم بانكم جميعاً أبناء الله بالمحبة وقول المسيح
أبي وأبوكم والهى والهكم في غير موضع من الانجيل ثم تسمية الله
يعقوب وغيره بنيه خصوصاً فالسبيل فى المسيح اذا لم تلحقوه في هذا
الاسم بالجمهور ان يجرى فى هذه التسمية مجرى الجماعة الذين اختصوا
بها من الانبياء والابرار ونسبة الملك اياه الى أبيه داود تحقق ان اباه
داود وان التسمية الاولى على جهة الاصطفاء والمحبة وان حلول الروح
عليه على الجهة التي قالها متى التلميذ للشعب عن المسيح فى الانجيل لستم
أنتم متكلمين بل روح الله تأتيكم تتكلم فيكم. فاخبر ان الروح تحل فى
القوم أجمعين وتتكلم فيهم وقال الملك في بشارته لمريم بالمسيح عليه
السلام انه يكون ملكا على آل يعقوب فخص آل يعقوب بتملكه عليهم
دون غيرهم من الناس ولم يقل انه يكون الها للخلائق ومعنى قول جبريل
عليه السلام لمريم ربنا معك مثل معنى قول الله عز وجل لموسى وغيره
من الانبياء إني معكم فقد قال ليوشع ابن نون انى أكون معك كما
كنت مع موسى عبدى .فقول النصارى كلهم فى مجارى لغتهم ومعانى
ألفاظهم ان الله عز وجل وروح القدس مع كل خطيب

وراهب وفاضل في دينه على هذه السبيل قال • واما النداء الذي سمعه
يحيى بن زكريا من السماء في المسيح وشهادة يحيى له فان متى قال في انجيله
ان المسيح عليه السلام لما خرج من الأردن تفتحت له السماء فنظر
يحيى الى روح القدس قد نزلت على المسيح كهيئة حمامة وسمع نداء من
السماء ان هذا ابني الحبيب الذى اصطفيته وقد علمنا وعلمتم ان
المصطفى مفعول والمفعول مخلوق وليس يستنكف المسيح عليه السلام
من الاعتراف بذلك عن الاعتراف بذلك في كل كلامه وما زال يقول
الهى الهكم وابى ابيكم وكلما يصحح به انه عبد مرسل مربوب
مبعوث مامور يؤدى ماسمع ويفعل ماحد له ونحن نشرح هذا في
موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ثم قال وقد وجدنا المسيح
عليه السلام احتاج الى تكميل امره بعمودية يحيى له فصار اليه لذلك
وسأله اياه فليس مرتبة المقصود بدون مرتبة القاصد الراغب وقال لوقا
التلميذ في انجيله ان يحيى المعمداني ارسل الى المسيح بعد ان عمده
وسأله انت ذلك الذي تجيء او نتوقع غيرك ؟ فكان جواب المسيح لرسله ان
ارجعوا فاخبروه بما ترون من عميان يبصرون وزمن ينهضون وصم
يسمعون فطوبى لمن لم يغتر بى او يذل في امرى قال فوجدنا يحيى مع
محله وجلالة قدره عند الله عز وجل ثم ماشهد به المسيح له من انه
ماقامت النساء عن مثله قد شك فيه فاحتاج الى ان يسأله عن شانه ثم لم
يكن من جواب المسيح له بشيء مما تصفون من الربوبية ولا قال انى
خالقك وخالق كل شيء كما في شريعة ايمانكم بل حذر الغلط فى امره
والاغترار ولا كان من قوله اكثر مما ذكر انه اظهره بنبوته من هذه

الآيات التي يسبق الى مثلها اكثر الانبياء . قال ولا راينا يحيي زاد في وضعه اياه لما قرظه واعلاه ذكره مع تشككه في امره وحاجته الى مسالته عن حاله على ان قال هو اقوى مني واني لا استحق ان احل معقد خفه ولم يقل انه خالق وقد يقول الرجل الخير فيمن هو دونه مثل الذي قال يحيي فيه تواضعاً لله وخشوعا كما قال المسيح في يحيي انه ماقامت النساء عن مثله قال فتركتم ما اتت به الرسل والنبوات في المسيح وهو اصلكم الذي وقع عليه بناؤكم وجعلتم لانفسكم شريعة غيرها ومثل الذين عقدوا هذه الشريعة لكم مثل من آمن بنبوة رجل ينتفي من النبوة لان المسيح عليه السلام يقول انه مربوب مبعوث يقول جبريل انه مكرم مصطفى وان اباه داود وان الله جعله ملكا على آل يعقوب وينادي مناد من السماء بمثل ذلك ويشهد يحيي بن زكريا على مثله وتقولون بل هو خالق ازلي الا انه يستر نفسه ويقول المسيح وغيره ممن سمينا انه معطي وان الله معطيه وتقولون بل هو رازق النعم وواهبها ويقول ان الله ارسله وتقولون بل هو الذي نزل لخلاصنا وتعتقدون سبب نزوله من السماء انه اراد ان يخلصكم ويحتمل الخطيئة ويربط الشيطان فقد وجدنا الخلاص لم يقع والخطيئة قائمة لم تزل والشيطان اعتى ما كان لم يربط بل سلطه الله عليه على ماتقولون فحصره في الجبل اربعين يوماً يمتحنه وقال له في بعض احواله معه ان كنت ابن الله فقل لهذه الصخور تصير خبزاً فقال له المسيح مجيباً له انه مكتوب ان حياة الانسان لاتكون بالخبز بل بكل كلمة تخرج من الله ثم ساقه الشيطان الى مدينة بيت المقدس واقامه على قرنة الهيكل وقال له ان كنت ابن الله فارم

بنفسك من هاهنا فانه مكتوب ان الملائكة توكل بك لئلا تعثر رجلك بالحجر . قال يسوع ومكتوب ايضاً لاتجرب الرب الهك ثم ساقه الى جبل عال واراه جميع ممالكات الدنيا وزخارفها وقال له ان خررت على وجهك ساجدا لى جعلت هذا الذى ترى كله لك . قال له المسيح اغرب ايها الشيطان فانه مكتوب اسجد للرب الهك ولا تعبد شيئاً سواه ثم بعث الله عزّ وجل ملكا اقتلع العدو من مكانه ورمى به في البحر واطلق السبيل للمسيح وقال افلا يعلم من كان فى عقله ادنى مسكة ان هذا الفعل لايكون من شيطان الى إله ولو كان الهاً لازاله عن نفسه قبل ان يأتيه الملك من عند ربه ولما قال امرنا ان لانجرب الله وان نسجد للرب ولا نعبد شيئاً سواه وكيف لم يربط الشيطان عن نفسه قبل ان يربطه عن امته قال فهذه امور اذا تاملها المتامل قبحت جدا وكثر اختلافها واشتد تنقصها واضطرابها . قال ومما يعجب منه انكم تعتقدون الابن الازلى اتحد بالمسيح فصارا بجهة واحدة ولم يفارقه قط منذ اتحد به ومكث على ذلك في بطن امه تسعة اشهر ثم اقام مولودا وتغذى باللبن ومربوباً صبياً مغذى بالاغذية الى ان بلغ ثلاثين سنة لايظهر منه شيء من آلة الربوبية ولا امر يوجب هذا المحل ولا كان بينه وبين نظرائه من الآدميين فرق ولا سطع منه نور ولا ظهرت له سكينة ولا حفته الملائكة بالتهليل ولا الم به من الشعث بعد ذلك فوق ما كان من الانبياء قبله فقد كلم الله موسى من العوسجة كيف شاء فاشرق ماحولها نورا وكلمه من طور سيناء فاضطرمت فى الجبل النيران والتبس وجهه

النور الساطع حتى كان يتبرقع اذا جلس مع بنى اسرائيل بعد ذلك لانهم كانوا لا يستطيعون النظر اليه ثم سأل موسى ربه عز وجل لما قرب منه فقال رب ارنى انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق من صعقته استقال ربه فتاب عليه وتجلى مجد الله لجماعة من الانبياء فرأوا حول مجده ربوات الملائكة وقال داود يارب انك حيث عبرت ببلاد سينين تزلزلت الارض منك وانفطرت من هيبتك وقال أيضاً كالمخاطب للبحر والجبال والمتعجب منها مالك أيها البحر هاربا وأنت يانهر الاردن لم وليت راجعاً ومالك ايتها الجبال تنفرين كالابابيل وما لكن ايتها الشوامخ والهضبات تنزوان نزو الشياه ثم قال كالمجيب عنهم من قدام الرب تزلزلت البقاع قال فان كان المسيح هو الازلى الخالق او كان متحداً به فكيف لم ترجف بين يديه الجبال ولم تنصرف عن مشيئته الانهار والبحار أو كيف لم تظهر منه آيات باهرات أجل من آيات الانبياء قبله مثل المشى على متون الهوى والاضطجاع على اكناف الرياح والاستغناء عن المآكل والمشارب واحراق من قرب منه من الشياطين والجن كما احرق ايليا من قرب منه من جند أحاب الملك ويمنع الآدميين من نفسه وما فعلوا على زعمهم بجسمه ليعلم الناس انه خالقهم أو انه هيكل الخالق قال ووجدنا كم تقولون ان الابن انما يسمى ابن الله وكلامه لانه تولد من الاب وظهر منه فلم نقف على معنى ذلك لان شريعة ايمانكم تقول ان الروح أيضاً تخرج من الاب فان كان الامر كما تقولون فالروح أيضاً ابن لانها تخرج عن الله

تعالى وإلا فما الفرق بينهما . قال ولم نفهم ايضاً قولكم ان الابن تجسد من روح القدس وان روح القدس ساقه الى البر ليمتحنه الشيطان فما كانت حاجة الابن الى ان تكون الروح وهي في قولكم مثله تدبره وتغيره من حال الى حال او ما علمتم ان المغير السابق المدبر فاعل والمسبوق المدبر مفعول به فالابن اذا دون الروح وليس كمثله لان الازلي لا ينفك من الازلي وهو مثله . قال وان كان المسيح من روح القدس كما قال جبريل الملك لامه مريم فلم سميتموه كلمة الله وابنه ولم تسموه روحه فانما قال لها الملك ان الذى تلدين من روح القدس والروح غير الابن ولو كان المعنى واحدا لما قالت الشريعة انه تجسد من روح القدس وان روح القدس ساقه الى البر وان روح القدس نزل عليه ولم تثلثون به في ايمانكم فتقولون نؤمن بالاب والابن وروح القدس قال ووجدناكم تقولون أيتها النسطورية ان لله علماً وحكمة هما الابن وحياة هي الروح قديمين ولعلمه وحياته ذات كذات الله وذلك ان علم الله له علم وحياة ولحياته التي هي روحه علم وحياة وان الله الاب لما رأى استيلاء العدو على خلقه ونكول الانبياء عن مناواته أرسل اليه ابنه الفرد وحبيبه وجعله فداء ووقاء للناس أجمعين وان الله نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار انسانا ثم ولد ونشأ وعاش ثلاثين سنة يتقلب بين بني اسرائيل كواحد منهم يصلي في كنايسهم ويستن بسنتهم لا يدعى ديناً غير دينهم ولا ينتحل رسالة ولا نبوة ولا بنوة حتى اذا انقضت تلك السنون اظهر الدعوة وجاء بالآيات الباهرة والبراهين المشهورة فانكرته اليهود وقتلته وصلبته ثم صعد الى السماء . وصدقتم

بشريعة الايمان وكفرتم من خالفها ثم لم تلبثوا ان خلعتموها
وانسلختم منها وقلتم ان المسيح جوهران وأقنومان جوهر قديم وجوهر
حديث ولكل جوهر اقنوم على حياله وان الله جوهر قديم يقوم
بمعنيين فهو واحد يقوم بثلاثة معان وثلاثة لها معنى واحد كالشمس التي
هي شيء واحد ولها ثلاثة معان القرص والحر والنور فالمسيح هو الله
وهو مبعوث غير انه ليس يعبد فكان معنى قولكم هذا ان المسيح مولود
لكنه ليس مفعولا به وهو مبعوث مرسل لكنكم تستحيون ان تسموه
رسولا اذ كنتم لا تفرقون بين الله وبينه في شيء من الاشياء وأقبلتم
على الملكية واليعقوبية بالتكفير واللعن لقولهم ان الله والمسيح شيء واحد
ثم لم تلبثوا ان قدمتم المسيح على الله تبارك وتعالى وبدأتم به في التمجيد
ورفعتم اليه تهاليلكم ورغائبكم في أوقات القرابين خاصة وهي
اجل صلواتكم وافضل محافلكم عندكم فانه الامام منكم على المذبح من
مذابحكم واهله مرعوبون فتتوقعون نزول روح القدس بزعمكم من السماء
بدعائه فيفتتح دعاءه ويقول ليتم علينا وعليكم نعمة يسوع المسيح
ومحبة الله الاب ومشاركة روح القدس الى دهر الداهرين ثم يختم صلاته
بمثل ذلك فهذا تصريح بالشرك وتصغير لعظمة الله وعزته ان جعلتم النعم
والمواهب لمن هو دونه ومن هو معطى ومخول من عند الله على قولكم
وجعلتم لله بعد المسيح محبة ولروحه مشاركة. قال ووجدنا كم تنعيبم على
اليعقوبية قولهم ان مريم ولدت الله عز الله وجل عن ذلك وفي شريعة
الايمان التي بنيناها المجتمع عليها ان المسيح اله حق وانه ولد من مريم فما
معنى المنافرة وما الفرق وما تنكرون من قولهم ان المقتول المصلوب هو

الله عز الله وجل عن ذلك • وشريعة ايمانكم تقول نؤمن بالرب المسيح الذي من خبره وخاله الذى ولد من مريم وألم وصلب على عهد الملك بيلاطس النبطى ودفن وقام في اليوم الثالث أليس هذا اقراراً بمثل قولكم فتدبروا هذا القول يا أولى الالباب. فانكم ان قلتم ان المقتول المصلوب هو الله فان مريم عندكم ولدت الله • وان قلتم انه انسان فان مريم ولدت انساناً وبطلت الشريعة فاى القولين اخترتموه ففيه نقض دينكم ثم عبتم على الملكية قولهم انه ليس للمسيح الا أقنوم واحد لانه صار مع الازلي الخالق شيئاً واحداً لا فرق بينهما وقلتم بان له أقنومين لكل جوهر أقنوم على حياله ثم لم تلبثوا ان رجعتم الى مثل قولهم فقلتم ان المسيح وان كان مخلوقاً من مريم مبعوثاً فانه هيكل لابن الله الازلي ونحن لانفرق بينهما فاذا كان الامر عندكم على هذا فما تنقمون على الملكية وما معنى الافتراق وقد رجعتم في الاتحاد الى مثل قولهم ان هذا الامر تحار فيه الافهام • فان كانت الشريعة بمعنى الامانة عندكم حقاً فالقول ماقال يعقوب وذلك انا اذا ابتدأنا من الشريعة في ذكر المسيح ثم نسقنا المعاني نسقاً واحداً وانحدرنا فيها الى آخرها وجدنا القوم الذين ألفوها لكم قد صححوا ان يسوع المسيح هو ابن الله وهو بكر الخلائق كلها وهو الذي ولد من مريم ليس بمصنوع وهو اله حق من اله حق من جوهر أبيه وهو الذى اتقن العوالم وخالق كل شيء على يده وهو الذى نزل لخلاصكم فتجسد وحملته مريم وولدته وقتل وصلب فمن أنكر قول اليعقوبية لزمه ان ينكر هذه الشريعة التي تشهد بصحة قولهم وتلعن من ألفها. قال وانما أخذت تلك الطائفة يعنى الذين وضعوا

الامانة بكلمات وذكروا انهم وجدوها فى الانجيل مشكلات تأولت فيها
ماوقع بهواها وتركت مافى الانجيل من الكلام البين الواضح الذى
يشهد بعبودية المسيح وشهادته بذلك على نفسه وشهادة تلاميذه به
عليه فاخذت بالمشكل اليسير وجعلت له ما أحبت من التأويل والغت
الواضح الكثير الذى لايحتاج الى تأويل • قال فاما احتجاجكم بالشمس
وانها شيء واحد له ثلاثة معان وتشبيهكم ما يقولونه فى الثلاثة الاقانيم
بها فان ذلك تمويه لايصح لان نور الشمس لايحد بحد الشمس وكذلك
حرها لايحد بحد الشمس اذ كان حد الشمس جسما مستديراً مضيئاً
مسخناً دائراً في وسط الافلاك دوراناً دائما ولايتهيأ ان يحد نورها
وحرها بمثل هذه الصفة ولا يقال ان نورها أو حرها جسم مستدير
مضيء مسخن دائم الدوران ولو كان نورها وحرها شمساً حقاً من
شمس حق من جوهر الشمس كما قالت الشريعة فى المسيح انه اله حق
من اله حق من جوهر أبيه لكان ماقلتم له مثلا تاما والامر مخالف
لذلك فلا يشبهه ولا يقع القياس عليه والحجة منكم فيه باطلة. قال
ووجدنا كم تذكرون ان المسيح نزل من السماء فابطل بنزوله الموت
والآثام فان العجب ليطول من هذا القول واعجب منه من قبله ولم
يتفكر فيه وممن لم يستقبح ان يعتقد ديانة لله تبارك وتعالى على مثل
هذا القول المحال البائن عما تشهد به العقول وتنبيء به المشاهدة ويدعو
الناس اليها فما هو ببعيد من عقد ماهو إمحل وأبطل منها لانه ان كانت
الخطيئة بطلت بمجيئه فالذين قتلوه اذا ليسوا خاطئين ولا مأثومين لانه
لاخاطىء بعد مجيئه ولا خطيئة • وكذلك أيضاً الذين قتلوا حواريه

وأحرقوا أسفاره غير خاطئين وكذلك من يراه من جماعتكم منذ ذلك الدهر الى هذا الوقت يقتل ويسرق ويزني ويلوط ويسكر ويكذب ويركب كل مانهى عنه من الكبائر وغيرها غير خاطئين ولا مأثومين فمن جحد ذلك فليرجع الى التسبيحة التي تقرأ بعقب كل قربان وهو ان ياربنا الذي غلب بوجه الموت الطاغي • وفى الاخرى التي تقال في اليوم الجمعة الثانية من الفصح ان نخرنا بالصليب الذي بطل بهسلطان الموت وصرنا الى الامن والنجاة بسببه • وفي بعض التسابيح بصلوات ربنا يسوع المسيح بطل الموت وانطفأت فتن الشيطان ودرست آثارها فاى خطيئة بطلت ؟وأى فتنة لشيطان انطفئت؟أو أى أمر كان الناس عليه قبل مجيئه من المحارم والآثام تغير عن حالته • قال فاذا كان التمويه يقع فيما يلحقه كل أحد بالمعرفة والعيان فهو فيما أشكل من الامور وفعل بالتأويلات التى تأولها أولئك المتأولون أوقع • واذا كنتم قد قبلتم هذا المحال الظاهر الذى لاخفاء به عن الصبيان فانتم لما هو أعظم منه من المحال اقبل وهذا انجيلكم يكذب هذا القول حيث يقول المسيح فيه ما أكثر من يقول لي يوم القيامة ياسيدنا أليس باسمك أخرجنا الشيطان فاقول اغربوا عنى أيتها الفجرة الغاوون فما ان عرفتكم قط فهذا خلاف قول علمائكم ماقالوا ووضعهم لكم ماوضعوا ومثله قوله انى جامع الناس يوم القيامة عن ميمنتي وميسرتى وقائل لاهل الميسرة انى جعت فلم تطعموني وعطشت فلم تسقونى وكنت غريبا فلم تاووني ومحبوسا فلم تزوروني ومريضا فلم تعودونى فاذهبوا الى النار المعدة لكم من قبل تأسيس الدنيا . وأقول لاهل الميمنة فعلتم

في هذه الاشياء فاذهبوا الى النعيم المعد لكم من قبل تأسيس الدنيا فهل ادخل اولئك النار الا خطاياهم التى ركبوها وهل صار هؤلاء الى النعيم الا أعمالهم الجميلة التي قدموها بتوفيق الله اياهم فمن قال ان الخطيئة قد بطلت فقد بهت وخالف قول المسيح وكان هو من الكاذبين . قال ويا أيها القوم الذين هم اولوا الالباب والمعرفة حيث ينسبونه الى الربوبية وينحلونه اللاهوتية ويجعلونه خالق الخلق أجمعين وآلههم بماذا ساغ ذلك لكم وما الحجة فيه عندكم. هل قالت كتب النبوات فيه ذلك أو هل قاله عن نفسه أو قاله أحد عن تلامذته والناقلين عنه الذين هم عماد دينكم وأساسه ومن أخذتم الشرائع والسنن عنه ومن كتب الانجيل وبينه بل قد أفصح في كل الانجيل من كلامه ومخاطباته ووصاياه بما لا يحصى كثرة بانه عبد مثلكم ومربوب معكم ومرسل من عند ربه وربكم ومبدى ما أمر به فيكم وحكى مثل ذلك من أمره حواريوه وتلامذته ووصفوه لمن سأل عنه. وفي كلامهم بانه رجل جاء من عند الله عز وجل ونبي له قوة وفضل فتاولتم فى ذلك انه اخرج كلامه على معنى الناسوت ولو كان كما تقولون لافصح عن نفسه بانه اله كما أفصح بانه عبد ولكنه ما ذكره ولا ادعاه ولا ادعى اليه ولا ادعته له كتب الانبياء قبله ولا كتب تلامذته ولا حكي عنهم ولا أوجبه كلام جبريل الذى أداه الى مريم ولا قول يحيي بن زكريا ماقال قال فان قلتم انكم استدللتم على ربوبيته بانه أحيي الموتى وابراء الاكمه والابرص ومشى على الماء وصعد الى السماء وصير الماء خمرا وكثر القليل فيجب الآن ان ينظر الى كل من فعل من هذه الامور فملا

فجعله ربا والهاً والا فما الفرق • فمن ذلك ان كتاب سفر الملوك يخبران
الياس احي ابن الارملة وان اليسع احي ابن الاسرائيلية وان حزقيال
احي بشرا كثيرا ولم يكن أحد ممن ذكرنا باحيائه الموتى الهاً • واما ابراء
الاكمه فهذه التوراة تخبران يوسف ابرأ عين أبيه يعقوب بعد ان
ذهبت وهذا موسى طرح العصا فصارت حية لها عينان تبصر بهما
وضرب بها الرمل فصار قملا لكل واحدة منها عينان تبصر بهما
ولم يكن واحد منهم بذلك الهاً • وأما ابراءه الابرص فان كتاب سفر
الملوك يخبر بان رجلاً من عظماء الروم برص فرحل من بلده
قاصداً اليسع عليه السلام ليبرئه من برصه فأخبر الكتاب بان الرجل
وقف بباب اليسع أياما لايؤذن له فقيل لليسع ان ببابك رجلاً يقال له
نعمان وهو أجل عظماء الروم به برص وقد قصدك لتبرئه من مرضه
فان أذنت له دخل اليك فلم يأذن له وقال لرجل من أصحابه أخرج الى
هذا الرجل فقل له ينغمس فى الاردن سبع مرات فابلغ الرسول
نعمان ما أمره به اليسع ففعل ذلك فذهب عنه البرص ورجع قافلا الى
بلده فاتبعه خادم اليسع فاوهمه ان اليسع وجه به اليه يطلب منه مالا
فسر الرجل بذلك ودفع الى الخادم مالا وجوهراً ورجع فأخفى ذلك
وستره ثم دخل الى اليسع فلما مثل بين يديه قال له تبعت نعمان واوهمته
عنى كذا وكذا وأخذت منه كذا وأخفيته في موضع كذا اذ فعلت الذي
فعلت به فليصر برصه عليك وعلى نسلك فبرص ذلك الخادم على المكان
قال فهذا اليسع قد ابرأ ابرص وأبرص صحيحاً وهو أعظم مما فعل
المسيح عليه السلام فلم يكن فى فعله ذلك الهاً • قال وأما قولكم انه مشى

على الماء فان كتاب سفر الملوك يخبر بان الياس عليه السلام صار الى الاردن ومعه اليسع تلميذه فاخذ عمامته فضرب بها الاردن فاستيبس له الماء حتى مشى عليه هو واليسع ثم صعد الى السماء على فرس من نور واليسع يراه ودفع عمامته الى اليسع فلما رجع اليسع الى الاردن ضرب بها الماء فاستيبس له حتى مشى عليه راجعاً ولم يكن واحد منهما بمشيه على الماء الهاً ولا كان الياس بصعوده الى السماء الهاً . قال وأما قولكم انه صير ماء خمراً فهذا كتاب سفر الملوك يخبر بان اليسع نزل بامرأة اسرائيلية فاضافته وأحسنت اليه فلما أراد الانصراف قال لها هل لك من حاجة ؟ فقالت المرأة يانبي الله ان على زوجي ديناً قد فدحه فان رأيت ان تدعو الله لنا بقضاء ديننا فافعل . فقال لها اليسع اجمعي كل ماعندك من الآنية واستعيري من جيرانك جميع ماقدرت عليه من آنيتهم ففعلت ثم أمرها فملأت الآنية كلها ماء فقال اتركيه ليلتك هذه ومضى من عندها فاصبحت المرأة وقد صار ذلك الماء كله زيتاً فباعوه فقضوا دينهم . وتحويل الماء زيتاً أبدع من تحويله خمراً ولم يكن اليسع بذلك الهاً وأما قولكم المسيح عليه السلام كثر القليل حتى أكل خلق كثير من أرغفة يسيرة فان كتاب سفر الملوك يخبر بان الياس نزل بأمرأة ارملة وكان القحط قد عم الناس وأجدبت البلاد ومات الخلق ضراً وهزلا وكان الناس فى ضيق فقال للارملة هل عندك من طعام ؟ فقالت والله ماعندى الا كف من دقيق في قلة أردت ان أخبزه لطفل لى وقد ايقنا بالهلاك لما الناس فيه من القحط . فقال لها احضريه فلا عليك فاتته به فبارك عليه فمكث عندها ثلاث سنين وستة أشهر تأكل هى

وأهلها وجيرانها منه حتى فرج الله عن الناس فقد فعل الياس في ذلك اكثر مما فعل المسيح لان الياس كثر القليل وادامه والمسيح كثر القليل في وقت واحد ولم يكن الياس بفعله هذا الها . قال فان قلتم ان هولاء الانبياء ليس لهم صنع في هذه الافعال وان الصنع فيها والقدرة لله عز وجل اذ كان هو الذى أجراها على أيديهم فقد صدقتم ونقول لكم أيضاً كذلك المسيح ليس له صنع فيما ظهر على يديه من هذه الاعاجيب اذ كان الله هو الذي أظهرها على يديه فما الفرق بين المسيح وسائر الانبياء وما الحجة في ذلك. قال وان قلتم ان الانبياء كانت اذا أرادت ان يظهر الله على أيديهم آية تضرعت الى الله ودعته وأقرت له بالربوبية وشهدت على انفسها بالعبودية. قيل لكم وكذلك سبيل المسيح سبيل سائر الانبياء قد كان يدعو ويتضرع ويعترف بربوبية الله ويقر له بالعبودية فمن ذلك ان الانجيل يخبر بان المسيح أراد ان يحيي رجلا يقال له العازر فقال يا أبي أدعوك كما كنت أدعوك من قبل فتجيبني تستجيب لي وانا ادعوك من أجل هؤلآء القيام ليعلموا وقال بزعمكم وهو على الخشبة الهي الهي لم تركتني وقال يا أبي اغفر لليهود مايعملون فانهم لايدرون مايصنعون. وقال في انجيل متى يا أبي احمدك وقال يا ابي ان كان بد ان يتعداني هذا الكاس ولكن ليس كما أريد انا فلتكن مشيئتك. وقال أيضاً انا أذهب الى الهي الذى هو أعظم مني . وقال لا أستطيع ان أصنع شيئاً ولا افكر فيه الا باسم الهي. وقال يعني نفسه لاينبغي للعبد ان يكون أعظم من سيده ولا للرسول ان يكون أعظم ممن أرسله. وقال ان الله لم يلد ولم يولد ولم يأكل ولم يشرب ولم ينم ولم

يره أحد من خلقه ولا يراه أحد الا مات . والمسيح قد اكل وشرب وولد ورآه الناس فما ماتوا من رؤيته ولا مات أحد منهم وقد لبث فيهم ثلاثا وثلاثين سنة . قلت وعامة ما ذكره هذا عن الكتب تعترف به النصارى لكن بعضهم ينازعه في يسير من الالفاظ فنازعه هنا في قوله لا ينبغي للعبد ان يكون أعظم من سيده وقال هذا انما قاله المسيح للحواريين وذكر انه لا يعرف عنه لفظ لم يلد ولم يولد ولم يأكل ولم يشرب قال وقال في انجيل يوحنا انكم متى رفعتم ابن البشر فحينئذ تعلمون اني انا هو وشيء من قبل نفسي لا افعل ولكن كل شيء كالذي علمني ابي . وقال في موضع آخر من عند الله أرسلت معلماً وقال لأصحابه اخرجوا بنا من هذه المدينة فان النبي لا يجل في مدينته واخبر الانجيل ان امرأة رات المسيح فقالت انك لذلك النبي الذي كنا ننتظر مجيئه فقال لها المسيح صدقت طوبي لك . وقال لتلامذته كما بعثني ابي كذلك ابعث بكم قال فاعترف بانه نبي وانه مألوه ومربوب ومبعوث وقال لتلامذته ان من قبلكم وآواكم فقد قبلني ومن قبلني فانما يقبل من ارسلني ومن قبل نبياً باسم نبي فانما يفوز باجر من قبل النبي . فبين ههنا وفي غير موضع انه نبي مرسل وان سبيله مع الله سبيلهم معهم . وقال متى التلميذ في انجيله يستشهد على المسيح بنبوة أشعيا عن الله عز وجل هذا عبدي الذي اصطفيته وحبيبي الذي ارتاحت اليه نفسي انا واضع روحي عليه ويدعو الامم الى الحق فلن يحتاج الى حجة أوضح من هذا القول الذي جعلتموه حجة لكم فقد أوضح الله أمره وسماه عبداً واعلم انه يضع عليه روحه ويؤيده بها كما أيد سائر الانبياء بالروح فاظهروا الآيات

المذكورة عنهم وهذا القول يوافق مابشر به جبريل الملك مريم حين ظهر لها وقال القول الذي سقناه في صدر كتابنا قال وقال يوحنا التلميذ في الانجيل عن المسيح عليه السلام ان كلامى الذى تسمعون هو كلام من أرسلنى وقال في موضع آخر ان أبي أجل وأعظم منى وقال أيضاً كما أمرنى أبي كذلك افعل انا انا الكرم وأبي هو الفلاح وقال يوحنا كما للاب حياة فى جوهره فكذلك أعطى الابن ان تكون له حياة فى قنومه قال فالمعطى خلاف المعطى لامحالة والفاعل خلاف المفعول قال وقال المسيح فى انجيل يوحنا انى لو كنت أنا الشاهد لنفسي على صحة دعواي لكانت شهادتى باطلة لكن غيرى يشهد لي فانا أشهد لنفسي ويشهد لى أبي الذي أرسلني وقال المسيح لبنى اسرائيل تريدون قتلى وأنا رجل قلت لكم الحق الذي سمعت الله يقوله قال وقال في الرجل الذي أقامه من الموتى ياأبى أشكرك على استجابتك دعائى واعترف لك بذلك واعلم انك كل وقت تجيب دعوتي لكن أسألك من أجل هذه الجماعة ليؤمنوا بانك أنت أرسلتنى قال فاي تضرع واقرار بالرسالة والمسألة والطلب للاجابة من الله عز وجل أشد من هذا أو أكثر قال وقال فى بعض مخاطبته لليهود وقد نسبوه الى الجنون أنا لست بمجنون ولكن أكرم أبي ولا أحب مدح نفسى بل مدح أبي لانى أعرفه ولو قلت انى لااعرفه لكنت كذابا مثلكم بل أعرفه واتمسك بأمره قال وقال داود فى مزمور مائة وعشرة قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لرجليك ، عصا العظمة تبعث الرب من صهيون وتبسط على اعدائك شعبك يامسيح يوم الرعب في بهاء القدس من

البدى • اليوم ولدتك ياصبي عهد الرب ولا تكذب انك أنت الكاهن المؤيد يشبه ملكيزداق(١) قال فهذه مخاطبة ينسبونها الى اللاهوت وقد ابان داود في مخاطبته ان لربه الذى ذكره ربا هو اعظم منه واعلى اعطاه ما حكيناه ومنحه ذلك وشهد عليه ان عصا العظمة تبعث ربه هذا من صهيون وسماه صبياً محققاً لقوله الأول اليوم ولدتك ونسقاً على اول كلامه وهو ربه ووصف انه الكاهن المؤيد الذى يشبه ملكيزداق قلت قالوا وهذا الكاهن هو الذى ذكره فى التوراة ان الخليل اعطاه القربان واذا كان المسيح مشبها به مع تسميته كاهنا كان ذلك من اعظم الادلة على انه مخلوق قال فاما قوله من البدى. ولدتك فهو يشبه قول داود تبنى على نفسه من البدى ذكرتك وهديت كل اعمالك وبعضهم يقول لفظ النص ان الرب يبعث عصاه من صهيون قال وقال شمعون الصفا رئيس الحواريين في الفصل الثانى من قصصهم يارجال بنى اسرائيل اسمعوا مقالتى ان يسوع النصرى رجل ظهر لكم من عند الله بالقوة والايدى والعجائب التى اجراها على يديه وانكم اسلمتموه وقتلتموه فاقام الله يسوع هذا من بين الاموات. قال فأى شهادة ابين واوضح من هذا القول وهو اوثق التلاميذ عندكم يخبر كما ترون ان المسيح رجل وانه من عند الله وان الآيات التي ظهرت منه بأمر الله اجراها على يديه وان الذى بعثه من بين الموتى هو الله عز وجل قال وقال ايضاً في هذا الموضع اعلموا ان الله جعل يسوع الذى قتلتموه رباً ومسيحاً قال فهذا القول يزيل تأويل من لعله ان يتاول في الفصل

(١) قال ابو نصر ملكيزداق وهو حبر عظيم من احبار بنى اسرائيل

الاول انه اراد بقوله الناسوت لانه يقول ان الله جعله ربا ومسيحاً والمجعول مخلوق مفعول قال ابو نصر وانما سمي ناصري لان امه كانت من قرية يقال لها ناصره في الاردن وبها سميت النصرانية . قال وقد سمى الله جل ثناؤه يوسف ربا قال داود فى مزمور مائة وخمسة وللعبودية بيع يوسف وشدوا بالكبول رجليه وبالحديد دخلت نفسه حتى صدقت كلمته قول الرب جربه بعث الملك فخلاه وصيره مسلطاً على شعبه ورباً على بنيه ومسلطاً على فتيانه وقال لوقا فى آخر انجيله ان المسيح عرض لعملوقا ولوقا تلميذه جبريل فى الطريق وهما محزونان فقال لهما وهما لايعرفانه ما بالكما محزونين ؟ فقالا كانك انت وحدك غريب بيت المقدس اذ كنت لاتعلم ماحدث فيها فى هذه الايام من امر يسوع الناصرى فانه كان رجلا نبيا قويا في قوله وفعله عند الله وعند الامة أخذوه وقتلوه . على قولهم فيه . قال فهذا قوله واقوال تلاميذه قد تركتموها وعقدتم على بدع ابتدعها لكم اولوكم تؤدى الى الضلالة والشرك بالله جل ثناؤه . وقال داود في المزمور الثاني في زبوره مخاطبا لله ومثنيا على المسيح من الرجل الذي ذكرته والانسان الذى امرته وجعلته دون الملائكة قليلا والبسته المجد والكرامات؟ وقال فى المزمور الثانى قال لى الرب انت ابنى وانا اليوم ولدتك سلنى فاعطيك فقوله ولدتك دليل على انه حديث غير قديم وكل حادث فهو مخلوق ثم اكد ذلك بقوله اليوم فحد باليوم حداً لولادته أزال به الشك في انه ما كان قبل اليوم ودل بقوله سلنى فاعطيك على انه محتاج الى المسالة غير مستغن عن العطية قال فهذا ماحضرنا من الآيات فى تصحيح خلق المسيح

وعبوديته وبطلان مايدعونه من ربوبيته ومثله كثير في الانجيل لايحصى فاذا كانت الشهادات منه على نفسه ومن الأنبياء عليه ومن تلاميذه بمثل ماقد بيناه في هذا الكتاب وانما اقتصرنا على الاحتجاج عليكم من كتبكم فما الحجة فيما تدعونه له ومن اى جهة اخذتم ذلك واخترتم الكلام الشنيع الذى يخرج عن المعقول وتنكره النفوس وتنفر منه القلوب الذى لايصح بحجة ولاقياس ولا تاويل على القول الجميل الذى تشهد به العقول وتسكن اليه النفوس وتشاكل عظمة الله وجلاله • قال واذا تاملتم كل مابيناه تامل انصاف من انفسكم واشفاق عليها علمتم انه قول لايحتمل ان يتاول فيه للناسوت شيئا دون اللاهوت • قال فان قلتم انه يثبت للمسيح البنوة بقوله ابى وابيكم ويا ابي وبمثنى ابى • قلنا فان كان الانجيل انزل على هذه الالفاظ لم تبدل ولم تغير فان اللغة قد اجازت ان يسمى الولى ابنا وقد سماكم الله جميعا بنيه وانتم لستم فى مثل حاله ومن ذلك ان الله عز وجل قال لاسرائيل فى التوراة انت ابنى بكرى وقال لداود فى الزبور انت ابنى وحبيبى وقال المسيح في الانجيل للحواريين اريد ان اذهب الى ابى وابيكم والهى والهكم فسمى الحواريين ابناء الله واقر بان له الها هو الله ومن كان له إله فليس باله كما تقولون فان زعمتم ان المسيح انما استحق الالهية بان الله سماه ابنا فلنلتزم ذلك ونشهد بالالهية لكل من سماه الله ابنا والا فما الفرق؟ قال فان قلتم ان اسرائيل وداود ونظراءهم انما سموا ابناء لله على جهة الرحمة من الله لهم والمسيح ابن الله على الحقيقة تعالى الله عن ذلك • قلنا يجوز لمعارض ان يعارضكم فيقول لكم ماتنكرون ان يكون اسرائيل وداود

ابن الله على الحقيقة والمسيح ابن رحمة وما الفرق ؟ فان قلتم ان الفرق بين المسيح وسائر الانبياء من قبل ان المسيح جاء الى مقعد فقال له قم فقد غفرت لك فقام الرجل ولم يدع الله فى ذلك الوقت • قلنا لكم هذا الياس أمر السماء ان تمطر فمطرت ولم يدع الله في ذلك الوقت وكذلك اليسع أمر نعمان الرومى بان يغتمس فى الاردن من غير دعاء ولا تضرع على انا قد وجدناه فى الانجيل قد تضرع وسال مسائل قد تقدم ذكرها وقال في بعض الانجيل يا أبي أشكرك على استجابتك دعائي واعلم انك فى كل وقت تجيب دعوتي لكن أسألك من أجل هذه الجماعة ليؤمنوا بانك أنت أرسلتنى • فان قلتم ان الغفران من الله عز وجل وان المسيح قال لبعض بنى اسرائيل قم فقد غفرت لك والله هو الذى يغفر الذنوب • قلنا فقد قال الله في السفر الخامس من التوراة لموسى أخرج انت وشعبك الذى أخرجت من مصر وانا اجعل معكم ملكا يغفر ذنوبكم • فان زعمتم ان المسيح اله لانه غفر ذنوب المقعد فالملك اذا اله لانه يغفر ذنوب بنى اسرائيل والا فما الفرق • فان قلتم ان الفرق بين المسيح وسائر الانبياء من قبل ان الله سماه رباً فقال ابن البشر رب السبت • قلنا فهذه التوراة تخبر بان لوطاً عليه السلام لما رأى الملكين قد أقبلا من البرية لهلاك قومه قال لهما ياربي ميلا الى منزل عبدكما وقد تقدم لنا الاحتجاج فى هذا الكتاب ذكرنا من سمي فى الكتاب رباً من يوسف وغيره فان كان المسيح الهاً لانه سمي رباً فهؤلاء اذا الهة لانهم سموا بمثل ذلك • فان قلتم ان الانبياء قد نبت على الهية المسيح فقال اشعيا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعى اسمه عمانويل وتفسيره

معنا الهناء . قلنا قيل ان هذا اسم يعاره السيد الشريف من الناس وان كان الله عز وجل المنفرد بمعنى الالهية جل ثناؤه فقد قال الله في التوراة لموسى عليه السلام قد جعلتك لهارون إلهاً وجعلته لك نبياً وقال في موضع آخر قد جعلتك ياموسى الهاً لفرعون وقال داود فى الزبور لمن كانت عنده حكمة كلكم آلهة ومن العلية تدعون . فان قلتم ان الله عز وجل جعل موسى الهاً لهارون على معنى الرياسة عليه . قلنا وكذلك قال اشعيا فى المسيح انه اله لامته على هذا المعنى والا فما الفرق فان قلتم ان المسيح قد قال فى الانجيل من رآنى فقد رأى أبى وانا وأبى واحد . قلنا ان قوله اناوأبى واحد انما يريد به ان قبولكم لامرى هو قبولكم لامر الله كما يقول رسول الرجل انا ومن أرسلنى واحد ويقول الوكيل انا ومن وكلنى واحد لانه يقوم فيما يؤديه مقامه ويؤدى عنه ما أرسله به ويتكلم بحجته ويطالب له بحقوقه وكذلك قوله من رآني فقد رأى أبي يريد بذلك ان من رأى هذه الافعال التي أظهرها فقد رأى افعال ابى . فان قلتم ان المسيح قد قال فى الانجيل انا قبل ابراهيم فكيف يكون قبل ابراهيم وانما هو من ولده ولكن لما قال قبل ابراهيم علمنا ما أراد انه قبل ابراهيم من جهة الالهية . قلنا هذا سليمان ابن داود يقول فى حكمته انا قبل الدنيا وكنت مع الله حيث بدأ الارض فما الفرق بينه وبين من قال ان سليمان بن الله وانه انما قال انا قبل الدنيا بالالهية وقد قال داود أيضاً في الزبور ذكرتك من البدء يارب فى البدء وهديت بكل أعمالك . فان قلتم ان كلام سليمان بن داود متأول لانهما من ولد اسرائيل وليس يجوز ان يكونا قبل الدنيا . قلنا

وكذلك قول المسيح انا قبل الدنيا متأول لانه من ولد ابراهيم ولايجوز
ان يكون كان قبل ابراهيم فان تأولتم تأولنا وان تعلقتم بظاهر الخبر
فى المسيح تعلقنا بظاهر الخبر في سليمان وداود والا فما الفرق وقد قدمنا
هذا الاحتجاج على تأويلكم لتعلموا بطلان ماذهبتم اليه على انه تأويل
غير واقع لحقه وانما حقه ان يكون هذا الاسم يعنى عمانويل لما وقع
على المسيح كان معناه انه أخبر عن نفسه بان الهنا معنا يعني ان الله معه
ومع شعبه معيناً وناصراً • ومما يصحح ذلك انكم تتسمون به ولو كان
المعنى ماذهبتم اليه لما جاز لاحد ان يتسمى به كما لم يجز ان يتسمى
بالمسيح لانه مخصوص بمعناه • فان قلتم ان تلاميذ المسيح كانوا يعملون
الآيات باسم المسيح • قلنا لكم فقد قال الله جل ثناؤه ليحيي بن
زكريا قد أيدتك بروح القدس وبقوة الياس وهي قوة تفعل
الآيات فاضاف القوة الى الياس • فان زعمتم ان المسيح اله لانه
فعلت الآيات باسمه فما الفرق بينكم وبين من قال ان الياس اله
فانه فعلت بقوته الآيات • فان قلت ان الخشبة التي صلب عليها
المسيح على زعمكم الصقت بميت فعاش وان هذا دليل على انه اله
قلنا لكم فما الفرق بينكم وبين من قال ان اليسع اله واحتج فى
ذلك بان كتاب سفر الملوك يخبر بان رجلا مات فحمله اهله الى المقبرة
فلما كانوا بين القبور رأوا عدواً يريد انفسهم فطرحوا الميت عن
رقابهم وبادروا الى المدينة وكان الموضع الذى القوا عليه الميت قبر اليسع
فلما أصاب ذلك الميت تراب قبر اليسع عاش وأقبل يمشى الى المدينة
فان زعمتم ان المسيح اله لان الخشبة التى ذكروا انه صلب عليها الصقت

بمبت فماش فالمسيح اله لان تراب قبره لصق بمبت فماش فان قلتم ان المسيح كان من غير فحل . قلنا لكم قدكان كذلك وليس أعجوبة الولادة توجب الالهية ولا الربوبية لان القدرة في ذلك للخالق تبارك وتعالى لا للمخلوق وعلى انه يوجدكم . لان حوا خلقت من فحل بلا انثى وخلق انثى من ذكر بلا انثى أعجب من ذكر من انثى بغير ذكر واعجب من ذلك ان آدم خلقه الله من تراب وخلق بشر من تراب اعجب وابدع من خلق ذكر من انثى بلا فحل فما الفرق . قال وهذه الاسباب التي ذكرناها كلها هي الاسباب التي تتعلقون بها في نحلتكم المسيح الربوبية واضافتكم اليه الالهية وقد وصفناها على حقائقها عندكم وقبلنا فيها قولكم وان كنا لا نشك في ان أهل الكتب قد حرفوا بعض مافيها من الكلام عن مواضعه وأوجدناكم بطول ماتنتحلونه وفساد ما تتأولونه من الكتب التي في أيديكم التوراة والزبور والانبياء والانجيل فما الذي يثبت الحجة بعد ذلك لكم ؛ قال وقد قال السيد المسيح في الانجيل لتلاميذه لما سألوه عن الساعة والقيامة ان ذلك اليوم وتلك الساعة لايعرفه أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن أيضاً ولكن الاب وحده يعرفه قال فهذا اقرار منه بانه منقوص العلم وان الله تبارك وتعالي أعز وأعلم منه وانه خلافه واعلا منه وقد بين بقوله احد عمومه بذلك الخلق جميعاً ثم قال ولا الملائكة وعندهم من علم الله ما ليس عند أهل الارض ثم قال ولا الابن وله من القوة ماليس لغيره وشهد قوله هذا شهادة واضحة عليه بانه لايعلم كل مايعلمه الله بل ماعلمه الله إياه وأطلعه على معرفته وجعله له وانه لقصور معرفته بكل

الاشياء ليس بحيث يصفونه من الربوبية وانه هو الله ومن جوهر أبيه
تعالى الخالق لكل شيء علواً كبيراً ولو كان الهاً كما يقولون لعلم مايعلمه
الله من سائر الاشياء وسرائر الامور وعلانيتها اذ كان هذا المعنى ليس
من الكلام الذي اذا سئلتم عنه تعلقتم بانه قيل للناسوت دون اللاهوت
قلت مقصوده بذلك انه صرح بانه لايعلمه أحد ثم خص الملائكة
بالذكر لئلا يظن ان أحداً منهم يعلمه فقال ولا الملائكة الذين في السماء
ثم قال ولا الابن يعرفه وان الاب وحده يعرفه فنفى معرفة الابن
واثبت ان الاب وحده يعرفه ومراده بالابن المسيح فعرف ان المسيح
لايعرفه واثبت ان الرب يعرفه دون الابن ودل ذلك على ان لفظ
الابن عند المسيح انما يراد بها الناسوت وحده اذ كان لايجوز نفي العلم
عن اللاهوت فان اللاهوت يعلم كل شيء وقد دل ذلك على ان قوله
عمدوا الناس باسم الاب والابن المراد به الناسوت وحده كما اريد بلفظ
الابن في سائر كلامه وكلام غيره لم يرد قط أحد منهم بلفظ الابن
اللاهوت بل اطلاق الابن على اللاهوت مما ابتدعته النصارى وحملوا
عليه كلام المسيح فابتدعوا لصفات الله اسماء ما انزل الله بها من سلطان
وحملوا عليها كلام المسيح وانما يحمل كلام الانبياء عليهم السلام وغيرهم
على معنى لغتهم التي جرت عادتهم بالتكلم بها لا على لغة يحدثها من
بعدهم ويحمل كلامهم عليها . قلت فان هذا الذي فعلته النصاري
واشباههم يفتح باب الالحاد في كتب الله المنزلة وقد قال تعالى (ان
الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا افمن يلقى في النار خير ام من
يأتي آمنا يوم القيامة) وذلك ان كل من اعتقد معاني برأيه يمكنه ان يعبر

عنها بالفاظ تناسبها بنوع مناسبة وتلك الالفاظ موجودة في كلام الانبياء عليهم السلام لها معان اخر وتجعل تلك الالفاظ دالة على معانيه التي راها ثم يحمل الالفاظ التي تكلمت بها الانبياء وجاءت بها الكتب الالهية أرادوا بها معانيه هو وهكذا فعل سائر أهل الالحاد في سائر الكتب الالهية كما فعلته النصارى مثل ماعمدت الملاحدة المتبعون لفلاسفة اليونان القائلون بان هذه الافلاك قديمة أزلية لم تزل ولا تزال وان الله لم يتكلم بالتوراة ولا غيرها من الكتب الالهية ولا هو عالم بالجزئيات لا بموسى بن عمران ولا بغيره ولا هو قادر أن يفعل بمشيئة ولا يقيم الناس من قبورهم فقالوا خلق واحدث وفعل وصنع ونحو ذلك يقال على الاحداث الذاتي والاحداث الزماني فالاول هو ايجاب العلة لمعلولها المقارن لها في الزمان والثاني ايجاد الشيء بعد ان لم يكن ثم قالوا ونحن نقول ان الله خلق السموات والارض وما بينهما واحدث ذلك وابدعه وصنعه كما اخبرت بذلك الانبياء عليهم السلام لكن مرادهم بذلك الاحداث الذاتي وهو ان ذلك معلول له لم يزل معه . فيقال لهم لم يستعمل احد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بل ولا أحد من سائر الامم لفظ الخلق والاحداث الا فيما كان بعد عدمه وهو ما كان مسبوقاً بعدمه ووجود غيره ومعنى هذا اللفظ معلوم بالاضطرار في جميع لغات الأمم وأيضاً فاللفظ المستعمل في لغة العامة والخاصة لا يجوز ان يكون معناه مالا يعرفه الا بعض الناس وهذا المعنى الذى يدعونه لو كان حقاً لم يتصوره الا بعض الناس فلا يجوز ان يكون اللفظ العام الذي تداوله العامة والخاصة موضوعا له اذ كان هذا يبطل مقصود اللغات ويبطل

تعريف الأنبياء للناس فكيف وهو باطل في صريح المعقول كما هو باطل في صحيح المنقول فانه لم يعرف ان أحداً قط عبر عن القديم الازلي الذي لم يزل موجوداً ولا يزال بانه محدث أو مخلوق أو مصنوع أو مفعول فهذا الذي ذكرتموه كذب صريح على الأنبياء عليهم السلام لتوهموا الناس انكم موافقون لهم والكتب الالهيه كالتوراة والقرآن مصرحة بأن الله خالق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام والقديم الازلي لايكون مخلوقا فى ستة أيام وكذلك الكتب الالهية كالتوراة والقرآن قد أخبرت بتكليم الله لموسى وبندائه اياه من الطور من الشجرة وفي التوراة انها شجرة العليق وأخبرت بأن موسى عليه السلام كان يلقى عصاه فتصير حية تسعى ويخبر بان الله فلق له البحر فقال الملاحدة ان الشيء الثابت يسمى طوراً فانه ثابت كالجبل والقلوب تسمى أودية واظهار العلوم بتفجير ينابيع العلم والحجة المبتلعة كلام أهل الباطل هى عصا معنوية فمراد الكتب بالطور العقل الفعال الذى فاض منه العلم على قلب موسى عليه السلام والوادي قلب موسى والكلام الذي سمعه موسى سمعه من سماء عقله وتلك الاصوات كانت فى نفسه لافي الخارج والملائكة التي رآها كانت اشخاصاً نورانية تمثلت فى نفسه لافي الخارج والبحر الذى فلقه هو بحر العلم والعصا كانت حجته غلب على السحرة بحجته العلمية فابتلعت حجته شبههم التي جعلوها حبالا يتوسلون بها الى نيل أغراضهم وعصياً يقهرون بها من يجادلونه افليس من قال مثل هذا الكلام يعلم بالاضطرار انه يكذب على الكتب الالهية التي أخبرت بقصة موسى كالتوراة والقرآن

وانه ليس مراد الرسل بما أخبروا به من قصة موسى هذا بل صرحوا بأن موسى سمع نداء الله له وانه كلمه من الطور طور سينا الذي هو الجبل وقلب عصاه التي كان يهش بها على غنمه ثعباناً عظيما وفلق له البحر وغرق فيه آل فرعون فغرقوا وماتوا فيه وهلكوا وأمثال هذا من تحريفات الملاحدة كثير فهكذا النصارى حرفوا كتب الله وسموا صفة الله القديمة الازلية التي هي علمه أو حكمته ابناً وسموها أيضاً كلمة وسموا صفته القديمة الازلية التي هي حياته روح القدس وتسمية هذه الصفات بهذه الاسماء لاتوجد في شيء من كلام الانبياء ولا غيرهم ولا يعرف ان أحداً قط لامن الانبياء ولا غيرهم سمى علم الله القائم به ابنه بل ولا سمى علم أحد من العالمين القائم به ابنه ولكن لفظ الابن يعبر به عمن ولد الولادة المعروفة ويعبر به عمن كان هو سبباً في وجوده كما يقال ابن السبيل لمن ولدته الطريق فانه لما جاء من جهة الطريق جعل كانه ولده ويقال لبعض الطير ابن الماء لانه يجيء من جهة الماء ويقال كونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فان الابن ينتسب الى ابيه ويحبه ويضاف اليه اى كونوا ممن ينتسب الى الآخرة ويحبها ويضاف اليها وهذا اللفظ موجود في الكتب التى بأيدي اهل الكتاب فى حق الصالحين الذين يحبهم الله ويربيهم كما ذكروه ان المسيح قال أبي وأبيكم والهي والهكم وفى التوراة ان الله قال ليعقوب انت ابني بكري ونحو ذلك مما يراد به اذا كان صحيحاً له معنى صحيح وهو المحبة له والاصطفاء والرحمة له وكان المعنى مفهوما عند الانبياء عليهم السلام ومن يخاطبونه وهو من الالفاظ المتشابهة فصار كثير من اتباعهم يريدون

به المعنى الباطل وزعم كثير من الكفار ان الله سبحانه وتعالى بنين وبنات وان الملائكة بناته وبعض من يقول بقدم العالم من المتفلسفة يقولون العقول العشرة هي بنوه والنفوس الفلكية هي بناته وهي متولدة عنه لازمة لذاته فجاء القرآن الذى هو افضل الكتب واكملها بابطال هذه المعانى ومنع استعمال هذا اللفظ فى حق الله تعالى فنزه الله عن ان يتخذ ولدا كما نزهه عن ان يكون له ولد والاول من باب تنزيهه عن الافعال المذمومة وهذا على قول جماهير المسلمين وغيرهم الذين ينزهون الله ويقدسونه عن الافعال القبيحة التي لاتليق به بل تنافى ماوجب له من الكمالات في افعاله كما وجب له الكمال فى ذاته وصفاته واما من كان من المسلمين وغيرهم لاينزه الله عن فعل من الافعال الا ما كان ممتنعا لذاته فاما الممكن المقدور فيقول لايعلم انتفاؤه الا بالخبر او بالعادة المطردة التي يمكن انتقاضها فهذا لايبقى معه ماينفى به عن الله الأفعال المذمومة القبيحة والكتب الالهية قد نزهت الرب عز وجل عن الافعال المذمومة كما نزهته عن صفات النقص كقوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) وقال تعالى (انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له مافي السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا) كما قال تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون) وقال تعالى (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا) وقال تعالى (عن المؤمنين ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا

ماخلقت هذا باطلا) وقال تعالى (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولداولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديرا) وقال تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) وقال تعالى (الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون) وقال تعالى (قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد) فكما نزه نفسه عن الولادة نزه نفسه عن اتخاذ الولد وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئاً ادا تكاد السموات يتفطرون منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من فى السموات والارض الا آت الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيمة فردا) وقال تعالى (لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون) وقال تعالى (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا أيأمركم بالكفر بعداذ انتم مسلمون) وفى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى كذبنى ابن آدم وما ينبغى له ذلك وشتمنى ابن آدم وما ينبغي له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله ان يعيدنى كما بدانى وليس اول الخلق باهون على من اعادته واما شتمه اياى فقوله انى اتخذت ولداً وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وفى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما أحد اصبر على اذى يسمعه من الله انهم ليجعلون له ولداً

وشريكا وهو يرزقهم ويعافيهم ولهذا كان معاذ بن جبل يقول لا ترحموا النصارى فانهم سبوا الله مسبة ماسبه اياها احد من البشر فجاءت هذه الشريعة الحنيفية القرآنية حرمت ان يتكلم فى حق الله باسم ابن او ولد سداً للذريعة كما منعت ان يسجد أحد لغير الله وان كان على وجه التحية كما منعت ان يصلى أحد عند طلوع الشمس وغروبها لئلا يشبه عباد الشمس والقمر فكانت بسدها للابواب التى تجعل لله فيها الشريك والولد اكمل من غيرها من الشرائع كما سدت غير ذلك من الذرائع مثل تحريمها قليل المسكر لانه يجر الى كثيره فان أصول المحرمات التى قال فيها (قل انما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن منها والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله مالا تعلمون) مما اتفقت عليه شرائع الانبياء بخلاف تحريم الطيبات عقوبة فان هذا جاء في شرع التوراة دون شرع القرآن فان الله احل لامة محمد الطيبات وحرم عليهم الخبائث وكذلك تكميل التوحيد من كل الوجوه وسد ابواب الشرك من كل الوجوه جاءت به هذه الشريعة مع اتفاق الانبياء على ايجاب التوحيد وتحريم ان يجعل لله شريك او ولد فاذا كان مراد المسيح عليه السلام بالابن هو الناسوت وهو لم يسم اللاهوت ابنا وقد ذكر ان الابن لايعلم الساعة تبين بذلك ان المسيح هو الناسوت وحده وانه لايعلم الساعة وهذا هو الحق وان قالوا مراده بالابن اللاهوت أو اللاهوت والناسوت لزم من ذلك ان اللاهوت او اللاهوت والناسوت لايعلم الساعة وهذا باطل وكذب وهو أيضاً مناقض لقولهم فدل هـذا النص من المسيح مع سائر نصوصه

ونصوص الانبياء على ان مسمى الابن هو الناسوت وحده وانه لايعلم مايعلمه الله وذلك صريح في انه مخلوق ليس بخالق ولا يجوز ان يكون هذا خطابا للناسوت المتحد باللاهوت دون اللاهوت كما يتاوله عليه بعض النصارى لان كل ماعلمه اللاهوت المتحد بالمسيح علمه الناسوت ولان الناسوت ليس هو الابن عندهم دون اللاهوت المتحد به بل اسم الابن عندهم هو اللاهوت ولاجل الاتحاد دخل فيه الناسوت ولانه لم يثبت الا علم الاب وحده لم يستثن علم الابن الازلى عندهم بل نفى علم ماسوى الاب به وهذا مناقض بقولهم من كل وجه

(فصل) قال الحسن بن ايوب ومثل هذا انه لما خاطبه الرجل على ما كتب في الانجيل فقال له ايها الخير فقال ليس الخير الا الله وحده قلت وبعضهم يترجمه أيها الصالح فقال ليس الصالح الا الله وحده قال ومثله قوله في الانجيل انى لم آت لاعمل بمشيئتى لكن بمشيئة من ارسلنى قال ولو كانت له مشيئة لاهوتية كما يقولون لما قال هذا القول فقد ابطل به ماتدعونه في ذلك قال ثم أنتم مع ذلك تدعون ان المسيح كلمة الله ومن قوة الله غير بائنة ولا منفصلة عنه وتشهدون عليه في الانجيل بقوله انه يصعد السماء ويجلس عن يمين ابيه ويدين الناس يوم الدين ويجازيهم باعمالهم ويتولى الحكم بينهم وان الله عزوجل منحه ذلك اذ كان لايراه احد من خلقه فى الدنيا ولا في الآخرة فان كان هذا الجالس للحكومة بين العالمين يوم الدين والقاعد عن يمين ابيه هو شخص قائم بذاته لايشك فيه هو الجسد الذى كان في الارض المتوحد به الربوبية فقد فصلتم بين الله تبارك وتعالى وبينه وبعضتموه باجتماعهما في السماء شخصين

متباينين احدهما عن يمين صاحبه وهـذا كفر وشرك بالله عز وجل
وان كان جسداً خالياً من الالهيـة وهي الكلمة وقد عادت الى الله كما
بدأت منه فقد زال عنه حكم الربوبيـة التى تحلونه اياها. قال ونسألكم
عن واحدة نحب ان تخبرونا بها اصل ماوضعتموه من عبادة الثلاثة
الاقانيم التى ترجع بزعمكم الى جوهر واحد وهو اللاهوت ماهو ومن
أين أخذتموه ومن أمركم به وفي أي كتاب نزل وأي نبي تنبأ به او
اي قول للمسيح تدعونه فيه وهل بنيتم أمركم في ذلك الا على قول متى
التلميذ عن المسيح عليه السلام انه قال لتلاميذه حيث أراد ان يفارقهم
اذهبوا فعمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس. قال وهـذا
كلام يحتمل معناه ان كان صحيحاً ان يكون ذهب فيه بان يجمع هذه
الالفاظ الى أن تجتمع لهم بركات الله وبركة نبيه المسيح وروح القدس
التي يؤيد بها الانبياء والرسل وقد نراكم اذا اردتم الدعاء بعضكم لبعض
قلتم صلاة فلان القديس تكون معك ومعنى الصلاة الدعاء واسم
فلان النبي يعينك على أمورك وكما قال الله تبارك وتعالى (يا أيها الذين
آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) يقرن طاعته
بطاعة نبيه واولى الامر من المسلمين افنقول لذلك انهـم جميعاً آلهة
قال وقد يجوز ان يكون له معنى يدق عن الوقوف عليه بغير التأويل
ان لم يكن معناه ماقلناه او يكون المسيح عليه السلام ذهب فيه الى
ماهو أعلم به فلم حكم بانه ذهب الى ان هـذه الاسماء لما اضافها الى الله
صارت آلهة وجعلتم لها اقانيم لكل اسم اقنوم بعينه وهو شخص وكيف
استجزتم ماأشركتموه مع الله بالتأويل الذى لايصح. واذا قلتم بثلاثة اقانيم

كل اقنوم بذاته فلا بد من ان تعترفوا ضرورة بان كل اقنوم منها سميع حي بصير عالم حكيم منفرد بذاته كما يقولون في المسيح انه جالس عن يمين أبيه فتراكم أخذتم الاقنومين اللذين احدثتموهما مع الله من جهة ان الله حكيم حي فحكمته الكلمة وهي المسيح وروحه روح القدس وهذه صفة من صفات الله مثلها كثير لأنه يقال حكيم عليم سميع بصير حي قدير وكذلك ربنا تعالى وان كانت صفاتنا اياه لا تلحق صفاته ولا تبلغ كنه مجده إلا بالتمثيل لعظمته وعزته وجلاله وعلوه فنحلتم صفاته التي هي معناه وليست سواه غيره وجعلتموه أقانيم لكل واحد من الحياة والحكمة وسائر الصفات مثل الذي له وما فيها اقنوم له صفة إلا ويحتمل على قياس قولكم ان تكون صفته مثله فاذا كانت هذه الاقانيم الهة وكل صفة اله وهي من جوهره فيجب ان تكون كل صفة لكل واحد من الثلاثة الاقانيم الهاً مثله اذ كان من جوهره فيتسع الامر في ذلك حتى لايكون له غاية ولا نهاية . قال واذا قلتم بثلاثة اقانيم هي في السماء من جوهر قديم افليس يلزمكم الاقرار بثلاثة الهة لان الاقانيم اشخاص يومأ اليها ويقع الحد عليها والا فما الحجة وانتم تذكرون في بعض احتجاجكم انها ثلاثة ترجع الى واحد غير متبعضة ولا منفصلة وتشبهونها في اجتماعها وظهور ما يظهر منها بالشمس وقد نراكم عقدتم شريعة ايمانكم على ان المسيح اله وانسان متحدين وانه يصعد الى السماء ويجلس عن يمين أبيه والجالس عن يمين صاحبه اليس هو منفصلاً عنه مفروزاً عنه فكيف يصح على هذا القول قياس أو يصح به عقد دين تقولون مرة مجتمع ومرة منفصل وما شبهتموه به

من الشمس فقد تقدم شرحنا لبطلان الحجة فيه وانه لايكون قياسه القياس الذي تعلقتم به • على انا وجدناكم تقولون في معنى التثليث ان الذى دعاكم اليه ماذكرتم ان متى التلميذ حكاه في الانجيل عن المسيح عليه السلام اذ قال لتلاميذه سيروا فى البلاد وعمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس وانكم فكرتم فى هذا القول بعقولكم فعلمتم ان المراد بذلك انه لما ان ثبت حدوث العالم علمتم ان له محدثا فتوهمتموه شيئاً موجوداً ثم توهمتموه حياً ناطقا لان الشيء ينقسم لحى ولا حى والحى ينقسم لناطق ولا ناطق وانكم علمتم بذلك انه شيء حي ناطق فاثبتم له حياة ونطقا غيره في الشخص وهما هو فى الجوهرية • فنقول لكم في ذلك اذا كان الحى له حياة ونطق فاخبرونا عنه اتقولون انه قادر عزيز أم عاجز ذليل • فان قلتم لا بل هو قادر عزيز • قلنا فاثبتوا له قدرة وعزة كما اثبتم له حياة وحكمة • فان قلتم لايلزمنا ذلك لانه قادر بنفسه عزيز بنفسه • قلنا لكم وكذلك فقولوا انه حي بنفسه وناطق بنفسه ولا بد لكم مع ذلك من ابطال التثليث أو اثبات التخميس وإلا فما الفرق وهيهات من فرق • وقال الحسن بن ايوب ايضاً انا كما تأملنا معكم في نسبة المسيح عليه السلام الى الالهية وعبادتكم له مع الله على الجهة التي تذهبون اليها وطلبنا لكم الحجة في ذلك من كتبكم ازددنا بصيرة فى استحالة ذلك ووضعكم له من القول مالا يثبت لكم به حجة ولا يشهد به لكم شيء من كتبكم ووجدنا ابين ماجاء فى المسيح وصحة أمره فيما اتي به ما قال متى التلميذ انه لما جاء يسوع الى ارض قيسارية سأل تلاميذه فقال ماذا يقول الناس في اني ابن البشر • فقالوا منهم من

يقول انك يوحنا المعمداني وآخرون يقولون انك ارميا أو احد الانبياء • فقال لهم يسوع فانتم ماذا تقولون فاجابه سمعان الصفا وهو رئيسهم فقال انت المسيح ابن الله الحق فاجابه المسيح وقال طوبى لك ياسمعان بن يونان انه لم يطلعك على هذا لحم ولا دم ولكن ابي الذى في السماء • • وحكي لوقا في انجيله هذا الخبر فقال ان سمعان اجابه فقال انت مسيح الله ولم يقل ابن الله فهذا كلام تلميذه الرئيس فيه وارضاه ما قال • وقوله انه لم ينطق بذلك الا ما اوحاه الله فى قلبه ولم ندفعكم قط عن انه مسيح الله ولا عن انه كما تقولون فى لغتكم انه ابن الله بالرحمة والصفوة مع الاختلاف الواقع فى ذلك في الانجيلين وقد قال مثل ذلك فيكم جميعاً ان الله الهى والهكم وابي وابوكم فنعمل على احتجاجكم بانه ليس مثلكم في معنى النبوة ونجعله مثل من سمي في الكتب ابنا على جهة الاصطفاء والمحبة مثل اسرائيل وغيره بل قد خص اسرائيل بان قال عز وجل انت ابني بكري وهذا كلام له مذهب في اللغة القديمة التي جاءت بها الكتب وليست بموجبة الالهية اذ كان قد شاركه في هذا الاسم غيره فلم لا جعلتموه كما جعل نفسه؟ ومما يؤكد المعنى في ذلك ويزيل تأويل من يتأول له مالم يدعه ولم يرض به قوله فى علم الساعة ان ذلك شيء لايعلمه أحد من الخلق ولا الملائكة المقربون ولا الابن يعنى نفسه الا الله وحده ثم قال للرجل الذي اتاه فقال له أيها العالم الصالح أى الاعمال خير لي الذي تكون لي حياة الى يوم الدين • فقال له لم تقل لي صالحاً ليس الصالح الا الله وحده فاعترف لله بانه واحد لاشريك له ونفي عن نفسه فلم يجعلها ولا احدا من الخلق

أهلا لذلك وقوله للمرأة التي جاءته فقالت انت ذلك النبي الذي كنا ننتظر مجيئه • فقال لها المسيح صدقت طوبى لك ثم قال للشيطان حين اختبره فسامه ان يلقي نفسه من رأس الهيكل .فقال أمرنا ان لانجرب الرب ثم سامه ان يسجد له فقال امرنا ان لانسجد الا لله وحده ولا نعبد سواه ثم صلاته في غير وقت لله واخرها الليلة التي اخذته اليهود فيها فاذا كان الها كما زعمتم فلمن كان يصلي ويسجد؟ ثم قول الجموع الذين كانوا معه حين دخل اورشليم وهي مدينة بيت المقدس على الاتان لمن كان يسأله عن امره لما رجت المدينة به هذا هو يسوع الناصري النبي الذي من الناصرة ثم قوله في بعض الانجيل أخرجوا بنا من هذه المدينة فان النبي لايحل في مدينته وفي موضع آخر انه قال لايهان نبي الا في مدينته وفي بيته واقاربه • وقوله في بعض خطبه ان هذا الجيل السوء يريد آية وانه لايعطي الا آية يونس كما كان يونس لاهل نينوى كذلك يكون ابن البشر لهذا الجيل رجال نينوى يقدمون في الدين مع هذا الجيل فيخصمونهم لانهم تابوا على قول يونس النبي وان ههنا افضل من يونس •ثم قول داود في نبوته عليه من هذا الرجل الذي ذكرته وجعلته دون الملائكة قليلا .ثم قول تلاميذه فيه ماشرحناه في صدر كتابنا هذا ماتقدم ووصفهم انه رجل أتى من عند الله بالايدي والقوة • ومما يشبه ذلك انه لما قدم تلامذته فركبوا السفينة وقال لهم امضوا فاني الحق بكم فاتاهم يمشي على البحر فلما رأوه في تلك الحال قالوا ماهذا الحال ويح ومن الغرق صاحوا .فقال لهم يسوع اطمأنوا ولا تخافوا انا هو فاجابه شمعون الصفا وقال له يارب ان كنت انت

هو فاذن لي آتيك على الماء . فقال له تعال فنزل سمعان الى الماء ليمشي عليه فلم يستطع وجعل يغرق فصاح وقال يارب اغثني فبسط يده يسوع فاخذه وقال له لم تشككت ياقليل الامانة ؛ قال فبان بذلك عجز المسيح عن اتمام ماسأله شمعون الصفا ومثله امر الرجل الذى قال ليسوع خبر ابنه وما ينالها من الشيطان وانه قد قدمها الى تلاميذه فلم يستطيعوا ان يخرجوه وقد كان جعل لهم ذلك وغيره فاخرجه هو منها، وقال فى الانجيل وهو يذكر الامثال التي ضربها لرؤساء الكهنة انهم لما سمعوها منه علموا انها في شأنهم فهموا ان يأخذوه ثم فرقوا من الجموع لانهم كانوا ينزلونه مثل النبي . وقال فى الانجيل لما جاءته ام ابنى زبدا وكانت من تلامذته مع ابنيها، فقال لها ماتريدين قالت اريد ان تجلس ابناي احدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فى ملكوتك . فقال ليس الى ذلك سبيل لانه ليس لي ان اعطيه ولكن من وعد له ابي قال الحسن بن أيوب فما يكون ياهؤلاء افصح او ابين واوضح من اجتماع هذه الشواهد لكم فى كتبكم مارضيتم بقوله في نفسه ولا بقول تلامذته فيه ولا بقول من تنبأ عليه من الانبياء ولا قول جموعه الذين تولوه لمن سألهم من مخالفيهم عنه وتركتم ذلك كله واخذتم باراء قوم تأولوا لكم على علمكم فانهم قد اختلفوا أيضاً فى الرأى فقال كل قوم في المسيح ما اختاروا واتبع كلامهم طائفة قالوا بقولهم ثم سلك من بعدهم سبيل الآباء فى الاقتداء بهم فبينوا لنا حجتكم فى ذلك وهيهات من حجة ونحن نستوهب الله العصمة والتوفيق منه . قال ومما يشبه ماتقدم قوله لتلاميذه فى انجيل لوقا فاما انتم الذين صبرتم مي فى بلائى

ومحازى فانى اعدكم كما وعدنى ابى الملكوت لتأكلوا وتشربوا معى على
مائدتى فى ملكوتى فبين ان الله جل ثناؤه وعده ان يجعله فى ملكوت
السماء يأكل ويشرب مع تلاميذه على مائدته وهذا مالا شك لكم فيه
وهو مخالف لقولكم فيما يصير اليه وفى الاكل والشرب والنعيم هناك ثم
قوله لشمعون حين اتـه الجموع فاخذوه ام يظن انى لست قادراً ان
طلب الى ابي فيقيم لي اثنى عشر جنـداً من ملائكته او اكثر ولكن
كيف يتم الكتب انه هكذا ينبغي ان يكون ولم يقل انى قادر ان
ادفعهم عن نفسى ولا انى آمر الملائكة ان يمنعوا عنى كما يقول من له
القدرة والامر . قال ونجدكم تقولون فى المسيح عليه السلام انه مولود
من أبيه أزلى ويجب على المدعى القول ان يثبت الحجة فيه ويعلم انه
مطالب بايضاحها لاسيما فى مثل هذا الخطب الجليل الذي لايقع التلاعب
به ولا تجترئ النفوس على ركوب الشبهات فيـه والويل الطويل لمن
تأول فى ذلك تأويلا لاحقيقة له فانه يهلك نفسه ومن كان من الناس
معه ممن يتبع قوله ان كان هـذا الابن ازلياً على مافى شريعة ايمـانكم
فليس بمولود وان كان مولوداً فليس بازلى لان اسم الازلية انمـا يقع
على من لا أول له ولا آخر ومعنى المولود انه حادث مفعول وكل
مفعول فله اول فكيف ما أردتم القول فيـه كان فيه بطلان الشريعـة
قال ونسألكم أيضاً عن واحدة لم سميتم الاب أباً والابن ابناً فانه ان
كان وجب للاب اسم الابوة لقدمه فالابن ايضاً يستحق هـذا الاسم
بعينه اذ كان قديماً مثله . وان كان الاب عالماً عزيزاً فهو ايضاً عالم عزيز
تشهد له شريعة الايمـان له بذلك فى قولهـا انه خلق الخلائق كلها

واتفقت على يده وانه نزل لخلاصكم ومن قدر على ذلك لم يكن الا عالماً
عزيزاً فهذه المعاني التي ذكرناها تبطل اسم الابوة والبنوة وفي ابطالها
بطلان الشريعة التي تقول ولد من أبيه والا فان كان الاب والابن
متكافئين في القدم والقدرة فبأي فضل وسلطان للاب عليه أمره ونهاه
فصار الاب باعثاً والابن مبعوثاً والاب متبوعاً مطاعاً والابن تابعاً مطيعاً
ومما يشهد بصحة قولنا وبطلان ما تأوله اولوكم في عبودية المسيح ان
متى التلميذ حين بنى كتابه الانجيل اول ما ابتدأ به ان قال كتاب مولد
يسوع المسيح بن داود بن ابراهيم فنسبه الى من كان منه على الصحة
ولم يقل انه ابن الله ولا انه اله من اله كما يقولون. فان قلتم ان تسمية
يسوع للناسوت الذي قد جعلتموه حجة بينكم وبين كل من التمس الحجة
منكم عند الانقطاع فيما يعترف به المسيح من العبودية فقد نسق متى على
اسم يسوع الذي هو عندكم اسم للناسوت المسيح الذي هو جامع الناسوت
واللاهوت فاي حجة في ابطال هذا التأويل اوضح من هذا؟ ومما يصحح
قولنا ويؤكده قول جبريل الملك لمريم عند مخاطبته اياها انه ابن داود على
ماثبت من ذلك في الانجيل قال ووجدنا كم قد ذكرتم في شريعة الايمان
ان يسوع المسيح بكر الخلائق • فان كنتم ذهبتم في ذلك الى انه على نحو ما يسمى
اول ولد الرجل وكبيرهم فجائز وهو محقق لقولنا في عبوديته • وان كنتم اردتم
بذكر البكر انه أول قديم • فلسنا نعرف للبكر معنى في لغة من اللغات
الا للاكبر من الاخوة والاول من الولد وبكر الخلائق لايكون الا من
الخلائق كما ان بكر الرجل والمرأة لايكون الا من جنسهما وباكورة
الثمار لايكون الا ثمرة ولان من المحال ان يقول قائل بكر ولد آدم ملك

من الملائكة وكذلك من المحال ان يكون بكر المصنوعات ليس بمصنوع وبكر المخلوقات ليس بمخلوق • وقد قال الله فى التوراة يا ابنى بكرى اي اسرائيل وقال في موضع آخر انه نظر بنو الله الى بنات الناس فشغفوا بهن فهل يوجب لآل اسرائيل الالهية بهذا القول . قال وقلتم ان المسيح ولد من أبيه قبل العوالم وليس بمصنوع فليس يخلو الاب من ان يكون أولد شيئاً موجوداً أو غير موجود • فان كان لم يزل موجودا فان الاب لم يلد شيئاً • وان كان غير موجود وانما هو حادث لم يكن فهو مخلوق كما قلنا • قال ومما يبين قولنا فى خلق المسيح ان هذا الاسم انما وقع له لانه مسح للنبوة والخير وما سحه الله تبارك وتعالى وقد قال داود فى زبوره قولا يشهد على ذلك بعينه من أجل هذا البر مسحك الله الهك أكثر مما مسح به نظراءك فابان داود بهذه الآية معنى المسح بانجيله وان ماسحه الله الهه وانه مصطفى مكرم بزيادة على نظرائه وقال داود أيضاً في مزمور احدى وثلاثين يخاطب الله من أجل داود عبدك لايغلب وجه مسيحك عهد الرب لداود بالحق ولا يرجع عنه يمنى بمسيحه نفسه لان الله مسحه للنبوة والملك وقد قال فى مثل هذا في غير موضع من زبوره فسمى نفسه مسيح الله واذا نظر في الانجيل وكتب بولص وغيره ممن يحتج به النصارى وجد نحوا من عشرين الف آية مما فيه اسم المسيح وكلها تنطق بعبودية المسيح وانه مبعوث مربوب وان الله اختصه بالكرامات ماخلا آيات يسيرة مشكلات قد تأولها كل فريق من أولئك الذين وضعوا الشريعة باختيارهم على هواهم فاخذوا بذلك التأويل الفاسد وتركوا المعظم الذى ينطق بعبوديته فلو كانوا

قصدوا الحق لردوا تلك المشكلات الشاذة اليسيرة التي يوجد لها من التأويل خلاف مايتأولونه على الواضحات الكثيرة التي قد بانت بغير تأويل لانه انما يجب ان يقاس الجزء على الكل ويستدل على ماغاب بما حضر وعلى ماأشكل بما ظهر فمن تلك الآيات المشكلات ماقد ذكرناه في كتابنا هذا وبينا معناه والحجة فيه وانه ليس كما تأولوه • ومنها مايحكون عن المسيح انه قال انا بابي وقد فسر المسيح عليه السلام ذلك وكشفه قال يوحنا في انجيله ان المسيح تضرع الى الله في تلاميذه وقال ياأيها الرب القدوس أحفظهم باسمك الذي أعطيتني ليكونوا هم أيضاً شيئاً واحداً كما انا شيء واحد وكما انك أرسلتني الى العالم وكذلك أرسلهم أنا أيضاً ثم قال بعد هذا أيضاً اني قد منحتهم من المجد الذي اعطيتني ومنحتني ليكونوا ايضاً شيئاً واحداً كما انا شيء واحد فانا بهم وأنت بي قال هو معني ذلك انه قال انت معي وأنت لى كما أنا مع تلاميذى وهم قلت أو أراد انك بى هديت الخلق وعلمتهم وانا أهديهم وأعلمهم والباء للسببية فان الله برسله هدى عباده وعلمهم والرسل علموا الغائبين عنهم فالحاضرين الذين بلغوا عنهم وقوله ليكونوا شيئاً واحداً أراد به اتفاق صدقهم وأمرهم ومرادهم وهذا مفسر وقد قال ليكونوا هم شيئاً واحداً كما أنا شيء واحد فقد طلب لهم مثل ماحصل له ولربه وهذا يبين ان قوله كما انا شيء واحد أى أنا موافقك في أمرك ونهيك ومحبتك ورضاك لم يرد بذلك اتحاد ذاته به كما لم يرد ان تتحد ذوات بعضهم ببعض فانه طلب لهم مثل ماحصل له من الموافقة لامر الله ونهيه ومحبته ورضاه قال أو يكون ذهب فيه الى معنى دقيق لايعرفه الا انه قد بطل

على كل حال بهذا القول تأويلكم ممازجته عز وجل في اللاهوت بقوله في تلاميذه انه بهم كما ان اباه به لأنه ان تأول متأول فى هذا المعنى انه ذهب فى بعض وصفه بأبيه وان اباه به الى مشاركته فى اللاهوت فقد قال في تلامذته مثل هذا القول فيجب ان يكونوا على هذا القياس شركاه في المحل وهذا مالا يكون ولا يجترىء على القول به أحد • قال ومن أعجب العجب ان تكون أمة كتابها ودعوتها ومعبودها واحداً يتمسكون بأمر المسيح عليه السلام وتلامذته وانجيله وسننه وشرائعه وهم مع ذلك مختلفون فيه أشد الاختلاف فمنهم من يقول انه عبد • ومنهم من يقول انه اله • ومنهم من يقول انه ولد • ومنهم من يقول انه أقنوم وطبيعة • ومنهم من يقول انه أقنومان وطبيعتان وكل منهم يكفر صاحبه ويقول ان الحق فى يده وكلهم لا يأتى من الكتاب بحجة واضحة يثبت بها دعواه ولا من قياسه لنفسه وتأوله بما يصح له عند المناظرة وانما يرجع فى دينه واعتقاده الى ماتأوله له المتأولون بما يخالف انجيلهم وكتبهم بالهوا والعناد من بعضهم فهم يشركون بالله على التأويل ولا شريك له ويدعون له ولداً من جهة ماأحدثوا لأنفسهم سبحانه انى يكون له ولد

﴿تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث اوله وقال الحسن بن ايوب﴾

فهرست الجزء الثاني من الجواب الصحيح

صحيفة

صحيفة

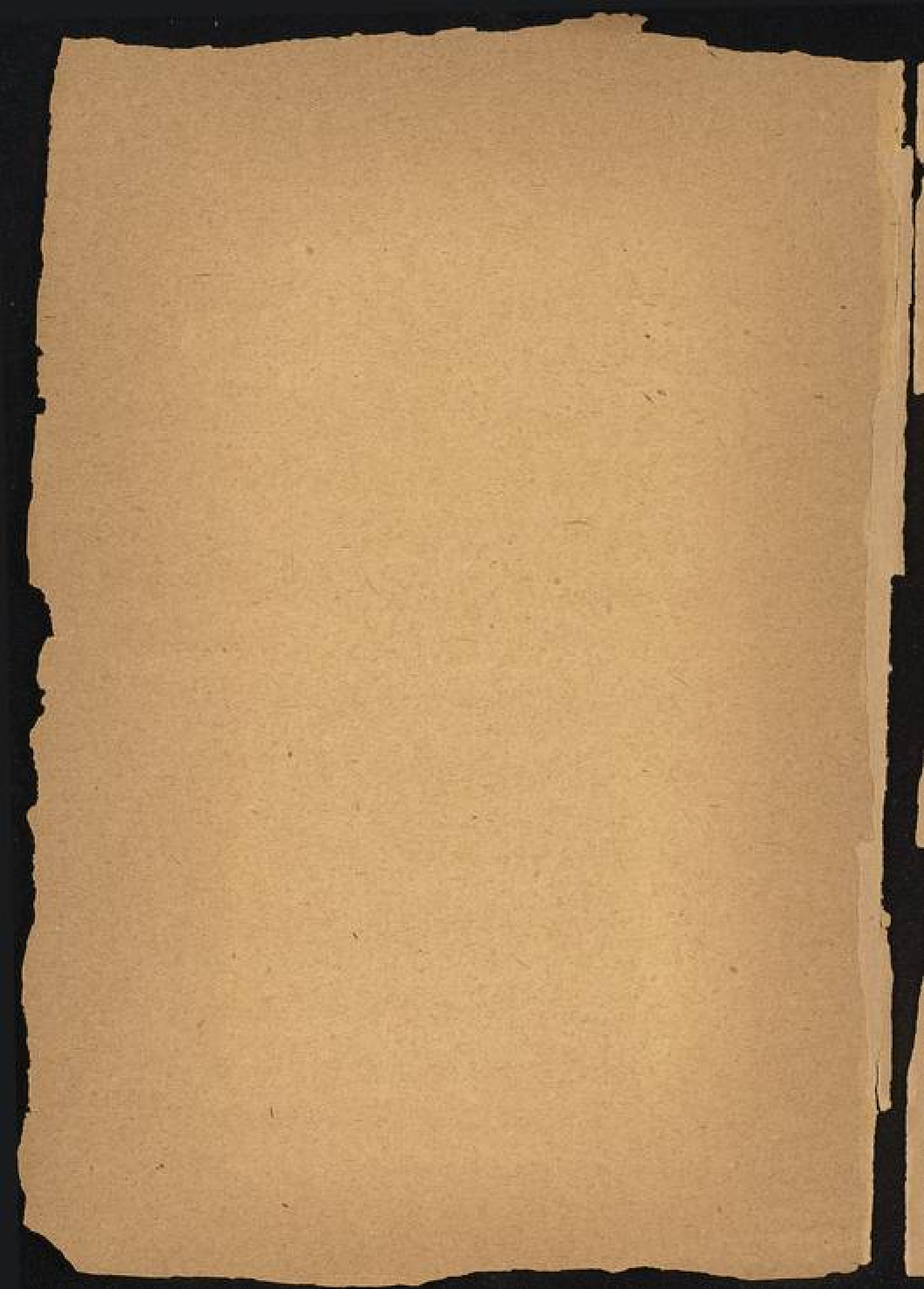
صحيفة

صحيفه

﴿ بيان الخطاء الواقع في الجزء الثانى ﴾

صحيفة	سطر	صواب	خطاء
٢	٤	غيروه	غيروه
٤٩	٢	العداوة	العدواة
٩٠	٤	جنوبهم	جونهم
١٤٥	٨	ابعاضها	بعاضها
١٥٤	٢	فى امه	فى ابنه
١٥٧	١٩	المتحد	المتجد
١٧٣	٧	بي	اني
٢٤٥	٥	بها	بهاء
٢٤٧	١٤	جعلوه	جعلود





بيان الكتب التي تم طبعها بمعرفتنا بالمطبعة الاميرية

شرح تحرير الاصول مع شرح منهاج الاصول. كشف الاسرار مع نور الانوار وقمر الاقمار. شرح تهذيب الكلام مع حاشية المحاكمات. شرح المسايرة لابن الهمام مع حاشية القاسم شروح التلخيص يعني عروس الافراح ومواهب الفتاح والايضاح وشرح السعد وحاشية الدسوقي عليه. شفاء السقام للسبكي. آراء مدينة الفاضلة للفارابي. مشكاة الانوار للغزالي فتاوي الغياثية مع فتاوي ابن نجيم. الحكمة في مخلوقات الله للامام الغزالي. محك النظر له. الاقتصاد في الاعتقاد له القسطاس المستقيم له. فيصل التفرقة له. تأسيس النظر للدبوسي ما بعد الطبيعة لابن رشد. الكلم الروحانية لابن هندو

تحت الطبع بمطبعة بولاق

شروح المفتاح للسعد والسيد والقطب. حواشي البيضاوي للسيوطي وعبد الحكيم وچلبي. حواشي شرح الشمسية للسيد وعبد الحكيم والدسوقي وعصام والجلال وتقرير الشربيني على عبد الحكيم وشرح السعد على الشمسية



